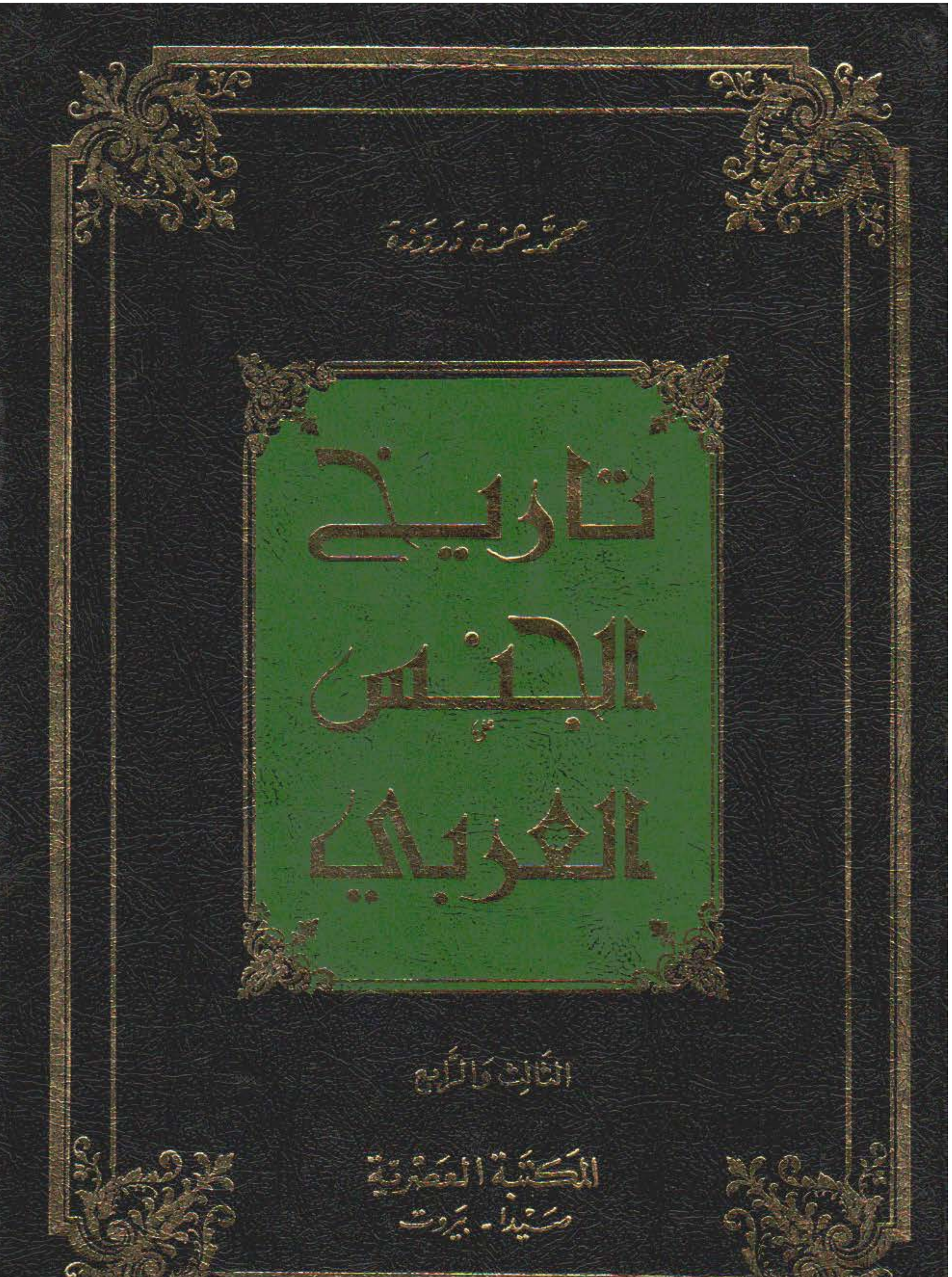

محمد عزة دروزة
تاريخ الجنس العربي
الثالث والرابع
المكتبة العصرية
صيدا - بيروت

تاريخ الجنس العربي

في

مختلف الأطوار والأدوار والأقطار

تأليف

محمد عزة دروزه

الجزء الرابع

الموجات العربية قبل العروبة الصريحة
في بلاد الشام ومآثرها

اي

سوريا ولبنان وشرقي الاردن وفلسطين

منشورات المكتبة العصرية - صيدا - بيروت

موجز مشتملات هذا الجزء

١ ـ تمهيد في صلات بلاد الشام وسكانها بجزيرة العرب ومصادر تاريخ ذلك

٢ ـ الموجات العربية الجنس في بلاد الشام :

آ ـ الكنعانيون الفينيقيون في لبنان وسواحل الشام

ب ـ الكنعانيون في شرق الاردن وفلسطين

ت ـ العبرانيون في شرق الاردن وفلسطين

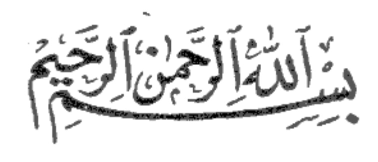
ث ـ العموريون في بلاد الشام

ج ـ الآراميون في بلاد الشام

٣ ـ لمحة في سيرة الحكم اليوناني والروماني في بلاد الشام

تمهيد

في صلة بلاد الشام بجزيرة العرب ومو جاتها اليهـا ومصادر تاريخها



- ١ -

ان بلاد الشام كوادي النيل والعراق من مهاجر الجنس العربي الطبيعية واوطانه الثانية ، لانها الجناح الغربي للهلال الخصيب الذي كان يجذب هذا الجنس من جزيرة العرب بصورة مستمرة وهي متصلة بالجزيرة من جنوبها اتصالا مباشراً .

واذا كان الباحثون لا يستطيعون ان يجزموا في امر هوية سكان هذه البلاد في العصور الحجرية والظرانية السابقة للتاريخ أو اذا كان منهم من يذهب الى ان هؤلاء السكان مزيج من عناصر آرية او ارمنوية كما يسميها فيليب حتي تسربت من الشمال وعناصر حامية تسربت من الجنوب [1] فليس هناك من يماري في طروء جماعات او موجات متلاحقة عديدة عليها منذ اقدم الازمنة التاريخية المعروفة ممن سُموا « ساميين » وسميناهم الجنس العربي [2] وغلبة طابعهم على هذه البلاد وعلى من كان فيها قبل طروئهم المعروف او جاء اليها بعد ان اخذوا يطرأون عليها وغدّوها بذلك من مهاجر هذا الجنس واوطانه الثانية .

واذا كان هناك من لا يقول بمجيء تلك الجماعات أو الموجات التي سميت بالساميين من جزيرة العرب فان جمهرة الباحثين يقررون العكس ويقولون انه مهما اختلف في اصل مهد الساميين الاول فان مهدهم الثاني كان جزيرة العرب وان الموجات والجماعات التي طرأت على بلاد الشام من ناحية باديتها او من طريق العراق انما جاءت في الاصل

---

(١) انظر تاريخ سورية ولبنان وفلسطين لفيليب حتي ج ١ تعريب حداد ص ٢٨

(٢) في مقدمة الكتاب في الجزء الاول من تاريخ الجنس العربي شرحنا ماذا نقصد بكلمة الجنس العربي والمبررات الوافية لتسمية الساميين باسم الجنس العربي .

من الجزيرة العربية [1] ؛ حيث نزح بعضها من جنوبها الى شواطئها الشرقية على بحر الهند فالخليج العربي فالعراق فبلاد الشام او الى بلاد الشام مباشرة عن طريق البادية .

وهذا ما تؤيده الشواهد والوقائع ، حيث كان التشارك في اللغة والخصائص والتقاليد قوياً بين هذه الموجات وبين سكان جزيرة العرب قبل تطورهم من العروبة غير الصريحة وبعده ، وحيث عرف يقيناً في دور العروبة الصريحة قبل الاسلام [2] الذي بدأ في الالف الثانية قبل المسيح انسياح الموجات من جزيرة العرب الى بلاد الشام واقامتها الدول العديدة من عريبية وقيدارية ورهاوية وايطورية ونبطية وتدمرية وتنوخية وضجعمية وغسانية [3] الخ فضلا عن الموجات التي تلاحق ورودها من جزيرة العرب من طريقي العراق والبادية الى هذه البلاد تحت راية الاسلام والتي لم يكد تلاحقها ينقطع في دور من ادوار الحقبة الطويلة الممتدة الى اليوم والتي انطبعت بلاد الشام بها بطابع العروبة الخالد المقدس ؛ مما هو متسق مع طبيعة جزيرة العرب منذ اقدم الازمنة ومما يصح ان يعد دليلا حياً لا يمكن دحضه مهما بلغت المكابرة والتزمت في بعض ا[illegible]ثين من مبلغ .

وقد تكون دماء الموجات العربية التي طرأت على بلا[illegible] [illegible]سام قبل دور العروبة الصريحة اختلطت بدماء من كان قبلها فيها او من جاء اليها بعد أن امتدت تطرأ عليها من غير جنسها كما كان شأن امثالها في العراق ووادي النيل ؛ وقد تكون اكتسبت شخصية خاصة نوعاً ما في الارض الجديدة التي حدت فيها . غير ان هذا لا يغير من الامر شيئاً كبيراً ما دامت هذه الموجات قد جاءت من جزيرة العرب وظل طابعها العربي هو الغالب على بلاد الشام ومن فيها من غير جنسها وظلت تحتفظ بكثير من خصائص جنسها ولغته وتقاليده .

---

(١) انظر مقدمة الكتاب في الجزء الاول من تاريخ الجنس العربي للمؤلف وتاريخ مصر من اقدم العصور لبريستيد تعريب حسن كمال ص ١٧٠ - ١٧٢ وتاريخ العرب قبل الاسلام لجواد علي ج ١ ص ١٤٨ وما بعدها .

(٢) انظر العرب قبل الاسلام جرجي زيدان ص ١٦٩ وما بعدها طبعة قديمة وتاريخ العرب قبل الاسلام لجواد علي ج ٢ ص ٢٧٧ وما بعدها وج ٣ ص ٣-١٢٩ و ج ٤ ص ١٢٨ وما بعدها .

(٣) في مقدمة الكتاب في الجزء الاول من تاريخ الجنس العربي وفي تمهيدات الجزء الثاني شرحنا المقصود من تعبير العروبة غير الصريحة والعروبة الصريحة فارجع اليها .

ولقد لبثت بلاد الشام تحت حكم اليونان والرومان نحو الف عام ٣٣١ق م — ٦٤٠ب م وجاء اليها منهم الالوف المؤلفة واستقروا فيها ونشروا لغتهم وثقافتهم وقد جمع بينهم وبين اهل البلاد دين واحد هو النصرانية منذ القرن الرابع الميلادي ، وترجمت الى اليونانية الكتب المقدسة وصارت من اللغات التي تؤدى بها طقوس العبادة . ومع ذلك لم يستطيعوا ان يطبعو البلاد واهلها بطابعهم بل وكانت جمهرة الشاميين منقبضين عنهم متحاشين من الامتزاج بهم [1] في حين ان الموجات العربية الصريحة التي جاءت الى بلاد الشام قبل الاسلام اخذت تطبع البلاد واهلها بالطابع العربي الصريح بسهولة ويسر ، وان هذا الطابع اشتد في عمله حينما جاءت موجة الفتح الكبرى تحت راية الاسلام فلم يمض بضعة اجيال حتى تم له السيادة الخالدة المقدسة . وليس من تفسير لهذه الظاهرة الا صدق نظرية وحدة الدم والارومة والمنبت والروح التي كانت تجمع بين سكان هذه البلاد وجزيرة العرب والجنس العربي كما هو المتبادر .

— ٣ —

ولقد كان من تلاحق الموجات المعروفة يقيناً الى بلاد الشام في دور العروبة الصريحة قبل الاسلام وبعده وما قام وظل يقوم من صلات وثيقة بين هذه البلاد وجزيرة العرب ، وما كان من استمرار التشارك في اللغة والخصائص والتقاليد والعقلية بين هذه الموجات الصريحة العروبة وبين الموجات التي قبلها ما أكد ذلك الطابع وقواه وخلده وجعل دعوى انتماء تلك الموجات الى العروبة وجزيرة العرب محكمة حاسمة .

ويكفي ان يدقق الناظر في اسماء الاعلام الشامية التي تحمل لمحة العروبة المتقدمة على دورها الصريح ، ويكفي كذلك ان يقارن بين مفردات لغات تلك الموجات وبين مفردات اللغة العربية الفصحى ليرى مصداق ذلك قوياً لا يتحمل مراءً .

فهذه قائمة احتوت مئات من اسماء القرى والقصبات والمدن في مختلف انحاء بلاد الشام الساحلية والداخلية والجنوبية والشمالية بما فيها فلسطين منقولة عن معجم البلدان لياقوت الحموي المتوفى في القرن الهجري السابع مما يحمل اللمحة العربية القديمة من اللهجات او اللغات الكنعانية الفينيقية والعمورية والآرامية السريانية والعبرانية :

---

(١) انظر المجلد الثاني من مجلة الحوليات السورية الاثرية لسنة ١٩٥٢ .

آبل ـ ابتر ـ اثارب ـ اجنادين ـ أحص ـ اداقى ـ اذرح ـ أذرعات ـ اذرع ـ
إرّار ـ اربد ـ ارتاح ـ ارتيق ـ اردنّ ـ ارسوف ـ ارفـــاد ـ ارك ـ إرمناز ـ
ارند ـ ارواد ـ اريحـــا ـ اريح ـ ازبد ـ اسفونا ـ اطرون ـ اعناز ـ اعناك ـ
افامية ـ أفليلاء ـ أفيق ـ اقميناس ـ الاكام ـ اكسال ـ اكـــواخ ـ اندرين ـ
انطرطوس ـ أنفة ـ ايابو ـ أيله ـ باب ـ بابلا ـ باداما ـ باروا ـ باره ـ بارين ـ
باعربايا ـ بالسن ـ بالعه ـ باناس ـ بانقوسا ـ بترون ـ بثنه ـ بـــدا ـ بردى ـ
برزمان ـ برزه ـ برزيه ـ برطوبـــه ـ بريص ـ بزاعة ـ بُسر ـ بشيت ـ بصرى ـ
بصير ـ بضيع ـ بُطنان ـ بطياس ـ بعلبك ـ بغراس ـ بقعاء ـ بقـــع ـ بقنّس ـ
بـــكاس ـ بكسرائيل ـ بلاس ـ بلاط ـ بلاطة ـ بلعاس ـ بلقاء ـ بلنياس ـ بليخ ـ
بوقاس ـ بوقه ـ بياس ـ بيت ارانس ـ بيت البلاط ـ بيت راس ـ بيت رامـــه ـ
بيت سوا ـ بيت لاها ـ بيت فوقا ـ بيت لحم ـ بيت لهيا ـ بيروت ـ بيره ـ بيرين ـ
بعرين ـ بيسان ـ تاذف ـ تبنين ـ تبنى ـ تدمر ـ ترمسان ـ تل اعقير ـ تل باشر ـ
تل بليخ ـ تل حوم ـ تل خوسا ـ تلفياثا ـ تلفيتا ـ تل قباسين ـ تل كشفهان ـ
تل كيسان ـ تل ماسح ـ تل محرى ـ تل معنس ـ تـــل هراق ـ تنونيه ـ تنهج ـ
تنينير ـ توزين ـ توم ـ تيزد ـ تيزين ـ تيس ـ تيمر ـ تينات ـ ثمد ـ ثنية ـ ثورا ـ
جابيه ـ جاديه ـ جاسم ـ جب ـ جبرين ـ جبل ـ جبلة ـ جبّول ـ جبة ـ جبيل ـ
جدر ـ جديا ـ جرباء ـ جربى ـ جرجومة ـ جرّ ـ جرش ـ جرماز ـ جرمانا ـ
جرمق ـ جرود ـ جزد ـ جزين ـ جسرين ـ جعبر ـ جفار ـ جلباط ـ جلق جليل ـ
جماعيل ـ جوبر ـ جوسيه ـ جوشن ـ جومة ـ جونيه ـ جيحان ـ جيب جيدور ـ
جيرون ـ جينين ـ حارب ـ حارم ـ حاس ـ حاسر ـ حباران ـ حبال ـ حبرون ـ
حبيا ـ حبله ـ حبيس ـ حثا ـ حدس ـ حديثه ـ حديجاء ـ حر بنفسا ـ حربنوش ـ
مرجلة ـ حر دفنه ـ حردان ـ حرشا ـ حرلان ـ حرملية ـ حزم ـ حسمى ـ حصن ـ
حصن كنيما ـ حطين ـ حنه ـ خير ـ حقو حلب ـ حلقبلها ـ حماة ـ حمص ـ حمورية ـ
حمة ـ حندوتا ـ حوار ـ حوارين ـ حوران ـ حورة ـ حـــوله ـ حولايا ـ حيار ـ
حيران ـ حير ـ حيلان ـ حيفاء ـ خابور ـ خساف ـ خسفين ـ خفاصرة ـ خيارة ـ
دابق ـ دابن ـ داروما ـ داروم ـ دانيت ـ دانا ـ دبوريه ـ در كوش ـ دقانية ـ
دكه ـ دلوك ـ دمشق ـ دمر ـ دنوه ـ دوبان ـ دومة ـ دومين ـ دير ايا ـ ديرباعنتل
دير بلاض ـ دير يلوط ـ دير بونا ـ حافر ـ دير خوات ـ دير رومانين ـ دير زور ـ

دير صليبا ـ دير فق ـ دير قانون ـ ديرماروثا ـ دير مران ـ دير ماطرون ـ دير ميماس ـ ديماس ـ ذاذيخ ـ راس عين ـ رامه ـ راوندان ـ راوية ـ راهوا ـ ربه ـ رحاب ـ رحبه ـ رصافة ـ رعبان ـ رفح ـ رفنينة ـ رقه ـ رماذة ـ رمادة ـ رمح ـ رمله ـ روج ـ روحا ـ ريان ـ الرهاء ـ ريحاء ـ زبداني ـ زردنا زغبة ـ زغر ـ زعمو ـ زملكان ـ زيب ـ زيزاء ـ زيلوش ـ ساجور ـ سارونية ـ ساسكون ـ ساعير ـ سافريه سام ـ ساهره ـ سبعين ـ سبيه ـ سحلين ـ سحيلة ـ سدوم ـ سرمين ـ سروج ـ سطرا ستبا ـ ستيا ـ سكاء ـ سلمية ـ سكين ـ سناجيـه ـ سنحا ـ سنير ـ سود ـ سودا ـ سوسيه ـ سويـداء ـ سيالي ـ سيات ـ سيلون ـ سينا ـ شاغور ـ شبعا ـ شبيث ـ شحشبو ـ الشراة ـ شفرعم ـ شقيف ارنون ـ شقيف ـ شويكة ـ شهبا ـ سهلبة ـ شيزر ـ شيطر صرخد ـ صرفند ـ صرين ـ صف ـ صفورية ـ صفين صكا ـ صمان ـ صنبره ـ صور ـ صوبا صيداء ـ صهيون ـ صهيا ـ صيدنايا ـ ضنفير ـ ضمير ـ طابان ـ طرطوس ـ طرون ـ طور ـ طوبان طورزيتا ـ عابود ـ عاموراء ـ عاموص ـ عذوا ـ عرابه ـ عرشين ـ عرقه ـ عرمان ـ عرناس ـ عتليت عرندل ـ عروب ـ عزاز عسان ـ عشترا ـ عظام ـ عذنون ـ عفر بلا ـ عفرى ـ عفرين عقرباء ـ عقر ـ عقيربا ـ عكا ـ عقيل ـ علاثان ـ علعال ـ عمان ـ عمتا ـ عمق ـ عمواس عناذان ـ عوجاء ـ عورتا ـ عوس ـ عين تاب ـ عين ثرماء ـ عين جالوت ـ عين جر ـ عين سلوان ـ عين سيلم ـ عينون ـ غاميه ـ غباء ـ غباغب ـ غثاة ـ غريه ـ غزه ـ غسولة غنثر ـ غوطة ـ فايا ـ فحل ـ فدين ـ فذايا ـ فراديس ـ فرزل ـ فطرص ـ فولة ـ فنيدق فيـق ـ قاسيون ـ قاصرين ـ قاقون ـ قراوى ـ قانون ـ قباب ـ قبيات ـ قدس ـ قذاران ـ قراوى ـ قرتيا ـ قرحتاء ـ قرزاحل ـ قسطل ـ قسطون ـ قصير ـ قطنا ـ قط ـ قطيفة ـ قلبين ـ قلمون ـ قلنسوة ـ قنسرين ـ قورس ـ قوفا ـ قوفيل ـ قويق قينة ـ كاف ـ كرزين ـ كرك ـ كرمل ـ كريزيم ـ كسوة ـ كفر[1] بطنا ـ كفربيا كفرتكيس ـ كفرثوثا ـ كفرزنس (جنس) ـ كفرسابا ـ كفر سوت ـ كفر سوسية ـ كفرطاب ـ كفر عاقب ـ كفر عزون ـ كفر كنا ـ كفر لاب ـ كفر لاثا ـ كفرلهثا كفر منده ـ كفر نجد ـ كفر تغدو ـ كنيكر ـ كوسين (قوسين) ـ لاذقية ـ لبنان لجاة ـ لد ـ لطمين ـ لكام ـ لكمة ـ ليلون ـ ماب ـ مجدل[2] يابه ـ مدين ـ مرتحوان

---

(١) كفر تعني قرية .

(٢) مجدل بمعنى حصن

مرجعيون ـ مردا ـ مرعش ـ مرقبة ـ مريمين ـ مزه ـ مسرابا ـ مسكه ـ مشحلا مشغري ـ معراثا ـ معيرة معرين ـ معولا ـ معليا ـ مقرى ـ ماوحة ـ مغار ـ منبج ـ منغ ـ منيطرة ـ منين ـ ميدعا ـ ناصرة ـ ناعورة ـ نبك ـ ندامان ـ نوا ـ نواز ـ نيبطون نيرب ـ واقدصه ـ وتر ـ وساده ـ هونين ـ يازور ـ ياسوف ـ يافا ـ ياقين ـ ياقد يبرود ـ يُبنى ـ يبوس ـ يحمون ـ يرموك .

❁

واللمحة العربية المتقدمة على دور العروبة الصريحة الفصحى بادية على هذه الاسماء كما هو ظاهر . وقد تركنا ما غلبت عليه اللمحة الاعجمية او ما جاء بالعربية الفصحى . وهو مع ذلك قليل : ومن المحتمل ان تكون الأسماء الجديدة المطلقة مؤخراً على اعيان قديمة وننبه على ان ياقوت لم يذكر جميع الاسماء بدليل وجود اعيان كثيره قائمة اليوم لم يرد ذكرها فيه .

وعلى كل حال فان كون جل ما اورده مما يحمل لمحة العروبة القديمة يدل على ان الموجات القديمة الطارئة على بلاد الشام فروع جنس واحد هو الجنس العربي تمت في اصلها الى موطن واحد هو جزيرة العرب وانها طبعت بلاد الشام كما قلنا بطابعها الذي ظل غالباً الى زمنه .

ولقد ظلت هذه الاسماء مع كثير غيرها يفوق ما اورده ياقوت بإضعاف مستعملة الى اليوم ؛ تقوم كدليل حي على ما كان للموجات العربية القديمة في بلاد الشام اي سورية ولبنان وشرق الاردن وفلسطين حسب التقسيم الجغرافي السياسي الحاضر من اثر وطابع خالدين .

وهذه قائمة مقتبسة من نشرة وزارة الاقتصاد الوطني في الحكومة السورية صدرت سنة ١٩٥٢ باسم التقسيمات الادارية في الجمهورية السورية ولقد احتوت هـذه النشرة (٥٤٧٦) اسماء للمدن والقصبات والقرى السورية عدا (٤٧٠٧) اسماً للمزارع الصغيرة . وثلث هذه أسماً تقريباً يحمل اللمحة العربية القديمة الآرامية ـ السريانية . وثلثها يحمل اسماء عربية فصحى ربما اطلق كثير منها على اعيان آرامية ـ سريانية قديمة . ومنها ما ورد في معجم ياقوت . ومعظمها مما لم يرد فيه . ونقلها جميعها تطويل لا ضرورة له ولهذا سنكتفي

بايراد جملة ما يحمل اللمحة العربية القديمة الآرامية السريانية منسوبة الى القسم الاداري الرئيسي الذي يسمى « المحافظة » والذي هي فيه :

١ ـ محافظة دمشق

داريا ، صحنايا ، بـــلاس ، ببيلا ، حمرايا ، عقربا ، قدسيا ، بلدا ، عربين ، برزه ، بيت سوا ، جرمانا ، زبدين ، اوفانيه، بانياس ، جبا ، جباتا ، جرابا ، زعرتا ، زعوره ، صرمان ، قعرين ، دوما ، حرستا ، اوتايا ، مسرابا ، ميدعا ، تلفتيا ، حلبون ، صيدنايا ، معربا ، منين ، بلالبة ، حربا ، حران ، حزرما ، قرحتا ، افره ، بقين ، بلودان ،دير قانون ديماس ، سرغايا ، يبوس ، معغايا ، سحل ، فليطه ، قـــادون ؛ نبك ، يبرود ، ميبة ، عسال ، قطنا ، ميبا ، عرطوز ، سعسع ، دوبايا ، بيتما ، حوفا ، سحيتا ، كسوة ، سبسا ناعص .

٢ ـ محافظة حوران :

درعا ، ابطع ، جلين ، داعل ، زيزون ، صيدا ، طفس ، داروده ، طبسيا ، ازوع ؛ علما ، قرفا ، نامر ، انحـــل ، جباب ، خبب ، زمرين ، عالتين ، عقربا ، غباغب ، نوى، جبين ، فيتى ، خفسين ، دبوسيا ، زيتا ، كفر الما .

٣ ـ محافظة السويداء

حيب ، خربا ، رساس ، عتيل ، عرى ، ولغا ، بوسان ، مجدل ، جدبا ، بريكه ،تعلا دوما ، تعاره ، جرين ، حران ،داما ،صلخد ، عرمان، عوس ،بكا ، ذيبين ، مياماس ، طليطيلين ، قيصما ، متان .

٤ ـ محافظة حمص

آبل تلدو ، تير معلة ، دير بعلبه ، زيدل ، شمسين ، كفرعايا ، كفر لاها ، برابو ، بلقسه ، تارين ، جرنايا ، زور بقرايا ، حنون ، عرقـــابا ، عيصون ، محنايه ، سعوش ، فصين ، تدمر ارك ، ام جباب ، ام ساموك ، تل عداي ، تل قطا ، نوى، الهبا ،امجيرين ام جريص ، عليمات ، حسيا ، صولايا ، رقاما ، صدد ، تسنين ، دلفين ، دير فق ، كفرتان ابو دالي ، تل عمري ، رمزوق ، جوسيه ، دبين ، زتيا ، سفرجه ، لفتايا ، مودان .

٥ ــ محافظة حماه :

براق ، بسيرين ، بيرين ، تومين ، تبزين ، جيرين ، خلا ، سروج ، سريحين ، صاوا ، صوران ، كاسون ، اللالا ، تفراع ، كراح ، معردس ، معردفتين ، معرشحور ،معرين ، بيصين ، قفيلون ، كيسين ، جلمة ، حلفايا ، حيالين ، خفشين ، شيزر ، صلبا ، عمورين ، كفر زيتا ، تحايا ، كفر نبودة ، ابو جاريا ، جصين ، حلبان ، دنين ، زغرين ، طوبا،نوى طوطح ، بغيديد ، شادوف ، عقير بات ، سوحة ، عرشونة ، عكش ، فرتيان .

٦ ــ محافظة اللاذقية :

بانياس ، بارمايا ، اوين ، بديغان ، يعمرائيل ، تعنيتا ، جلبتي ، حريصون ، حببو ، كرميا ، جليانا ، طيرو ، علقين ، بصرمون ، بلوسين، قرموس ، باملاخا ، قرنابة ،برمانة بسقاية ، جوبة ، ادلين ، تل سارين ، بييت ، قرين ، قنوتا ، شين ، جبـلايا ، بشنين ، عيناتا ، تنورين ، حاصوره ، حديدة، ام الميس ، بعيون ، تل جردون ، بسيسين ،بليعيلن جرماتي ، جوب ، جوفين ، حلة عارا ، زاما ، شنبوطين ، عرمتي ، بحنتايا ، عين قبطة ، صراما ، عريين ، نينتي ، بحواريا ، بسين ، بشلاما ، بكراما ، رسيون ، ديرونة ، قيتالا سلورين ، بتعلة ، بقنة ، بتمانا ، بجرزيت ، برازين ، بريعين ، بيت عانا ، بعبدى ، معرين ، حفة ، بابنا ، بكاس ، تلا ، رسيون ، شريفا ، باريخا ، نجاسون ، سنيا ، باروما ،دورين حزيرين ، كدين ، مرعند ، كفرتا ، بيت جيرو ، جبلايا ، جبيت ، رامة ، دينة ،كيمين ليفين ، صلنفا ، اوبـين ، بشمانا ، بيرين ، زنبورا ، عراموا ، كفريدين ، بسيطرون ، بيت زيتون ، بيشسوهين ، فرزلا ، قمين ، بتعلوس ، بونياح ، بيت طبون ، بشرائيل ، حيزور ، عيناتا ، بشمس ، حمين ، حيلاتا ، زغرين ، فجليت ، بسماقة ، بيلة ، مجدلون ، مرسحين ، أوواد ، بجنين ، برمانه ، بعشتو ، زمرين ، صايا ، عزيت ، بريصين ، صفليا ، جوعيت ، يوقا ، دبا كرسانا ، قسطل ،زغرين ، سفكون ، مشقيتا،مصياف ، ريمو،ريعو سيغاتا ، معرين ، نيحا .

٧ ــ محافظة حلب

ايديتا ، اونبـا ، بلشون ، بليون ، بينين ، جـورايا ، كفر حايا ، كفرلاتا

معراثا ، قرصايا ، نحليا ، سراقب ، بليعا ، جوباس ، سرمين ، سلامين ، قيمناس ، مجدليا معرة ، معرين ، كفتين ، اعزاز ، شمارين ، كفر غان ، معرين ، محمول ، تلعار ، غيطون عويلين ، حوبل ، باب ، ترحين ، قباسين ، عولان ، مقرتى ، ابو جبار ، تـل سيعين ، جبول ، زعرايا ، سريب ، عاكولة ، عفرين ، باصلحايا ، باسوطة ، بابليت ، كفر بطرا كفر حينة ، معراتة ، تل دارين ، زيتان ، غبطين ، سربايا ، ابو جرين ، بلاس ، تل سلمو تل عابور ، حربيل ، صقلايا ، طيبة ، عقربة ، منعايا ، نيرب ، در اب ، يسطرون ، بلان تل سوسين ، حيلان ، زرزيتا ، بالا ، عندان ، ايرين ، بداما ، بكسريا ، بللو ، باريشا بطلايا ، هتيا ، وبعيتا ، مريبا دانا ، ترمانين ، تل عقبرين ، سلقين بتيا ، البيا ، بسليا ، بشندلايا ، جدعين ، عبريتا ، صرين ، عرنة ، بشعلا ، ترملا ، جبالا ، دانا ، راشا ، بيرايا معصران ، ابو حنايا .

٨ ـ محافظة الفرات :

صور ، تبني ، سفيرة ، رمادي ، رقة ، جروة ، جزرة ، مرج الذيبات ، عباطين ، قرتل ، حيلة ، جدلة ، برقة ، غدين ، ديلان .

٩ ـ محافظة الجزيرة :

بويلان ، البلة ، البوير ، صفيا ، تل باطى ، كفرا ، تل شمس ، تل صاهود ، ديلان رحيا ، شما ، شونة ، صفيا ، عداية ، تل جدايا ، تل شنان ، تل طال ، تل عربو ، عامودة بسيس ، مسنا ، الصفا ، تل حرمل ، عوادة ، قطنية ، شمساني ، ديريك ، باجريق ، تل دار ، تليلون ، روباريا ، عرعور ، عين يازوق ، كاسان ، كربالات ، باقلا ، تل ناعور ، جلاغا ، بوره ، تل عفر ، تل كيف ، جدوع ، جرنة ، دلالي ، دودان ، زورافا ، فرفره ، دلاوية ، ببو ، تعلك ، جولما .

•

ففي هذه الاسماء ومثيلاتها التي تزيد عنها اضعافاً كثيرة والمذكورة في نشرة الحكومة السورية توكيد لما قلناه من ان الموجات العربية القديمة قد طبعت بلاد الدولة السورية من بلاد الشام بطابعها الغالب بل الشامل الذي ظلت شواهده مستمرة الى الآن.

وهذه قائمة مقتبسة من كتاب « لبنان » الذي ألفه نخبة من الادباء بأمر متصرف لبنان سنة ١٩١٤ ولقد احتوى هذا الكتاب قوائم بأسماء نحو ألف قرية وقصبة ومدينة من قرى وقصبات ومدن جبل لبنان ، ومعظمها يحمل الامحة العربية القديمة الآرامية ـ السريانية والكنعانية الفينيقية ، ومنها ما ورد في معجم ياقوت ومعظمها لم يرد فيه ونقلها جميعها تطويل لا ضرورة له ايضاً ولهذا سنكتفي بايراد جملة من كل حرف :

اجبع ، ادما ، ارسيا ، اوصون ، ارنيا ، اصنون ، افقا ، اميون ، انفة ، اهدن ، بابا باروك ، بيت ضنية ، بتدين ، بترون ، بتعبورة ، بتعلين ، بجرين بجديدات ، بحمدون ، بدادون ، بدبا ، بدنايل ، برجا ، برجين ، برصا ، برمانا ، بريدين ، بزعون ، بسابا ، بسبينا بشامون ، بشري ، بشمزين ، بصاليم ، بصرما ، بعبدا ، بتعانة ، بتنابة ، بكرتا ، بكفتين بكفيا ، ترحمانا ، تنورين ، تولا ، تحوم ، جباع ، جبيل ـ جدايل ، جربتا ، جرنايا ، جزين ، جعايل ، جعيتا ، جنسايا ، جون ، جونية ، حاصبيا ، حاقل ، حبالين ، حبرموت حجولا ، حدثون ، حدشيت ، حردين ، حريصا ، حزرتا ، حصرايل ، حصرون ، حلتا ، حمانا ، حملايا ، حوراتا ، حومال ، حبداب ، خلده ، دار بعشتا ، داريا ، درعون ، داريا ، دفون ، دلبتا ، دملصا ، دنحا ، دوما ، دير بابا ، دير خوتا ، ذرعون ، ذكرون ، راس كيفا رأس مشعا ، راشا ، راشانا ، رشمين ، رشميا ، رينون ، ريمات ، زبدين ، زبوغا ، زحلة زغدرايا ، زغرتا ، زغرين ، زوق ، سبرين ، سيلين ، سرحمول ، سرعيتا ، سلعاتا ، سنيا شاتين ، شارون ، شبطين ، شبيل ، شحتول ، شحيم ، شرتون ، شعبيا ، شكا ، شرمارين شملان ، شواتا ، شوفين ، شوير ، شوينات ، صليما ، صناط ، صورات ، صوراتا ، صيدون ضبية ، طبرجا ، طرزا ، طورزيا ، ظهر بصاليم ، عابا ، عاريا ، عازور ، عاضور ، عاقورة عاليتا ، عانوت ، عبدين ، عبرا ، عبرين ، عبية ، عثرين ، عجلتون ، عربة غلبون ، عرمون عشقوت ، علمات ، عمشيت ، عنبال ، عيناب ، عينات ، عين زحلتا ، عين عار ، عين عكرين ، عين عنوب ، غابون ، غادير ، غبالين ، غدادس ، غرزوز ، غرفين ، عريفة ، غزير ، غوشريا ، غوما ، فاريا ، فالوغا ، فتقا ، فرحت ، فساقين ، فغال ، فيطرون فنيع ، قبع ، قرانعون ، قرصا ، قرطبا ، قرطبون ، قرقريا ، قرنايل ، قطبو ، قلحات ، قيتولة ، كترمايا ، كرخا ، كفتون ، كفر بعال ، كفر تعلا ، كفر حاتا ، كفرحتى ، كفر حورا ، كفر زبونا ، كفر زينا ، كفرشيما ، كفر شارون ، كفر عقا ، كفرمايا كفريا ، كفور ، كنيون ، كلباتا ، كينون ، لاسا ، لبعا ، مارشينا ، ماروس ، ماصوص ، مترتيت

المتن ، المتين ، مجدل بعنا ، مجدلونا ، مجدليا ، مرجبا ، مرستي ، مرياطة ، مزبود ، مزيارة ، مشقيتا ، مشبعا ، مشحلات ، ميروبا ، مينوق ، نقريا ، نهريقعاته ، نيحـا ، هرمل ، هرهريا ، وطا سفرتا ، وطا سلان ، ياريتا ، يحشوش .

وفي هذه الأسماء ومثيلاتها التي تزيد عنها أضعافاً والمذكورة في كتاب لبنان توكيد كذلك لما قلناه من أن الموجات العربية القديمة الآرامية ـ السريانية والكنعانية ـ الفينيقية (١) قد طبعت جبل لبنان من بلاد الشام بطابعها الغالب الذي ظل مستمراً الى الآن أيضاً .

وهذه قائمة احتوت أسماء عشرات القرى في أقضية صيدا وصور ومرجعيون والشقيف في جبل عامل الذي لم يكن داخلا في حدود إدارة لبنان حينما كتب مؤلفو كتاب لبنان كتابهم . وهي تحمل كسابقاتها اللمحة العربية القديمة الآرامية والكنعانية منها ما ورد في معجم ياقوت ومنـها ما لم يرد . ولم نذكر الاسماء العربية الفصحى والاسماء التي تلوح عليها لمحة الاعجمية مع ان هناك احتمالا بأن تكون قد أطلقت على اعيان قديمة :

١ ـ قرى قضاء صور :

ارزون ، شاف ، بيت ياحون ، باريش ، بازوريه ، باقـليه ، بستيات ، بدياس ، باتوليه ، تربيخا ، تبنين ، جبين ، جمجمية ، جويا ، جناثا ، حاريص ، حانين ، حناوية ، دير نطار ، دبعال ، دير كيفا ، دردغيا ، ديرعامص ، دير قانون ، رقليه ، رامية ، زبقين ، سلعه ، شمع ، شحور ، شيحين ، صور ، صربين ، صريفا ، صديقين ، طير زبنا ، طوبري ، طيرحرفا ، طوره ، طيردبا ، عيتيت ، فروت ، قلوية ، قدس ، قانا ، كونين ، كفره ، مجادل ، مجدل زون ، نيحا ، ناقوره ، ياطر ، يارون ، يانوح .

٢ ـ قرى قضاء مرجعيون :

بلاط ، بويضه ، بنت جبيل ، بيت لف ، برعشيت ، حداثا ، حولا ، دبين ، دير ميماس ، عرده ، صلحا ، عديسه ، عمره ، عيناثا ، عيثا ، عيترون ، طلوسه ، قنطره ، مركبا ، ميس ، هونين .

---

(١) السريانية متفرعة عن الآرامية، والفينيقية متفرعة عن الكنعانية على ما سوف نشرحه بعد.

٣ ـ قرى قضاء صيدا :

ازريه ، بوالك التل ، برامية ، برتى ، بقسطه ، بابليه ، تبنة ، جل عجرم ، جديده ، حبوش ، حومين ، حارف ، حجه ، حارة ، خرطوم ، خربة الدوير ، خزيز ، دير تقلا ، دوير ، روبين ، زبدين ، زغدرايا ، زراريا ، ساره ، صرفند ، طوريت ، عبرا ، عدلون ، عرنايا ، عنقون ، عدنيت ، قناريت ، قاقعا ، عين قـانا ، كفر شلال ، كفرحتى ، كفر وجّان ، كفر بدّه ، كفر بيت ، كفر تبنيت ، كفر صور ، كفرفيلا ، كفر ملكى ، مجدليون ، مجدله .

٤ ـ قرى قضاء الشقيف :

أرنون ، اركى ، بريقع ، تبعقوب ، جبشيت ، جبع ، جرجوع ، زفتى ، زوطر ، زيتا ؛ سجد ، سربا ، سير ، نبطية ، يحمر .

وهذه قائمة مقتبسة من كتاب جغرافية فلسطين لحبيب الخوري وحسين روحي فيها اسماء مئات القرى والقصبات الفلسطينية المستعملة اليوم والتي تحمل اللمحة العربية القديمة الآرامية والكنعانية والعمورية والعبرانية منها ما ورد في معجم ياقوت ومعظمها لم يرد . ولم تنقل الاسماء العربية الفصحى ولا الاسماء التي تلوح عليها لمحة الاعجمية وهي كثيرة مع احتمال ان تكون هذه الاسماء قد أطلقت على أعيان قديمة . وقد رتبنا الاسماء حسب الاقضية التابعة لها :

قرى قضاء غزة :

رفح ؛ عبسان ، ديراسنيد ، سمسم ، بربر ، محرمه ، كوفخة ، هوج ، جبـاليه ، بيت لاهيا ، هربيا ، حليفات ؛ كوكبه ؛ بيت طيما ، جيّه ، بربره ، بيت جرجـا ، بيت حانون ؛ دمره .

قرى قضاء المجدل

نعليا ، جولس ؛ عبدس ؛ عراق سويدان ، بيت عفا ، بيت دراس ، بدو ، جليا ، يبنه ، قيبه ، زرنوقا ؛ كراتيا ، حتى ، فالوجة ، بعلين ؛ برقه ؛ ياسو ، قطره ، مسميه ، خصاص ، بطانى ؛ صميل ، بشيت .

قرى قضاء الخليل :

دورا ، تنوح ، نرقومه ؛ اذنه ؛ سموع ؛ يطه ؛ حلحول ، خاراس ، نوبا ، بيت كاحل زيتا ، كدنه ؛ بيت نتيف ، جيبا ؛ صوريف ، بير قسيا ، رانا ، عجور ، زكريا ؛ زكرين ؛ جرش ، بيت جبرين ؛ دير نخاس ، بيت اولى ، ربحيه ؛ بيت نمر .

قرى قضاء القدس :

شعفاط ؛ عرتوف ؛ صرعه ؛ بيت عسير ، عسلين ، ساريس ، عكور ؛ كسله ، الولجه ؛ يالو ، عمواس ؛ بيت شما ؛ قطنه ؛ بيت تول ، أبو غوش ، خربة عامور ، عين كارم ، صوبه ؛ قسطل ، بتير ، لفتا ، قلونيه ؛ اصطاف ، بيت نقوبه ، بدّو ، بيت سوريك ، بيت اجزه ، بيت اكسا ؛ شمويل ، بير نبالا ، بيت دقو ؛ رافات ، بيت صفافا ؛ شرفات ، صور باهر ، ابوديس ، الطور ، عناتا ، جبع ، اكرم ، قلنديا ، بيت حنينا ، سلوان ، سلبيت .

قرى بيت لحم :

بيت ساحور ، ارطاس ، بيت جالا ؛ فاغور ، نحالين ، واد فوكين ، خربة عليا ، بيت فجار .

قرى رام الله :

البيرة ، صفّا ، بيت سيرا ، بيت لقيا ، عطاره ، بيت عود ، بيت اونيه ، عين عريك ، عين قينيا ، سلواد ، ترمس عيا ، بيرزيت ، كوبر ، جيبا ، برهام ، بيت آلو ، جمالا ، راس كوكر ، ديربزيع ، ديربوان ، كفراشوع ، الطيبة ، رمون ، عين يبرود ، دورا ، صرده ، جفنه ؛ عين سينيا ، بيت ابن ، بيت ريما ، كفر عين ، قراوا ، عرورة ، عجول ، عبوين ، جلجليه ، سنجل ، ابو قش .

قرى اريحا :

عوجا ، وادي الكلت ؛ جملا .

قرى يافا :

يازور ، سافريه ، بيت دجن ، سلمه ، كفر عانا ، رنتيه ؛ فجة ، بير عدس ، اجليل ،

جريشه ، سارونا ، طبسور ، ساقيه

قرى الرملة :

صيدون ، نعانه ، بريه ، خلده ، بيت قار ، بربر ، بيت جمال ، عمورية ، مغلس ، اذنّبه ، رفات ، بيت سوسين ، بيت جيز ، كفر وريه ، ديرابان ، بيت عطاب ، عين شمس ، جليه ، خمه ، سجد ، مخيزن ، تينه ، صرفند ، زرنوقه ، اللد ، عنابة ، بيت نوبا ، لطرون ، بيرنعين ، بويره ، عجنجول ، بدرس ، قبيه ، شعبه ، شبتين ، نعلين ، خربثا ، بلبان ، حجزو ، بير فيليه ، بيت نبالا ، جنـــداس ، طيره ، رنتيس ، اللبن ، قوله ، مجدل يابا ، قبيبه ، شامه ، النبي دانيال ، البرج .

قرى قضاء نابلس وجماعين :

عقربه ، عظموط ، عورتا ، اومرين ، اودله ، عينابوس ، عقابا ، عصيره ، اماتين ، بلاطه ، عموريه ، بيت دجن ، بيت فوريك ، بيتا ، بيت ايبـــا ، بيت وزن ، بيت امرين ، برقه ، بزاريه ، بروقين ، باقا ، بديه ، دوما ، ديراسيتا ، فرخه ، قندق ، فرعتا ، حواره ، حارس ، حجه ، اسكاكا ، جالود ، جوريش ، اجنسينا ، جنسافوط ، جماعين ، جبت ، قصره ، قريوت ، قبلان ، قوصين ، كفر قليّل ، كفر قدوم ، كفر حارس ، كفر لاقف ، قيره ، حواره ، لبّن ، مادمه ، مغير ، مسحه ، مرده ، ناقوره ، نصف جبل ، رفيديا ، روجيب ، سالم ، رافات ، معره ، سفيريا ، صرطه ، سلفيت ، ساويه ، بياسير ، تل ، طوباس ، تلفيت ، طمون ، طلوزا ، عوريف ، ياسوق ، تيمة ، ياميد ، يانون ، زواتا ، زيتا ، زاوية ، فرخه .

قرى قضاء طول كرم :

علار ، عنتبا ، عطارة ، عتيل ، عزون ، باقا ، بلعه ، بيت ليـــد ، ذنابه ، راس ، فلاميه ، فرعون ، فرديسيه ، حبله ، ارتاح ، جلجوليه ، حبوس ، حبت فاقون ، قلقيلية ، كفر عبوش ، كفر جمال ، كفر اللبد ، كفر سابا ، سبيه ، كفر صور ، كفر رمان ، كفر زيباد ، قلنسوه ، كور ، مسكه ، رامين ، صيدا ، سفارين ، شوفـــه ، شويكه ، الطيبه ، طول كرم ، زيتا .

قرى قضاء جنين:

عين منسى ، عنين ، عرابه ، عجه ، عوصه ، عربونه ، عرانه ، برقين ، بيت قاد ، زبوبا ،

عرقه ، جربا ، رامه ، الكفير ، فرابنان ، قندقيه ، قتوعه ، جلمـه ، جبع ، جلبون ، جلتاموس ، قفين ، كفر عدة ، كفر قود ، قباطبه ، تلفيت ، متيلبه ، مرقه ، مسبليه ، متيلون ، نتالين ، نورس ، رمانه ، ابا ، سيله ،سانور ، سيريس ،صندلا ، صير ، تضك ، يعبد ، زلفه ، زوعين ، زبابدة .

قرى بيسان :

سيرين ، وادي البيرة ، كوكب ،جبول ، زيعة ، كفره ، دنا ، ببلا ، طيبة ،مرصص ، شطه ، قوميه ، فرونه ، سامرية .

قرى حيفا :

عبلين ، عسفيا ، طيرة ، كفرين ، اجزم ، طنطورة ، صبارين ،عين حوض ،عين غزال ، عرعره ، عاره ، قنير ، كركور ، عتليت ، بنيامين ، كفر قرع .

قرى عكا :

كفر ياسيف ، رامه ، ترشيحه ، جولس ، بروه ، الزيب ، مجدل ، كروم ، بعنة ، شعب ، سخنين ، عرابة البطوف ، طمرا ، بيت جن ، الدامون ، سحماتا ، نحف ، كابري ، مكر ، كفر عفان ، سيجور ، ميعار ، جت ، يانوح ، عمقه ، كويكات ، الشيخ رنون ، بركا ، مليار ، كفر سميع .

قرى الناصرة :

عفولة ، سولم ، صفورية ، اكسال ، دبوسيه ، عين ماهل ، كفر كنا ، عيلوط ، معلول ، جباتا ، يافـا ، القوله ، اندور ، ناعور ، طرعال ، رمانـه ، كفر منده ، كوكب ، خنيفس .

قرى طبريا :

سمخ ، معـذر ، عولم ، كفر كمه ، لوبيه ، حطين ، مغار حزور ، سمره ، حدثه ، كفر سبت ، شعاره ، نمرين ، عليون ، باقوره ، سمه ، سارونه .

قرى صفد :

بيريا ، طبطيا ، فاره ، صفصاف ، سعسع ، الجش ، كفربرعم ، السموعي ، ميرون ،

عكرا ، قديتا ، علما ، دلاتا ، فوطة ، حرفيش ، دبشوم ، فرعم ، التليل ، الجاعونة ، القباعة ، بيسمون ، ياقون ، جامولا ، بوزية ، مزرعة ماروس ، بنات يعقوب.

وهذه قائمة بأسماء كثير مـــن مدن وقصبات وقرى شرق الاردن المستعملة اليوم والتي تحمل اللمحة العربية القديمة الآراميه والعمورية والكنعانية والعبرانية منها ما ورد في معجم ياقوت ومعظمها لم يرد مع التنبيه على ان هذه الاسماء ليست كل الاسماء التي تحمل تلك اللمحة لانها كثيرة هي الاخرى .

في قضاء جرش

الغدين ، ققفا ، جبا ، ايدون ، خطلا ، دحل ، بلعمة ، القنية ، عينبة ، الكفير ، جبة العالوك ، صروت ، حنانة ، الزنية ، غريسة ، بيرين ، بليلا ، كفرخن ، معتله ، سوف جرش ، ساكب ، ريمون ، دبين ، دير عجلون ، جزازة ، الكتة ، المجدل بورما .

في قضاء عمان

الجيزة ، زبارا ، زوبزة ، جلول ، ارنبة ، جوارة ، نتن ، هريج ، صوفه ، المرين ، الشمد ، منجة ، زبابر ، ام رمان ، النيقرة ، الطنيب ، اللبن ، الغبيـــة ، برازين ، ساطة حشاس ، قمفور ، ياجوز ، عمان ، ابو علقدة ، ارميدان ، المناحر ، خسافية ، الرحيب ، خربة السومة ، يادودة ، ام الكندم ، الينبات ، ناعور ، البصة ، البجاه ، خلدا ، خو .

قضاء الكورة

عنة ، ارخيم ، ارحابا ، مرحبا ، بيت يافا ، كفر الما ، بيت ايدس ، تبنه ، كفرابيل زوبيا ، كفراعوان ، جديتا ، طبقةفحل ، العسوان ، زمال ، السمط ، الطنطور ، سموع جنين ، حفين ، الحمة .

قضاء الطفيلة

عيمة ، صنفحا ، بصيرة ، ضانا .

قضاء معان

حديرة ، شوبك ، بئر خداد ، خربة ، أذرح ، بسطة ، مزرعة وهيدة ، رسيس .

قضاء الكرك

اريحا ، مسعر ، فقوع ، سنينة ، جدعة ، مجدلين ، امرع ، صرفا ، سماك ، الارقيبة حديب ، الربة ، الباروت ، الدمنة ، بتر ، جديدة ، راكين ، ادر ، كرك ، بشينة ، مريفة ، تنيفة ، عزرا ، عنيون ، عي ، كثربا ، نخل ، مدين ، محنة ، مرود ، موتة ، عراق سول ، دليفة ، حجرة ، ام حماط ، ام زبابو ، دونخبة ، صحى ، عينا ، الحسا ، غور فيفة غور عسال ، غور الصافي ، وادي الموجب ، بليدة .

قضاء مادبا

جرينة ، خسبان ، كفير ، حنينا ، الامريوط ، مادبا ، ماعين ، ماسوح ، سامك ، جبيل ، مشغر ، سطيحة ، لاهودة علبان ، ابو شجب ، لب ، عطروز ، مغارة ، وادي الوالا ، خربة الكوم ، عموريا ، دحفرة ، برزة ، الغريان ، ام شجرة فلحا ، ذيبـــان ، عراعر ، عقربا ، مثلونة .

قضاء عجلون

راسوت ، عرجان ، باعون ، اوصرة ، حلاوة ، فارة ، عين دعلين ، سامنا ، عفنا ، لشب ، عين جنا ، عجلون ، عجرة ، اجب ، غور فارة .

قضاء السلط

الرمات ، سومبا ، سبحات ، حليعد ، ميسرا ، علان ، موبص ، وعم ، ام زوبنة صافوط ، خلدا ، دابوق ، فحيص ، ماحص ، برقا ، عيرا زبود ، غور كبد ، غور غرين ، غور كفرين ، غور الرامة ، زور الكتار .

قضاء اربد

ايدون ، صريح ، حوارة ، بشرى ، سال ، البارحة ، اربد ، كفريوبا ، جمحة ، زحر كفرعان ، كفر رضا ، دوفرة ، سوم ، بجين ، فم ، قميم ، خراج ، قصفا ، عزريت . اسعرا حيدور . ثقيلة ، سما ، فوعرة ، حور ، ابدر ، رفيد ، بارشنا ، كفر سوم ، عقربا ، حرنا يبلا ، حريما ، خرجا ، مرو ، حكما ، علعال ، عمراوة ، ملكا ، كتم ، شطنا ، ناطفة ، جمقبة . حبكة . صمد باقورة ، دير السعنة ، مخربا ، مندح ، صما ، سحم ، مخيبة ، سمر طره ، رمثا ، حوشة ، صره ، فاع ، بريفة .

والتماثل شديد عجيب بين اللغات الكنعانية الفينيقية والآرامية السريانية والعبرانية التي كان يتكلم بها الموجات العربية التي استقرت في مختلف بلاد الشام وبين اللغة العربية مما فيه الدليل القوي على اصالة عروبة هذه الموجات ، وعلى ان هذه اللغات انما كانت لهجات للغة ام واحدة .

هذه قائمة بمفردات كنعانية مأخوذة من الامير موريس شهاب مدير عام الآثار اللبنانية :

اب ، اخ ، احد ، ايل ، اكل ، ام ، آمة ، انس ، انت ، ارض ، بيت ، بن ، بنى ، برا ، برح ، برك (بارك) ، جلى ، جمل ، دلل (دليل) ، دم ، دعم ، دقق (دقيق) هو ، هيكل ، هم ، ذبح ، ذكر ، ذرع ، خدر ، حدث ، حي ، حلب ، حلل ، حلة ، خلص . خمسى ، حية ، ختم ، طبخ ، طبع ، يد ، يوم ، يم ، يتم (يتيم) كاهن ، كلب ، كنى ، كف ، كرمى ، كتب ، كتن (كتان) ، لسن (لسان) مئه ، موت ، ملح ملاح ، ملك ، منحة ، ندو ، نحس (نحاس) ، نفس ، نصب ، عيد ، عبر ، عين ، علا ، عامود ، عضم ، عقب ، مغارة ، عشر ، فلح ، فعل ، فتح ، صدق ، قبر ، قول ، قرن واس ، رب ، اربع ، رصب ، رعن ، سبع ، ثلاث ، ثان ، ثاني ، شرش ، تحت ، تين تمر ، تسع .

وهي تكاد تكون عربية فصحى كما هو ظاهر ..

وهذه قائمة مفردات آرامية وعبرانية مع ما يقابلها من العربية [1] القديمة في جنوب الجزيرة والعربية الفصحى :

عربية فصحى	عربية جنوبية قديمة	آرامية	عبرانية
اب	اب	ابا	اب
ابن	بن	برا	بن
اخ	احو	احا	اح
اخذ	اخز	احد	احز
أذن	ازن	اودنا	ازن
اثنتان	سنيت	ترين	شفايم

(١) تاريخ اللغات السامية اسرائيل ولتنفسن ص ٢٩٣ — ٢٩٤ .

عربية فصحى	عربية جنوبية قديمة	آرامية	عبرانية
ارض	ارض	ارعا ارقا	ارض
اربع	اربع	اربع	اربع
اسم	سم	شما	شم
ام	ام	اما	ام
انسان	انش	ناشا	انوش
بشر	بشر	برا	بور
برق	مبرق	برقا	باراق
بعل	بعل	بعلا	بعل
بكر	بكر	بكرا	بكور
بنت	بنت	برتا	بت
بيت	بيت	بيتا	بيت
تسع	تشع	تشع	تشع
ثلاث	شلاس	ثلاث	شلوش
ثمان	سماني	تمانا	شمونة
ثور	سور	تورا	شور
ثوم	سومات	توما	شوم
جمل	جمل	جملا	جمل
حبل	حبل	حبلا	حبل
حفر	حفر	حفر	حفر
حقل	حقل	حقلا	حلل
حم	حم	حما	حام
حمار	حمار	حمارا	حمور
خيل	خبل	حيل	حبل
خمس	خمس	حمشا	حمش
دبس	دبس	دبشا	دباش
دم	دم	دما	دم
ذئب	زاب	دابا	زاب

عربية فصحى	عربية جنوبية قديمة	آرامية	عبرانية
ذباب	ذبب	دبوبا	زبوب
ذنب	زناب	دونبا	زاناب
راس	راس	ريشا	روش
رحم	رحم	رحم	رحم
ركب	ركب	ركب	ركب
زرع	زرع	زرعا	زرع
سبع	شبعو	شبع	شبع
ست	سسو	شتا	شش
سلم	سلم	شلما	شلم
سن	سن	شنا	شن
شبلة	سيل	شبلتا	شبلث
سماء	سماي	شمايا	شمايم
شمس	شمس	شمشا	شمش
شعر	سعرت	سعرا	سعار
صرخ	صرخ	صرح	صرح
ضرة	ضر	عزتا	ضاراة
طحن	طحن	طحن	طحن
طعم	طعم	طعما	طعم
طيب	طيب	طبا	طوب
ظفر	ظفر	طفرا	صبورن
ظل	صللوت	طلا	صل
عشر	عشرو	عسر	عسر
عض	غد	اعا	غص
عظم	عضم	عطما	عصم
عقرب	عقرب	عقربا	عقرب
عمود	عمد	عمودا	عمود
عنب	عنب	عنبا	عنب

عربية فصحى	عربية قديمة جنوبية	آرامية	عبرانية
عين	عين	عينا	عين
فتح	فتح	فتح	فتخ
قتل	قتل	قتل	قتل
فم	اف	بوما	به
قرب	قرب	قرب	قرب
قرت	قرن	قرنا	قرن
قمح	قمح	قمحا	قمح
قوس	قشت	قشتا	قشت
كبد	كبد	كبدا	كابد
كرش	كرش	كرسا	كرس
كلب	كلب	كلبا	كلب
كوكب	كوكب	كوكبا	كوكب
لب	لب	لبا	لب
لبس	لبس	لبش	لبش
لسان	لسان	لشنا	لشون
لهب	لهب	شلهب	لهب
ليل	ليلة	لليا	ليلة
ماء	ماي	مايا	مايم
مائة	ماءات	ماا	مآة
متى	مت	أمت	متى
مثل	مسل	متل	مشل
ملك	ملكي	ملكا	ملك
موت	موت	موتا	موت
نسر	نشر	نشرا	نشر
نفس	نفس	نفشا	نفش
ودّ	ودّ	يدّ	يدد
ورق	ورق	يرقا	يرق
وقر	وقر	ايقر	يقر

عربية فصحى	عربية جنوبية قديمة	آرمية	عبرانية
ولد	ولد	ايلد	يلد
يد	اد	ايدا	يد
يمين	يمن	يمينا	يمين
يوم	يوم	يوما	يوم

ولقد عثر على نقوش كنعانية وعبرانية وآرامية عديـــدة في مختلف انحاء الشام تبدو فيها اللمحة العربية قوية . وهذه جملة منهـــا منقوله من كتاب تاريخ اللغات الساميه لاسرائيل ولنفسون ايضاً :

١ ـ نص من نقش كنعاني ـ فينيقي لاحد ملوك جبيل يعـــود الى القرن الخامس قبل الميلاد .

« انخ يحـــو ملك جبيل بن يهر بن ار ملك ملك جبـــل

« اش بعلتن هربت بعلت جبل مملكة عـــلى جبل وقرا اتنح

« ات رتبي يعلت جبل شمع قـــل وفعل انخ لرتـــبي بعلت

« جبـــل همزنج نحشت زمـــن اس بنح رز هبتسح حرص

« زن اس عـــلى بن فتـــح وهعرت حـــرص اش بنتخت

« بن اش على فتح حرض زن (١) .

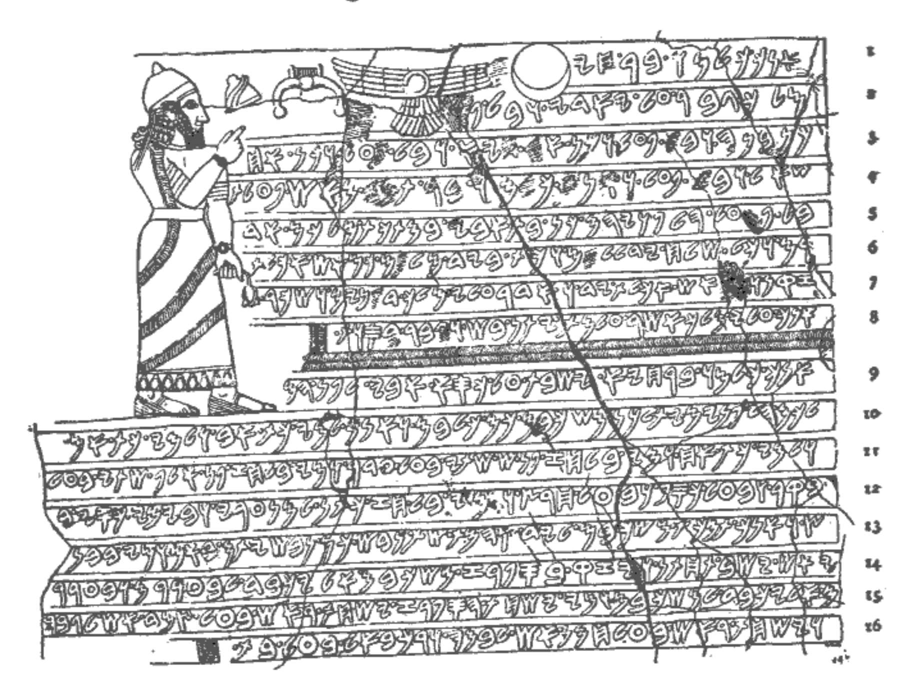
٢ ـ وهذا نص مـــن نقش كنعاني ـ فينيقي ايضاً يعود الى القرن التاسع قبـــل الميلاد (٢) :

---

(١) تاريخ اللغات السامية لاسرائيل ولنفسون ص ٦٥ وهذه ترجمة اوردها المؤلف بالفصحى لهذه العبارة: انا سيحو ملك 'ملك' جبال بن يهر بعل بن ارملك ملك جبال الذي جعلته الربة بعل جبال ملكاً على جبال مملكة جبلة وناديت ربتي بعلت جبال متى سمعت صوتي . وصنعت لربتي يعلت جبال مذبح النحاس الذي يوجد في هذه الحظيرة وبهذه الزخرفة الذهبية التي فوق بابي الصقت الذهب الذي يوجد في الحجر الذي فوق هذا النقش.

(٢) المصدر السابق ٦٣ــ٦٤ وهذه ترجمة النص بالفصحى نقلا عنه ايضاً : انا كلمو بن حيا جبر حكم على يادي ما فعل شيئاً . ثم كان يمة وما فعل شيئاً . ثم كان ابي حيا وما فعل شيئاً . ثم كان اخي شئل وما فعل شيئاً ؛ اما انا كلمو بن يمة فقد فعلت ما لم يفعله القدماء كان بيت ابي في وسط ملوك اقوياء .

نقش الملك كلمو



نقش اشمنعزر ملك صيدا

« انخ كلمو برحى ملك حبر على يادي وبل بعل

« كن بة وبل بعل وخن اب حيا وبل يعل وخن اح

« شأل وبل بعل وانخ كلموبو تم ماش بعلت

« بل بعل هلفينهم كن بت أبي يمنتحت ملكم اد

« رم وكل شلح يدلل وكتب بيد ملكم كماش اكلت

« زقن وكم اش اكلت يدوادر على ملك دنيم وعنحر

« انخ على ملكا شر علمت يتن بشر وجبر بسوت

« انخ كلمو برحيا يشبث على كسا ابي لف هم

٣ ـ وهذا نص من نقش كنعاني ـ فينيقي لاحد ملوك صيدا يعود الى القرن الثالث قبل الميلاد [١] :

انخ تنبت كهن عشترت ملك صدنم اشمنعزر كهن عشترت ملك صدنم شخب بارن زمى ات كل ادم اش تفق ايت هارن زال ال فتح علتى وال ترجزى كاي ادلن كسف اي ادلن حرص وكل منهم مشديلت انخ شخب بارن زال ال تفت

٤ ـ وهذا نص من نقش كنعاني لملك نواب ميشع يعـود الى القرن التاسع قبل الميلاد [٢] .

---

(١) ص ٦٨ وهذه ترجمة النص بالفصحى :

انا تبت كان عشترت ملك صيدونم ابن اشمنزر كاهن عشترت ملك صيدونم اضطجع في هذا التابوت . لعنتي على كل من يخرج هذا النعش . لا لا . تفتح غرفتي لا تقلقني فليس عندي فضة وليس عندي ذهب او نفائس لاضطجع في هذا التابوت . لا . لا تفتح غرفتي . لا تقلقني ولا تثر سخط عشترت . فان فتحت غرفتي واقلقتني فلن تكون لك ذرية بين الاحياء تحت الشمس ولا مضجع بين الاموات .

(٢) المصدر نفسه ص ١٠٧ وهذه ترجمة فصحى لما تقدم منقولة عنه ايضاً ص ١٠٨ .

انا ميشع بن كموش ملك ئواب الديباني ، ابي ملك على مؤاب ثلاثين سنة . وانا ملكت بعد ابي . وانشأت هذا المكان المرتفع لكموش بفرحة (اسم مدينة وكموش اسم اله مؤاب) لانه اعانني على كل الملوك ولانه اراني في اعدائي . اما عمري ملك اسرائيل فانه عذب مؤاب اياماً كثيرة حتى غضب كموش على ارضه فاعقبه ابنه وقال ساعذب مؤاب في ايامي قال .. الخ

انك مشع بن كمش ملك مأب هو يني الى ملك عل مأب شلش انك ملك تي احر ابي واعس هيمت زات لكمش بفرحة بن . شع كي هشعنى مكل . لكن وكي هرابي بكل سناي بجمري ملك يسرال ويعنوات مأب يمن ربن كي يانف كمش . بارصة وبجلفه بنـــه ويأمر جم ها اعنوات يمي امر ... الخ

٥ ـ وهذا نص عبراني مأخوذ من نقش عــلى حجر عبراني عثر عليه بالقرب مـــن بيت المقدس في قرية السلوان في داخل مغارة ينبع منها المـــاء وعرف بنقش السلوان ويخمن انه كتب حوالي ٧٠٠ ق م :

هنيقب فيزي ها يا دابار هنيقب يا عود . ها غرزان ايش ايل ريعو ويعود شيلوش اموت ليهكع مول ايش قيرا ايل ربعو كي هايازاده يصور ميامين وبيوم هنقابة هكوها حاصبم ايش يقرات ريعو غرزان علل غرزان هايم مين هموصا ايل هبراخا بياتايم إيلن وميقات اما هايا عبية هصور عال روش ها حاصبتم .(١)

٦ ـ وهذا نص نقش آرامي وجد في خرائب قصير ملك شمأل في مكان اسمه زنجيرلي في شمال سوريا يخمن انه من القرن الثامن قبل الميلاد .

انه بر ركب بر بنمو ملك شمأل : عبد تجلت بليسرمرا ربعي ارقا يصدق ابي ويصدقي هو شيني مراي ركبال . ومراي تجلت بليسر عل كرسا ابي وبيت ابي ـ عمل من كل ورصت بجلجل . مراي ملك أشور بمصعت ملكن ربر بعلي كسف. وبعلي ذهب. واخذت بيت ابي وهيطنة (٢) .

---

(١) تاريخ اللغات السامية لونفسون ايضاً ص ٨٣ و٨٣ وهذه ترجمته بالفصحى :

النفق هذا خبر النفق ، بينما النحاتون يرفعون الازمة كل رجل الى رفيقه وبينما بقي ثلاثة أذرع للنحت سمع صوت رجل ينادي اخاه لانه وجد ثقباً في الصخر من ناحية اليمين وفي يوم انثقابه ضرب النحاتون رجل امام رجل ازمة على ازمة وذهبت المياه من النبع الى البركة مسافة مائتين والف ذراع ومئة ذراع، وكانت قمة الجبل فوق رؤوس النحاتين .

والمسحة العربية القديمة بادية على هذا النص ايضاً حينما يمعن النظر فيه كسابقيه .

(٢) تاريخ اللغات السامية ص ١٢٠ وهذه ترجمته بالفصحى نقلا عن المصدر نفسه :

انا بر ركب بن بنمو ملك شمأل عبد لتجلات بلاسر سيد نواحي المعمورة الاربعة من اجل صدق ابي وصدقي اجلسني سيدي ركب ايل وسيدي تجلات بلاسر على عرش ابي. وكان بيت ابي يعمل اكثر من غيره وكنت اسير امام عربة سيدي ملك آشور .بين ملوك عظماء اصحاب فضة واصحاب ذهب . واخذت بيت ابي فاصلحته. وصار بيوت الملوك الاماجد . وما رغب اخواني الامراء . طاب لهم في بيتي وبيت طيب لم يكن لآبائي ملوك شمأل . لكن بيت كلامو كان لهم وهو بيت الشتاء وبيت القيظ . لذلك بنيت هذا البيت .

نقش السلوان

הנקבה וזה היה דבר דנקבה בעוד

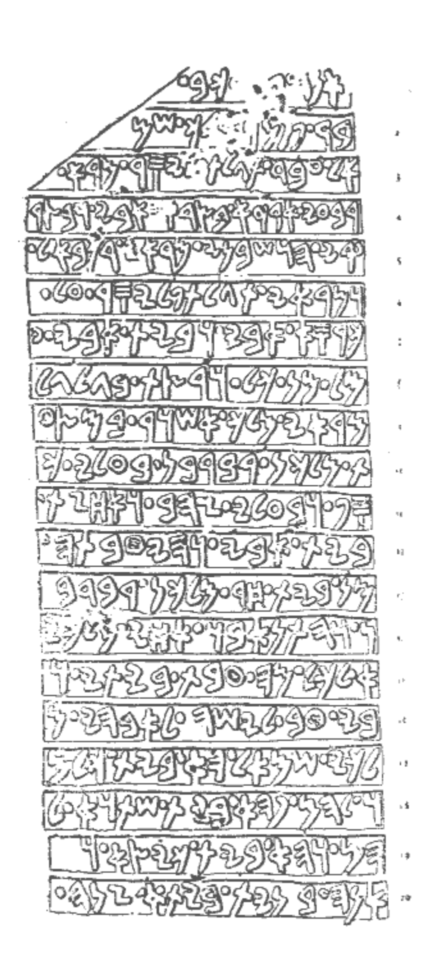
הגרזנ אש אל רעו ובעוד שלש אמת להכ ע קל אש ק

(ר) א אל רעו כי הית זדה בצר מימנ ובימ ה

נקבה הכו רחצבמ אש לקרת רעו גרזנ על גרזנ וילכו

המימ מנ המוצא אל הברכה במאתי (מ ו) אלף אמה ומ (א)

ת אמה היה גבה הצר ·על ראש החצב (מ)



رموز ونقش بو ر كب ملك شمأل

٧ — وهذا نص نقش آرامي آخر وجد في قرية نيرب قرب حلب :

ششستر بن كمر سهر بوب مت . وزنه صلمة . وارصته . من ان تجنس صلما . زنـــه وارصتا من اثره ـــ سهر وشمس ونكل ونشك يسحو . شمك واشرك من حين . وموت لحه . يكطلونك ويهـــا بدو زرعك وهن . تنده صلمـــا . وارصتا زا احري ينصر زي لك [١] .

— ٤ —

واذا نحن اهتممنا للتدليل على الوحدة الجنسية التي تربط بين موجات جزيرة العرب الطارئة على بلاد الشام ببعضها من جهة وبغيرها من الطارئين على البلاد الاخرى من جهة وبالذين بقوا في جزيرة العرب من جهة ثم على الطابع العربي الذي طبعت به هذه الموجات بلاد الشام بالمظهر اللغوي الذي يتمثل بالمفردات اللغوية واسماء الاعلام الكثيرة التي اثبتنا قوائمها آنفاً فليس معنى هذا ان التشارك اللغوي هو وحده الجامع ، وانما لان جمهرة من الباحثين اعتبروا هذا التشارك من أبرز مظاهر الوحدة الجنسية على مـــا ذكرناه في المقدمة ، وهو حق ما دام هو قائماً بين جميع الموجات التي خرجت من الجزيرة وبين الذين بقوا فيها . ولقد قرر جمهرة من الباحثين مع ذلك أن التشارك قائم في العقائد والتقاليد والافكار ايضاً [٢] ، وهو ما سوف تأتي الشواهد عليه في ثنايا هذا الجزء .

ولقد سلك المؤرخون العرب وغير العرب النبطيين والتدمريين في هذه البلاد في سلك التاريخ العربي ولم يكونوا يسمون عرباً بصراحة . وكانت لغتهم ما تزال بين العروبـــة الصريحة والعروبة غـــير الصريحة وذلك بسبب انتمائهم الى جزيرة العرب والجنس العربي والطابع العربي الملموح في لغتهم واسمائهم ومنقوشاتهم وليس مـــن فرق في الواقع بين هؤلاء وبين الموجات التي جاءت قبلهم من جزيرة العرب الى بلاد الشام . فاذا ما سلكت تاريخها في سلك تاريخ الجنس العربي فانمـــا تفعل ذلك اتساقاً مع الحقيقة التاريخية المتصلة

---

(١) تاريخ اللغات السامية ص ١٢٣ وهذه ترجمته بالفصحى :

لششنزر بن كاهن شهر الذي توفي بنرب . وهذه صورته تمثالها وتابوته . وانت الذي تأخذ الصورة والتابوت من مكانه فشهر وشمس ونيكل ونشك (أسماء معبودات) يمحون اسمك واثرك من الحياة والممات في اللحد . ليقتلوا ويبيدوا نسلك . اما لو صنت الصورة والتابوت فالاخرون ينصرونك ويصونونك.

(٢) انظر ايضاً العرب قبل الاسلام جواد علي ص ج ١ ص ١٤٨ وما بعدها والاساس في الامم السابقة ولغاتها ص ١٥ — ٣٧ وتاريخ اللغات السامية ص ١ — ١٦ .

بالواقع المستمر منذ عشرات القرون قبل الاسلام والمؤيدة بالشواهد المتنوعة واقوال جمهرة من العلماء والباحثين وتقريراً لها ،وتصحيحاً للخطأ المشهور والتوجيه التاريخي وتدليلا على ان عروبة بلاد الشام الحاضرة هي امتداد لما كان من عروبتها الصريحة وغير الصريحة التي سبقت الاسلام بعشرات القرون ثم احباطـاً لمكر المستعمرين والمبشرين المغرضين واعداء العروبة الشعوبيين والمتأثرين بدعاياتهم وتلقيناتهم في بعض أنحاء الشام وخاصة لبنان كما هو الشأن في مصر حتى تتجاوز مكابرة بعضهم كل حد ومنطق فيتجاهلون الاصل العربي القديم الذي تفرع منه سكان بلاد الشام القدماء الكنعانيون الفينيقيون والآراميون السريان ويتجاهلون السيل العربي الصريح الذي اخذ يتدفق على هذه البلاد بما فيها لبنان قبل الاسلام وبعده ويغمر مدنها وقراها والذي اتفوق اعداده سكان لبنان بل والشام جميعها قبل العروبة الصريحة ويطبعها بطابع العروبة الشامل منذ ثلاثة عشر قرناً والذي يتمثل في كل ناحية من انحاء الشام بما فيها لبنان ، سواء أكان في اللغة ام في كل تقليد من تقاليدها وكل مظهر من مظاهر حياتها تمثلا قوياً ، ويحاولون فصل تاريخها عـن تاريخ الجنس العربي ليوقروا في اذهان سكانها وخاصة نصاراه وبنوع اخص موارنته الذين هم من الجنس العربي يقيناً سواء أكانوا آراميين ام فينيقيين ام مـن قبائل بني مراد العرب الصرحاء[1] وهن الصلة بينهم وبين العروبة الاصيلة وليجعلوهم يعتبرون العرب غزاة كسائر الغزاة الذين طرأوا على بلاد الشام ووطدوا حكمهم عليها بالفتح العسكري وحسب ، وكون ما هنالك من فرق هو انهم اعطوها دينهم ولغتهم كما كان وما يزال يُبث همساً تارة وصراحة تارة اخرى ، وفي حين تكفي في نظرهم المئتان والثلاثمائة من السنين لتجعل سكان بلاد ما متنوعي الاصل والجنس امة ذات قومية واحدة لانها صارت تتكلم بلغة واحدة وتعيش في جو تاريخي واحد ..

وهناك ظاهرة يجدر التنويه بها في هذا المقام وهي انه لم يذكر احد من الباحثين انه كان غرابة لسانية بين سكان مختلف انحاء الشام شمالها وجنوبها وشرقها وساحلها او انه كان بينهم وسطاء ومترجمون ، حيث يفيد هذا انهم كانوا يتكلمون لغة واحدة وان اختلفت لهجاتها . ولما كانت هذه اللغة او اللهجات هي متقاربة او متماثلة مع اللغة العربية فقد عدت شقيقات لها .

فكل ما تقدم يدل احسم الدلالة على صلة معظم سكان بلاد الشام وخاصة معظم الطارئين عليها منذ اقدم العصور التاريخية المعروفة الى منتصف الالف الثانية قبل المسيح

---

(١) سنشرح ذلك في جزء آخر من الكتاب .

الذي اخذت العروبة فيه تتطور من عروبة غير صريحة الى عروبة صريحة يمتون الى الجزيرة العربية وبالتالي الى الجنس العربي ويسوغ بصورة لا تصح المماراة فيهـــا سلك تاريخهم في سلك تاريخ الجنس العربي وهذا بالاضافة الى اننا حينما نقرر صلة سكان بلاد الشام القدماء بالجنس العربي أو بكلمة ادق حينما نبرز هذه الصلة نكون قد ابرزنا سعة نطاق نشاط الجنس العربي وحيويته في مختلف المجالات الفكرية والادبية والحضارية والسياسية والعسكرية حينما برز هذا الجنس على مسرح هذه البلاد التي كانت مصدراً رئيسياً من مصادر الحضارة البشرية التي شعت على العالم وكانت من مشاعل هداية البشر وحضارتهم الاولى من جهة ونكون من جهة اخرى قد وصلنا بين حيوية العروبة في دورها الصريح على مسرح هذه البلاد وبين حيويتها عليه قبل هذا الدور فصار من ذلك سلسلة متصلة الحلقات يمسك بعضها بعضاً من جهة اخرى .

— ٥ —

وليس هناك ما يمكن أن يساعد على تعيين مبدأ تاريخي لانسياح الموجات العربية الى بلاد الشام . ولقد كان فيها قبل انسياح الموجة الكنعانية التي تسجل كأول موجة معروفة ومعينة الأسم ومتصلة التاريخ والاحداث والــتي يخمن تاريخ انسياحها في اوائل الالف الثالثة قبل المسيح سكان يرجح المؤرخون والاثريون انهم اوان منهم من هو موجات من جزيرة العرب . وهذا الترجيح في محله . لان انسياح الموجات من جزيرة العرب الى وادي النيل والعراق قد بدأ قبل الالف الثالثة قبل الميلاد بأمد طويل . ومن المعقول ان تكون بلاد الشام من المناطق التي انساحت اليها موجات من جزيرة العرب مثلها .

ولقد جاء في كتاب الاسلام والمسيحية في لبنان [١] معزواً الى المؤرخ الانكليزي فيليب فان والامير موريس شهاب مدير الآثار اللبنانية ان علماء الآثار اكتشفوا ان هجرات كثيرة متتابعة جاءت من جزيرة العرب الى مصر والعراق وسورية ولبنان قبل ازمنة التاريخ ، وان من اقدم هذه الهجرات المكتشفة بالنسبة الى لبنان هجرة فوج كنعاني اول قبل مجيء الفوج المعروف يقيناً . ومن الادلة التي ساقها على ذلك كون تأسيس مدينة بيروت — وهو اسم عربي اللمحة ويرجح ان يكون اصله بئروت — كان في الالف الرابع قبل المسيح أي قبل قدوم الموجة الكنعانية التي نحن في صددها .

---

(١) ص ٢٥ — ٢١

وقد ذكر هذا المطران الدبس في كتابه تاريخ سورية [1] واضاف اليه مدينة جبيل وهو كذلك اسم عربي اللمحة ويرجح ان يكون اصله جب ايل اي حصن الاله او مقر الاله – وقال ان منشئيها ومنشىء مملكتيها كانوا في لبنان قبل حلول الكنعانيين المعروفين وساق على ذلك ادلة متنوعة. وهو يقرر في ثنايا كلامه ان هؤلاء المتقدمين على الكنعانيين المعروفين هم ايضاً من الجنس السامي اي العربي.

ولقد ذكر فيليب حتي [2] ان خوفو لول ملوك الاسرة الرابعة نقش اسمه على آنية وارسلها كهدية الى سيدة جبيل. وحكم الاسرة التي ينتسب اليها خوفو كان ٢٩٠٠ – ٢٧٥٠ ق م [3] وهو اول أو ثاني ملوكها اي ان حكمه في القرن التاسع والعشرين قبل الميلاد. وهذا الزمن يسبق الزمن المخمن لطروء الموجة الكنعانية المعروفة واستقرارها ونشاطها. والخبر يتسق مع ما ذكره المطران الدبس في صدد جبيل كما هو المتبادر.

ولقد جاء في كتاب مصر القديمة [4] استناداً الى الآثار المصرية ان سنفرو احد ملوك الاسرة الرابعة أو آخر ملوك الاسرة الثالثة حسب استنباط مؤرخين آخرين (اي حوالي القرن الثلاثين قبل الميلاد) قد سير حملة بحرية عظيمة الى الموانىء السورية رجعت محملة بالاخشاب التي قطعت من غابات لبنان. ولعل هذا اقدم ذكر لموانىء سورية واخشاب لبنان. والمتبادر ان هذه العملية لم تكن لتتم الا بمساعدة اهل البلاد وجهودهم حيث ينطوي في هذا حقيقة وجود سكان في هذه السواحل ذوي نشاط زراعي قبل الوقت المخمن لمجيء الموجة الكنعانيه المعروفة وليس ما يمنع ان يكون من موجات عربية سابقة مما اشار اليها مؤلف كتاب الاسلام والمسيحية في لبنان.

---

(١) المجلد ١ ج ١ ص ٢٠٨ ومع ذلك ننبه على ان المؤرخين يذكرون جبيل وبيروت في تاريخ الكنعانيين المعروفين (انظر مثلا تاريخ سورية لجرجي يني ص ٤٢٣ وص ٤٢٣ وكتاب لبنان ص ١١٦ و ١١٧ وما كشف من آثارهما يدل على انهما كانا جزءاً منهم فاذا صح تقدم منشئيها على الكنعانيين المعروفين فيكرنون قد اندمجوا فيهم وغدوا شيئاً واحداً مما فيه دلالة على وحدة الارومة الجنسية.

(٢) تاريخ سورية ولبنان وفلسطين ج ١ ص ١٣٧ ترجمة حداد :

(٣) تاريخ مصر من اقدم العصور بريستيد ترجمة حسن كمال ص ٤٠٣ انظر ايضاً تاريخ الجنس العربي للمؤلف ج ٢ ص ٥١ وما بعدها.

(٤) انظــر مصر القديمة ج ١ ص ٢٨٤ تأليف سليم حسن. وقد ذكر هذا احمد كمال الاثري في العقد الثمين ص (٢٥ — ٢٨) وبريستيد في كتاب مصر من اقدم العصور ص ٧٤ وفيليب حتي في تاريخ سورية وفلسطين ولبنان ترجمة حداد ج ١ ص ١٣٧.

ولقد جاء في كتاب تاريخ سورية ولبنان وفلسطين للدكتور فيليب حتي[1] ان الديانة واللغة الكنعانيتين تبدءان بالظهور من غياهب العصور السامية القديمة حوالي مطلع الالف الثاني قبل الميلاد غير ان اسلافهم كانوا غالباً يحتلون الاقسام الساحلية الجنوبية من بلاد الشام قبل ذلك بالف سنة او اكثر ويمكن استنتاج ذلك من اسماء الاماكن على ما اظهره علم الآثار الحديث . وقد تأسست المدن مثل اريحا وبيت شاب ومجدو التي اسماؤها كنعانية قبل عام ٣٠٠٠ ق م وظهر في الكتابات الاثرية في النصف الاول للالف الثاني مدن اخرى لها اسماء سامية معروفة يمكن اعتبارها كنعانية مثل عكو وصور وصيدون وجبله (جبيل) واركة وسيميرا .

ولقد جاء في كتاب تسريح الابصار فيما يحتوي لبنان من الآثار [2] ان سكان بلاد الشام ولبنان كانوا قبل المسيح بثلاثة آلاف سنة قبائل سامية من البابليين ثم طرأ عليهم الكنعانيون ؛ وان اللغة البابلية ظلت اللغة السائدة لان الكنعانيين ليسوا الا فرعاً من البابليين ؛ ومما استدل به على ذلك رسائل تل العمارنة التي كانت ترسل من امراء وحكام سورية باللغة البابلية والخط المسماري والتي ترجع إلى القرن الرابع عشر قبل الميلاد المسيحي .

ولقد ذكرت اسفار العهد القديم [3] اسماء امم وقبائل عديدة كانت تسكن فلسطين وشرق الاردن الى جانب الكنعانيين والآموريين كالعماليق والحوريين والايميين والرفائيين والحويين والفرزيين والجرجاشيين واليبوسيين حيث يدل اختصاصهم بالذكر مستقلاً عن ذكر الكنعانيين والاموريين على انهم من غيرهم . ومن المحتمل كثيراً ان يكونوا فروع موجات اخرى جاءت قبلهم من جزيرة العرب . وقد قال مؤلف كتاب الاسلام والمسيحية في لبنان عن الجرشاشيين انهم فخذ من الفوج الكنعاني الاول [4]

ولقد كان قدوم موجة معروفة يقيناً الى بلاد الشام الداخلية والشمالية وهي الموجة الآمورية او العمورية بعد قليل من قدوم الموجة الكنعانية وقد اكتشفت في هذه الاقسام

---

(١) ج ١ ص ٨٧ــ٨٨ تعريب جورج حداد .
(٢) ج ١ ص ٧٣ ــ ٧٤
(٣) اسفار الخروج والتثنية ويشوع مثلا .
(٤) ص ٢١ .

الشامية آثار لسكان اقدم من العموريين يخمن كذلك انهم أو ان منهم موجات عربية الجنس وهو تخمين في محله لانه متسق مع ظروف انسياح موجات جزيرة العرب قبل الالف الثالثة السابقة للميلاد المسيحي الى بلاد العراق ووادي النيل وانحاء الشام الساحلية والجنوبية على ما ذكرناه آنفاً .

ومما يؤكد هذه الترجيحات والتخمينات ان موجات جزيرة العرب ظلت تنساح متلاحقة الى بلاد الشام بعد موجتي الكنعانيين والعموريين وقبل دور العروبة وبعده بحيث يصح القول بشيء من الجزم انه لا يعقل ان تكون الموجتان المذكورتان هما اولى موجات الجزيرة الى بلاد الشام ولا سيما انها متاخمة للجزيرة مباشرة وان الانسياح من الجزيرة الى الاقطار المجاورة لها قد بدأ من زمن اقدم بكثير من الزمن المخمن لانسياح الموجتين على ما شرحناه في الجزء السابق .

- ٦ -

ولقد جرت تنقيبات متعددة في مختلف انحاء البلاد الشامية عثر فيها على آثار متنوعة عمرانية وفنية وثقافية ونقوش ومدونات للموجات العربية التي طرأت عليها وانشأت فيها القرى والمدن والدول . ولقد ورد اشياء كثيرة في منقوشات الاشوريين والمصريين ومدوناتهم عن احوال بلاد الشام السياسية والحربية ؛ ولقد احتوت كتب اليونان والرومان القدماء اشياء كثيرة كذلك عن احداث ومآثر سكان هذه البلاد السياسية والحربية والفنية والدينية والثقافية والعمرانية . منها ما هو وصف لمشاهدات عيانية ومسموعات شخصية ومنها ما هو مقتبس من كتب كتبها شاميون قبل الميلاد وبعده مثل سنكتن البيروتي وفيلون الجبيلي ونيقولا الدمشقي واوساسيوس القيصري وبرفيريوس الصوري ضاعت اصولها ، وكان بعضها مقتبساً من كتب اقدم منها على ما ذكره المقتبسون القدماء حيث كان كنعانيو الساحل – الفينيقيون – بنوع خاص ممن يؤلفون الاسفار التي تشتمل على وصف شرائعهم ورسوم دينهم واحداث بلادهم [1] .

ولقد احتوت اسفار العهد القديم التي دونت او اعيد تدوينها حوالي القرن الخامس قبل الميلاد وبعد هذا القرن والتي يبدو منها ان منها ما نقل عن مدونات سابقة كثيراً من احداث ومآثر سكان بلاد الشام السياسية والحربية والمدنية والاقتصادية والثقافية والعمرانية والدينية .

---

(١) كتاب لبنان ص ١٠٧ والجزء الاول من المجلد الاول من تاريخ سورية للدبس ص ٢٩٣ .

فساعد كل هذا على جلاء تاريخ الموجات العربية في مختلف انحاء بلاد الشام منذ الالف الثاني قبل الميلاد جـلاء ضيقاً تارة وواسعاً تارة اخرى ويسر كتابة فصول وثيقة بقدر الامكان عن هذا التاريخ »

ونحب ان نستدرك امراً وهو ان التنقيبات الاثرية وحصائدها في بلاد الشام الداخلية والجنوبية وخاصة في النقوش والمدونات المسهبة لم تكن بالمقياس الواسع الذي كان في العراق ومصر وما حصل عليه فيهما من بيانات ولا سيما في مجـال الاحداث السياسية والحربية ، كما ان المدونات الاخرى القديمة او المكتشفة لم تحتو من الاسهاب ما يساعد على كتابة سلسلة متصلة الحلقات عن دول وملوك واحداث هذه البـلاد كما امكن ذلك بالنسبة لتاريخ مصر والعراق . ولهذا فان الثغرات في تاريخها ستظل اوسع منهـا في تاريخهما .

ومع ان سواحل الشام او ما كان يسمى فينيقية كان اسعد حظاً في هذا الباب حيث جرت تنقيبات عديدة فيها وعثر فيها عـلى آثار ونقوش كثيرة ، واحتوت المدونات القديمة عنها تفصيلات اوفى فان هذا لم يكن من شأنه كذلك ان يساعد على عرض سلسلة متصلة في احداث وتاريخ هذا القسم وان كان يسر الكلام عنه باوسع مما تيسر بالنسبة لداخلية بلاد الشام وشرق الاردن . اما بالنسبة لغرب الاردن او بتعبير ادق لتاريخ العبرانيين في دور يهوديتهم اي بعد موسى فان اسفار العهد القديم احتوت تفصيلات واسعة ودقيقة عنه يسرت الكلام في تاريخ هذا الدور بتسلسل وتفصيل اكثر من اي مكان ودور آخر ومهما شاب هذه الأسفار من شوائب على ما سوف نشرحه بعد تظل مصدراً تاريخياً مهماً يصح ان يعول عليه اذا ما نظر فيها بامعان وتحفظ ؛ وتظل تكسب تاريخ العبرانيين ميزة على غيره من تاريخ الموجات العربية بل من تاريخ اي امة اخرى لانه لم يكد يصل الى عهدنا تاريخ امة قديمة اخرى مدون منذ القرن الخامس والعشرين قبل الميلاد باسهاب وتفصيل عجيبين مثل ما جاء عن هذا التاريخ .

ولقد قلنا ان ما وصل الى عهدنا من آثار ونقوش ومدونات قديمة قد ساعد على جلاء تاريخ الموجات العربية في مختلف انحاء الشام منذ الالف الثاني قبل الميلاد قليلا او كثيراً . اما ما قبل ذلك فلم يكتشف بعد آثار تساعد على تدوين شيء وثيق ذي غناء .

وانا لنرجو ان تهتم حكومات هذه البلاد وقد اتسع نطاق العلم والوعي فيها لتوسيع وتقوية حركة التنقيب والكشف فيؤدي ذلك الى ما لا يزال مغيباً عنا من تاريخ جنسنا ومآثره في هذه البلاد قبل الالف الثاني من الميلاد .

هذا ؛ ولقد كانت بلاد الشام في القديم كما هي الآن متعددة الكيانات كما كانت موطناً لموجات متعددة في الوقت نفسه . ولذلك سوف نسير في كتابة هذا الجزء سيراً متوافقاً مع ذلك فنخصص فصلا للساحل الشامي الذي يعرف اليوم بلبنـــان وسابقاً بفينيقية ، وآخر للداخل الشامي الاوسط والشمالي الذي يعرف اليــوم بسورية ، وآخر للجنوب الشرقي الذي يعرف اليوم بشرق الاردن وفلسطين مع تخصيص فصل لبني اسرائيل في فلسطين بسبب ما كان لهم من حيز تاريخي فيها باسلوب يبرز فيه الصلة بين احداث هـــذه البلاد وكياناتها يكون وافياً بقدر ما يمكن كما فعلنا في الجزئين السابقين مما نرجو ان يكون مفيداً للقارىء العربي وخاصة للناشئة العربية . ولا سيما انه ليس في العربية كتاب واحد شامل لذلك كله وواف بالمرام وبالاسلوب والحجم اللذين جاء بهما هذا الجزء . ونقول هذا بعد ان اطلعنا على الجزء الاول من تاريخ سورية ولبنان وفلسطين لفيليب حتي الذي نقله الى العربية جورج حداد وعبد المنعم رفيقه . لان كتابنا يهتم بنوع خاص لتاريخ الموجات العربية في هذه البلاد وابراز صلة هذه البلاد وسكانها بجزيرة العرب في حين ان كتاب حتي يبحث في احوال وتاريخ وجغرافية هذه البلاد بوجه عام ويمزج بـــين دور العروبة غير الصريحة والعروبة الصريحة قبل الأسلام فيهـــا ويهتم لتاريخ العصر اليوناني والروماني فيها حتى لقد استغرق هذا اكثر من ثلث الكتاب .

الكنعانيون

في

السواحل الشامية والجبال الموالية لها المعروفة قديما بفينيقية

الكنعانيون في لبنان وسواحل الشام

— ١ —

اولياتهم

قلنا في التمهيد السابق ان اولى الموجات العربية الجنس التي عرف طروؤها على البلاد الشامية معرفة يقينية هي الموجة الكنعانية .

ويقرر كثير من الباحثين [١] انها تمت في اصلها الى جزيرة العرب ، وتتشابه الى حد كبير يبرر هذا التقرير في اللغة واللهجة والتفكير والعقائد مع سكان جزيرة العرب والموجات التي خرجت منها واستوطنت انحاء المهاجر العربية الأخرى .

ويخمن الباحثون ان الكنعانيين جاؤوا اولا الى شواطىء الخليج العربي وبتعيين ادق الى انحاء البحرين [٢] منها فاستقروا امداً ما ، ثم اتجهوا او اتجه منهم جماعات كثيرة نحو الغرب فعبروا الفرات واستقروا في واديه امداً ما كذلك ثم اتجهوا نحو الجنوب فاستقر فريق منهم في سواحل الشام واستقر فريق آخر في شرق الاردن وفلسطين ، وان انسياح هذه الموجة الكبرى الى بلاد الشام كان في منتصف الالف الثالث قبل الميلاد او قبله او بعده بقليل [٣] .

---

(١) كتاب لبنان تأليف لجنة الادباء ص ١٨١ وتاريخ اللغات السامية اسرائيل ولنفستون ٥٤ والتاريخ العام لاحمد رفيق بالتركي ج ١ ص ٣٠١ وتاريخ سورية للدبس مجلد ١ ص ٢٥٥ وما بعدها وتاريخ سورية لجرجى ينى ص ١٣ وبعدها وتاريخ سورية ولبنان وفلسطين فيليب حتي تعريب جورج حداد ص ١ ص ٦٦ — ٦٧ و٨٥—٨٦ .

(٢) كان اصطلاح البحرين يطلق على السواحل المقابلة لجزر البحرين ايضاً .

(٣) انظر تاريخ سورية ولبنان وفلسطين تأليف حتي المذكور اعلاه في الصحف المذكورة آنفاً .

ولقد ذكر المطران الدبس في كتابه تاريخ سورية [1] ان المؤرخ الروماني القديم يلين ذكر انه كان في ايامه على خليج العجم ما يـلي جهة بلاد العرب عمل يسمى بلاد كنعان كما ذكر ان سترابون الجغرافي روى انه كان هناك جزيرتان تسميان صور وأرواد هما الآن من جزر البحرين ؛ وان فيهما هيا كل اشبه بهيا كل الفينيقيين ـ وهذا الاسم الذي عرف به الكنعانيون الذين حلوا في سواحل الشام ـ وان اهلها يقولون ان سكان صور وارواد في فينيقية منهم ؛ مما فيه تأييد للوطن الثاني الذي أتى منه الكنعانيون الى بـلاد الشام .

ولقد قلنا آنفاً ان الذين استقروا في سواحل الشام عرفوا ايضاً باسم الفينيقيين حتى لقد غدا هو الغالب عليهم ؛ واطلق اسم « فينيقي او فينيقية » على البلاد التي استقروا فيها . وهو اسم طارىء على خلاف في معناه وباعثه . فهناك من قال انه مشتق من كلمة فينكس اليونانية التي كانت تطلق عـلى حيوان بحري صدفي يستخرج منه المادة الصبغية الحمراء التي اشتهر بها الفينيقيون . ومنهم مـن قال إنه من كلمة فون اوبون التي كان يطلقها المصريون على بلاد العرب على ما ورد في آثارهم . وهناك من قال ان الكلمة تعني النخـلة وان البلاد سميت بهـا لكثرة نخلها ثم صارت علماً لسكانها ، وكانت النخلة ترسم عـلى المسكوكات الفينيقية القديمة .

وهناك من قال إنها بمعنى الشعب الأحمر او البلاد الحمراء بسبب الصبغة الارجوانية التي اشتهرت بها .

والمطران الدبس الذي يورد هـذه الاقوال [2] يقول مع ذلك مرجحاً ان التسمية يونانية . ويستدل على ذلك بان الاسفار المقدسة التي كتبت بالعبرانية تسمي هذه البلاد واهلها باسم كنعان في حين ان اسفار المكابيين واسفار العهد الجديد التي كتبت باليونانية استعملت كلمة « فينيقية وفينيقي » .

ولقد عثر على منقوشات [3] وصفت فيها مدينتا اللاذقيـة وصيدا بالكنعانية حيث

---

(١) مجلد ١ ص ٢٥٥ — ٢٥٦ .

(٢) تاريخ سورية مجلد ١ ج١ ص ٢٦٤—٢٦٥

(٣) تاريخ سورية جرجي يني ص ٣٥١ وتاريخ سورية للدبس المذكور آنفاً ص ٢٦٩ .

يدل هذا على ان اسم كنعان كان هو المستعمل اسماً لهذا القسم من بلاد الشام واهله .

اما الذين استقروا في شرق الاردن وفلسطين فقد عرفوا منذ القديم باسم كنعان وظلوا يحتفظون به وذكروا به في المدونات القديمة [1] .

ومن المحتمل جداً ان يكون اسم كنعان من كنع بمعنى سكن او خضع وهو في جذره واشتقاقه وبنائه عربي الجنس ، واطلاقه على الذين استقروا في الساحل الشامي قبل ان يعرفوا باسم الفينيقيين او يغلب عليهم بل واستمرار وصفهم به الى عهد المسيح على ما تدل عليه بعض النصوص في انجيل متى [2] ثم على الذين استقروا في شرق الاردن وفلسطين اصلا واستمرار احتفاظهم به دليل على اصالة الاسم من جهة ووحدة ارومة سكان السواحل الشامية وجنوبها من جهة ، وعلى كون الاسم الجامع بينهم هو كنعان من جهة ، وعلى كونهم من الجنس العربي من جهة .

هذا ؛ ولقد قال بعض الباحثين إن اسم الكنعانيين قد طرأ على القادمين مستمداً من طبيعة الارض التي حلوا فيها حيث يعني الارض المنخفضة . ومع ان هذا المعنى مندمج في جذر كنع كما لا يخفى ، ومن الممكن ان يفيد ان التسمية من الطارئين بلغتهم ، فاننا لا نشارك القائلين لان وصف الانخفاض إن صح بالنسبة لبعض اقسام شرق الاردن وغربه وهي اراضي الغور فانه لا يصح بالنسبة للذين حلوا في سواحل الشام وبقية انحاء شرق الاردن وفلسطين لان كثيراً من المناطق التي حلوا فيها وعمروها جبلية ومرتفعة واسم الكنعانيين كان يطلق عليهم قبل اسم الفينيقيين على ما ذكرناه آنفاً .

المدن والممالك الكنعانية الفينيقية

-٢-

ولقد انشأ الذين حلوا في السواحل من الكنعانيين الذين عرفوا بالفينيقيين وربما وعمروا مدناً وقرى كثيرة منها ما اندثر او اندفن ومنها ما توالى ترميمه وتعميره وبقاؤه

---

(١) اسفار العهد القديم ومنها سفر يشوع وكتب الرومان واليونان القدماء .

(٢) الاصحاح الخامس عشر . انظر ايضاً تاريخ اللغات السامية ص ٥٦ — ٥٧ وتاريخ سورية جرجي يني ص ٤٣ وما بعد والتاريخ العام بالتركي لاحمد رفيق ج ١ ص ٣٠١ وما بعدها .

الى الآن . وقد اوردنا اسماء مئات من القرى والقصبات التي انشأوها في السواحل وما والاها من مرتفعات لبنان ؛ وكثير منها متشابه والاسماء التي تبدو عليها اللمحة العربية القديمة منها هي الاكثر جداً من التي تبدو عليها الاعجمية او العربية الفصحى بحيث يسوغ القول إن الكنعانيين قد عمروا هذه المنطقة وطبعوها بطابعهم . ومن مدنهم المهمة التي لا تزال موجودة الى اليوم ومحتفظة باسمائها القديمة صيدا (واسمها القديم صيدون) وصور وهو اسمها القديم وجبيل (واسمها القديم جب ايل) واللاذقية (واسمها القديم راماتا)[1] وارواد (واسمها القديم ارادو) وعكا (واسمها القديم (اكو) وبيروت (واسمها القديم بئروت) وجبلة (واسمها القديم كبلا او جبلا) وعرقا (واسمها القديم ارقات) وصرفند (واسمها القديم سربتا) والذيب (واسمها القديم او كزيب) وقدموس وطرطوس والبترون وأنفة الخ .

وفي المتحف البريطاني في لندن لوحة مصرية النقش ترقى الى عهد الاسرة المصرية الملكية الثانية عشرة التي حكمت في القرون الثامن عشر ـ العشرين قبل الميلاد[2] ذكر فيها خبر رحلة لمصري في انحاء الشام وذكر اسماء جبيل وباروت وصيدون وصرفنت وصوروعمريت وانترادور وطرطوس وقرناوعرقة وسيا كمدن ساحلية زارها[3] وطبيعي انه لا بد من ان تكون هذه المدن قائمة قبل هذه الزيارة بمدة طويلة حتى غدت عامرة تلفت نظر السائح المصري وتجعله يخصها بالذكر . وفي هذا تأييد لقدم طروء الموجة الكنعانية التي يعزى اليها انشاء هذه المدن وتوطنها في هذه الانحاء ونشاطها العمراني والمدني القديم .

ـ ٣ ـ

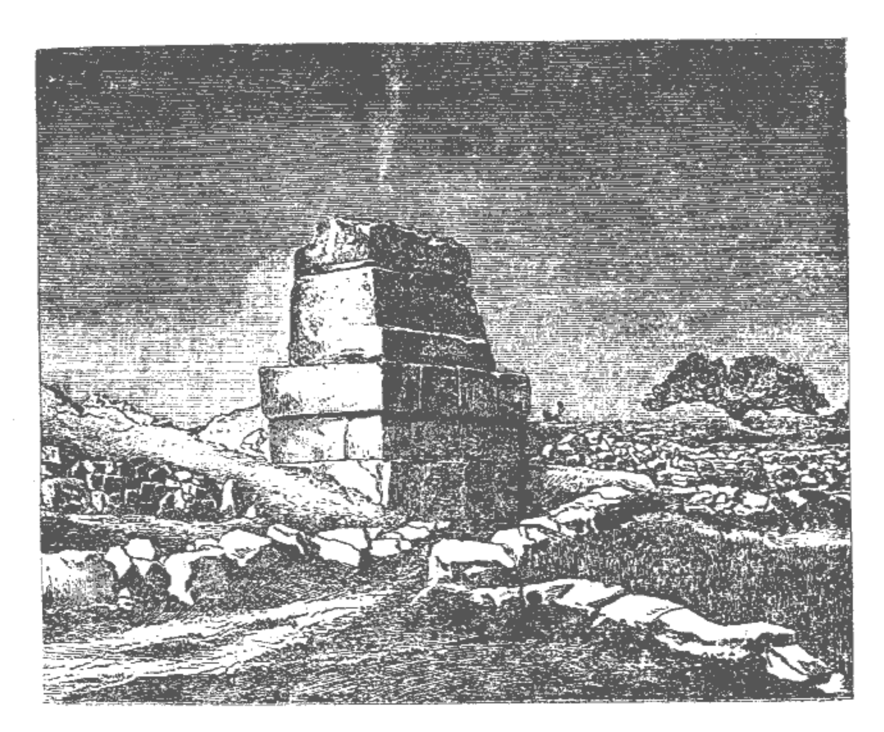
ولقد قام في كل مدينة كبيرة او منطقة مملكة خاصة على ما يستفاد من المنقوشات العراقية والمصرية والكنعانية الفينيقية واسفار العهد القديم التي تكرر فيها ذكر ملوك

---

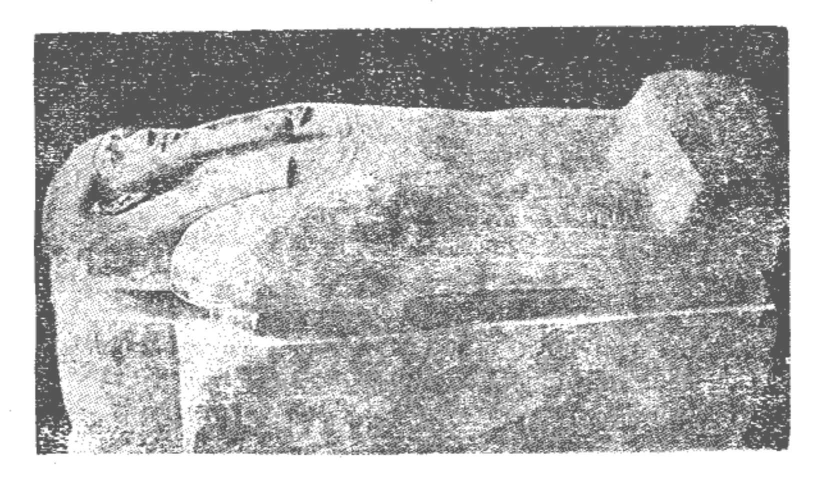
(١) تاريخ سورية جرجي يني ص ٣٥١ ومما ذكره المؤلف ان اللاذقية الحاضرة هي تجديد لراماتا القديمة الكنعانية التي تعني الارض المرتفعة . وقد تم تجديدها في زمن السلوقيين اليونانيين وسموها لاوذي الذي تطور الى الاسم الحاضر . انظر ايضاً الى الصحف ٤١ وما بعدها و٣٦٥ و٤٢٣ و ٤٣٢ و ٤٧٩ و٤٨٩ من المؤلف المذكور .

(٢) تاريخ الجنس العربي ج ٢ ص ٩٤ للمؤلف .

(٣) انظر كتاب لبنان لجنة الادباء ص ١١٠ والمجلد الاول الجزء الاول من تاريخ سورية للدبس ص ٢٧٦ .



قبر الملك حيرام



تابوت وصورة ملك هيداتبنيت

فينيقية بصيغة الجمع حيناً وذكر ممالك صيدا وصور وجبيل وأرواد بالتعيين حيناً . وقد قرىء عـلى النقوش والنقود الفينيقية اسماء ملوك عديدين لممالك متعددة أيضاً . وبعض النقوش الآشورية ذكر اكثر من مرة عدد عشرين واثنين وعشرين ملكاً في سياق ذكر الملوك لتقديم ولائهم للملوك الأشوريين حيث يدل هذا على كثرة عدد الممالك التي أقامها الكنعانيون الفينيقيون في الساحل الشامي .

والظاهر ان الكنعانيين حينما حلوا في هذه الانحاء تقاسموها بين عشائرهم فأقام كل منها في قسمه مملكة خاصة تولى حكمها زعيم العشيرة وأنشأ مدينة صارت عاصمة لمملكته . ثم توالى الحال على هذا المنوال مع طروء تبدلات في الأسر الحاكمة نتيجة لظروف داخلية وخارجية على ما يستفاد من المدونات والمنقوشات القديمة وعلى ماجرت عليه الموجات العربية في مصر والعراق والجزيرة مما شرحناه في الاجزاء الثلاثة السابقة .

ومن هذه الممالك ما انهار مبكراً كمملكة اوغاريت التي كشف من جديد عن عاصمتها أوغاريت في منطقة اللاذقية بعد ما لبثت مطمورة تحت الأرض أكثر من ثلاثين قرناً (١) وقد عرف من آثارها انهادمرت بغارة أو حريق وانها كانت على درجة عالية من الفخامة والروعة والبروز السياسي والمدني والثقافي مما سوف نفصله بعد .

ومنها ما استمر قائماً يتولاه ملوك كنعانيون إلى غزوة الاسكندر المكدوني في الثلث الاخير من القرن الرابع قبل الميلاد .

ولقد عرف اسماء كثير من ملوك هذه الممالك بدون تسلسل . ومن هذه الاسماء ما قرىء على النقود . ومنها ما ورد في النقوش والمدونات .

وممن عرف من أسماء ملوك صيدا :

١ – بالوس بعل وهو أقدم من ذكر من ملوك صيدا في زمن حزها قبل القرن الثالث عشر (٢) .

---

(١) في كتاب مصر القديمة ج ٤ ص ٦٢٦ – ٧٠٥ في سياق سيرة امنحوتب الثاني من ملوك الاسرة الثامنة عشرة والذي يصادف حكمه اواسط القرن الخامس عشر ان هذا الملك دمر اوغاريت وجعل عاليها سافلها . غير انه عرف من آثارها ما يدل على ان ذلك لم يكن تدميراً قاضياً على المدينة والمملكة حيث وجد فيها آثار تعود الى عهد رعمسيس الثاني الذي كان حكمه « ١٢٩٥–١٢٢٥ ق م » ولم يوجد اثار تدل على ما بعد ذلك فيها حيث يكون تدميرها قد وقع في هذه الفترة .

(١) الجزء الاول – المجلد الاول تاريخ سورية للدبس ص ٢٧٤

٢ ــ زمريدا كان معاصراً لاخناتون احد ملوك الاسرة الثامنة عشرة المصرية
(القرن الرابع عشر) (١)

٣ ــ عبد ملكرت كان معاصراً لاسرحدون الاشوري (القرن السابع) (٢)

٤ ــ اشمنعزر الاول
٥ ــ تبنيت .
٦ ــ اشمنعزر الثاني
٧ ــ صدقتين
٨ ــ بدعشتر

عرفت اسماء هؤلاء الملوك الخمسة من مقبرة اثرية فيها نواويسهم . ويخمن عهدهم في القرنين الخامس والرابع قبل الميلاد في اثناء سيطرة الفرس (٣) .

٩ ــ ستراتا
١٠ ــ تينا

كانا كذلك في اثناء سيطرة الفرس (٤)

واللمحة العربية على الاسماء بادية مما يؤكد اصالة جنسهم العربي

وعرف من ملوك صور :

١ ــ ابي ملك ذكر في رسالة أرسلها الى اخناتون احد ملوك الاسرة الثامنة المصرية الذي كان حكمه في القرن الرابع عشر قبل الميلاد على ما جاء في كتاب تاريخ مصر من أقدم العصور لبريستيد ترجمة حسن كمال

٢ ــ حيرام الاول كان حكمه حوالي سنة ١٠٠٠ ق م

٣ ــ ابي بعل بن حيرام ٩٤٤

٤ ــ حيرام الثاني

٥ ــ بعل عازار ٩٤٤-٩٣٧

٩ ــ عبد عشتروت ٩٣٧-٩٢٨

---

(١) اورد اسمه في احدى رسائل تل العمارنة التي ذكرناها في الجزء الثاني انظر مصر القديمة لسليم حسن ص ٥١ - ١٥٤ ج ٥ وتاريخ مصر من اقدم العصور لبريستيد تعريب حسن كمال ص ١٥٣ - ٢٦٣ « سيرة امنحوتب الثالث وسيرة الاسرة الثامنة عشرة » ــ

(٢) تاريخ سورية المذكور انفاً للدبس ص ٣١٤

(٣) كتاب لبنان لجنة من الادباء ص ١١٤ .ــ ١١٥ وتاريخ اللغات السامية لاسرائيل ولفنستون ص ٢٧٤

(٤) تاريخ سورية جرجي يني ص ٤٨٥ - ٤٨٦

٧ ـ دليل عشتروت
٨ ـ عشتروتي
٩ ـ عشتوديم
١٠ ـ فاليبا

١١ ـ ايتو بعل الاول		٨٨٤-٨٤٤
١٢ ـ بعل عازر الثاني		٨٤٤-٨٣٨
١٣ ـ ماتان		٨٣٨-٨٢٩
١٤ ـ بكماليون		٨٢٩-٧٨٩
١٥ ـ جرام الثالث	نحو	٧٧٠
١٦ ـ موتون الاول	»	٧٣٠
١٧ ـ الولا	»	٧٢٤
١٨ ـ ايتو بعل الثاني		
١٩ ـ بعل		٦٧٠
٢٠ ـ ياملك	نحو	٦٥٠
٢١ ـ ايتو بعل الثالث	»	٥٩٠
٢٢ ـ ايت بعل	»	٥٧٤
٢٣ ـ بعل الثاني	»	٥٧٤
٢٤ ـ بعل لاتور		٥٥٦
٢٥ ـ مور بعل		٥٥٥-٥٥١
٢٦ ـ حيرام الرابع		٥٥١-٥٣١
٢٧ ـ موتون الثاني		٥٣١ (١) ابان الحكم الفارسي

وقد قام بين حكم بعل الثاني وبعل لاتور حكومة قضاة تقلب على رآستها : اكينبعل ابن بالوق وكالب من عبداي وابار عظيم الكهنة وموتون وجيروست ابنـــاء عبديم . وبلغ مجموع حكمهم نحو سبع سنين ، وكان ذلك نتيجة لثورة اهلية ضد بعل الثاني في سبيل اقامة حكومة جمهورية أو حكومة قضاة من غير الاسرة المالكة . ولكن امرها لم

(١) القائمة من حيرام الاول الى موتون الثاني من الجزء الاول من المجلد الاول من تاريخ سورية للدبس عزواً الى لانرمان » ص ٣٣٢ - ٣٣٣

(٢) نفس المصدر ص ٣٢١ - ٣٢٧

يستقر وعاد النظام الملكي ثانية . وقد ذكر الدبس في مكان آخر من كتابه المذكور آنفاً (١) اسم ملك آخر بعد حيرام الثالث وهو مياب بعل وقال انه غير موتون ، وانه تولى العرش نتيجة لنزاع قام بينهما . والدبس يعزو معظم الاسماء في القائمة الى لانومان ولم يذكر اسماء ملوك آخرين بعد موتون ، في حين ان انباء احداث الحقبة التي تلت سنة ٥٣١ الى نهاية الحكم الفارسي تفيد ان مملكة صور كانت موجودة وكانت تساهم في هذه الاحداث . وقد ذكر جرجي يني (٢) اسم ملك لصور وهو ازميلكوس . ولا عبرة بالصيغة اليونانية التي جاء بها الاسم لأنه مقتبس على الارجح من المدونات اليونانية . والمرجح ان هناك ملوكا آخرين لصور بين تاريخ ٥٣١ - ٣٣٣ ق وان لم تذكر المصادر اسماءهم .

وننبه على اللمحة العربية القديمة البادية على معظم اسماء ملوك صور كما هي الحال بالنسبة لملوك صيدا .

وممن عرف من ملوك جبيل :

١ - نبتن وهو اقدم من عرف منهم . وقد ورد في نقش كشف حديثاً في جبيل عليه طغراء الملك خع سخم رع نفر حتب احد ملوك الاسرة الثانية عشرة المصرية التي حكمت حوالي ١٨٠٠ - ١٧٠٠ ق م

٢ - رب عدى (٣) كان معاصراً لامونحتب الثالث من ملوك الاسرة الثامنة عشرة « حوالي ١٤٠٠ ق م »

٣ - ذكر بعل (٤) كان معاصراً لرمسيس الحادي عشر من ملوك الاسرة العشرين وسمندس اول ملوك الاسرة الحادية والعشرين « حوالي ١٠٥٠ ق م »

٤ - ايلي بعل (٥) كان معاصراً لاسوركون الاول من ملوك الاسرة الثانية والعشرين « حوالي ٨٥٠ ق م »

---

(١) نفس المصدر ٣٠٨

(٢) تاريخ سورية ص ١٢٧

(٣) ١ و ٧ لبنان ص ١١٨ و٢٢٨

(٤) تاريخ مصر من اقدم العصور لبريستيد ص ٣٢ وبعدها

(٥) مصر القديمة ج ٩ ص ٢٣٠

٥ ـ سيبيتي بعل (١) كان معاصراً لتغلات بلاحر الثالث الاشوري ٧٤٥-٧٢٦ ق م »
٦ ـ ملكي اصاف (٢) كان معاصراً لاسرحدون الاشوري ٦٨٠-٦٦٧
٧ ـ اور ملك (٣) « « لسنحاريب « ٧٠٥-٦٨١

٨ ـ كال بعل
٩ ـ ارم بعل
١٠ ـ عز بعل
١١ ـ عين بعل
١٢ ـ ابي ملك
١٣ ـ مجد ملك
١٤ ـ مجو بعل

(٤) كان حكمهم بين القرن السادس والقرن الرابع معاصرين للعهد الفارسي

١٥ ـ ايل نوس (٥) كان حكمه في القرن الرابع في ظرف زحف الاسكندر المكدوني

والمسحة العربية بادية بقوة على الاسماء ايضاً كما هو ظاهر . ولا عبرة بالصيغة اليونانية التي جاء بها الاسم الاخير الذي هو مقتبس على الاغلب من المدونات اليونانية القديمة . ومع ذلك فان فيه مقطع (ايل) العربي وفيه الدليل الحاسم.

ولقد كشفت التنقيبات الحديثة عن مدينة اسمها اوغاريت في منطقة اللاذقية السورية الساحلية . وعثر على نقود ونقوش عرف منها اسماء الملوك التالين :

نقماد الاول ، نقماد الثاني ، نيكما ، نقيما ، استبن مارى ، نقماد الثالث ، ارحلبا ، خاييرا ، توتاليا الرابع حمورابي (٦) وكان حكمهم ما بين القرن السادس عشر والثالث عشر قبل الميلاد .

وقد عرف من ملوك ارواد : (٧)

(١و٢و٣) تاريخ سورية للدبس ج ١ ص ٣٠٨و٣١٣و٣١٥
(٤و٥) تاريخ سورية لجرجي يني ص ١٢٧
(٦) مجلة الحوليات السورية المجلد الثاني لسنة ١٩٥٢ والمجلد الثالث لسنة ١٩٥٣ وهذا الاخير يذكر ان حمورابي اخر ملوك اوغاريت وقد فسر فيليب حتي في كتابه تاريخ سورية وفلسطين ولبنان ص ١٢٣ اسم نقماد بنقمة ادد . وادد من الهة بلاد الشام الرئيسيين
(٧) المجلد الاول الجزء الاول تاريخ سورية للدبس ص ٣٠٦ - ٣١٨

١ — ماتن بعل وكان معاصراً لسلمناصر الثالث ملك آشور « ٨٦٠—٨٢٥ »
٢ — ماتن بعل ثاني » » لتغلات بلاحر الثالث « ٧٤٥ - ٧٢٧ »
٣ — عبد بينيت » » لسنحاريب « ٧٠٥—٦٨١ »
٤ — ماتن بعل ثالث » » لاسرحدون « ٦٨٠—٦٦٧ »
٥ — يكين ايلو » » لاشور بانيال « ٦٦٧—٦٢٧ »
٦ — جيروستراوش (١) وكان في ظرف زحف الاسكندر المكدوني

واللمحة العربية القديمة بادية ايضاً على اسماء ملوك اوغاريت وارواد عدا الاخير الذي جاء في صيغة يونانية . والمرجح ان هذه الصيغة جاءت بسبب النقل عن المدونات اليونانية القديمة .

وقد عرف من ملوك بيروت ملك اسمه ابي بعل الذي يقول الدبس (٢) انه هو الذي قدم اليه المؤرخ البيروتي سنكوناتون كتابه اليه وان عصره قريب من عصر موسى « اي بين القرن الثالث عشر والثاني عشر »

— ٤ —

وواضح ان اقدم من ذكر من ملوك الممالك الفينيقية لا يرقى عهده الى اكثر من القرن التاسع عشر قبل الميلاد فضلا عن مافي القوائم من ثغرات كثيرة وواسعة . فهناك مدن فينيقية مهمة اخرى كانت تبرز في سياق الاحداث مثل عكا « عكو » وصربتا « صرفند » والبترون وسميره « شميرون » وعرقا ، والراجح انها كانت ممالك على رأسها ملوك كباقي المدن المهمة فلم تذكر المراجع اسماء احد من ملوكها ، ومعظم ملوك المدن المذكورين هم من ملوك القرن العاشر وما بعده . ولم يذكر مثلا من اسماء ملوك صور بين سنة ٥٣١ و ٣٣٣ غير اسم واحد حيث يدل ذلك على سعة الثغرات .

والى هذا فان الكتب التي كتبت في تاريخ بلاد الشام او تاريخ لبنان وسورية لم تكد تذكر شيئاً ذا بال وغناء من تاريخ فينيقية والفينيقيين يرقى الى ما قبل القرن التاسع عشر قبل الميلاد . فقد خصّ المطران الدبس الكنعانيين الفينيقيين في الجزء الاول من كتابه تاريخ سورية (٢) الذي يستند فيما يورده فيه الى نقوش ومدونات قديمة بمقالة مسهبة فلم

(١) تاريخ سورية جرجي يني ص ١٢٧ (٢) المجلد الاول الجزء الاول ص ٣٥٨ - ٣٥٩
(٣) طبع سنة ١٨٩٣

يورد فيه شيئاً فيه تفصيل محدد عن نشاط سياسي وغير سياسي للفينيقيين يرقى الى ما قبل القرن السابع عشر . ومثل هذا يقال بالنسبة لتاريخ سورية الذي الفه جرجي يني(١) والذي اشتمل على تاريخ لبنان وسورية معاً ، وكتاب لبنان الذي الفه نخبة من ادباء لبنان (٢) وكتاب تاريخ سورية ولبنان وفلسطين الذي الفه فيليب حتي ونقله الى العربية جورج حداد ورفيقه وهو من الكتب الحديثة جداً (٣) ، وذلك باستثناء بعض نتف مستندة الى اثار مصرية احتوت اشارات الى نشاط سياسي واقتصادي وعمراني عابرة في سياق ذكر ما كان لملوك مصر القدماء من طموح وغزوات . وتنقيبات اوغاريت الهامة جداً في بابها والتي بدأت سنة ١٩٢٩ وما تزال مستمرة الى الآن موسماً بعد موسم « ونحن في سنة ١٩٦٠ » لم يعرف بها الا شيء محدود مما يعود الى ما قبل القرن السابع عشر قبل الميلاد على ما سوف نذكره بعد .

(١) طبع سنة ١٨٨١ (٢) طبع سنة ١٩١٤ (٣) طبع سنة ١٩٥٨

صور ومظاهر قديمة لنشاط الكنعانيين

قبل القرن السابع عشر

-٣-

ومع ذلك فان هذا لا يعني بطبيعة الحال ان الفينيقيين ظلوا الى القرن التاسع عشر قبل الميلاد يعيشون غيشة قبلية ومنعزلة ، وكل ما يعنيه انهم اما انهم لم يدونوا مآثرهم على الاحجار والورق والمعادن كما فعلت الارومات العربية الجنس في مصر والعراق بل وفي اليمن واما انه لم تجر تنقيبات كافية تكشف عن آثارهم التي قد يكونون دونوا عليها شيئاً من تاريخهم واما أن يكون مادونوه قد تحطم واندثر .

ولقد قلنا ان الآثار المصرية احتوت اشارات الى نشاط سياسي وغير سياسي للفينيقيين قبل القرن التاسع عشر . مما فيه الدلالة على ما ذكرناه . وهـذه الاشارات وردت في كتب التدريخ المصري القديم كما ورد بعضها في كتب تاريخ لبنان أيضاً .

فمن ذلك ما ذكره بريستيد في كتابه تاريخ مصر من أقـدم العصور (١) في سياق سيرة الاسرة الخامسة التى حكمت حسب استنباط هذا المؤرخ بين ٢٧٥٠ – ٢٦٢٥ ق م ان سحورع احد ملوك هذه الاسرة انشأ اسطولين بحريين كان احدهما يمخر في البحر الاحمر وثانيهما في البحر الابيض المتوسط وانه عثر عـلى لوح في هرمه عليه رسوم سفن عظيمة مشحونة بالاسرى الفينيقيين وحولهم بحارة مصريون تعتبر اقدم رسوم بحرية وجدت للان واقدم صور لسكان سورية الساميين حيث يدل هذا على ان سواحل سورية كانت مأهولة بجماعات من الجنس العربي الذين يسميهم المؤرخون الافرنج ساميين في الظروف التي يخمن فيها طروء الكنعانيين على هذه السواحل حيث يمكن ان ينطوي في ذلـك تأييد لطروء الكنعانيين واستقرارهم فيها .

ولقد ذكر هذا المؤرخ المصري الاثري الكبير سليم حسن في كتابه العظيم مصر القديمة ايضاً . (٢) وقد ذكر هذا المؤرخ بالاضافة الى ذلك في سياق سيرة الملك وناس آخر ملوك هذه الاسرة (٣) الخامسة انه عثر على صور مراكب منقوشة على جدران معبد هذا الملك

---

(١) ص ٨٠-٨٤ (٢) ج١ ص ٣٣٦ (٣) نفس الجزء ص ٣٠٤

الجنائزي اعظم حجما من السفن النيلية وفيها قوم اسيويون شبه اسرى . وعلق المؤلف على ذلك قائلا ان هذه المراكب آتية بلا شك من بلاد سورية مما يدل على العلاقة بين البلدين في هذا العصر بل وسيطرت مصر عليها بعض الشيء ، حيث ينطوي في هـذا اثر نشاط فينيقي كنعاني ملاحي منذ ذلك العهد السحيق في القدم . ومن المحتمل ان يكون جماعة من الملاحين الفينيقيين اغاروا بحرأ على مصر وقـاموا بنشاط ما ضد مصر اوجبت تسيير سحورع حملة بحرية عليهم اشتبكت معهم وتغلبت عليهم واسرت جماعـة منهم وفرضت سلطان مصر بشكل ما على بلادهم . وقد يكون سحورع هو المهـاجم لبسط سيطرته على بلادهم لما علمه من ثروة بلادهم فتصدوا لصدّه فأخفقوا وغلبوا . وقد ذكر بريستيد (١) ان اساطيل مصر في البحر الابيض كانت تمخر بين مصر وسواحل بلاد الشام في عهد بيبي الاول ثم بيبي الثاني من ملوك الاسرة السادسة التي يخمن حكمها بين ٢٦٢٥ — ٢٤٧٥ ق م او قبل ذلك وتنقل خيرات السواحل ولا سيما خشب الارز من غابات لبنان ، حيث يؤيد هذا خبر فرض سحورع سلطانه على هذه السواحل وما كان فيها من خيرات ومما ينطوي فيه امارات نشاط هذه البلاد الاقتصادي .

وقد ذكر سليم حسن (٢) في سياق سيرة بيبي الاول المذكور آنفاً ان هذا الملك سيّر حملة قمعت اضطراباً نشأ في منطقة سميت او وصفت في الآثار بأنف الغزال فسرهـا المؤلف بمنطقة الكرمل في جنوب فينيقية ، وان هذا الاضطراب نجم عـن زحف سامي من الشمال نحو مصر كما ذكر في سياق سيرة بيبي الثاني (٣) ان الزاحفين نجحوا في التسرب إلى مصر في عهد هذا الملك مما قد ينطوي فيه صورة لنشاط كنعاني فينيقي أيضاً . وقد ذكر هذا المؤلف (٤) ايضاً في سياق سيرة الاسرتين السابعة والثامنة اللتين يخمن حكمها بين القرن الخامس والعشرين والثالث والعشرين قبل الميلاد أو ما قبل ذلك ان الاسيويين انقضوا على مصر وغزوها في عهد هاتين الاسرتين ونجحوا في التسرب اليها . والخاضعون لمصر في هذا العهد كانوا اهل سيناء وفلسطين وفينيقية القدماء الذين كان المصريون القدماء يطلقون عليهم اسم الاسيويين احيانا واسم الرتنو والمنتو احياناً واسم الزاهي احيانا (٤)

---

(١) الكتاب المذكور قبل صفحة ٨٥-٩٥ (٢) مصر القديمة ج ١ صفحة ٣٦٥ - ٣٧٦

(٣) نفس الجزء صفحة ٣٩٨-٤٠٦ (٤) ايضاًصفحة ٤٠٦-٤١٤ (٥) ايضاً صفحة ٤١٨ —٤٤٨ وج٢ صفحة ٣٣ - ١٠٤

حيث ينطوي في هذا الخبر صورة من نشاط الكنعانيين الفينيقيين وتمكنهم من التفلت من سلطان مصر بل وتسربهم اليها . وقد تكرر ذلك منهم في عهد الاسرتين التاسعة والعاشرة (٢١٠٠-٢٣٠٠ ق م) ثم في عهد الاسرة الحادية عشرة (٢١٥٠-٢٠٠٠) على ما ذكره المؤلف نفسه ايضاً [١] ولقد استمرت الصلات السياسية والتجارية والحركات الحربية بين بلاد الشام بما فيها فلسطين وفينيقية وبين الاسرة الثانية عشرة ايضاً التي كان حكمها حوالي (١٨٠٠–٢٠٠٠ ق م) على ما تفيده سيرة ملوكها. وقد ذكر سليم حسن من صور ذلك[٢] ان امنمحات الاول اول ملوكها حارب الاسيويين وان احد رجال بلاطه المسمى سنو حيث كان يلقب بمدير ضياع الملك في بلاد الاسيويين وانه عثر في جبيل على نقوش ترجع الى عهد امنمحات الثاني [٣] عليها اسم شخص مصري اسمه حاتي ولقبه الامير الوراثي كما عثر في طود – في مصر – في اساس معبد يرجع إلى عهد هذا الملك كنز يشتمل على اربعة صناديق من البرنز كتب عليها اسم هذا الملك مملوءة بأوان من الذهب والفضة يربو عددها على مئتين مع سبائك ذهبية وفضية وكمية عظيمة من الخرز والاسطوانات البابلية والتعاويذ المصنوعة من اللازورد وكمية من قطع لازوردية غفل ، وان من المحتمل جداً ان تكون هذه التحف قد اتت إلى مصر من امير جبيل كجزية او هدية سواء أكان هذا الامير من أهل البلاد أم أميراً مصرياً حاكما من قبل هذا الفرعون أو قبله ، وان ظواهر الأحوال تدل على كل حال على أن علاقة مصر بفينيقية وخاصة بجبيل « التي ذكرتها آثار مصر بلفظ بيبلو » كانت في عهد ملوك هذه الاسرة على احسن ما يكون من الود والصفاء ، حيث ينطوي في هذا صورة لعلاقات سياسية وغير سياسية بين مصر وفينيقية منذ ذلك العهد كما ينطوي فيها صورة لما كان عليه الفينيقيون من مهارة فنية وثروة ونشاط اقتصادي وسياسي . وقد ذكر هذا المؤلف ايضاً [٤] في سياق سيرة سنوسرت الثالث من ملوك الاسرة نفسها انه عثر على لوحة لموظف اسمه سبك من موظفي هذا الملك ذكر فيها خبر سفر الملك الى الشمال ليهزم المنتو الاسيويين وانه غلبهم واسر بعضهم حيث يحتمل ان يكون أهل فلسطين وفينيقية الذين كانوا خاضعين لسلطان الاسرة تمردوا وانتفضوا فسار

«١» مصر القديمة ج ١ صفحة ١٤٥ و١٥٢ و٤٢٢ و١٥١ مثلا
«٢» مصر القديمة ج ٣ صفحة ١٩٦ – ٢٠٣
«٣» صفحة ٢٤٦ – ٢٦٤
«٤» ج ٣ صفحة ٢٧٨–٣٠١

اليهم هذا الملك واخضعهم ثانية مما فيه كذلك صورة من نشاط الفينيقيين السياسي . ولقد ذكر بريستيد خبر هذه الغزوة لهذا الملك الذي يسميه سيزوستريس الثالث ثم قال ان التجارة نشطت بين مصر وهذه البلاد بعد هذه الغزوة وانه وجد على جدران مقبرة بني حسن وهي من آثار عهد هذه الاسرة صورة لسبعة وثلاثين رجلا من اهل الشام أتوا إلى مصر للتجارة مع الامير خنوم صاحب المقبرة ومعهم الروائح العطرية التي كان المصريون يكثرون من استعمالها وكانوا يلبسون المنسوجات الصوفية المزخرفة وينتعلون النعال ويحملون بأيديهم عصياً ثمينة ، وان الاشغال التجارية التي كانت تجري بين مصر وبلاد الشام في هذا العهد تدل على ان اهل هذه البلاد كانوا على جانب عظيم من المدنية والحضارة والبراعة وان قوافلهم كانت تأتي الى مصر عن طريق الكرمل وفلسطين . والجملة الاخيرة خاصة تدل على ان المقصودين هم بالذكر سكان فينيقية والسياق يدل على بناء ذلك على ما كان من تقدم الفينيقيين في مجال الحضارة قبل هذا الظرف وعلى ما كانوا عليه من نشاط تجاري أيضاً .

ولقد ذكر فيليب حتي [1] ان سنوسرت الاول احد ملوك الاسرة الثانية عشرة « ١٩٧١–١٩٢٨) ارسل هدايا الى امراء اوغاريت وان امنمحت من ملوك الاسرة نفسها ارسل تمثالاً لأبي الهول الى هذه المدينة فوضع في مدخل معبد البعل فيها حيث ينطوي في هذا اشارة الى نشاط مملكة اوغاريت وعلاقتها بمصر في ذلك العهد. وفي هذا الكتاب [2] اشارة الى قصة كاتب مصري في بلاط الملك سنوسرت المذكور اسمه سنوحي فر من سيده الى سورية واقام بها زمناً . وقد ذكر من قصته انه ذهب إلى جبيل ومنها الى سهل البقاع حيث استقر ونال حظوة في عين شيخها حتى زوجه ابنته ووهبه أرضاً استغلها وزرع فيها كروم التين والعنب والزيتون والاشجار المثمرة الاخرى فضلا عن القمح والشعير وتربية النحل والماشية ، فكان عسلها وزيتها غزيراً وخمرها أكثر من الماء ومواشيها لا عد لها مما ينطوي فيه دلائل على ما كان اهل هذه البلاد عليه من نشاط وتقدم زراعي وعمراني .وقد ذكر سليم حسن قصة هذا الكتاب بإسهاب نقلا عن مدونة سجل فيها رحلته . وسليم حسن يسميه سنوهيت ، ومدونة سنوهيت تسمى اسم الشيخ عموننشي حيث تلمح عليه لمحة العروبة القديمة [3] .

---

(١) تاريخ سورية وفلسطين ولبنان ج ١ ص ١٣٨ ترجمة حداد
(٢) ص ١٣٨ ايضاً
(٣) مصر القديمة ج ٤ ص ٢٣٣ــ٢٤٣

ولحركة الهكسوس في مصر التي بدأت في عهد هذه الاسرة « في القرن التاسع عشر » واستمرت الى القرن السادس عشر صلة وثيقة بفينيقية وبلاد الشام عامة حيث يتفق معظم الباحثين على ان العنصر الغالب فيهم من العنصر السامي الذي كان يقطن في بلاد الشام من كنعانيين ـ فينيقيين وآراميين وخابيرو ـ عبرانيين ـ الخ وانهم بدأوا يتسربون إلى مصر جماعة بعد جماعة ويستقرون في مصر السفلى « الدلتا » حتى إذا كثروا وآنسوا في أنفسهم القوة فرضوا حكمهم على مصر السفلى ثم الوسطى ثم العليا نحو ١٥٠ سنة وانهم كانوا على حظ غير يسير من الحضارة والثقافة والنشاط وكانوا اصحاب حكم وسلطان على بلاد الشام بما فيها فينيقية وفلسطين على ما عرف من آثارهم فيها وان الصلات التجارية وغير التجارية بين مصر وهذه البلاد قد نشطت وتوثقت في عهدهم كثيراً مما ينطوي فيه دلالة قوية على ما كان عليه سكان هذه البلاد من نشاط وتقدم وحضارة وطموح في هذه الحقبة [1] .

ولقد قام صيال ونضال بين حكام الهكسوس [2] وحكام الوجه القبلي الذي كان مركزه طيبه في عهد الاسرة السابعة عشرة انتهى بتغلب الاخيرين على الأولين وتقويض حكم الهكسوس في سنة ١٥٨٠ ق م ومن ثم اهتم ملوك الاسرة الثامنة عشرة لتوطيد سلطانهم على بلاد الشام بما فيها فينيقية وظل ذلك سياسة مرسومة لملوك الاسر التي جاءت بعد هذه الاسرة فدخلت الصلات بين مصر وبلاد الشام بما فيها فينيقية في عهد جديد عرف من تاريخه الشيء الكثير على ما سوف نشرحه بعد .

صور ومظاهر نشاط الكنعانيين

بعد القرن السابع عشر وعهد سيادة صيدا

ـ ٦ ـ

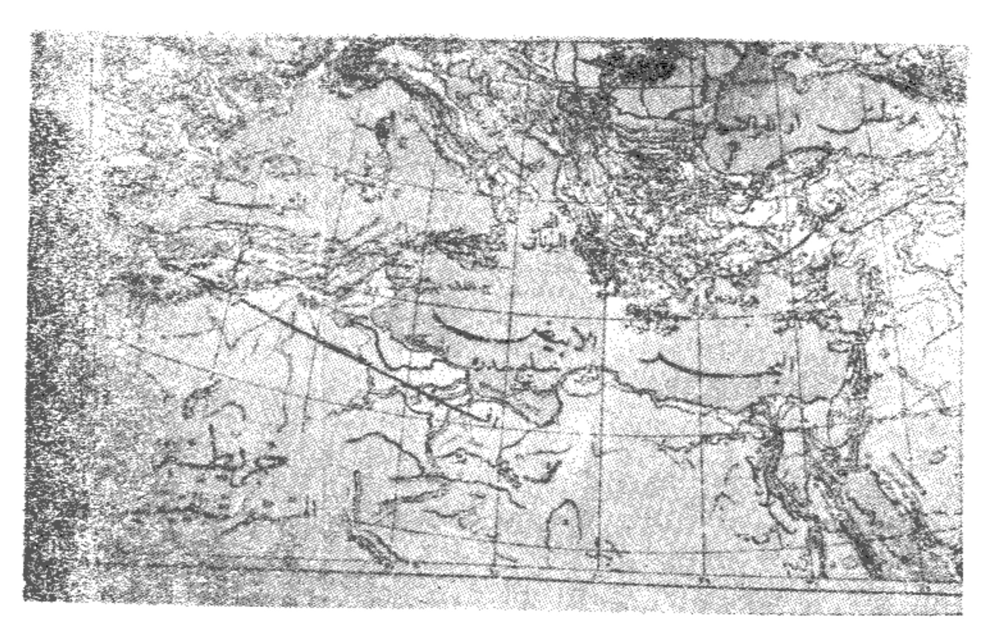
وما تقدم هو بسبيل الاشارة الى ما كان من نشاط الكنعانيين الفينيقيين موضوع

---

(١) ارجع في صدد الهكسوس الى ما فصلناه عنهم في الجزء الثاني من تاريخ الجنس العربي والى كتاب فيليب حتي ص ١٥٧ ــ ١٦١ وكتاب مصر القديمة ج ٤ ص ٥٤ ــ ١٩٨ وتاريخ مصر من اقدم العصور لبريستيد ص ١٣٩ وما بعدها

(٢) اسم الهكسوس ليس اسم قبيل او شعب فهو تعبير مصري قيل ان معناه ملوك البدو او ملوك البلاد الاجنبية وقد رجح سليم حسن مؤلف كتاب مصر القديمة المعنى الاخير نتيجة لدراساته الاثرية . (انظر الجزء الرابع من هذا الكتاب صفحة ٦٠ ــ ٦١

الفصل قبل القرن السابع عشر وان لم يكن فيه اعلام واحداث معينة . اما بعد القرن السابع عشر فقد عرف شيء كثير من تاريخهم السياسي والحضاري برغم ما في ذلك من حلقات مفقودة وثغرات واسعة .



فمما عرف [١] ان مملكة صيدا كانت متفوقة على ممالك فينيقية ولها عليها بعض السيادة والنفوذ في الحقبة السابقة للقرن الثاني عشر ، وكانت كلمة « الصيدونيين » تطلق على جميع سكان فينيقية [٢] ، وكانت صيدا توصف بالكبيرة وبأم المدائن ، وكان ملوكها يوصفون « بملك الملوك » مما فيه دلالة على ذلك .

ولقد كان ضيق رقعة فينيقية وقلة قابليتها الزراعية من جهة وقيامها على شواطىء البحر الابيض من جهة مما جعلها تتجه نحو الملاحة والتجارة والاستعمار منذ عهد مبكر ، وساعدها على ذلك احراش جبالها التي كان فيها اشجار عظيمة ومتينة ، وقد قادت صيدا في عهدها المتفوق هذا الاتجاه بقوة ونجاح ، فأنشأ الفينيقيون الذين كانوا ينعتون

---

(١) هذه النبذة مقتبسة من الجزء الاول المجلد الاول من تاريخ سورية للدبس صفحة ٢٦٩—٢٨٢ وتاريخ سورية جرجي يني صفحة ١٣ – ٢٤ و ٤٧٩–٤٨٩ وكتاب لبنان صفحة ١١٤، ١١٦ و ٢٢٩–٢٣٠ وتاريخ سورية ولبنان وفلسطين لفيليب حتى صفحة ٨٥– ٣٦ ج ١ ترجمة جورج حداد

بالصيدونيين في هذا العهد السفن وخاضوا غمار البحار وأقاموا المستعمرات في جزر البحر الأبيض حتى انهم عدوا رواد البحار الاولين . وقد استحوذوا على جزيرة قبرص في عهد ملكهم بالوس بعل الذي يظن ان حكمه كان في القرن السابع عشر واستغلوا مناجم الحديد والنحاس الغنية فيها ، ثم استحوذوا على رودس فاستعمروها ثم استعمروا كريت وغيرها من جزر الارخبيل اليوناني حيث اكتشفت لهم فيها آثار كثيرة . ومما يروى عنهم انهم عبروا مضيق الدردنيل ثم مضيق البوسفور ووصلوا إلى أقصى شواطىء البحر الاسود الشرقية وكانوا يجلبون منها الذهب والقصدير اللذين كانا يستخرجان من جبال القفقاس .

ولقد ذكر هوميروس الشاعر اليوناني صيدون والصيدونيين في الياذته ونوه بما كانت عليه قديماً من براعة ملاحيه وانتشار استعماري وتجاري وحذق صناعي وبأس وقوة . ومما قاله ان الملاحين الصيدونيين كانوا يقومون بحركات عدوانية ضد التروادين وان صناعتهم كانت رائجة مشهورة في بلاد اليونان حتى ان أخيل اجاز اللاعبين بقدح من الفضة صنعه رجل من حذاق صيدون واما الرداء الذي قدمه هيكوبا الى منيرفا كفارة عن ذنوبه كان من صنع امرأة صيدونية .

وقد نوه استرابون كذلك بالصيدونيين القدماء وقال انهم كانوا متقدمين في الفلك والهندسة والفلسفة ومسالك البحار .

ولقد أثار نشاط الصيدونيين غيرة البلاسج وهم سكان بلاد اليونان والجزر اليونانية . فأنشأوا في القرن الخامس عشر قبل الميلاد السفن وصاروا يزاحمونهم في البحر الأبيض ويتحالفون ضدهم مع سكان سواحل ايطالية وجزر صقلية وسردينية ويحرضونهم عليهم ويطاردون سفنهم مما جعل الصيدونيين ينكمشون عن مراكزهم ومستعمراتهم في الجزر ويتخلون عنها واحدة بعد اخرى حيث ينطوي في ذلك دلالة على ما ألم بهم من ضعف وتقهقر غامض الاسباب .

ولقد كانت حركة البلاسج ونشاطهم وتأليبهم العناصر البحرية في الجزر والسواحل الاوروبية الجنوبية بدء حركة واسعة كان من مظاهرها زحف كثير من هذه العناصر نحو مصر من ناحية آسية الصغرى فبلاد الشام ففلسطين من جهة ومن ناحية ليبية عن طريق البحر من ناحية اخرى في زمن الاسرتين التاسعة عشرة « ١٣٤٠- ١٢٠٥ » والعشرين

« ۱۲۰۰ – ۱۰۹۰» على ما شرحناه في الجزء الثاني [١] المختص بتاريخ الموجات العربية في وادي النيل . كذلك كان من مظاهرها وامتداداتها ونتائجها طروء الجماعات التي سماها بريستيد المؤرخ باسم بلست وسماها احمد كمال المؤرخ باسم فلسط والتي يمكن ان يكون اسمها محرفاً عن هؤلاء البلاسج والتي سميت فلسطين باسم مقتبس من هذا الاسم على جنوب فلسطين واستقرارهم فيه وانشائهم الممالك العديدة مثل غزة وعسبلون (عسقلان) واشدود (اسدود) وجت وعقرون ورافاح وحانون التي لعبت دوراً طويلا على مسرح فلسطين منذ القرن الثاني عشر الى القرن الثالث قبل الميلاد. ولم يكادوا يستقرون في جنوب فلسطين حتى أنشأوا اسطولا قوياً وفكروا في استئناف المصاولة مع صيدا . وقد هاجموها فعلا في أواسط القرن الثاني عشر وتمكنوا من الاستيلاء عليها ونهبوها ثم دمروها فكان ذلك قاضياً على سؤدد هذه المدينة وتفوقها وان كانت عمرت بعد وقام فيهـا مملكة في القرن الثامن وما بعده .ومعظم اسماء قائمة ملوك صيدا هم من الذين حكموا في عهدها الثاني. وقد كانت احدى الدول الثلاث الفينيقية المتحدة في القرن الخامس التي اتخذت موقع طرابلس (الشام) مركزاً لممثليها الاتحاديين وهي صيدا وصور وأرواد . ومما ذكرته المدونات القديمة من تاريخ صيدا في هذه الحقبة الثانية انه كان بينها وبين اثينا في القرن الرابع قبل الميلاد صلات حسنة ونشاط تجاري متبادل وانه انعقد بينهما في عهد ستراتو ملك صيدا معاهدة تنص على اعفاء الصيدونيين من الضرائب التي كان يدفعها الاثينيون وحلفاؤهم للحكومة الاثينية . وهناك امور اخرى من تاريخهـا مع المصريين والعراقيين سوف ترد في نبذة خاصة .

مملكة اوغاريت

-٧-

ونريد أن نستدرك نقطة وهي أنه ليس هناك ما يدل على أن مملكة أوغاريت كانت مندمجة في سيادة صيدا أو منسجمة معها . ويستفاد من الوثائق التي عثر عليها فيها انهـا كانت تحتفظ بشخصية خاصة مستقلة وتقيم صلاتها مع الدول الاخرى على هذا لاساس . وكانت موضوع تنافس بين المصريين والحثيين منذ انبرى هؤلاء لمنافسة مصر والتحريض

---

(١) تاريخ الجنس العربي ج ٢ صفحة ١٧٢ -١٧٣ و ١٩١-١٩٥

على سلطانها في زمن الأسرة الثامنة عشرة (١٥٨٠–١٣٤٠) ق م وكانت تبذل جهدها لحفظ التوازن بينها وعدم التعرض للاحتلال من احداهما ومدافعتها حين استعلاء احداهما على الأخرى بالجزية مع جنوح الى مصر ورغبة في التواثق والانسجام معها اكثر [١] . وقد عثر فيها على آثار تحمل رموز تحتمس الثالث وامنحوتب الثالث واخناطون وحور محب من ملوك هذه الاسرة ورعمسيس من ملوك الاسرة التاسعة عشرة (١٣٤٠–١٢٠٠). وعلى مشهد يمكن ان يدل على حفلة زواج ملك اوغاريتي بأميرة مصرية . وكان ملوك اوغاريت يحتذون حذو ملوك مصر في العادات والاثاث دون ملوك الحثيين مما ينطوي فيه الرغبة في الانسجام مع مصر أكثر .

وكانت اوغاريت لأجل تحقيق سلامتها من الاحتلال والعدوان تعنى بأمر الدفاع عناية عظمى . وقد أنشأت حصناً عظيما متصلا بالقصر الملكي سوراً بسور قطره ستة عشر متراً وله برج مربع تفوق أبعاده الحصون العسكرية التي عرفها الألف الثاني قبل الميلاد . وقد استطاعت ان تصد غارات وتحرز انتصارات عديدة بفضل ذلك على ما عرف من الالواح التذكارية العاجية التي عثر عليها .

ومما عرف من الألواح انه كان في زمن الملك نقمادو أواخر القرن الرابع عشر أو أوائل القرن الثالث عشر — مملكتان واحدة اسمها نخاصه على رأسها ملك اسمه ادادنيراري واخرى اسمها موكيص على رأسها ملك اسمه اتياردو كانا على خلاف وعداء مع شوبوليوما ملك الآلاخ الحثي . فحاولا اغراء نقمادو بالانضمام اليهما ضده فسارع الملك الحثي إلى تحذيره وتذكيره بالصداقة القائمة بين الطرفين منذ الاسلاف ووعده بنجدته إذا ما اعتدى الملكان عليه واختصاصه بما يغنمه منهما فاستمع نقمادو وابى الانحياز الى ملكي موكيص ونخاصه فاحنقهما وجعلهما بالتحالف مع نيمي ملك مملكة واجيستوب يهاجمون أوغاريت وينهبون نقمادو ويهدمون أوغاريت . وحينئذ ارسل نقمادو رسالة الى الملك الحثي يستنجد به فسارع الى ارسال ابنائه وكبار رجاله على رأس نجدة من الجنود والعربات وتمكنت

---

(١) ان الكاتب الاثري الذي نستقي منه هذا الفصل في سياق بحثه عن موسم تنقيبات اوغاريت لسنة ١٩٥٣ يقول ان اوغاريت استطاعت ان تنجو من الاحتلال المصري والحثي نتيجة لسياستها التي سارت عليها . هذا في حين ان مؤلف كتاب مصر القديمة يذكر ان امنحوتب الثاني من ملوك الاسرة زحف على اوغاريت وجعل عاليها سافلها لانها طردت الحامية المصرية . انظر مصر القديمة ج ٤ صفحة ٦٧٢–٧٠٥ وانظر المجلد الثالث لسنة ١٩٥٣ من مجلة الحوليات الاثرية السورية صفحة ١٣٣–١٤٠

من ضرب المعتدين واسترداد المنهوبات . وقد ذهب نقمادو الى الالاخ ليشكر الملك الحثي ويقدم اليه ولاءه .

ومع ذلك فان اوغاريت عادت الى تحالفها التقليدي مع مصر بعد ان خف ضغط الحثيين عليها نتيجة المعاهدة التي انعقدت بينهم وبين رعمسيس الثاني . ولقد استنجد بها الحيثيون حينما ارادوا ان يسيروا حملة لقتال الأشوريين في أواسط القرن الثالث عشر فلم تنجدهم فاحنقهم عليها وارغموا ملكها توتاليا الرابع على دفع غرامة ثقيلة . وكان هذا في ظرف ارتبكت فيه احوال مصر بعد رعمسيس الثاني فلم تستطع ان تنجدها . ويظهر ان أوغاريت لم تلبث طويلا بعد هذا الحادث حتى وقع عليها ما دمرها تدميراً كان فيه نهاية مملكتها وكان هذا في الظرف الذي هوجمت فيه صيدا من قبل الفلسطينيين ودمرت على ما يخمن اي حوالي ١٢٠٠ ق م

عهد سيادة صور وتطورها

- ٨ -

ولقد غدت صور بعد تدمير صيدا موئلا وملجأ للصيدونيين حيث نزح هؤلاء اليها والتقوا مع الصوريين حول هيكل ملكرت الذي كان مركز الامة الديني . وكانت صور قبل ذلك ثانوية وغامضة التاريخ . وهي قسمان او مدينتان واحدة برية واخرى على جزيرة اوصلت في زمن احد ملوكها بالبربلسان ؛ فاخذت منذئذ تزدهر وتعظم حتى خلفت صيدا في السيادة والتفوق السياسي والنشاط الملاحي والاستعماري والتجاري ، وصارت عاصمة الفينيقيين السياسية والدينية . وقد استمر عهدها القوي الزاهر الى القرن الثامن قبل الميلاد واستمر مركزها المتفوق قائماً الى القرن السابع ايضاً .

ومما عرف من تاريخها السياسي في عهدها القوي ان ملوكها كانوا على صلات ودية مع اليهود في عهد الملك داود وخلفائه . فحينما استطاع هذا ان يوطد ملكه على القسم الاكبر من فلسطين كانت صور في عهدها القوي فجنح الى مسالمتها وعقد مع ملكها حيرام الاول معاهدة صداقة وتحالف . وقد قال الدبس الذي نقتبس من كتابه في الدرجة الاولى هذه النبذة [1] انه لجأ الى ذلك بسبب نمو قوة الآراميين في سورية الشمالية وامتدادهم الى شرق الاردن واعتزامه على التصاول معهم ؛ وكانت صلات اليهود بالفينيقيين في

---

(١) تاريخ سورية المجلد الاول . الجزء الاول ص ٢٨٠ وما بعدها.

زعامة صيدا غير ودية وان كان لم يقع بينهم حرب [1] .

وقد استعان داود بحيرام على انشاء قصره الذي بناه في اورشليم على هضبة صهيون وسمي ببيت داود فأرسل اليه مهندسين ونجارين ونحاتين ماهرين وأذن له بقطع الخشب من ارز لبنان .

ولما مات حيرام وخلفه ابنه ابي بعل ظلت اواصر المودة والعهد مستمرة بينه وبين داود . وظلت كذلك بين حيرام الثاني الذي خلف ابي بعل وبين داود ، ولما مات داود ارسل حيرام الثاني وفداً الى سليمان خليفته يهنئه ويجدد صلات المودة والتعاهد معه ورحب هذا بذلك ؛ ثم طلب منه ان يعينه على بناء معبد الرب بالخشب والقيمنين فقطع له كمية كبيرة من خشب الارز والسرو وارسلها اطوافاً في البحر الى شاطىء فلسطين وارسل اليه مهندساً اسمه حيرام مع عدد من مهرة النحاتين والبنائين والنجارين كما أرسل اليه مئة وعشرين وزنة من الذهب لتزيين المعبد فسر سليمان من ذلك كثيراً واقطعه عشرين مدينة من ارض الجليل . غير ان هذه المدن لم ترق لحيرام فاستبدلها بعشرين الف كر من البر ومثلها من الزيت سنوياً . وقد استعار سليمان من حيرام كذلك ملاحين لسفنه التي انشأها في عصيون جابر قرب ايلة على شاطىء بحر سوف في ارض ادوم (خليج العقبة) فابحروا عليها الى اوفير مع عبيد سليمان وجلبوا منها كمية من الذهب ، وقد بلغ التوائق والتواد بين الملكين الى ان اصهر سليمان لحيرام فتزوج بابنته ، وكان من تأثيرها ان عبدت عشتروت إلاهة الفينيقيين [2] فعبد في بلاط سليمان [3] والى ان كان الملكان يتبادلان رسائل الود التي حرص الصوريون على الاحتفاظ بها في سجلاتهم ويتطارحان الالغاز وكان سليمان يرصد جوائز لمن يحلها وكان عند حيرام فتى اسمه عبديمون قد برع في حلها على ما ذكره المؤرخ اليهودي يوسيفوس .

وقد اشير الى كثير من هذه المظاهر في سفر صموئيل الثاني (الاصحاح الخامس) وفي سفر الملوك الاول (الاصحاحات الخامس والسابع والتاسع والحادي عشر) .

واستمرت الصلات حسنة بين ملوك صور وملوك دولة اسرائيل التي قامت في وسط فلسطين وشمالها بعد موت سليمان وانقسام مملكته الى دولتين اسرائيل ويهوذا . وكان

---

(١) المصدر السابق ص ٢٨١ .

(٢) الاصحاح الحادي عشر من سفر الملوك الاول يذكر اسم الصيدونيين بدل الفينيقيين حيث يدل على ان طابع صيدا كان قد غلب على الفينيقيين في ايام سؤددها .

(٣) عبارة الاصحاح المذكور هي « فذهب سليمان وراء عشتروت الاهة الصيدونيين .

من مظاهر ذلك ان تزوج احاب بن عمري ملك اسرائيل بايزي بعل بنت ايتو بعل الاول الذي كان حكمه في اواسط القرن التاسع وقد استطاعت هذه الزوجة ان تفرض نفسها على زوجها وتجعله آلة في يدها وتحمله على عبادة بعل وعشتروت الهيها وتنشر عبادتها بين بني اسرائيل مما اشار اليه الاصحاح السادس عشر من سفر الملوك الأول .

ومما كان من احداث صور التاريخية ان ظئر الملك عبد عشتروت واسمه دليل وثب على اخيه في الرضاعة فقتله ونادى بنفسه ملكاً محله في الثلث الاخير من القرن العاشر وان ذلك كان نتيجة لتحريض شيشاق ملك مصر الذي كان يعتزم غزو سورية فمد اصابعه الى المملكة اليهودية بعد وفاة سليمان فشطرها الى دولتين وبسط سلطانه عليها ثم حرض على قتل ملك صور ليقوم على الحكم ملك موال له تيسيراً لنجاح غزوته التي ازمع عليها على ان هذه الحركة اهاجت الشعب وجعلته يتمرد على القاتل حتى تمكن ازاحته من عن العرش تولية عشرتوتي ابن بعل عازار مكانه ؛ ويظهر ان الحالة كانت مضطربة في صور في هذه الحقبة . فقد وثب على عشرتوتي اخ له اسمه فاليبا فقتله وحل محله ؛ ثم وثب على هذا كاهن بعل واسمه ايتو بعل فقتله ونادى بنفسه ملكاً ؛ وكان ذلك نهاية حكم الاسرة الحيرامية وبدء حكم اسرة ايتو بعل الذي تمكن من الاحتفاظ بالحكم وتوريثه لابنائه من بعده وتسلسله فيهم .

ومما جرى في صور كذلك ان ماتان حفيد ايتو بعل هذا قد وصى بالملك من بعده لابنه بيكماليون واخته اليسا التي كانت اكبر منه ؛ غير ان بيكماليون استبد بالحكم وحده وقتل زوج اخته كبير كهنة ملكرت قصاً لجناحها مما اغضبها وجعلها تهم بالثورة ضده ثم عجزت فاستولت على سفن كثيرة مرابطة في الميناء وركبتها هي وجمع كبير من انصارها وغادرت صور الى قبرص ثم الى منطقة تونس التي كانت مستعمرة فينيقية وهناك انشأت لنفسها وانصارها مدينة سمتها « قريتا حديثا » اي المدينة الجديدة وهي مدينة قرطاجنة التي اشتهرت فيما بعد حيث حرف اليونانيون الاسم الى كوشيدون وحرفه الرومانيون الى كرتاجو وعربه العرب فصار قرطاجنة . وكان ذلك في اواسط القرن التاسع قبل الميلاد وقد عرفت اليسا باسم ديدون ايضاً وهو يعني الهاربة .

وقد فعل بيكماليون ما فعل بتعضيد الشعب الذي كان يرتقب فرصة لاضعاف سطوة الاشراف والاشتراك في ادارة الدولة فقام نتيجه لذلك ندوة شورية كان اكثر رجالها من الشعب .

ولقد وقع شيء من هذا القبيل في الثلث الاول من القرن السادس ايضاً حيث نشبت

ثورة شعبية ضد الحكم الملكي فقام نتيجة لذلك حكومة قضاة او جمهورية . غير ان هذه الحركة لم تنجح فعادت الملكية ثانية لاسرة ايتو بعل .

ومما عرف من صلات ممالك فينيقية ببعضها ان سيادة صور وتفوقها لم يكن من شأنها ابتلاع شخصيات هذه الممالك وخاصة الكبرى منها حيث احتفظت بملوكها وحكوماتها ومجالسها وكل ما كان من امر ان تكوّن اتحاد كانت صور زعيمة له ، وكان يتمثل فيه مندوبون للممالك الاخرى ؛ غير ان ارواد ظلت في منأى عن هذا الاتحاد محتفظة باستقلالها التام ، وقد كانت جمة النشاط في المجال التجاري والملاحي والاستعماري حتى انها كانت تباري صور في ذلك . وقد اختصها حزقيال في الخطاب الذي وجهه الى صور (الاصحاح السابع والعشرين بكلام ينم عما كان لرجالها من بأس وقوة وشهرة . وكانت عامرة كثيرة البنيان وفيها بنايات جميلة شاهقة . وفيها آلاف كثيرة من الاعمدة والاطلال الشاهدة على ذلك ؛ وكان لها سور متين مزدوج يحيط بها لا تزال آثاره قائمة الى الآن . ثم قام في القرن الخامس قبل الميلاد اتحاد أو حلف ثلاثي مؤلف من صور وصيدا وأرواد ، واتخذت الممالك الثلاث المتحدة أو المتحالفة موقع مدينة طرابلس الشام مركزاً لاجتماع مجلسها الحلفي المشترك لتوسطه ولكونه ليس داخلا في سلطان أحد من الممالك الثلاث . وقد أنشأ مندوبو كل مملكة في هذا الموقع محلة خاصة بهم فغدا فيه ثلاثة أحياء أو مدن . ومن هنا جاءت تسمية الموقع اليونانية أو الرومانية « تريبولي » التي تطورت إلى كلمة طرابلس .

ولعله لم يبق من الممالك الفينيقية من احتفظ بكيانه نوعاً ما في هذه الحقبة التي كانت فينيقية فيها عرضة للغزوات الخارجية وراضخة لسيادة الغزاة على ما سوف نذكره بعد غير هذه الممالك الثلاث فرأت ان تكوّن فيما بينها حلفاً أو اتحاداً تحفظ به ما بقي لها من ذماء في نطاق السلطان المحلي .

مظاهر النشاط الملاحي والتجاري العظيم للفينيقيين (١)

-٩-

ولقد قلنا ان صور خلفت صيدا في زعامة النشاط الفينيقي الملاحي والاستعماري

(١) هذه النبذة مقتبسة في الدرجة الاولى من الجزء الاول المجلد الاول من تاريخ سورية الدبس صفحة ٢٨٢-٢٩٠ و ٣٣٣-٣٤٢ انظر ايضاً تاريخ سورية ولبنان وفلسطين لحتي ج ١ صفحة ٨٥-١٣٦ تعريب حداد

والتجاري كما خلفتها في الزعامة السياسية وضربت في تلك المجالات بسهم وافر عاد عليها منه أعظم الثمرات .

ولقد كان البلاسج قد استحوذوا على معظم المراكز والمستعمرات الفينيقية الصيدونية في الأرخبيل اليوناني ولم يكن بقي لهم مراكز إلا في جزر ثاره وميلوس وكاميروس وتاسوس ومدينة باليسبوس في رودس ولم يقدر الصوريون على زحزحتهم عما استولوا عليه فرأوا أن يتجهوا بنشاطهم إلى نواح أخرى لا ينافسهم فيها البلاسج ، وكان الفينيقيون قد أنشأوا في عهد صيدا مدينتي هيبونا وكمباه في منطقة تونس فاتجهوا الى هذه المنطقة وأنشأوا في سنة ١١٥٨ ق م مدينة جديدة سموها اوتيك وكان موقعها على شاطىء البحر في الشمال الغربي من موقع قرطاجنة وتمركزوا فيها . ثم أقاموا مراكز فيما يسمى اليوم نوميديا وموريتانيا في سواحل المغرب الاقصى ثم أخذوا ينشطون في غربي البحر الابيض وطرقوا سواحل اسبانيا فأنشأوا فيها بعض المدن وكثيراً من المراكز التجارية الثانوية مثل قادس وملاكا وسكس وابدار ومرتيل وكرتايا مما كان يطلق عليه اسم ترشيش . وقد ظلوا هم المعمرين لهذه الأنحاء أمداً طويلا . وقد بلغ عدد ما أنشأوه من المراكز في هذه السواحل وحدها ثلاثمئة . حتى لقد قال استرابون ان اكثر السكان في هذه المنطقة كانوا في أيامه كنعانيين، وقد ظلت اللغة الفينيقية هي السائدة فيها إلى أيام الحكم الروماني وكانوا يجلبون من اسبانيا الذهب والفضة والرصاص والنحاس والقصدير والعسل والشمع والزفت. وقد أشار حزقيال الى اتجارهم الواسع الرابح مع هذه المنطقة التي سماها ترشيش في خطابه الذي وجهه إلى صور .

ولقد أشار الى ذلك ارسطو الذي قال في احد كتبه ــ وهو من رجال القرن الرابع قبل الميلاد ــ ان الفينيقيين الاولين استبدلوا زيتهم وغيره من البضائع بالفضة حتى لم تسعها سفنهم فصنعوا أدواتهم وآنيتهم حتى قدورسفنهم منها ، وغدا الاتجار مع اسبانية وافريقية من اعظم مشاغلهم . وقد رأوا حاجة الى محطات ومراكز في وسط البحر فاحتلوا مالطة في القرن الثاني عشر واستعمروها مع جزيرة بقربها اسمها كولوس مما يدل عليه ما وجد فيها من آثار فينيقية . وقد قال ديودور الصقلي ان سكان مالطة جالية فينيقية اتخذت مالطة محطة لها وغدت صاحبة ثروة وشهرة . ثم قفزوا إلى صقلية فأنشأوا فيها مراكز ومدناً عديدة مثل ماكار التي تسميه آثارهم رأس ملكارت وبانورم التي تسمى اليوم بالرم.

وكانت مركز عبادة عشتاروت الصورية . ثم استولوا على جزيرة قسورة المعروفة اليوم باسم يباتلريا بين صقلية والساحل الافريقي وجعلوها مستودعاً للذخائر والأدوات اللازمة، للأسفار ، ثم قفزوا الى سردينية وأنشأوا فيها مدينة كرالي لتكون مستودعاً كما أنشأوا مدينة اخرى اسمها نورا . وكان لسكان الجزيرة عناية كبرى بالماشية وكان لصوفها سوق رائجة كما كان فيها معادن نحاس ورصاص فكان للفينيقيين في ذلك مجال تجاري واسع جعلهم يوطدون اقدامهم في الجزيرة شيئاً فشيئاً حتى استحوذوا عليها . وقد كتشفت فيها اطلال وكتابات فينيقية عديدة . ثم طرقوا جزيرة كورسيكا وقفزوا منها إلى سواحل إيطالية الجنوبية وتوسكانا وأخذوا يتوغلون منها في بلاد فرنسة وألمانية حتى وصلوا إلى بحر البلطيق . ولم يكتفوا بالنشاط في البحر الأبيض فقد عبروا مضيق جبل طارق وطرقوا سواحل البحر الاطلاسي الشمالية الشرقية من اسبانيا والبرتغال وبريطانية وسواحله الجنوبية الشرقية من المغرب الاقصى . وهم الذين سموا بريطانية باسمها على ما يقال لأنها كانت غنية بالقصدير الذي تعنيه هذه التسمية ، وقد روينا في الجزء الثاني من الكتاب [1] ما كان من قيام ملاحيهم من طواف حول افريقية بادئين من أول نقطة من الساحل المصري على البحر الاحمر ومجتازين المحيط الهندي فرأس الرجاء الصالح فالمحيط الاطلاسي فمضيق جبل طارق الى أن وصلوا إلى آخر نقطة من الساحل المصري الشرقي على البحر الابيض !

وقد عثر على لوح يعرف بدرج حنون يظهر انه خلاصة كتاب مهم كتب بالفينيقية ولم يبق منه إلا خلاصته موجزة باليونانية ذكر فيها ان الفينيقيين في شمال افريقية ارسلوا شخصاً اسمه حنون بستين سفينة مشحونة بملاحين منهم إلى ما وراء جبل طارق لتحتل الثغور القائمة على سواحل البحر الاطلاسي فذهب واجتاز المضيق واخذ يضع في كل محل جماعة منهم مسمياً المدن والقرى والجزائر التي وصل اليها وما شاهده فيها . وتاريخ الدرج مختلف فيه حيث يخمن البعض انه قبل الف سنة قبل الميلاد والبعض أقل من ذلك .

ولقد كان مضيق جبل طارق قبل ان يسمى بهذا الاسم يسمى بباب هركول ، أو أعمدة هركول . وهركول اسم احد آلهة صور . حيث نصب الملاحون الصوريون على طرفي المضيق عمودين سموهما بعمودي هركول فذهبا علماً على المضيق وظل اسم باب هركول أو أعمدة هركول مستعملا الى أن بدله العرب في دور شخصيتهم الصريحة باسم

---

(١) الجزء الثاني من تاريخ الجنس العربي صفحة ٢٦٦

عربي صريح حينما اجتازوا المضيق إلى اسبانيا بقيادة احد ابطالهم طارق بن زياد فسموا اسمه مضيق جبل طارق . وهكذا سجل الجنس العربي في دور عروبته الصريحة وطبعوا طابعهم على هذا المضيق ليكون دليلا على ما كان لهم عنده من مآثر متنوعة .

وإلى نشاط الفينيقيين الملاحي والتجاري في البحر الأبيض وما وراءه في عهد صور كان نشاطهم التجـــاري في البر عظيما أيضاً ، حيث كانت قوافلهم تصل إلى اليمن وتمر بالمدينة ومكة عن طريق شرق الأردن ومعان ومدين وتصل إلى حضرموت عن طريق تدمر فالعراق الجنوبي فساحل الخليج العربي فساحل المحيط الهندي فتنقل إلى هذه البلاد منسوجات فينيقية وحليها وأوانيها وما تأتي به سفنها من شواطىء البحار الغربية وتأتي منها بسلع جزيرة العرب والحبشة والهند من حجارة ثمينة وعاج وأخشاب زكية الرائحة وطيوب وتوابل وريش نعام وآبنوس الخ الخ ، وكان لهم جوال في عدن وفي جر احدى مرافيء خليج البصرة تقوم بتنظيم المبادلة التجارية وتسيير قوافل التجارة بين هذه البلاد وبين فينيقية ، وكانت لهم قوافل تسير الى العراق الشمالي عن طريق حمص فحماه فحلب فنصيبين ، وقوافل تسير إلى بلاد الكرج وارمينيا والاقاليم الشمالية المجاورة للبحر الاسود وبحر قزوين وقد كانت حركتهم التجارية مع مصر خاصة قوية إلى درجة أن كان لهم أحيـــاء في مدن مصرية عديدة منطبعة بطابعهم ، ولهم فيها هياكلهم ومعابدهم الخاصة ، فكان يعود عليهم من هذا النشاط العظيم ثراء يزيدهم حركة ونشاطاً ورفاهاً .

وفي الاصحاح السابع والعشرين من سفر حزقيال أحد أسفار العهد القديم خطاب موجه إلى صور فيه وصف رائع لحركتها التجارية الواسعة وما نتج عنها مـــن ثروة وعظمة . وصور كانت عاصمة فينيقية وصاحبة التفوق فيها ، وحزقيال من سبي نبوخذ نصر وفي عصر دولة بابل الكلدانية في القرن السابع . وقد رأينا أن ننقل هذا الخطاب برمته لما فيه من قوة وروعة وصف :

« قل لصور أيتها الساكنة عند مداخـــل البحر . تاجرة الشعوب الى جزائر كثيرة يا صور : انت قلت أنا كاملة الجمال . تخومك من قلب البحور . بناؤوك تمموا جمالك . عمل كل ألواحك من سرو سنير . أخذوا أرزاً من لبنان ليصنعوه لك سواري . صنعوا من بلوط باشان مجاذيفك . صنعوا مقاعدك من عاج مطعم بالبقس . كتان مطرز من مصر هو شراعك ليكون لك راية . الاسمانجوني والارجوان مـــن جزائر البشة كانا غطاءك . أهل صيدون وأرواد كانوا ملاحيك . حكماؤك ياصور الذين كانوا فيك هم ربابينك .

شيوخ جبيل وحكماؤها كانوا فيك فلاكون . جميع سفن البحر وملاحوها كانوا فيك ليتاجروا بتجارتك . فارس ولود وفوط كانوا في جيشك رجال حربك . علقوا فيك ترساً وخوذة. هم صيروا بهاءك. بنو أرواد مع جيشك على الأسوار من حولك والابطال كانوا في بروجك . علقوا أتراسهم على أسوارك من حولك . هم تمموا جمالك . ترشيش ١ تاجرتك بكثرة كل غنى بالفضة والحديد والقصدير والرصاص أقاموا أسواقك بياوان وتوبال وماشك هم تجارك ٢ . بنفوس الناس وبآنية النحاس أقاموا تجارتك . ومن بيت توجرته بالخيل والفرسان والبغال أقاموا أسواقك . بنو ددان تجارتك . جزائر كثيرة تجاريدك . ادوا هديتك قرونا من العاج والآبنوس . آرام تاجرتك . بكثرة صنائعك تاجروا في اسواقك بالبهرمان والارجوان والمطرز والبوص والمرجان والياقوت . يهوذا وارض اسرائيل هم تجارك . تاجروا في سوقك بحنطة منيت وحلاوى وعسل وزيت وزفت وبيلسان . دمشق تاجرتك بكثرة صنائعك وكثرة كل غني بخمر حلبون والصوف الأبيض . ودان وياوان قدموا غزلا في اسواقك . حديد مشغول وسليخة وقصب الذريرة كانت سوقك . ودان تاجرتك بطنافس للركوب . العرب كل رؤساء قيدار هم تجاريدك . بالخرفان والكباش والاعتدة في هذه كانوا تجارك . تجار شبأ ٤ ورعمة هم تجارك . يا فخر كل أنواع الطيب . بكل حجر كريم والذهب أقاموا أسواقك . حران وكنه ٥ وعدن وتجار شبأ وآشور وكلده تجارك . هؤلاء تجارك بنفائس اردية اسمانجونية ومطرزة وأصونة مبرم معكوكة بالحبال مصنوعة من الارزين بضائعك . سفن ترشيش قوافلك . تجارتك فاضت وتمجدت جداً . في قلب البحار . ملاحوك قد أتوا بك إلى مياه كثيرة ... »

مما فيه مصداق لذلك النشاط العظيم والصلات التجارية مع مختلف الشعوب والبلاد في المشرق والمغرب والشمال والجنوب والبر والبحر .

وعصر حزقيال عصر كانت فينيقية وفي مقدمتها صور تتعرض فيه لاكتساح الغزاة وتوضخ لسلطانهم بل ان هذا قد بدأ في زمن أقدم بكثير من عصر حزقيال ، على ما سوف

---

(١) كانت هذه التسمية تعني منطقة اسبانيا وبحارها

(٢) هذه البلاد واقعة في الشرق الشمالي من اسية الصغرى

(٣) ددان احدى مدن شمال الحجاز المعروفة بمنطقة العلاء

(٤) شبأ تعني بلاد سبأ في جنوب الجزيرة

(٥) ثغر على ساحل البحر الاحمر .

نشرحه بعد . ومعنى هذا ان نشاط صور وبالتالي نشاط فينيقية الملاحي والتجاري الذي بدأ بزعامة صور منذ القرن الثاني عشر قبل الميلاد ظل مستمراً في عهد قوة صور واستقلالها وبعده .

جمهورية قرطاجنة ونشاطها ونهايتها (١)

-١٠-

وقرطاجنة التي أنشأتها اليسا اخت بيكماليون ملك صور وغدت ذات شهرة عظيمة في التاريخ على ما أشرنا اليه في مناسبة سابقة تتحمل أن تذكر في نبذة خاصة .

ولقد كانت ذات مركز ممتاز من ناحية البر والبحر معاً مما تجاوبت معه طبيعة مؤسسيها الطموحة فلم تلبث أن اتسعت حتى غدت في وقت ما ثلاثة أضعاف روما . وكانت تمتد إلى الداخل مسافة بعيدة وراء المرافيء والأرصفة العظيمة المكتظة بالسفن والبضائع . وكان لها أسواق فسيحة الجوانب فيها كثير من المعامل الصناعية . وكان يقوم وراء بيوت أصحاب الحرف والصناع منازل الاغنياء الفخمة تحف بها الحدائق الغناء .وكان يحدق بالمدينة أسوار ضخمة وحصون عظيمة مما كان يجعل الاستيلاء عليها عنوة متعذراً . وكان وراء المدينة وخارج الاسوار غابات من النخيل وحقول حافلة بمختلف الزراعات .

وقد حافظ سكانها على طابعهم الجنسي وظلت اللغة الكنعانية لغة لهم والمعبودات الكنعانية معبودات لهم وكانت أسماؤهم أسماء كنعانية تبعاً لذلك . وقد وجد في خرائبها أحجار قبور كثيرة مما يعود إلى القرن الرابع وإلى القرن الثاني قبل الميلاد عليها نقوش وأسماء كنعانية فينيقية اللهجة مما فيه الدلالة على ذلك وهذا واحد منها :

« لربة تعنت بن بعل ولادن لبعل حمن اش ندويد ملقرت بن عبد ملقرت بن حملكت كشمع فلا يبرخا »

ولقد ازدهرت وعظمت في القرن السادس قبل الميلاد وبعده وأنشأ أهلها حكومة جمهورية مستقلة، وغدت صاحبة السلطة على المستعمرات والمراكز والمستودعات الفينيقية المنتشرة على سواحل البحر الابيض وجزره ومرجعاً لها حينما توالت الغزوات الخارجية

---

(١) مرجع هذه النبذة الجزء الاول من المجلد الاول من تاريخ سورية للدبس صفحة ٣٠١ والجزء الثالث من التاريخ العام الكبير التركي لاحمد رفيق صفحة ١٤١ وما بعدها والعصور القديمة لبريستيد ترجمة قربان صفحة ٣٦٨ وما بعدها

على فينيقية وأخذت تخضع لسيادة الغزاة وانكمش سلطانها عند حدودها . وكان يقوم على رأس الحكومة القرطاجية رئيسان أو قاضيان يختاران مرة في كل سنة . وإلى جانبهما مجلسان مجلس الأعيان الذي كان يسمى بالسنات ـ اقتباساً من اسم مثله في بلاد اليونان ثم الرومان ـ وكان يتألف من ٢٨ عضواً ويمارس السلطة التنفيذية ، ومجلس الشعب الذي كان يتألف من ١٠٤ أعضاء لمراقبة السلطة التنفيذية ومحاكمة أعضائها إذا ما انحرفوا . وهذا نوع الحكم الذي كان جارياً في اليونان وروما وفينيقية في ذلك الظرف .

ولقد أدى استقلال قرطاجنة وبروزها كدولة بحرية قوية إلى الاحتكاك والتنافس بينها وبين دول البحر الأبيض . وكانت جزر صقلية وسردينية خاصة موضوع هـذا الاحتكاك والتنافس . ولقد نشب أولا بين قرطاجنة واليونان لأنـه كان لكليهما مراكز ومصالح في الجزيرتين . غير ان التشاد لم ينته بينهما إلى نتيجة حاسمة لطرف ضد الآخر . ثم انشغل اليونانيون بأنفسهم . وعظمت في هذه الأثناء روما وصارت تترشح للسيادة على حوض البحر الابيض وتتبسط في السلطان شرقاً وغرباً . ولم تلبث أن حلت محل اليونانيين في منافسة القرطاجنيين . ثم أدت هذه المنافسة إلى حروب طويلة امتدت نحو مئة وعشرين سنة وعرفت بالحروب البونية نسبة إلى اسم بوني أو بونيقي الذي كان يتسمى به القرطاجيون وقد تكررت وقائع هذه الحرب براً وبحراً وتعددت أدوارها وتساجل النصر فيها بين الدولتين وتخللتها فترات هدنة وصلح ثم كتبت الغلبة النهائية فيها لروما .

وقد امتد الدور الأول لهذه الحروب ٢٣ سنة (٢٦٤-٢٤١ قم) وانتهى بغـلبة الرومانيين واضطر القرطاجيون إلى قبول شروط صلح ثقيلة من مؤداه التخلي عن صقلية والجزر المجاورة لها ودفع غرامة حربية قدرها ٣٢٠٠ وزنة من الذهب .

وصارت روما بعد ذلك تنشط في أوروبا شمالاً وشرقاً وغرباً وتقوى لتكون السيدة الاولى . وحفز هذا القرطاجيين على العمل فأدى عملهم إلى دور الحرب الثاني الذي امتد نحو ثلاثين سنة ٢٣٠-٢٠٠ ق م .

وقد كان قائد قرطاجنة في الدور الاول حاميلتار ـ واللمحة العربية بادية على الاسم ـ وكان له ولد اسمه حني بعل نشأه ابوه نشأة حربية خشنة وغذاه بالعداء لروما واخذ عليه عهداً في هيكل الاله بأن يكون عدواً محارباً لها ما دام في الحياة .

وكانت قرطاجنة قد أرسلت حملة إلى سواحل اسبانية لبسط سلطانهـا اسوة بروما



« حني بعل » يصعد جبال الالب



صورة تمثل حصار الرومان لقرطاجة

فاختاره ضباط الحملة قائداً عليهم حينما مات قائدهم اسدر بعل ، وأخذ ينشط حتى تمكن من بسط سلطان قرطاجنة على ساحة واسعة من اسبانية تمتد الى نهر الايبر . ورأت روما في حركات حني بعل تحدياً لها وتهديداً لمصالحها فعادت حالة الحرب ثانية ؛ وقد زحف حني بعل بجيش قوي مدرب فيه كتائب قوية من الفرسان وفيه عدد من الافيال نحو روما عن طريق لم تكن تخطر للرومانيين ببال لصعوبتها وخطورتها وهي طريق جبال الالب ؛ لأنه رأى أن يفاجيء الرومانيين مفاجأة من حيث لا يحتسبون ، ولأنه قدر انه سيلقى مقاومة شديدة لو هاجمهم من سواحل إيطالية . ولقد كانت هـذه منه مغامرة عجيبة ولكنه نجح فيها برغم ما لقي هو وجيشه من أهوال ومصاعب وخسائر ، وفاجأ الرومان مفاجأة مذهلة مخلداً بذلك اسمه في سجل تاريخ أبطال العالم . وقد اخذ منذ حل في أرض إيطالية يدير حركاته الحربية ببراعة وسرعة خلدتا اسمه كذلك في سجل عظماء قواد العالم ، فاستولى على سلسلة القلاع الرومانية وفتك بحامياتها فتكاً ذريعاً ، ثم أخذ يوطد سلطانه في الانحاء التي فتحها ، ويتبسط في جنوب ايطالية ويحرض بعض الجزر والمناطق الموالية لروما على خلع طاعتها ويستعد لغزو روما وانزال الضربة القاصمة على العدو .

وقد سير الرومان جيوشهم لصده فاستطاع حني بعل ببراعة فنية فائقة ان يطبق عليها من كل جانب وان يكسرها شر كسرة ، وأمعن فيها القتل حتى كاد يبيدها ولم يكد يبقى في رومه اسرة لم تترد بثياب الحداد على عزيز فقدته . وقد ملأ حني بعل يده من الغنائم والاسلاب وكانت الخواتم التي نزعت من أصابع الضباط والجنود الرومانيين الهلكى ملء قفيزين ...

وقد استغرقت هذه الاعمال منه سنتين ثم زحف نحو روما فلم يكن منها إلا أن تغلق الابواب وأن تدافع من وراء الاسوار ، ولم يكن لحني بعل وسائل لخرق الاسوار فطال الحصار على غير طائل وتحمله الرومانيون بجلد وصبر عظيمين ، إلى أن أدرك حني بعل اليأس فانسحب عنها حيران أسفا .

وكان جيشه قد تناقص كثيراً فطلب من أخيه الذي كان نائباً عنه في اسبانيا مدداً فهيأ هذا المدد وزحف به بنفسه ، ودرى الرومانيون فسارعوا إلى قطع الطريق عليه ، وتمكنوا من الاحاطة به حتى أهلكوه عن بكرة أبيه ووجهوا بذلك ضربـة انتقامية قوية لحني بعل ، وقد شددوا من وقع الضربة فقذفوا برأس أخيه إلى معسكره .

وبقي حني بعل بعد ذلك بضع سنين يجاهد في أقصى جنوب ايطالية الذي استطاع

أن يوطد قدمه فيه . وفي هذه الاثناء درب الرومانيون جيشاً جديداً أسلموا قيـــاده إلى قائد محنك اسمه شيبو استطاع أن يقوض سلطان قرطاجنة في اسبانية ثم يعبر إلى افريقية ليغزو القرطاجنيين في عقر دارهم كما فعل حني بعل . وقد تمكن من كسب معركتين على القرطاجنيين، فاضطر هؤلاء إلى استدعاء حني بعل الذي مر عليه في ايطالية خمس عشرة سنة . ولبى هذا الدعوة وأخذ يتصاول مع شيبو في حركات فنية بارعة كان فيها القائدان خصمين متعادلين إلا ان قوات روما كانت أحسن جهـــازاً وتدريباً ، فكسب شيبو النصر في المعركة العظمى التي نشبت بينه وبين خصمه سنة ٢٠٢ ، وكان هذا النصر مما قرر سيادة روما على حوض البحر الابيض نهائياً وانحدار قرطاجنة .

وقد عقدت معاهدة بين روما وقرطاجنة املى الرومان شروطهـــا ولم يكن مناص لقرطاجنة من قبولها ، وكان من فحواها أن تؤدي لروما غرامة مقدارها عشرة آلاف وزنة من الذهب وأن تتخلى عن معظم اسطولها الحربي . واضطر حني بعل إلى مغادرة قرطاجنة إلى صور وحـــاول أن يلعب دوراً في النزاع الذي نشب بين روما والدولة السلوقية اليونانية التي كانت صاحبة السلطان في بلاد الشام في هذا الظرف . ولكن لم يكتب له فيه التوفيق .

ولم تحم المعاهدة قرطاجنة من مصيرها المحتوم . فانها استأنفت نشاطهـــا التجاري والملاحي فلم يطق الرومانيون ذلك وجعلوا شعارهم « لتدمرنّ قرطاجنة » ثم حرضوا القرصان النوميديين عليها فقابلتهم بالشدة فاتخذ الرومانيون ذلك حجة الزحف عـــلى قرطاجنة وحاصروها ثلاث سنين واستولوا عليها سنة ١٤٦ ق م بعد دفاع عظيم من أهلها ذهب مضرب الامثال ، ثم اعملوا معاول التدمير فيها حتى جعلوها خراباً يباباً .

نشاط الفينيقيين

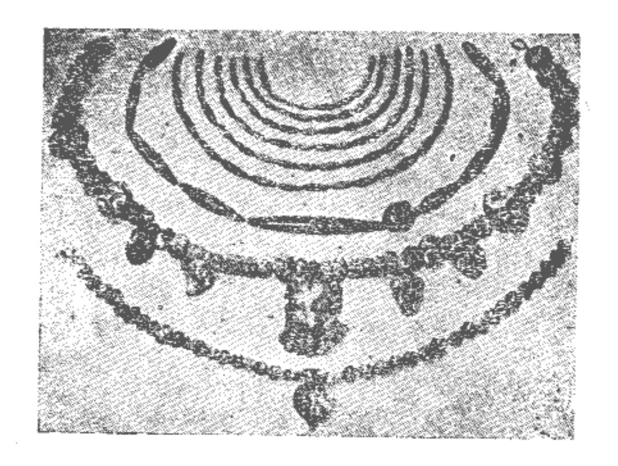
في مجال الصناعة والفن والثقافة (١)

-١١-

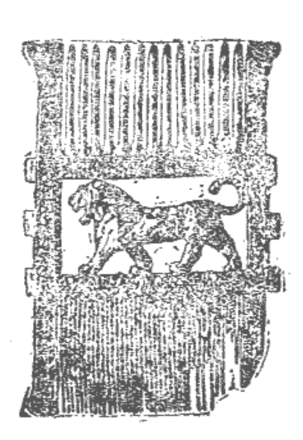
ولقد كان نشاط الفينيقيين في مجال الصناعة والفن والثقافة موازياً لنشاطهم في مجال

---

(١) مرجع هذه النبذة والجزء الاول من المجلد الاول من تاريخ سورية للدبس ص ٣٤٢ - ٣٧٥ وكتاب لبنان ص ١١٢-١٢٢ و ٢٤٠-٢٤٨ وتاريخ سورية لجرجي يني صفحة ٢٦ - ٦٣ وتاريخ سوريـــة ولبنان وفلسطين لحتي ج١ ص ٨٥ وما بعد تعريب حداد



عقود فينيقية



مشط فينيقي



طبق فينيقي

الملاحة والتجارة الذي نوهنا به بشيء من التفصيل قبل والذي فتح لهم الآفاق والأسواق في مختلف أنحاء البر والبحر .

ولقد اشتهروا في الصباغة وخاصة اللون الاحمر الذي كان يسمى البورخين والذي صار اللون المفضل عند ملوك دول تلك الايام وكبار رجالها وكانوا يستعملونها في صبغ الانسجة القطنية والصوفية والحريرية، ويستخرجون مادتها من الحيوانات البحرية الصدفيه حتى ان بعض الباحثين رجح ان اسمهم « فينيقية »مقتبس من كلمة فنيكس التي كانت تطلق على هذه الحيوانات على ما ذكرناه قبل . وقد كادت هذه الصناعة تنحصر فيهم وتصدر عنهم إلى جميع أنحاء العالم . وقد حاولت بلاد أخرى تقليدهم فيها فلم تنجح . وكان اللون اما احمر بنفسجياً أو أحمر ناصعاً . وقد أطال أرسطو وبلين الكلام على هذه الصبغة وكيفية استخراج مادتها من الحيوانات البحرية . ونوه بها حزقيال في سفره على ما ذكرناه قبل .

وقد اشتهروا بالنسيج وخاصة الحريري منه . وكانوا يطرزونه بالزخارف الجميلة ويصبغونه بمختلف الالوان .

كذلك اشتهروا في صناعة الزجاج الشفاف وغير الشفاف وبرعوا في تلوينه ورسم الصور المختلفة عليه وتزيين الجدران بقطعه الملونة الجميلة براعة مدهشة . واشتهرت صيدا خاصة بهذه الصناعة . وقد صنعوا من الزجاج العقود والكؤوس والمرايا والمزخرفات البديعة .

ومما برعوا فيه كذلك صناعة الحلي الذهبية والفضية من أطواق وأساور وخواتم وأدوات زينة متنوعة . وكانوا يطعمون الحلي بالعاج الذي كانوا يجلبونه من بلاد الهند . وقد برعوا كذلك في صناعة النقش والحفر والاواني الخزفية والمعدنية وزخرفتها . وقد كانوا يصدرون الاواني الخزفية من جرار وقدور وكؤوس وصحاف إلى أنحاء الدنيا حتى إلى بريطانيا ويستبدلونها بالقصدير . وقد تعلم اليونانيون وغيرهم هذه الصناعة منهم . وقد صنعوا كثيراً من الاواني والادوات من الحديد والنحاس اللذين كانوا يجلبونهما من بلاد عديدة . وقد عرف أن أكثر مصنوعات العاج التي كشف عنها في أطلال قصور الآشوريين قد صنعتها أيد فينيقية .

ولقد عثر على آثار فينيقية متنوعة ذهبية وفضية وخزفية وزجاجية ونحاسية وعاجية ورخامية على غاية من الاتقان وبديع الزخرف تشهد على ما وصلوا اليه فيها من مهارة

عجيبة . ويوجد كثير من نماذجها في متاحف أوروبا .

وقد وصلت براعتهم في انشاء السفن إلى درجة عالية كانت لهم بها شهرة في آفاق الأرض . وقد صنعوا سفناً من ثلاث طوابق وجهزوها بمجاذيف كبيرة يبلغ عددها أربعين وأكثر .

ولقد نشأ فيهم طبقة ماهرة في مختلف الصناعات المذكورة وفي صناعتي البناء والنجارة ايضاً . وهم الذين ساعدوا سليمان على انشاء معبده وقصره اللذين جاءا آيتين في الفخامة والروعة والزينة والزخرف على ما يستفاد من الوصف العجيب المدهش الذي وصفها به سفر الملوك .

ولقد كشفت التنقيبات عن آثار فينيقية عديدة في مختلف انحاء فينيقية القديمة تشهد على ما كان لهم من باع طويل في فن البناء والزخرفة والنحت والتصوير .

ومع ان الخراب قد استولى على كثير من آثار صور فانه وجد في منطقتها آثار قديمة غير يسيرة . منها بناء قديم ضخم علوه ستة امتار على شكل مخروطي مربع الجوانب يعرف بقبر حيرام . ومنها ما سمي بعرش عشترت وهو حجر حسن النحت طوله ٤٧ سنتيما يمثل عرشاً صغيراً في جانبيه صورتان لأبي الهول المصري المجنحبه ؛ وعلى مسنده نصبان متشابهان ناتئان متوازيان ينتهي اعلاهما بشكل القوس وعلى كل نصب صورة انسان لعلها عابدان . وتحت حافة العرش المنقورة على الطراز المصري نبات رمزي يشبه بنقشه النقوش المصرية الاشورية ، وفي اسفل الاثر كتابة بالقلم الفينيقي مفادها ان المسمى عبد بست بن يربعل اهدى سيدته عشترت مقدساً اصطنعه لاكرامها وهذا الحجر موجود الآن في متحف باريس .

وقد وجد في قرية فيع من قرى الكورة اثر شبيه بهذا الأثر وقد صورت عشتروت عليه جالسة على عرشها ومكسوة برداء سابغ ويدها اليمنى على ركبتها وهي تبارك باليسرى شخصاً أمرد منتصباً امامها رافعاً اكف الدعاء اليها وفوق رأسها هلال يحدق بكرة وفي قسم آخر من الاثر صورة نخلة يهجم عليها من جانبيها ثوران محدودبان .

وقد وجد في قرية صغيرة في جنوب صور اسمها ام العمد آثار هيكل فينيقي ذي مدخل فخم عليه نقوش منقولة عن نقوش المصريين منها الكرة المجنحة مع الحية الزمزية ومنها تصاوير شتى كصورة أبي الهول المصري وتماثيل أسود وغير ذلك ؛ ووجد كذلك في ارض هذه القرية انصاب تمثل رجالا ونساء فينيقيين على هيئات شتى منها تمثال رجل في



اباريق رخامية فينيقية الصنعه

هيئة سجود رافعاً يمينه كأنه يدعو وهو يمسك بشماله صورة لأبي الهول المصرية وعلى رأسه قلنسوة مستديرة يبرز من أسفلها خصل من شعره ومنها تمثال امرأة في هيئة السجود ايضاً تشملها ملاءة تنحدر من اعلى رأسها الى أكتافها بزي حسن . وهذه الانصاب هي علـى مايرجح نذور من الناس للمعبود حيث قرىء على أحدها جملة فينيقية ترجمتها « هذا النصب ذكر لبعلتن بن بعليتن السيد » ولقد زار هيرودوس المؤرخ اليوناني من رجـال القرن الخامس قبل الميلاد صور ووصف هيكل الاله ملكرت فيها فقال انه مزين بتحف لاتحصى ومن جملة نفائسه عمودان أحدهما من ذهب والآخر من لازورد وكان يظهر منه ليلا نور ساطع . ولقد اكتشف النقابون بقايا من أساس السور الذي كان يحـيط بصور الجزيرة الذي وصفه مؤرخ يوناني اسمه اريان وصفاً محكما يؤخذ منه انه كان يبلغ نيفاً وأربعين متراً علواً وكان أسفله مبنياً بالحجارة الضخمة وكان قصر الملك لاصقاً بـه يصعد منه إلى سطح متصل بطنف مستدير يحدق بالجزيرة .

وقد وجد في أراضي مدينة صيدا آنية مختلفة من الرخام والزجـاج والخزف والحلي المنقوشة بنقوش زاهية الالواح وهي تعود إلى الفترة الواقعة بين القرن العاشر والقرن الثالث قبل الميلاد والتقليد المصري ظاهر في كثير منها . وقد وجد فيهـا كذلك آثار هيكل الاله اشمون . وهو بنـاء فخم كان يحيط به سور مربع مستطيل طوله ٦٠ متراً وعرضه ٤٤ وفي وسطه كان مقدس الاله وهيكله وكان على غاية من الحسن والفخامة على ما تدل عليه الآثار الباقية . وقد وجد على الحائط الباقي كتابات فينيقية دينية ؛ كما وجد تماثيل أصنام صغيرة من القاشاني مصورة على الطراز الفينيقي القديم ومقلدة للصناعة المصرية ومما وجد في صيدا نواويس للملوك من ملوك صيدا كانوا مجهولين وهم الملك اشمنعزر (اشمون عازار واشمون اسم إله صيدا الخاص) وخلفاؤه من ذريته على ما عرف من الكتابات التي على النواويس . وقد وصف اشمنعزر الاول بوصف ملك صيدون وكاهن عشترت . وقد قرىء على ناووس اشمنعزر الثاني بن تبنيت بن اشمنعزر الاول كتابة فينيقية تفيد انه مات في شبابه ، كما قرىء على ناووس تبنيت كتابة يوصف فيها بأنه كأبيه كان كاهن عشتروت ويلتمس فيها عدم انتهاك قبره ودعاء على من يفعل ذلك . والنواويس ثلاثة ومنحوتة على الطريقة المصرية وفي جوانبها نقوش شتى وغلافها يمثل جثة رجل مضطجع مقنع الرأس يمد يديه إلى جانبي جسمه وملون بألوان شتى أما جثث الملوك فكانت محنطة عـلى الطريقة المصرية .وقد استخرج من دفائن صيدا آنية من زجاج وخزف على هيئات مختلفة ولحاجات شتى من صحون وحقاق وقوارير ومكاحل وسرج . ومن الآنية الزجاجية ما يلوح فيها

ألوان قوس قزح الجميلة . وقد استخرج من دفائنها كذلك حلي ذهبية وفضية من خواتم ذات فصوص ثمينة وقلائد جميلة . وعلى بعضها صور لآلهتهم وأساطيرهم الدينية

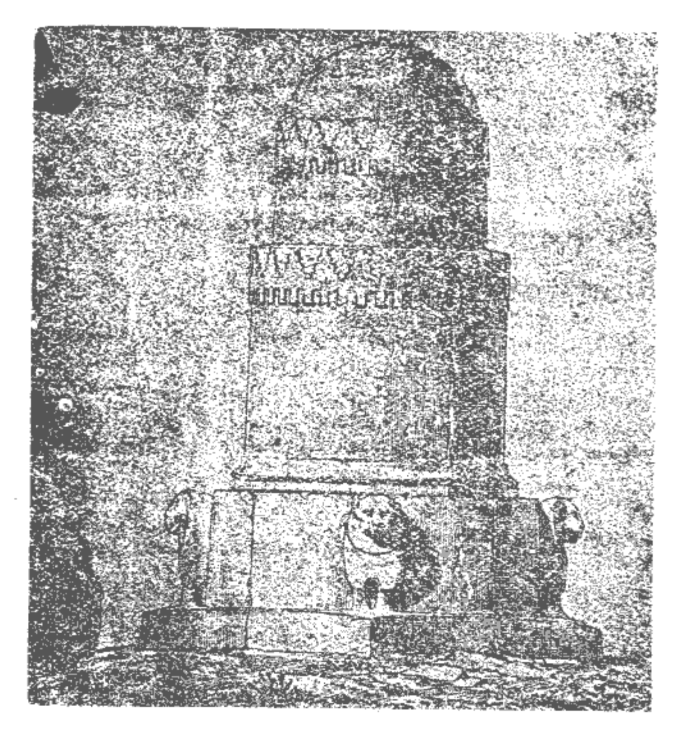
وهناك قرية اسمها عدلون بين صيدا وصور غنية بالآثار كالمدافن القديمة والنواويس والردم الباقية من هياكل مدمرة وتماثيل آلهة فينيقية ونقوش وتصاوير عـــلى الصخور المجاورة ؛ ومنها صورة تمثل أحد الفراعنة مجرداً سيفه وقابضاً على ناصية أحد أعـــدائه ليقتله .

وينتشر في منطقة مدينة جبيل كثير من الاعمدة التي تدل على ما كانت عليه مـــن ضخامة عمران وما كان فيها من هياكل عديدة. ومما كشف فيها نصب عليه كتابة للملك يحو بعل من القرن السادس مضمونها انه اهدى لبعلة جبيل مذبحاً من النحاس وقبة من رخام مغشاة بالذهب في مدخلها أعمدة طلباً لرضائها عـــنه وتوفيقها له . والكتابة أطول ما اكتشف من الكتابات الفينيقية وتبلغ خمسة عشر سطراً . والنصب مكعب في أعلاه طوله متر ونيف وعرضه ٥٦ سنتم وفي مقدمته صفيحة ذات اطار على شكل اللوح تقسم الى قسمين في احدهما الكتابة وفي الآخر صورة لعشتروت ممثلة جالسة على عرش .ورافعة يمناها للبركة وقابضة بشمالها على مقصرة من البردى والملك واقف بازائها رافعاً يمينه بهيئة الداعي وفي شماله كأس بعروة فيها سكيب يقدمه للالاهة وقد نصبت على الرسم الدائرة المصرية المجنحة مع الحيتين الرمزيتين في جانبها . وقد وجد في جبيل نواويس كثيرة يشبه بعضها نواويس صيدا المنحوتة على مثال الجسم البشري والمقلدة للصناعة المصرية وعلى جوانبها نقوش واكاليل وتصاوير حيوانات وبشر ووجد ضمن هذه النواويس قلائـــد وعقود وحلي وتماثيل وثنية وزجاجات صغيرة للدموع كانت توضع للدلالة على كآبـــة أصحابها ..

وفي وادي نهر ابراهيم في المكان المعروف بالمشنقة أطلال هيكل قديم ثم صخرة على ربوة ذات قطع عموديّ عليـــها سبع صور تمثل لمحـــاً من أخبار الاله تموز إله جبيل ومواقفه .

وقد عثر على آثار عديدة في عمريت الواقعة شمال طرابلس من اهمها وهو في الوقت نفسه من أهم الآثار الفينيقية معبدها الشهير المنقور في الصخر البالغ طوله ٥٥ متراً وعرضه ٤٨ متراً . ومن آثارها ما يدعوه الناس بالعواميد المغازل وهي كأهرام عالية اتخـــذها الفينيقيون كمشاهد تذكارية لموتاهم واعظمها واحكمها صنعاً عمود علوه عشرة أمتـــار

منتصب فوق ركيزة مستديرة على أربع جهاتها أربعة أسود هائلة المنظر وفوق الركيزة اسطوانة تنتهي بدرابزين حجري ذي شرفات ونقوش وفوقها اسطوانة ثانية مثلها أصغر منها رأسها على شبه نصف كرة . وبقرب هذه المشاهد مدافن كالآبار ينزل اليها بدرج وفي اسفلهـــا حجر متلاصقة تفصلها جـــدران منقورة في الصخرة وفي كل حجرة أجران لأجساد الموتى ؛ وبين هذه المدافن مدفن يعرف بحجر الحُبلى ينزل اليه من منفذ مربع فرشت فوقه صفائح الحجارة وباطنه عميق وجدرانه محكمة النحت وهو ذو ثلاث غرف واسعة كانت فيه جثث بعض كبار القوم . وكان هذا المدفن مزداناً بهرم لم يبق منه



مدفن عمريت الفينيقي

إلا بعض الآثار . ويظهر ان لصوص المدافن قد سطوا على هذا المدفن ونهبوا ما وجدوه من أثاث وحلي . وفي عمريت مدفن آخر على هندسة بيت مكعب ذي طابقين فوقهما قبة مخروطة الشكل . وهو مبني بحجارة كبيرة طول الواحد منها خمسة أمتار ويدخل إلى كل طابق من منفذ ضيق وفي داخل كل حجرة أجران لجثث الموتى .

وفي بيت مري آثار هيكل كان يعبد فيه البعل المعروف ببعل مرقـــد ثم تحول في

أيام الرومان الى معبد لجوبيتر أي المشتري • وفي ضواحي بيروت، تحت تل مار متري وفي تلال الرمل عند رأس بيروت وجد نواويس فينيقية من الآجر والرصاص عليها نقوش نائتة وتصاوير رمزية دون كتابة •

وفي قرية جربتا في ناحية جبيل صخرة عليها نقرة مقوسة نقش في أعلاها شلو بعض الآلهة وتحت التمثال مذبح على جانبيه رجل وامرأة واقفان في هيئة السجود وبقربها شخصان يسوقان ضحية وفي أيديها كل أدوات الذبيحة • والرسم دقيق الصنع يشهد لصوره بالحذاقة في فنه. ولقد وجد في أمكنه متعددة أنصاب منقورة في الصخور المجاورة للمدافن على شكل بشري ذي رأس وقدمين • وكانوا يدعون هذا الشكل باسم نقش أي النفس، التي تحيي ذكرى موتاهم على ما حققه بعض المستشرقين •

ولقد عثر في التنقيبات الجارية في رأس شمره في منطقة اللاذقية والتي كشف نتيجة لها عن مدينة أوغاريت [1] على كثير من القطع الذهبية والبرونزية والاواني الزجاجية والصاجية واللازوردية وآنية الرخام المجزع الابيض مما يعد ذا قيمة رفيعة في الفن والذوق ومما عثر عليه ألواح عاجية كانت تزين عرش الملك وتعد في نظر علماء الآثار أثمن ألواح عاجية عثر عليها في الشرق الادنى • وقد رسم عليها صورة لربة اوغاريت المجنحة كما رسم عليها ملك أوغاريت وملكتها وهما متعانقان وربة الحب عشتاروت واقفة بجانبهما •

ومما عثر عليه كذلك ناب فيل منقوش عليه ربة ذات جسم جميل ورشيق ويداها موضوعتان تحت ثدييها وشعرها مصفف يلتف حول فم البوق ثم ينحدر بجديلة غليظة والى كل جانب منها رسم لأبي الهول • ويخمن ان هذا الناب كان يستعمل بوقاً لدعوة الشعب الى الاجتماعات او اعلان الاخبار الهامة • ويعود إلى القرن الرابع عشر . وعثر أيضاً على رأس جميل من العاج الكثيف يمثل احد ملوك اوغاريت وهو تمثال نادر وعيناه منزلتان بالحجارة اللازوردية وعلى رأسه قبعة محاطة بشريط ذهبي يعلوها شكل مخروطي مجذع •

وقد كشف عن بعض أجزاء قصر الملك لمساحة بلغت تسعة آلاف متر مربع فبدا انه قصر يصح ان يقارن بأفخم القصور الملكية التي عثر عليها إلى اليوم في بلاد الشرق عامة •

---

(١) انظر المجلد الاول والثاني والثالث والرابع والخامس من مجلة الحوليات الاثرية السورية لسنتي ١٩٥١-١٩٥٥

وعرفت تخطيطات ستين غرفة أو قاعة منه حول فنائين داخليين وخمسة مداخــل لكل منها رواق قائم على أعمدة . وبدا كذلك انه كان أجنحة أو أقساماً . منها ما هو مخصص للحريم ومنها ما هو مخصص للديوان . ومنها ما هو مخصص لخزائن الملك . ووجــد في بعضها مجموعات من الالواح الفخارية التي كتب عليها شؤون متنوعة ممــا يتصل بأعمال الحكومة من عقود تمليك وبيع وتبني واخبار عن جودة مواسم الكروم وأسماء المدن التابعة للمملكة وعدد الجنود الذين ترسلهم هذه المدن إلى جيش اوغاريت وعــدد العمال الذين ترسلهم كذلك ليشتركوا في تنفيذ المشاريع العمرانية العامة. واسماء المهن والضرائب المتوجب دفعها وعدد أنواع السلاح الموجود في المخازن من قسي ونبال ومقاليع وتروس ودروع ملبسة بالبرونز التي كانت تسمى سيرين إلى غير ذلك من التنظيم الذي كانت تدار به المملكة في القرن الخامس عشر قبل الميلاد . وفي بعض الالواح وصف لأنواع الاثاث والرياش التي في القصر بما في ذلك غرف النوم . وفي بعضها وصف لفرقة من الجيش تسمى فرقة الصدام تستعمل العجلات المحلاة بالذهب والمزدانة بالزخارف . وعثر فيها على رسائل عديدة بين ملوك اوغاريت والدول الاخرى مما جعل علماء الآثار يقررون ان هذه القاعات كانت خاصة بمكتبة القصر وسجلاته .

وقد وجد في قاعة من قاعات القصر آثار مصنع للحلي خاص بالملك ووجد فيه مجموعة كبيرة من الحجارة الكريمة والحلى الذهبية . ووجد في حطام جرة فخارية ضخمة فيــه كتل من آلاف اللالىء المستديرة المتناهية في الصغر التي يرجح انهــا كانت معدة لتزيين الثياب .

وعرف من الألواح الأثريــة ان اوغاريت كانت مختصة بصباغ الصوف بالصباغ الارجواني وانه كان فيها معامل نسيج عديدة للصدف والكتان يشتغل فيها عدد كبير من العمال وان اقمشة هذه المدينة كانت ذات شهرة فائقة . وكثيراً ما كان ملوكها يقدمون لملوك البلاد المجاورة أقمشة وثياباً أرجوانية كهدايا .

والجدار الخارجي للقصر مبني بالحجارة المنحوتة المحدبة التي كان يظن انها من ميزات بناء الصليبيين في القرن الحادي عشر بعد الميلاد . وفي وسط باحة من باحات القصر حوض كبير يأتيه الماء من ناحية ويذهب ماؤه من ناحية أخرى إلى أقنية في القصر مما يفيد ان تزيين ساحات القصور بالاحواض والبرك تقليد قديم يرجع إلى عصر أوغاريت .

وقد وجد في القصر فرن خاص لشي ألواح الخزف بعد الكتابة عليها . ووجد فيه

سبعون لوحاً معدة للشي على ما يظهر تحتوي مواضيع مختلفة . منها ترجمة رسالة منقولة عن أصل اكادى وعليها اسم الملك حمورابي آخر ملوك اوغاريت . وفي بعضها قوائم بهدايا واردة على القصر ، وبعضها يذكر شؤونا متعلقة بسفن اسطول اوغاريت التجاري وسفن أسطول ملك بيروت .

ووجد في غرفة الوثائق في القصر ألواح حيثية عليها اختام ملوك الحيثيين أو كبار الموظفين صادرة من كركميش منها ما هو رسائل من الملوك إلى ملوك اوغاريت ومنها ما هو معاهدات تجارية مما يلقي ضوءاً على العلاقات بين اوغاريت والحيثيين في النصف الثاني من الالف الثاني .

ومما كشفت عنه التنقيبات تخطيط حي من احياء المدينة يبدو انـــه كان مخصصاً للصناعات حيث وجد بين منازله منزل كان مسكناً لصانع يصنع الاطواق مـــن الزجاج والعقيق والعنبر وينحت الاسطوانات التي عثر عـــلى عدد منها . وقد قرر متولي التنقيب نتيجة لدراسة اكتشافاته ان اوغاريت كانت في اول الالف الثانية قبل الميلاد مركزاً لطبقة خبيرة بالمعادن وعارفة بطرق اذابتها وكيفية مزجها وكانت تضع في اعناقها اطواقاً برونزية لكل منها عقفتان كعلامة للمهنة . وان اوغاريت كانت تمد البلاد الاخرى بخبرتها. وقد استدل على هذا بما وجد في آثار سيزوستريين الثاني الذي يسمى أيضاً سنوسرت من ملوك الاسرة الثانية عشرة (٢٠٠٠–١٧٨٨ قم) من اشارة الى انتفاعه بخبرة أوغاريت وصناعها في ورشاته واهرامه ومدافنه .

وقد بدا من تخطيطات المدينة ودراسة آثارها انها كانت مدينة عظيمة قطعت شوطاً كبيراً في النظام والاناقة والنظافة وظهر انه كان لها شبكة متقنة من المجاري مجهزة بين مسافة واخرى بفتحات لتعزيلها من آن لآخر .

ولقد كان من مكتشفات اوغاريت اثر ثقافي وديني ذو خطورة بالغـــة وهو الواح عديدة اطلق عليها النقابون اسم التوراة الكنعانية . في بعضها ادعية وتعـــاليم دينية وفي بعضها اساطير وقصص . وفي بعضها اناشيد دينية . وقد ظهر من المقارنة ان في اسفـــار التكوين والخروج والمزامير والامثال وايوب من اسفار العهد القديم التي كتبت بعـــد هذه الالواح بمدة ما عبارات وصيغ وافكار مشابهة لبعض ما وجد في هذه الالواح .

وآخر ما نشر عن تنقيبات وكشفيات اوغاريت التي ما تزال مستمرة حديث للدكتور

شيفر المشرف عليها نشر في جريدة النصر الدمشقية (العدد ٤٤٥٧ والتاريخ ١٩٥٩/١٢/١١ جاء فيه انه عثر في موسم هذه السنة على ركن مملوء بالوثائق الفخارية في القسم الجنوبي من اوغاريت . ويخمن الدكتور ان هذا الركن مركز من مراكز البحث والدراسة حيث عرف من الوثائق ان منها ماهو بمثابة قواميس او معاجم او فهارس لاسماء النباتات والاسماك والمهن والمصطلحات القضائية وانها مكتوبة باللغات البابلية والسومرية والاوغاريتية الكنعانية مما لم يكتشف له مثيل حتى ليصح ان يقال ان اوغاريت كانت مركزاً علمياً عظيماللشرق الاوسط لا يضارعه مركز آخر في بلاد ما بين النهرين والاناضول ومصر . وقد عثر على نقش فيه اسطورة تذكر خلافاًدب بين الرب بعل وشقيقته الربة الجميلة عنات أدى الى حدوث جفاف ونقص في المحصول الزراعي . كما عثر على نقش باللغة البابلية هو قصيدة طويلة لشاعر من بلاد ما بين النهرين يمدح فيها ملك اوغاريت ويتغنى بعظمته . وعثر كذلك على تمثال من المرمر الالباتو يمثل عبداً يحمل آنية جميلة وقد بلغت روعة النحت حداً لا يصدق معه الأنسان ان عمر هذا التمثال ثلاثة آلاف وخمسمئة سنة . وعثر على قطع برونزية كثيرة تدل على ازدهار الصناعات المعدنية واتقان المصنوعات ورقي فن الصياغة . وعثر ايضاً على مجموعة من الاختام المصنوعة من حجر اهيمانيت الاسود والاحمر عليها رموز وصور لشخصيات اوغاريتية بارزة . والهيمانيت من اقسى الحجارة في العالم . ويعجب المرء كيف استطاع الصناع الاوغاريتيون حفره ونقشه في حين لم يكن الماس الذي لا يمكن لغيره ان يساعد على هذا الحفر والنقش معروفاً .

وليس من التجوز ان يقال ان ما بدا من تنظيمات وتخطيطات اوغاريت العمرانية والادارية وما كان فيها من نظام وما كانت عليه من ازدهار ليس شاذاً خاصاً بها وانه كان عاماً في مختلف المدن الكنعانية الفينيقية وخاصة الرئيسية ، حيث يدل هذا على مدى ما وصل اليه الذوق والفن والثقافة والنظام في الممالك الفينيقية

ولا نشك ان في باطن الارض في البلاد الكنعانية الفينيقية بل في بلاد الشام جميعها مايزال مكتظاً بالآثار التي تدل على ذلك ونرجو من كل قلوبنا ان يهتم العرب ويجدوا في التنقيب والكشف عن مآثر اجدادهم العظام .

الكتابة الفينيقية

-١١-

هذا ، واشهر ما اشتهر به الفينيقيون ـ الكنعانيون حتى غدوا اصحاب الفضل فيه على العالم هو الابجدية التي قامت على اساس جعل علامة لكل حركة من حركات الفم الصوتية ووضع هذه العلامة ازاء بعضها لتدل على كلمة ما مؤلفة من عدد من هذه بدلا من الطريقة المعقدة التي كانت تقوم عليها الكتابة المصرية . وهذه العلامات في اصلها تصويرية كالكتابة المصرية لأن « النا » معناها ثور و كانت علامتها مشابهة لقرن الثور او رأسه و « بيتا » التي تعدلت الى باء معناها البيت و كانت ترسم بشكل بيت و «عين» معناها العين و كانت ترسم بشكلها وهلم جرا . وهذا ما جعل بعض الباحثين يذهبون الى ان الفينيقيين قد اشتقوا ابجديتهم من الكتابة المصرية ولا سيما انهم وجدوا مشابهة كبيرة بين الصور الهيروغليفية الرامزة الى بعض الحروف وبين الحروف الفينيقية .

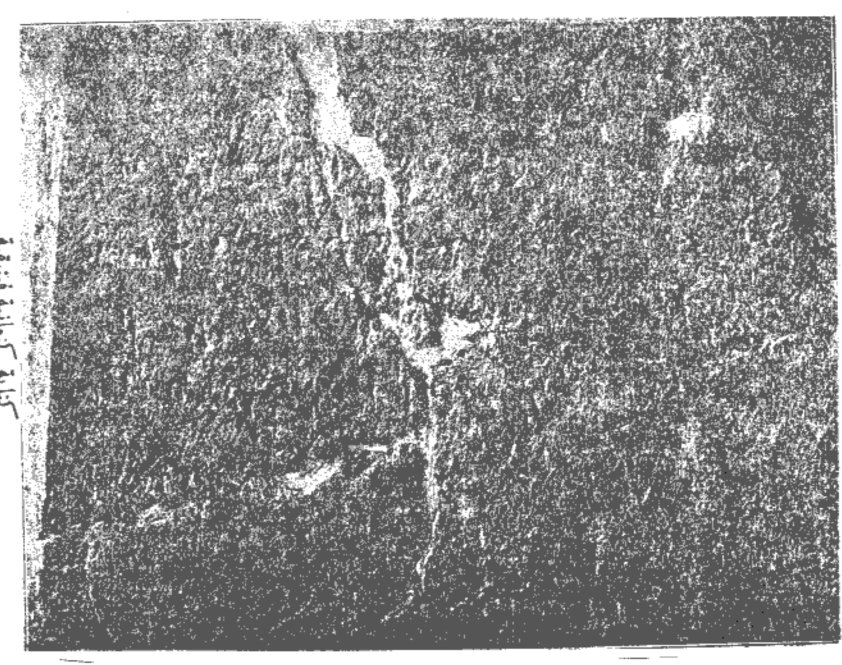
على ان بعض الباحثين لا يستبعدون ان تكون الابجدية الفينيقية الكنعانية مشتقة او مقتبسة من خط المسند اليمني خلافاً لما يراه بعض آخر من عكس ذلك . وخط المسند اليمني حلقة متوسطة بين التصوير وعلامات الحركات الشفوية الصوتية . والذي جعل هؤلاء يقولون ذلك هو كون هذا الخط كان مستقراً في اليمن على عهد الدولة المعينية ومنتشراً في انحاء جزيرة العرب وخارجها حتى بلاد الشام وسواحلها قبل الزمن الذي يظن ان الفينيقيين ابتكروا ابجديتهم فيه على ما ذكرناه في الجزء الاول من هذا الكتاب .

وقد كان الباحثون يظنون ان الابجدية الفينيقية ابتكرت في القرن الثالث عشر لأنهم رأوا الفينيقيين يسجلون افكارهم قبل هذا التاريخ بالخط المسماري البابلي أو الخط الهيروغليفي . غير ان حفريات اوغاريت كشفت عن خطأ هذا الظن لأنه وجد فيها ابجدية تعود الى القرن الخامس عشر وصفها مكتشفوها بأنها اولى ابجدية في العالم . ولقد قال لانومان « لا نعرف احرفاً للكتابة سبق وجودها حروف الفينيقيين بل نعرف ان كل ما بقي له اثر من الحروف وجميع الحروف المستعملة اليوم في جميع اللغات قد صدرت تواً عن الحروف التي وضعها الفينيقيون او تفرعت من احد فروعها . فالحروف الفينيقية ام وحروف سائر اللغات اولادها » وكان هذا القول قبل اكتشاف ابجدية اوغاريت التي

حروف الأبجدية الكنعانية

قلم قرت حدش — اقلام متأخرة — ألقلم القديم

	Altphoenizisch							Mittelphoenizisch									Punisch				
								Aus Phoenizien							Aus Cypern	Aus Griechenland	Aus Malta CIS I		Aus Sardin.	Massilia CIS I 165	Karthago
	Mesa	CIS I 5	Hassan Beyli	Hira CIS I	Karth.	Ipsambul CIS I 111-113	Abydos	Byblos CIS I 1	Sidon	Sidon	Ma'sub	Umm el-Awamid	Tyrus	[illegible]	[illegible]	[illegible]	124	132	CIS I 139		[illegible]
	1	2	3	4	5	6	7	8	9	10	11	12	13	14	15	16	17	18	19	20	21
א																					
ב																					
ג																					
ד																					
ה																					
ו																					
ז																					
ח																					
ט																					
י																					
כ																					
ל																					
מ																					
נ																					
ס																					
ע																					
פ																					
צ																					
ק																					
ר																					
ש																					
ת																					



كتابة كنعانية

يظن انها ابتكرت في القرن السادس عشر أو قبله .

ومن الجدير بالذكر ان الابجدية الفينيقية المكتشفة قبل الابجدية الاوغاريتية مؤلفة من اثنين وعشرين حرفاً في حين ان ابجدية اوغاريت هذه مؤلفة من ثلاثين حرفاً مع تشارك الأبجديتين في التساوق والتسلسل مما قد يسوغ القول ان الابجدية الفينيقية العامة المختصرة هي الاصل وان الابجدية الاوغاريتية تطور تجديدي وتكميلي لها . وهذا يؤدي بنا إذا صح الى نتيجة مناقضة لماهومعروف من انالابجدية الفينيقية قد ابتكرت في القرن الثالث عشر والى تقديم تاريخ هذا الابتكار العظيم بضعة قرون .

ومهما يكن من أمر هذه النقطة فانه يلوح لنا ان شهرة الفينيقيين في موضوع الابجدية هي في الدرجة الاولى بسبب كونهم هم ناشروها ومعلموها في حوض البحر الابيض الذي كانوا القابضين على زمام الملاحة فيه والذي انتشرت منه حتى عمت معظم العالم وغدت منذ القرن الثاني عشر قبل الميلاد اساساً لكل الخطوط فيه . وما طرأ على خطوط الامم من تعديلات وتحويرات لم يطمس الاصل الفينيقي الذي ما يزال بارزاً فيها .

وهذا لا يعني اضعاف فضلهم في الابتكار حتى ولو كانت أبجديتهم مقتبسة أو مشتقة في فكرتها وأصولها من أصل هيروغليفي أو مسندي . فان فضلهم عظيم في التجديد والتيسير اللذين طبعا الابجدية العالمية الاولى بطابعهم وجعلاها علماً عليهم بحق .

والفضل على كل حال في الابجدية العالمية أصلا وتحويراً عائد إلى الجنس العربي سواء أكانت الابجدية الفينيقية اقتباساً من هيروغليفية مصر أو مسند اليمن أم ابتكاراً أصيلا على ما هو المتبادر .

ولقد اشتغل الفينيقيون بالعلوم والتدوين وان ندر ما بقي او ما اكتشف من آثارهم العلمية . وفيما كشفت عنه تنقيبات رأس شمرة اوغاريت دليل قوي .

ولقد ذكر يوسيفوس المؤرخ اليهودي انهم كان لهم سجلات يسجلون فيها أحداثهم التاريخية ويحفظونها في خزائن خاصة . وقد نقل عنها بعض مراسلات جرت بين الملك حيرام والملكين النبيين داود وسليمان . ولقد ذكر هوميروس الشاعر اليوناني في ملحمته الشهيرة بالاودويسا معارف جغرافية وتاريخية فينيقية قال الذين درسوها انه استقاها من كتب وسجلات فينيقية . وقال الباحثون مثل ذلك بالنسبة لما ذكره استرابون الجغرافي من أوصاف فينيقية جغرافية واحداث تاريخية ايضاً . ولقد كتب مستشرق افرنسي اسمه

فيكتور بيرار مجلدين حول هذا الموضوع اثبت فيها ان الفينيقيين كانوا يدرسون الاصقاع التي يسافرون اليها ويصفون ذلك في سجلات . ولقد خلف الفينيقيون كتابات كثيرة ناف ما نشره المستشرقون منها في مجموعة الكتابات السامية على ثلاثة آلاف منها ما يرقى إلى القرن الثامن قبل الميلاد وفيها كثير من شؤونهم الدينية والوطنية والتجارية بأسلوب علمي .

ولما شرع علماء اليونان في عهد خلفاء الاسكندر الكبير يكتبون تاريخ شعوب آسية كتبوا تاريخ فينيقية نقلا عن سجلاتها وآثارها . ومن هؤلاء العلماء يثودوت وهيبكرات وموس . ولقد ضاع ما كتبه هؤلاء غير ان مؤرخين قديمين هما منندر وديوس اقتبسوا كثيراً مما كتبوه فساعد ذلك على معرفة وتسجيل كثير من الاحداث الفينيقية .

ويستفاد من كلام منندر انه كان في صور سجلات سجل فيها كثير من المقالات الدينية والجغرافية والزراعية والصناعية . وممن ذكر اسمهم من مؤرخي الفينيقيين مؤرخ بيروتي اسمه سنكونياتن وقد روى انه كتب كتاباً في تاريخ فينيقية واصل العالم وقدمه لأبي بعل ملك بيروت . وترجمه الى اليونانية كاتب فينيقي جبيلي اسمه فيلون والاصل والترجمة ضاعا . ولكن كاتباً قديماً اسمه اوسابيوس القيصري اقتبس فقرات من الترجمة اليونانية . ومما قاله اوسابيوس هذا أن سنكونياتوس مؤلف قديم يقال انه كان قبل حرب ترويا وانه كتب التاريخ الفينيقي متحرياً الصدق وان فيلون الجبيلي جمع مصنفات هذا المؤرخ وترجمها من الفينيقية إلى اليونانية وانه اخذ مادة تاريخية عن ابرو بعل كاهن الاله ياهو وان عصره كان قريباً من عصر موسى ، وانه كان للفينيقيين أسفار تشتمل على شرائعهم ورسوم دينهم كوصايا سماوية مقدسة كانوا يعزونها الى اله اسمه تاوت الذي من المحتمل ان يكون نفس الاله المصري طوت الذي هو إله الحكمة على ما قاله المطران الدبس (١) .

مظاهر حضارية فينيقية اخرى (٢)

- ٩ -

ولقد كان نظام الحكم في الممالك الفينيقية أو بتعبير ادق في ممالك المدن الفينيقية

---

(١) الجزء الاول المجلد الاول من تاريخ سورية للدبس صفحة ٣٥٧ — ٣٥٨ وكتاب لبنان صفحة ٤٥٨ ، ٤٦١

(٢) هذه النبذة ايضاً مقتبسة من المراجع التي ذكرناها في حاشية اول صفحات النبذة السابقة

ملكياً بصورة عامة باستثناء قرطاجنة . وكان الملوك يجمعون احيانـــاً بين الملك وآسة الكهان . وقد وصف ملوك صيدا اشمون عزر وخلفاؤه وكان حكمهم في القرن الخامس انفسهم بكاهن عشترت . وقد قرىء على بعض الآثار اسم ملشيصادق ملك سالم وصفاً آخر له وهو رئيس الكهان .

وكان الابناء او الاخوة يخلفون آباءهم او اخوتهم على العرش على الاغلب حيث يدل هذا على ان نظام الارث كان جاريـــاً في نظام الملك . وكانت الاسر المالكة تتبدل نتيجة حركات ثورية وتنافسية . وقد حاول الصوريون قلب النظام الملكي واقامة حكم جمهوري غير ان ذلك لم يستمر إلا امداً قصيراً حيث عادت الملكية ثانية .

وكان يقوم الى جانب الملوك مجالس اعيان يشتركون في شؤون الدولة . وكان لهم نفوذ قوي فيها . ويظن جرجي يني مؤلف كتاب تاريخ سورية [1] انهم امراء الاسر المالكة . ويقول هذا المؤلف [2] ان رضاء الشعب عن شخص الملك الذي يكون له حق الجلوس على العرش وراثياً كان امراً ضرورياً .

وقد قامت في صور في القرن التاسع حركة شعبية ادت الى انكفاف يد الاعيان وخروج معظمهم مع اليسا شقيقة الملك بكماليون الى قرطاجنة ، وانشاء ندوة شورية معظم رجالها من الشعب . وليس هناك ما يدل على ان هذه الحركة ظلت مستمرة المدى وتذكر الآثار والمدونات انه كان في القرن السادس وما بعده في بعض المدن الفينيقية ومنها صور وصيدا مجالس سناتو . وهذا التعبير كان يطلق في ذلك الظرف على مجالس الاعيان والشيوخ التي كانت تشارك الملوك والرؤساء في ادارة شؤون الدولة . وليس هناك ما يدل على ان هذه المجالس كانت من طبقة الاعيان فحسب .

اما قرطاجنة فقد كان نظام حكمها شبيهاً لنظام حكم روما حيث كان على رأس الدولة رئيسان او قنصلان لمباشرة الاعمال يتجدد انتخابها سنوياً والى جانبها مجلسان احدهما مجلس السناتو والثاني يسمى المجلس العالي الذي كان له سلطات تنفيذية واشرافية. وكان اعضاء المجلس ينتخبون انتخاباً كذلك .

ولقد احتفظت الممالك الفينيقية بشخصياتها في زمن تفوق وسيادة صيـــدا وصور . وكل ما كان من ميزة هذا التفوق ان المدينتين كانتا ـ واحدة بعد أخرى ـ مركز رابطة حلفية كانت تربط بين الممالك ، وكانت هذه الممالك ترسل نواباً عنها الى هـــذا

(١و٢) صفحة ٤١-٤٢

المركز للتشاور والتداول في المصالح المشتركة بينها وبكلمة ثانية كانت صيدا ثم صور رأساً لهذه الرابطة في القرن الخامس حتى صارت رابطة دول متساوية ليس بينهـا سيد ومتفوق وحتى اتخذ موقع طرابلس مركزاً لممثلي هذه الدول بدلا من صيدا او صور . وكانت الدول المشتركة بهذه الرابطة المتطورة ثلاثـاً وهي صيدا وصور وأرواد — ويظهر انها كانت في ذلك الظرف هي الاقوى والابرز — وكان لكل من ممثلي الدول الثلاث في هذا الموقع حي خاص في ناحية خاصة ، وكان عدد الممثلين مئة . وبسبب ذلك نشأ في هذا الموقع ثلاث احياء او مدن وسمي باسم المدينة الثلاثية (تريبولي)

واحتفاظ الممالك الفينيقية بشخصياتها قبل هذا الحلف الثلاثي واضح في المدونات والآثار القديمة المصرية الآشورية حيث يذكر فيها ممالك فينيقية بأعيانها — صور وصيدا وجبيل وأرواد وعرقا وشميرون الخ — حينا تخضع للغزاة وتدفع الجزية او حينا تندمج في حركات التمرد والثورة ضـد سلطات مصر او اشور وترسل قواتهـا لتشترك في الاعمـال الحربية .

وكان لكل مدينة او مملكة جيش من المرتزقة والمستأجرين لتأمين النظام المحـلي والمشاركة في الحركات الحربية الخارجية من حين لآخر .

وقد كان القضاة في الممالك الفينيقية يشغلون حيزا مهما ويتشاورون في شؤون الدولة ويجلسون او يمشون في الصف الاول مع الملوك .

وكانت موارد الدولة تتألف من رسوم السلع الواردة او الصادرة في الدرجة الاولى حيث كانت الاراضي الزراعية ضيقة قليلة المورد . وكانت الموارد التجارية عظيمة بنسبة شدة نشاط الحركة التجارية . وهذا مما كان يجعلهم يستغرقون في الشؤون التجاريـة ولا يبالون ما يكون من شؤون اخرى ويتقبلون الغزاة ويخضعون لهم .

وقد كان يرد الى صور من قرطاجنة عشر مدخولها سنوياً باسم هيكل هركيل او ملكرت بالاضافة الى هدايا متنوعة اخرى . ولعل المستعمرات الاخرى كانت تحذو حذو قرطاجنة او كان يفرض عليها اتاوة خاصة .

وكان نظام الرق من الانظمة السائدة في الممالك الفينيقية كسائر بلاد العالم المعروف آنذاك . وكان عدد الرقيق فيها كبيرا حيث كان يعهد اليهم بمختلف الاعمال والصناعات لحساب اسيادهم الذين كانوا منصرفين للنشاط التجاري .

الدين والعقيدة عند الفينيقيين (١)

– ١٠ –

أما آلهة الفينيقيين ـ الكنعانيين في فينيقية ومستعمراتها فقد كان الرئيسي منها سماوياً كما هو شأن بني عمومتهم في جزيرة العرب ووادي النيل والعراق . ولقد كانوا يعتقدون باله أعظم سموه بعـــل الذي يعني الرب والسيد كما سموه باسم ادون الذي يعني نفس المعنى وباسم بعل شمائيم أي رب السماء ؛ وكانوا في أوغاريت يسمونه باسم « ايل » على ما عرف من آثارها . وهذا اللفظ كان يفيد معنى الألوهية ويطلق عـــلى الاله الرئيسي في العراق وجزيرة العرب على ما شرحناه في الجزء الأول والثالث .



تمثال الاله عشتروت

ويلمح من بعض آثارهم انهم كانوا يقصدون بالبعل الشمس أو يرمزون به إلها. ولعلهم في الاصل كانوا يعتبرون الشمس رمزاً للاله الاعلى أو مظهره الاقوى. وكان لهم إلى جانب الاله

---

(١) مرجع هذه النبذة تاريخ سورية لجرجي يني ص ٥١–٦٢ والجزء الاول من المجلد الاول من تاريخ سورية للدبس ص ٣٦٢ وكتاب لبنان ص ١٨٣–١٨٦

الاعظم الذي يسمونه البعل إلاهة رئيسية أخرى يسمونها عشتروت . وهذه الالاهة باسمها هذا أو ما يقرب منه كانت من الآلهة الرئيسية في العراق وجزيرة العرب ، وكان لفظها في الجزيرة عثتر وفي العراق عشتار . وكانوا يعتبرونها زوجة للبعل . ومع ان عشتار وعشتروت هي أصل التسمية اللاتينية « ستار » التي تعني كوكب الزهرة وان هذا الكوكب كان هو المعني من عثتر في الجزيرة فان الآثار تدل على ان الفينيقيين كانوا يعنون بالكلمة القمر . وقد كانوا يمثلون البعل بتمثال رجل وعشتروت بتمثال امرأة ويضعون تماثيلها في المعابد



تمثال المعبود هركول اله مدينة صور

لأداء الطقوس عندها حسب ما كان الامر يجري في الجزيرة ومصر والعراق . وكانوا يعتقدون ان زوجات البعول هي وجوه الاله الاكبر الذكر ؛ مما ينطوي فيه معنى من معاني الازدواج الاقنومي لذات الهية واحدة .

وقد كان لهم إلى جانب هذين المعبودين الرئيسيين معبودات محلية رئيسية كحامية لهم ولمدنهم التي كانت مراكز ممالكهم وهو ما كان كذلك في الاقطار الثلاثة المذكورة بقصد نيل الاختصاص بالعناية والحماية .

وكان إله صيدا الخاص اشمون واله صور هركيل أو ملكرت [1] واله جبيل ادون أو تموز واله بيروت بوسيدون واله قرطاجنة حمون . وقد قرئت اسماء معبودات محلية أخرى مثل كابوي الذي كان من آلهة بيروت ونبتون الذي كان من آلهة صيدا في وقت ما .

وهكذا يلمح شيء من التثليث هنا كما يلمح هذا في الجزيرة ومصر والعراق ، حيث كانت مدن فينيقية تدين بألوهية البعل وعشتروت كالهين رئيسيين عامين مضافاً إليهما اله المدينة الخاص .

ولقد كانوا مع ذلك ينسبون اسم بعل وعشتروت الى مدنهم فيقولون بعل صيداوبعل صور وبعل جبيل وعشتروت صيدا وعشتروت صور وعشتروت جبيل على ما يستفاد من نقوشهم . ولعل هذا كان يعني معابد الالهين في هذه المدن أو تماثيلها وقد قرىء في بعض نقوشهم اسم البعل مؤنثاً أي بعلة أو بعليت وكانوا يقصدون بذلك زوجة البعل التي كانت عشتروت .

ومما صار له شهرة من ذلك بعل بيروت الذي كان يسمى بعل بريت والذي صارت به بيروت في الازمنة الاخيرة مقدسة وقد اقيم له هيكل على الجبل المشرف على المدينة في بيت مري كان الناس يحجون اليه من كل أوب [2] .

وقد جعلوا أرباباً لغير المدن وسموها بعلا أيضاً فقالوا بعل حمون أي رب النار أو اله النار وبعل تمر اي اله النخلة وبعل جبل لبنان وبعل جبل حرمون وبعل الرأس الداخل في البحر بين شكا والبترون والمعروف اليوم برأس الشقعة حيث كانوا على ما يظهر يرون النار والنخلة والجبال مظاهر بارزة للعظمة الالهية فيؤدون لها الاكرام الواجب للعزة الالهية .

ولقد جعلوا للبحر إلهاً وسموه نبتون . وقد اتخذوا السيارات السبع وسموهامعبودات وسموها بعولا أي آلهة أو أرباباً وأطلقوا على مجموعها اسم « كبيريم » جمع « كبير » بمعنى العظيم أو القدير وجعلوا العالم المكون من مجموعها بعلا ثامناً واطلقوا عليه اسم اشمون أي الثامن . وقد تخيلوا ان هذه الآلهة تولدت من اب اكبر سموه زديق . وقد مثلوا

---

(١) ملكرت او ملكقرت كما ذكرت بعض النصوص معناها ملك القرية او رب القرية والقرية تعني المدينة في العربية القديمة . وهكذا تكون الكلمة وصفاً لا علماً ويكون هركيل هو العلم الموصوف بها على ما هو المتبادر . وقد ذكر هذا جرجي يني في كتابة تاريخ سورية .

(٢) لبنان لجنة الادباء ص ٢٣٦

هذه المجموعة الكوكبية بالحيّة (الافعى) لمشابهتها لها في حركة التعرج . وكانوا يربون في هياكل اشمون حيات لتلمس جراح من يستشفع بها وتبرئه .

وبالاضافة إلى المعبودات المذكورة فهناك آثار تدل على انه كان للفينيقيين معبودات أخرى وان لم يعرف عن كنهها ومداها شيء مهم. فهناك ما يدل على ان من معبوداتهم معبوداً اسمه عزيز ومعبوداً اسمه تنيت ومعبودة اسمها شيا ومعبوداً اسمه سين .

ولم يعرف شيء كثير عن طقوسهم . وقد ذكرنا في سياق ذكر آثارهم آثاراً عليها طابع ديني وطقسي تفيد ان الفينيقيين كانوا يتقربون الى آلهتهم بانشاء المذابح وصنع التماثيل ، ويقفون أمامهم وقفة الداعي الرافع يده بالدعاء أو يسجدون لهم .

ومما عرف من طقوسهم عيدان مهمان كانوا يقيمونها في جبيل احدهما عيد حزن وترح في الخريف وثانيها عيد فرح وسرور في الربيع ، وكان الناس يأتون الى شهود العيدين والاشتراك في مواكبها من كل صوب . ويقوم العيدان على اسطورة ملخصها ان دباً وحشياً فتك في مشارف لبنان باله تموز الذي كان يسمى ادون ثم عادت اليه الحياة بعد تغطيسه في مياه نهر ادونيس الذي هو نهر ابراهيم حالياً . فكان عيد ترحهم في الخريف حيث قتل وعيد فرحهم في الربيع حيث عادت اليه الحياة . وكانوا في العيد الاول يلبسون ثياب الحداد ويسيرون في موكب باكين معولين ويتقدم الموكب كوكبة من من الفتيان والفتيات الصغار ثم كوكبة من العذارى يحملن على رؤوسهن السلال والقاطف المحتوية أنواع الزهور والطيوب التي تطيب بها جثث الموتى ثم كوكبة من النساء في ثياب الحداد الضافية الذيل وهن سادلات الشعور يقرعن صدورهن ويخدشن وجوههن ويعولن على ايقاع آلة موسيقية . ثم الكهنة الذين يحملون تمثال الاله تموز على مناكبهم والدم يقطر من جنبه ، ويظل الموكب سائراً والعويل والبكاء مستمرين الى ان يصلوا الى النهر فيغطسون التمثال فيه ، فاذا ما جاء الربيع عيدوا عيد الفرح فيلبسون الثياب الزاهية ويسيرون وهم يرقصون وينشدون أناشيد الفرح الى أن يصلوا الى النهر فيستخرجون التمثال ويعودون على نفس الهيئة من الرقص والفرح الى الهيكل حيث يعيدونه إلى مكانه . وكان بعض النساء يبحن أنفسهن في الهيكل للدلالة على الابتهاج بعودة الحياة للمعبود وتقرباً اليه . ولقد كان ماء النهر في الربيع يحمر نتيجة للسيول التي تجرف معها الطمي فكان الفينيقيون يعتقدون ان هذا الاحمرار نتيجة لاصطباغ الماء بدم المعبود النازف .

والمتبادر ان العيدين يرمزان الى كآبة موسم الخريف الذي تضعف فيه حرارة الشمس

وتمتلىء السماء بالسحب ثم يعقب ذلك اشتداد العواصف وهطول الأمطار والثلوج واشتداد البرد . ثم الى ما يثيره موسم الربيع من علائم الحياة المتجددة التي تعقب الشتاء حيث تأخذ الارض زخرفها وتتزين بالزهور والنوار والخضرة والنضرة . فتمتلىء النفوس بهجة وأملا ونشاطاً .

وقد أشير الى هذين العيدين في سفر حزقيال في سياق التنديد ببني اسرائيل الذين اقتبسوا العادات الوثنية من جيرانهم ، حيث جاء في (الاصحاح الثامن) : « وقال لي بعد تعود تنظر رجاسات اعظم هم عاملوها . فجاء بي الى مدخل باب بيت الرب الذي من جهة الشمال واذا هناك نسوة جالسات يبكين تموز .. »

وكان للصوريين عيد يسمونه عيد يقظة هركيل – وهركيل هو اسم إلههم الخاص ، وكانوا يقيمون فيه طقوساً شبيهة بالطقوس اليهودية والمصرية .

وقد كان من طقوسهم تقديم قرابين بشرية لآلهتهم من أسرى الحرب والعذارى والاطفال حيث كانوا يضعون الضحية على ذراعي تمثال الاله ويوقدون تحتها النار فتحترق بينما يضج الكهان ويصخبون ويدقون الطبول والصنوج . وقد ذكر هذا في المزامير في سياق التنديد كذلك ببني اسرائيل ، حيث جاء في المزمور السادس بعد المئة « بل اختلطوا بالامم وتعلموا أعمالهم وعبدوا اصنامهم فصارت لهم شركا وذبحوا بنيهم وبناتهم للأوثان ، وأهرقوا دماً زكياً دم بنيهم وبناتهم الذين ذبحوهم لأصنام كنعان »

ومما عرف من طقوسهم ان كهنة بعل وعشتروت كانوا في بعض فصول السنة يتزيون بأزياء النساء ويطلون وجوههم بالمغرة ويكشفون عن سواعدهم ويسيرون في الشوارع زرافات شاهرين السيوف والفؤوس وبعضهم يضرب على آلة موسيقية وآخرون ينفخون بالابواق والزمارات ويرقصون ويقفزون ويضربون اجسادهم بالحراب والسيوف تقرباً للالهة وطلباً لرضائهم .

ويلوح من آثارهم ان تدينهم كان يرمي في الدرجة الاولى الى التماس الخير والنفع ودفع الشر والخطر والضرر في الحياة الدنيا . وكانوا مع ذلك غير جاحدين لخلود الروح والبعث الاخروي بدليل تحنيط جثثهم ووضعهم في نواويسهم ومدافنهم امتعة تفيدهم حين بعثهم ورسمهم على نواويسهم تماثيل المعبودات .

وقد كان عدد كهان المعبودات عندهم كثيراً جداً . وفي الاصحاح الثامن عشر من

سفر الملوك الاول خبر قتل اربعمئة وخمسين كاهناً أو نبياً من كهان أو أنبياء البعل في جبل الكرمل ، نتيجة لثورة دينية قادها ايليا أحد انبياء بني اسرائيل ضد اخاب ملك اسرائيل الذي تزوج بايزا بعل بنت ايتو بعل ملك صور وانتشرت عبادة البعل ومعابده في مملكة اسرائيل في عهده نتيجة لذلك . وهذا العدد انما كان في بلد اقتبس عبادة البعل من فينيقية ، فيكون عددهم فيها اكثر من ان يحصى بطبيعة الحال . وقد يستتبع هذا انه كان لمعابد المعبودات موارد وأوقاف غزيرة فكان ذلك من اسباب اقبال الناس على الكهانة .

ومما ذكره جرجي يني [1] من تخيلاتهم عن خلق الكون ان الظلام كان مخيماً وكان خلاء وكان الهواء شديداً في البدء ثم عشقت عناصر الهواء ذاتها فاتحدت فتولد من اتحادها الذي سمي باتو مادة مائية هي أصل العالم ، ومنها اشرقت الشمس وطلع القمر وبزغت النجوم وازدادت حرارة الارض وتكاثفت الغيوم وثارت الزوابع وامطرت السماء وقصفت الرعود وبرقت البروق وخلقت الأحياء ، وكانت الاحياء الاولى غير عاقلة ثم تولد منها الاحياء العاقلة ، وقد تولد من الريح المدعو كوليباوا امرأته المدعوة باو ولدان احدهما اون وثانيهما بروتوكون وولد لهذين ولدان احدهما جينس وثانيهما جينس فسكنا فينيقية فهما اصل الجنس البشري ... ويلحظ بين هذه التخيلات واساطير العراق القديمة عن اصل الخليقة شيء من التشابه .

وكان التناسخ أو التقمص من عقائدهم أيضاً على ما ذكره المؤلف المذكور حيث كانوا يعتقدون ان روح الانسان بعد موته تدخل جسماً بشرياً آخر .

الممالك الفينيقية والدول المجاورة

-١١-

ونعود الى تاريخ فينيقية السياسي فنقول ان تفوق صيدا ثم صور لم يكن كتفوق قرنو ومأرب في اليمن وبابل ونينوى في العراق ومنف وطيبة ورعمسيس في مصر مغطياً على شخصية بقية ممالك المدن او القطاعات الفينيقية وجاعلا منها مملكة واحدة في جيشها وسياستها واقتصادها كما كان الحال في اليمن ومصر والعراق في عهود المعينيين والسبئيين

---

(١) تاريخ سورية ٥١ : ٦٢

والأكاديين والبابليين والأشوريين والاسر المصرية منذ اتحاد ممالك مصر تحت صولجان منا على ما فصلناه في الاجزاء الثلاثة من الكتاب بل احتفظت كل مملكة بشخصيتها المتميزة المستقلة لها ملوكها ولها جيوشها ولها صلاتها السياسية مع الخارج ، وكل ما كان من امر على ما يستفاد من الكتب والنقوش القديمة انه كان يقوم [1] بينها رابطة حلفية باسلوب ما ولمدى محدود يكون بها لكل مملكة نواب او ممثلون في الحكومة الاتحادية التي كان مركزها صيدا او صور ، بل ولقد حدث شيء من التطور في هذا الاسلوب حيث كان في القرن الخامس قبل الميلاد اتحاد ثلاثي بين صور وصيدا وأرواد لم تكن صيدا أو صور مركزاً له وانما اتخذ له مركز حيادي هو موقع طرابلس حيث يجتمع فيه ممثلو الممالك المتحدة على ما ذكرناه سابقاً .

ولقد كان هذا الاسلوب مما جعلها ضعيفة من الوجهة الحربية زيادة عما جعلتها كذلك طبيعة رقعتها ومركزها الجغرافي ، ومما جعلها بالتالي عرضة لزحف الدول القوية في شرقها وشمالها وجنوبها وبسط سيطرتها عليها وتنافسها عليها منذ اقدم تاريخ معروف لها وبصورة مستمرة تقريباً الى القرن الرابع قبل الميلاد باستثناء بعض فترات كان يلم فيها بالدول المذكورة ارتباك ووهن .

ولقد كانت مصر والعراق خاصة هما اللتان اهتمتا منذ عهد مبكر للاتجاه نحو بلاد الشام ساحلها وداخلها حيث يبدو ان كلتيهما كانت ترى سلامتها ومصلحتها في مد سلطانها الى هذه البلاد .

ومعظم الدول المصرية والعراقية من الجنس العربي على ما شرحناه في الجزئين الثالث والثاني من الكتاب حيث ينطوي في هذا مظهر نشاط هذا الجنس على كل حال على مسرح فينيقية واندماجها باسلوب ما في وحدة أو اتحاد معها .

ولقد كانت الممالك الفينيقية ترضخ بسهولة لسيادة الدول الغازية فكانت بذلك تحتفظ بكيانها كممالك خاضعة او محمية وتظل تمارس السلطان المحلي ونشاطها التجاري والملاحي والصناعي المتميز الذي كان يستغرق كل جهودها بل وكانت تلبي طلب الغزاة وتبذل مساعدتها وخبرتها ووسائلها الملاحية في ما كان يقع بينهم من تصاول حيث كان يستعين بسفنهم وملاحيهم وخبرتهم الملاحية وما برعوا فيه من صناعة السفن المصريون

---

(١) انظر مثلا تاريخ سورية جرجي يني ص ٤٤

حيناً والاشوريون والكلدانيون والفرس حيناً .

وظل الامر كذلك الى الثلث الاخير من القرن الرابع قبل الميلاد حيث تعرضت لزحف الاسكندر المكدوني فزالت نتيجة لهذا الزحف دولها وغدت ولاية مكدونية ثم يونانية تابعة حيناً للدولة السلوقية في سورية وحيناً للدولة البطليموسية في مصر ثم ولاية رومانية على ما سوف نشرحه بعد .

على انها كانت هي وبلاد الشام الاخرى تغتنم فرصة كل ارتباك يلم بالدولة التي تكون رضخت بتلك السهولة لسيادتها فتتفلت من هذه السيادة وتستمتع باستقلالها التام كما كانت تستجيب الى اي تحريك وتحريض لتتمرد على اصحاب هذه السيادة بل وتحاربهم على ما سوف نشرحه بعد قليل .

ولقد كان الحيثيون قبل القرن التاسع يحملون راية التمرد والتحريض على العراق ثم على مصر ثم صار المصريون يفعلون ذلك ضد العراق . والمتبادر ان الذي كان يحفز الملوك الفينيقيين الى الاستجابة للتحريك مرة بعد مرة برغم ما كان يقع على بلادهم من زحوف وتدمير وتنكيل مصري اولا ثم آشوري وكلداني وبابلي هو رغبتهم في الاستمتاع بقسط أوفر من الاستقلال والحرية والسلطان الذي كان يتيسر لهم في ظل النفوذ او التحالف الحيثي والمصري اكثر مما كان يتيسر لهم في ظل السلطان المصري اولا والاشوري بعد ذلك .

ويلاحظ ان التحريك ضد العراق كان اكثر حيث تولاه الحيثيون ثم المصريون ، ومما يلوح لنا انه كان للواقع الجغرافي اثر قوي في نجاح تحريك الحيثيين على مصر والعراق ثم في نجاح تحريك المصريين على العراق بعدهم لأن هذا الواقع يجعل قيام تضامن او تحالف او تواثق بين ممالك البلاد الشامية ثم بينها وبين البلاد المصرية طبيعيا اكثر .

وفي القرن الخامس عشر قوي نشاط وطموح الحيثيين في شمال سورية فأخذوا يحاولون هم الاخرون كلما وجدوا قوة في انفسهم بسط سيطرتهم على البلاد الشامية ويصطدمون في سياق ذلك مع العراقيين تارة ومع المصريين اخرى ويتظاهرون في تبني الدفاع عن هذه البلاد لأنها مواطنهم ويحرضون ملوكها وامراءها الاخرين على التمرد على سلطان مصر تارة وسلطان العراق اخرى حسب ما كان واقعاً . واستمر هذا الى القرن التاسع حيث طغت قوة الاشوريين وتفردوا في الميدان .

وقد نشب نتيجة لذلك منذ القرن الخامس عشر تنافس بين مصر والحيثيين أولا ثم

بين مصر والاشوريين وخلفائهم البابليين ثانياً إلى القرن السادس الذي انهـارت فيه قوى الفريقين معاً نتيجة لبروز الفرس بزعامة كورش على ما شرحناه في الجزئين السابقين .

وقد رأينا من المفيدوالشيق ان نفصل فيما يلي بعض ما كان بين مصر والعراق وفينيقية من أحداث ومصاولات . وهذه الأحداث ذكرت في النقوش المصرية والعراقية . ولم تذكر هذه النقوش اسم فينيقية لأنه اطلق على سواحل الشام في عهد متأخر وانما ذكر فيها أسماء مدن وممالك وملوك فينيقية . وقد سمت النقوش المصرية بلاد الشام وأهلها بما فيها فينيقية باسم بلاد الاسيويين حيناً وباسم المنتوحيناً وباسم الرنتوحيناً وباسم خارو حيناً وباسم الزاهي حيناً والاسم الاخير كان يطلق خاصة على السواحل الشامية .

تفصيل ما كان بين فينيقية و مصر

- ٩ -

وتفصيلا لصور الحركات المصرية في سبيل بسط سيطرة مصر على فينيقية على اختلاف أنواعها وأزمانها نقول ان اقدم غزوة مصرية إلى هذه البلاد كانت في عهد الاسرة الثالثة (حوالي ٢٩٠٠ - ٢٨٠٠ قم) حيث ارسل سنفرو احد ملوكها اسطولا قوياً إلى شواطىء لبنان لاحضار خشب الارز منه . ثم كانت غزوة سحورع احد ملوك الاسرة الخـامسة (٢٧٥٠-٢٦٢٥) حيث عثر على رسوم سفن عظيمة مشحونة بالاسرى الفينيقيين تعود إلى عهده قال بريستيد عنها انها اقدم صورة لسكان سورية الساميين . وهناك صور لمراكب عليها أسرى سوريون منقوشة من عهد الملك وتاس آخر ملوك هذه الأسرة مما يدل على انه هو الآخر غزا سواحل سورية وغلبها وسيطر عليها وأخذ منها بعض الاسرى . وقـد استمرت سيطرة مصر في عهد الاسرة السادسة (٢٦٢٥-٢٤٧٥ قم) على ما تدل عليه آثار من عهد ببي الاول من ملوكها حيث عرف منها انه سير حملات عديدة لقمع اضطرابات قامت في جنوب فينيقية بناحية الكرمل .

ولقد ضعفت قوة هذه الاسرة في أواخر عهدها حتى تسنى لجماعات كبيرة من الاورومات العربية الجنس ان تتسرب إلى مصر عن طريق السواحل الفينيقية ففلسطين فسيناء . وظل الضعف والارتباك في مصر مستمرين الى آخر الاسرة العاشرة (٢١٦٠) وكانت يد مصر

مكفوفة على الارجح عن بلاد الشام وفينيقية في الجملة في هذه الفترة التي تبلغ ثلاثة قرون. وهذا الظرف يصادف ظرف بروز سرجون الأكادي وابنه نارام سين وامتداد سيطرتها على بلاد الشام داخلا وساحلا ثم ظرف سيطرة سلالة اور العراقية الثالثة من بعدهما إذا صح تقدير طه باقر الذي يقدر ذلك في القرون (٢٤٠٠-٢١٠٠)

ولقد استطاع ملوك الاسرة الحادية عشرة (٢١٦٠-٢٠٠٠) أن يوطدوا النظام في مصر. ومن ثم اتجهوا نحو بلاد الشام عوداً على بدء فأعادوا سيطرتهم على سيناء وصدوا غارات البدو فيها. وكان اتجاه الاسرة الثانية عشرة (٢٠٠٠-١٨٠٠) نحو هذه البلاد أشد وأجدى حيث سير ملكها الاول امنمحات الاول حملاته نحو فينيقية وسورية وبسط سيطرته عليها أو على بعض انحائها.

وقد عثر على مدونة لموظف كبير اسمه سنوهيت في عهد هذا الملك ذكر فيها انه كان يتولى منصب مدير ضياع الملك في بلاد الاسيويين حيث يدل هذا على ان هذا الملك قد وطد كما قلنا سيطرته على هذه البلاد وعين هذا الموظف للاشراف عليها. وفي المدونة قصة فرار هذا الموظف إلى فلسطين ثم إلى فينيقية واقامته فيها ردحاً من الزمن ومراسلاته مع الملك سنوسرت الاول الذي خلف امنمحات الاول مما فيه توكيد لذلك مع توكيد استمرار هذه السيطرة في زمن سنوسرت الاول ايضاً.

وقد عثر في جبيل على نقوش ترجع إلى عهد امنمحات الثاني من ملوك هذه الاسرة عليها اسم شخص مصري اسمه حاتي عا ولقبه الامير الوراثي حيث يدل على استمرار أو تجدد سيطرة مصر على فينيقية ! وقد عثر في طود مصر في اساس معبد يرجع الى هذا الملك على كنز يشتمل على اربعة صناديق كتب عليها اسمه مملوءة بأوان من الذهب والفضة والاسطوانات والتعاويذ والحجارة اللازوردية من المحتمل جداً أن تكون جاءته هدية أو جزية من أمير جبيل، وقد علق سليم حسن راوي هذا الخبر ان شواهد الاحوال تدل على كل حال على ان علاقة مصر بفينيقية وخاصة بجبيل (بيبلوس) كانت في عهد ملوك هذه الاسرة على احسن ما يكون من الود والصفاء.

ويظهر ان هذه البلاد تمردت بعد امنمحات الثاني حيث عرف من الآثار ان سنوسرت الثالث من ملوك الاسرة بعده قد قاد حملة نحو بلاد الاسيويين المنتو (وكلمة المنتو كانت تعني في الآثار المصرية بلاد الشام) وأخضعهم ووطد سلطان مصر ثانية على بلادهم.

وقد قويت الصلات بعد ذلك بين مصر وبلاد الشام وانتظمت ونزح كثير من المصريين الى هذه البلاد وانتشرت لغتهم وعاداتهم وعقائدهم فيها ونشطت حركة التجارة بين البلدين وكانت القوافل تسير من طريق الكرمل وفلسطين .

ولقد وجد على جدران مقبرة بني حسن من هذا العهد صورة لسبعة وثلاثين رجلا من بلاد الشام أتوا إلى مصر للتجارة مع الامير خنوم احد رجال سنوسرت الثالث وصاحب المقبرة ومعهم الروائح العطرية التي كان المصريون يكثرون من استعمالها وكانوا يلبسون المنسوجات الصوفية المزخرفة المهلهلة وينتعلون النعال ويحملون بأيديهم عصياً ثمينة مما استدل منه على تقدم الشاميين والفينيقيين في الجملة في مجال الحضارة والرفاه والصناعة .

ولقد أيدت التنقيبات التي جرت حديثاً في أوغاريت والتي أشرنا اليها في مناسبة سابقة هذه الاخبار ، حيث وجد في خرائب أوغاريت تماثيل لرهبان مصريين وجعرانات عليها بالهيروغليفية اسم تب – مع – را – الذي نظن انه لقب احد ملوك الاسرة الثانية عشرة وشواهد قبور عليها كتابات بالهيرغليفية أيضاً . وقد قرر متولي هذه التنقيبات استناداً إلى دراساته الاثرية ان اوغاريت كانت مرتبطة شأن المدن السورية والفينيقية الاخرى مع مصر بعلاقات تجارية وان ملوك مصر كانوا يرسلون اليها سفراء وكان اذامات احد السفراء سارع ملكه الى ارسال نصب حجري ليوضع على قبره لراحة روحه حسب التقاليد المصرية القديمة وان وجود السفراء دليل على انه كان يقيم في المدن الفينيقية جاليات مصرية [1] .

وبعد هذه الاسرة عادت احوال مصر الى الارتباك . واغتنم الجماعات العربية الجنس التي كانت تتسرب ثم ظلت تتسرب إلى مصر وتقيم في الدلتا والتي عرفت باسم الهكسوس الفرصة ففرضت حكمها على مصر في القرن السابع عشر او قبله وامتد نحو مئة سنة او اكثر حسب اختلاف الروايات .

وهناك آثار تدل على ان حكم الهكسوس كان شاملا لفلسطين وبعض أنحاء بلاد الشام وفينيقية . وقد اشتدت حركة التنقلات والمواصلات والتجارة بين مصر وبلاد الشام في عهدهم .

ولقد تصدت الاسرة السابعة عشرة التي كان مركزها طيبة (١٧٠٠ – ١٦٠٠ ق م)

---

(١) انظر المجلد الثالث لسنة ١٩٥٣ من مجلة الحوليات الاثرية السورية .

لمناضلتهم واستطاع احمس آخر ملوكها واول ملوك الاسرة الثامنة عشرة التي هي امتدادها (١٥٨٠ — ١٣٤٠) ان يقوض حكمهم وان يجليهم عن مصر . ثم طاردهم الى شمال فلسطين واجلاهم عن قلعة سروحن التي تحصنوا فيها وبسط سيطرته على فلسطين .

وقد اشتد اتجاه خلفائه إلى توطيد سيطرتهم على بلاد الشام عوداً على بدء أيضاً ونجحوا في ذلك نجاحاً كبيراً حيث انبسط سلطانهم على جميع بلاد الشام إلى حدود العراق . وكانت الممالك الفينيقفة من الجملة .

وأول من سجل نشاطه ونجاحه في سبيل ذلك امنحتب الاول ابن احمس الذي عرف من آثاره انه قاد حملة كبيرة وصل بها الى حوض الدجلة والفرات وفرض سلطانه على مافي طريقه من ممالك عديدة .

وتمردت بعده فزحف ابنه تحتمس الاول عليها وأخضعها . وعادت فتمردت وتألبت تحت قيادة ملك قدس الحثي فزحف عليها تحتمس الثالث وهزمها وفرض سلطانه عليها ونقش خبر ذلك على جدران الكارناك . ومما جاء في النقش انه سار إلى غزة ثم إلى مدينة يوحم (في فلسطين) ثم الى مجدو التي قرب الكرمل حيث التقى بجيوش الممالك المتحالفة التي جاءت للقائه بقيادة أمير قدس وهزمها وقتل وأسر وغنم ووطد سلطانه ثانية على بلاد الشام والجزيرة وأعلن ملوكها خضوعهم وبادروا باداء الجزية اليه .

ولم يكد يعود إلى مصر حتى عادت البلاد إلى العصيان فعاد تحوتمس إلى الزحف عليها وأخضعها وأعلن ملوكها خضوعهم فأبقاهم في مناصبهم ولكنه أخــذ أولادهم واخوتهم رهائن فكان إذا توفي احد منهم أرسل أحد المرهونين ليقوم مقامه .

وقد تكررت زحوفه على آسيا — ويدخل في العبارة سورية وفينيقية بطبيعة الحال — حتى بلغت خمسة عشر كما ذكر في أحد نقوشه مما يدل على تكرر التمرد . وقد قال في أحد نقوشه انه فتح مئة وتسع عشرة مدينة وذكر من جملتها باروت (بيروت) وتماسكو (دمشق) . وقد نصب حجراً تذكارياً شاهده على انتصاره على الفرات . وتمردت بــلاد آشور والحيثيين والاقاليم الشامية بعده فزحف عليها ابنه امنحتب الثاني وأخضعها وقــد نقش على مقبرته اسماء الامم التي خضعت له ومن جملتها سكان قبرص والجزيرة الفراتية وسورية وفينيقية [1] .

---

(١) نفس المصدر والصحف

وعادت فتمردت في عهد امنحتب الثاني الذي خلف تحوتمس الثالث في جملة من تمرد على سلطان مصر من بلاد الشام وبين النهرين فقاد حملات عديدة عليها كان يخضعها ثانية وينكل بالثائرين والمتمردين. وممن ذكروا بالتعيين في سياق هذه الحملات اوغاريت في رأس الشمرة حيث ضربها ضربة شديدة وجعل عاليها سافلها لأنها طردت الحامية المصرية . وقد سارع امراء هذه المنطقة الى اعلان خضوعهم وتقديم هداياهم اليه . وعاد الى مصر عن طريق فينيقية ويداه مثقلتان بالغنائم والاسرى[1] .

وقد ذكرت نقوش امنحتب الثالث الذي خلف هذا انه اخضع بلاد رتنو وبلاد النهرين بحد السيف وعثر على لوحات له يشاهد فيها اقوام من أهل هذه البلاد مكبلين بالأغلال والملك يطأها بقدميه . ورتنو هو احد الأسماء التي تطلقها الآثار المصرية القديمة على سورية وفينيقية حيث يدل هذا على ان هذه البلاد عادت فتمردت فزحف عليها هذا الملك وضربها وأخضعها[2] .

واضطربت احوال مصر في اواخر عهد هذا الملك ثم في عهد ابنه امنحوتب الرابع – اخناطون – الذي اشتد الاضطراب في زمنه بسبب انقلاب ديني قام به واحنق الكهان وكثيراً من الرعية عليه بسببه فاغتنم الفرصة ملوك الحيثيين والميتانيين وملك اموري اسمه عبد عشترت ثم ابنه عزيرو من بعده فتحالفوا وشرعوا يبسطون سلطانهم على البلاد الخاضعة لسلطان مصر واستطاعوا ان يستولوا على معظم هذه البلاد ساحلا وداخلا وحاول ملوك وحكام جبيل وصور ونوخاش والقدس وقطنا وصميره وتونب التي يحتمل ان تكون بعلبك البقاء على ولائهم لمصر واخذوا يرسلون رسائل الاستغاثة والتحذير الى أخناتون على ما عرف من الالواح الآجرية البابلية الخط واللغة التي عثر عليها في المكان المعروف بتل العمارنة في مصر وعرفت لذلك باسم رسائل تل العمارنة . وقد وجد بين الرسائل عدد يشير الى ما كان من توطد سلطان مصر على هذه البلاد في أول عهد امنحوتب ايضاً[3] . فمن هذه الرسائل رسالة من ملك صور ابي ميلكي الى امنحتب الثالث يقدم فيها خضوعه وعبوديته . ورسالة من عبد عشترت المذكور آنفاً – قبل عصيانه على ماهو

(١) مصر القديمة ج ٤ ص ٦٢٧ و ٧٠٥
(٢) نفس الكتاب ج ٥ ص ٥١–٢٥٣
(٣) انظر تاريخ مصر من اقدم العصور لبريستيد ١٥٣–٢٦٣ ومصر القديمة لسليم حسن ج ٥ ص ٥١–٢٥٤ و ٢٥٤–٤٣٠ و ٦١٩–٦٢٩

المتبادر – الى الملك نفسه يعلن فيها كذلك خضوعه وعبوديته[1] . ورسائل من امير قطنة التي نخمن انها كانت في شمال حمص ويقوم مقامها اليوم قرية المشرفة يعلن فيها خضوعه وعبوديته ثم خضوع وعبودية ومحبة ملوك نوخاش وني واوبي ودمشق وسنزارو كنيانات وبين الرسائل رسائل عديدة تذكر حركة العصيان المذكورة آنفاً . من ذلك رسالة من حداد نيري ملك نوخاشي التي يخمنها الباحثون انها كانت في جهات حلب الى امنحوتب الثالث يخبره فيها بهجمات الحيثيين على بلاده ويطلب منه الرأي . ورسالة من رب عدي ملك جبيل الى امنحتب الرابع – اخناتون – يقول فيها « منذ رجوع والدك من صيدون وقعت البلاد في أيدي البدو الخابيرو . ورسالة من اهالي تونب التي يخمن الباحثون انها بعلبك القديمة يقولون فيها « ان مدينة تونب تتساءل الآن قائلة لم يجرأ أحد على سلب تونب في عهد تحتمس الثالث دون ان يسلبه ذلك الملك . ألا فليعلم سيدنا ملك مصر ان معبودات مصر ما تزال في تونب . ويمكن جلالتك التأكد من صدق ذلك من كبار قومك . لقد اوشكنا ان ننفصل عن مملكة سيدنا ملك مصر اذا تأخر عنا وصول الجنود والعجلات . ان ازيرو سيعاملنا كما عامل مدينة « ني » وحينئذ يعمنا الكدر كما يصيب جلالة ملك مصر الاذى لما يأتيه ازيرو . ان هذا سيرفع يده ليقاتل قوات جلالة سيدنا . اذا دخل ازيرو بلدة صميرة يفعل بنا ما يشاء ونحن في بلاد جلالة الملك سيدنا . حينئذ يندم جلالة الملك على ذلك كثيراً . لقد ثابرنا على ارسال المخاطبات لسيدنا من عشرين سنة فلم تصل الينا منه كلمة واحدة » . ورسالة من رب عدي ملك جبيل الى امنحوتب الرابع (اخناتون) يصف فيها حالة البلاد المحزنة وما وصلت اليه من العصيان راجياً مساعدة سريعة ليتمكن من طرد ازيرو من صميرة لأنه كان متأكداً من ان سقوط هذه المدينة يعني سقوط (جبيل) حتماً . ورسالة من وال مصري او امير سوري خاضع لسلطان مصر الى هذا الملك يقول فيها « حقيقة ان والدك لم يطف ولم يتفقد أراضي هؤلاء الامراء . فلما اعتليت عرش والدك وضع ابناء الملك عبد شيرتا (عبد عشترت) أيديهم على أرض جلالتك منضمين الى ملوك متاني وبابل وخيتا . ورسالة من ابي ملكي ملك صور يسأل ملك مصر النجدة بسرعة ويقول ان زمريدا ملك صيدون تحالف مع ازيرو على صور لاقتسام خيراتها . ورسالة من ابداخيبا والي بيت المقدس الى هذا الملك يقول فيها

---

(١) لاجل رسالة عبد عشترت انظر تاريخ سورية وفلسطين ولبنان فيليب حتي ص ٧٦ ولاجل الرسائل الاخرى انظر المصادر المذكورة قبل

« ستضيع جميع ارض جلالتك التي ثارت . اما اقاليم شوري Seri الواصل الى جنتي كرمل Ginti Qimil فقد شق عصا الطاعة وكذلك امراؤه . ولقد كانت سفن جلالتك الساعد القوي في بسط سلطتك على بلاد النهرين وكوش اما الآن فقد احتل بدو الخابيري بلاد فرعون ولم يبق لسيدي وال مطيع . فالكل عصاة . ليحترس الملك على قطائعه وبلاده وليرسل المدد لأنه اذا لم تصل جنود هذه السنة ذهبت ممتلكات جلالة فرعون سدى . واذا تعسر ارسال جنود هذه السنة فليرسل جلالته ضابطاً يلازمني للحضور انا واخوتي كي نموت مع سيدنا الملك . ان اهالي البلاد مهاجرون رعباً من فظائع بدو الخابيري . لقد اتلفت امتعتهم . وحطمت مدنهم . واحرقت حاصلاتهم . وضرب الجوع أطنابه في بلادهم . وهم فوق الجبال كالأغنام .

وهذه المقتبسات من كتاب تاريخ مصر من أقدم العصور لبريستيد [1] وفي كتاب التاريخ العام لعباد ورفاقه [2] نص رسالة من هذه الرسائل مرسلة الى اخناتون من رب عدي ملك جبيل يقول فيها « ان الاعداء يحاولون الاستيلاء على جبيل ويقولون اذا نحن استولينا عليها نصبح اقوياء » وفي كتاب لبنان [3] نص رسالة اخرى من هذه الرسائل يرجح الباحثون انها من نائب ملك مصر الذي كان يقيم في بيروت ويسمى « حزانو » يخبر سيده فيها انه خرج لمحاربة اعداء الدولة بخيله ورجله وعجلاته وانه ردهم على أعقابهم » .

ويظهر ان حركة حزانو هذه لم تغن شيئاً حيث تفاقمت الحالة ثانية وتوالت استغاثات الحكام فأمر اخناتون نائبه في ارض كنعان خاني بن مرى رع بالجد في الامر ونفذ هذا الامر واستطاع ان يوطد سلطان مصر ثانية على بلاد الشام بما فيها فينيقية ويأسر عدداً كبيراً من أهلها مما جعل الامراء يسارعون الى اظهار خضوعهم واعلان طاعتهم . وجاء نائب الملك الى مصر ومعه سفراؤهم يحملون الهدايا والجزية على ما ذكرته نقوش مصر [4] غير ان الحالة لم تلبث ان ارتبكت ثانية وسير الملك قائداً اسمه يانخام على رأس حملة ولكنه

---

(١) ص ١٥٠ وما بعدها

(٢) ص ١١٩

(٣) ص ٢٢٨

(٤) مصر القديمة سيرة اخناتون ج ٥ ص ٢٥١–٤٣١

عجز عن القيام بعمل حاسم . ومات أخناتون والحالة على هذا والامبراطورية المصرية في بلاد الشام وبين النهرين مفككة ومعظمها واقــع تحت سلطان ملوك الحيثيين والمتنيين والآموريين ؛ فلما تولى توت عنخ أمون بعد أخناتون سير حملة بقيادة قائده الى بلادالشام وانشب القتال مع الجيش الحيثي الذي كان بقيادة الملك مورسيل فلم يكتب لأحد مــن الفريقين نصر حاسم ثم قاد القائد حملة اخرى رافقها الملك . وقد أمكن ضرب واخضاع قبائل الخابيرو ثم اخضاع بلاد الرتنو – وهو ما كان يطلقه المصريون القدماء على بلادالشام سورية وفينيقية – على ما تفيده النقوش حيث عثر على حجر في مقبرة طيبة عليه صورته وأمامه رؤساء الأشوريين والرتنو وعليهم ملابس الفخار ومعهم مماليكهم يقدمون له الجزية في أوان ذهبية وفضية متقنة الصنع [1] .

وعادت الحالة في بلاد الشام الى الارتباك والتمرد ثانية فزحف حورمحب الذي صار اليه الملك بعده بقليل وتمكن من اعادة الامن والسلطان المصري مرة أخرى [2] . وقد عثر في جدار معبد الكارناك على مشهد فيه ثلاثة صنوف من الاسرى ملابسهم وسحنهم تدل عــلى انهم اسيويون حيث ينطوي في هـــذا تأييد لحملة قادهـــا لاخضاع تمرد في بلاد الشام .

ولما مات حورمحب وقامت الاسرة التاسعة عشرة (١٣٥٠–١٢٠٥) ق م عــادت بلاد الشام الى التمرد مرة اخرى فزحف اول ملوكها سيتي الاول عليها واخضعها [3] ، ووصل في حملته الى شمال صيره في فينيقية . اقبل عليه حكام البلاد يعلنون خضوعهم وطاعتهم .

وقد اقام لوحة عند الموقع الذي يعرف اليوم بتل شهاب سجل فيها انتصاره واسماء البلاد التي اخضعها في فلسطين والجولان وفينيقية مثل اسدرالون (مرج بن عامر) وباهو وبيت شانيل (بيسان) ورحوبو وحماة وينعم وجادر .

وقد أمر بقطع كمية من اخشاب الارز مــن لبنان واخذها الى مصر لبناء سفن

---

(١) سيرة توت عنخ امون في كتاب مصر القديمــة ج ٥ صفحة ٤٣١ – ٥٥٩ والعــقد الثمين ص ٩٠–٩٥

(٢) تاريخ مصر من اقدم العصور ص ٢٦٧ وما بعدها ومصر القديمة ج ٥ ص ٥٨٠ — ٦١٨ وج ٦ ص ١٣

(٣) نفس الجزء ٢٧–١٩٨ سيرة سيتي

مقدسة . وبعد أن استجم قاد حملة ثانية وزحف بها عن طريق فينيقية لاخضاع الحيثيين . ولكنه لم يحرز انتصاراً حاسماً عليهم واضطرته الظروف إلى عقد معاهـــدة معهم غدت حدود السلطان المصري بموجبها عند نهر الكلب [1] . ولما مات هذا الملك نقض الحيثيون معاهدتهم وأخذوا يحرضون ملوك الشام وفينيقية على التمرد على سلطان مصر فزحف رمسيس الثاني الذي تولى بعده وتمكن من توطيد سلطان مصر على فلسطين ثم على فينيقية وأقام على صخور نهر الكلب نصباً عليه صورته وهو في ثوبه الملكي ساجداً لمعبوده رع ونقش على النصب خبر زحفه وانتصاره [2] . ولقد تكرر تمرد هذه البلاد بتحريض الحيثيين في عهـــد رمسيس الثاني ؛ وتكرر زحفه عليها وكان ينتصر ويوطد سلطانه وقد مده في بعض زحوفه إلى بين النهرين واستمر هذا خمس عشرة سنة ثم اتفق مع ملك الحيثيين على الصلح على أن يكون من وادي نهر العاصي (الاورانت) فما فوق تحت سلطان الحيثيين وما في جنوب هذا الوادي تحت سلطان مصر ؛ وكانت فينيقية في هذا التقسيم تحت سيادة مصر [3] .

وقد قويت الصلات بين مصر وبلاد الشام ومن جملتها فينيقية في عهد رمسيس الثاني على ما تدل عليه النقوش حيث كانت القوافل التجارية تغـــدو وتروح بكثرة بينهما فاقت ما كانت عليه في عهد الاسرة السابقة . وكانت الطريق الرئيسية للقوافل برزخ السويس بالاضافة إلى ما كانت عليه الملاحة التجارية مـــن نشاط بين موانيء مصر وموانيء البحر المتوسط . وقد كثر الأثاث السوري الجميل في قصور الاعيـــان . وقام في مدينتي منف ورعمسيس وغيرهما أحياء خاصة بالتجار الفينيقيين والسوريين عبدوا فيها معبوداتهم الخاصة بعل وعشتار وقوي الاختلاط الدموي بينهم وبين مصر والمصاهرة حتى لقد زوج رمسيس الثاني أحد أبنائه من ابنة ضابط بحري سوري اسمه انات ، وصار للسوريين مركز قوي في القصر الملكي ودواوين الحكومة [4] .

---

(١) مصر القديمـــة ج ٦ ص ٢٧ - ١٩٨ وتاريخ مصر مـــن اقدم العصور لبريستيد ص ٢٦٧ وما بعدها

(٢) جاء في كتاب لبنان ص ١٠٨ حينما ذكر هذا النصب انه يوجد في المكان نفسه نصب آخر يمثل بعض الفراعنة مع الاله عمون ورقيم هيروغليفي مطموس ولعل الفرعون تحوتمس الثالث

(٣) مصر القديمة ج ٦ ص ١٩٨ وما بعدها وتاريخ مصر من اقـــدم العصور لبريستيد صفحة ٢٦٧ وما بعدها .

(٤) المصدران السابق ذكرهما ايضاً وانظر خاصة مصر القديمة ج ٦ ص ٥٨٥ وما بعدها

ولما مات رمسيس الثاني نقض الحيثيون المعاهدة وعادوا إلى تحريك بلاد الشام ضد مصر فقامت ثورة تمردية عامة في جميع انحائها حتى حدود مصر . وقد سارع منفتاح الاول ابن رمسيس الى الزحف واستطاع اخماد العصيان والتنكيل بحاملي لوائه تنكيلا شديداً ونقش خبر ذلك على جدار عمارة أنشأها في طيبة [1] في قصيدة جاء فيها فيما جاء « الرؤساء مطروحون أرضاً يعلنون السلام . لم يعد واحد من قبائل البدو في الاقواس السبعة يرفع رأسه . امتحنو خربت . بلاد خاتي اصبحت مسالمة . كنعان اسرت مع كل خبيث . ازيلت عسقلان . جيزر قبض عليها . ينوم اصبحت لا شيء . اسرائيل خربت وليس لها بذر . خارو أصبحت أرملة مصر . كل الارض وجدت السلم . وكل مـــن ذهب جائلا أخضعه ملك الوجه القبلي والوجه البحري بن رع محبوب آمون ابن الشمس مرنبتاح منشرح الصدر معطي الحياة كل يوم مثل رع [2] .

وفي عهد الملك الذي خلف هذا تعرضت مصر لغزوات خارجية أدت إلى اضطراب احوالها ، واستمر ذلك بقية مدة الاسرة فانتفض سلطان مصر وانهار أو كاد في بلادالشام وفينيقية ، فلما قامت الاسرة العشرون ١٢٠٠–١٠٩٠ واستقرت حـــالة مصر وتحسنت استطاع ثاني ملوكها رعمسيس الثالث [3] ان يعيد سلطان مصر الى الاماكن التي كان قائماً فيها في بلاد الشام بما فيها فينيقية على ما تفيده الآثار والنقوش . وقد كثر السوريون في حاشية هـــذا الملك حتى صاروا أصحاب نفوذ قوي في الدولة والبلاط الملكي (وتعبير السوريين يشمل كالعادة الكنعانيين الفينيقيين) .

وعاد أهل بلاد الشام إلى التمرد بعد موت هذا الملك ولكن رعمسيس الرابع الذي خلفه تمكن من اخضاعها ثانية وسجل نصره على حجر عثر عليه [4] . على ان امور الدولة ارتبكت بعد هذا الملك واستمر ارتباكها في عهد الملوك الآخرين فأدى ذلك الى انهيار

---

(١) ج ٧ مصر القديمة ص ١–٢٠٣ سيرة منفتاح

(٢) فسر مؤلف الكتاب المأخوذ منه النص والمذكور آنفاً الاقواس التسعة بأقوام لوبية وبحر ايجة والنوبة وبلاد الشام وبين النهرين التي كانت خاضعة لمصر . والتمحو اسم قبائل لوبية وخاني تعني الحيثيين . وعسقلان وجيزر وينوم مدن في فلسطين . واسم خارو كان يطلق على بعض بلاد الشام .

(٣) سيرة هذا الملك في مصر القديمة ج ٧ ص ٢٦٤–٦٣٨ وتاريخ مصر من اقدم العصور لبريستيد ص ٣٢١ وما بعدها

(٤) العقد الثمين ص ١٣٧–١٤٠

سلطان مصر عن بلاد الشام وفينيقية واستمتاع ملوكها باستقلالهم وسيادتهم لفترة من الوقت . وقد عثر على مدونة لموظف في عهد آخر ملوك الاسرة جاء الى جبيل بمهمة اخذ أخشاب لصنع السفن المقدسة فقوبل من ملكها ذكر بعل مقابلة جافة وحاوره محاورة تدل على استهتار بشأن ملوك مصر وسقوط هيبتهم في بلاد الشام وفينيقية [1] .

وقد برز في أواخر عهد هذه الاسرة زعيم من الدلتا اسمه سمندس واستطاع ان يستولي على الحكم وتصدى حكام طيبة له فاستعان بملوك بلاد الشام من كنعانيين وعموريين وفينيقيين واسرائيليين فسارعوا إلى نجدته ونصروه على الجنوب كأنما أرادوا باستجابتهم ان ينسوا عن انفسهم ويشعروا بسيادتهم وحريتهم ويكيلوا بما كان يكال لهم [2] .

ولقد أدى بروز سمندس الى انقسام الحكم في مصر الى قسمين جنوبي يتولاه كهان طيبة وشمالي يتولاه سمندس وخلفاؤه من ذريته من بعده [3] ، فلم تستطع مصر ان تستعيد سلطانها على بلاد الشام وفينيقية في عهد هـذا الحكم المزدوج الذي عرف باسم الاسرة الحادية والعشرين والذي امتد نحو قرن وثلث قرن (١٠٨٥ - ٩٥٠) فظلت هـذه البلاد مستمتعة بسيادتها واستقلالها في هذه الحقبة . وكانت صور فيها في ذروة بروزها وازدهارها واستطاع بنو اسرائيل أن يقيموا لهم دولة في بعض انحاء فلسطين تحت ملك طالوت وداود وسليمان ، وان كانت فلسطين خاصة ظلت من الوجهة الرسمية والاسمية تابعة لسيادة مصر وتعد من ولاياتها [4] .

ولقد ورد في الاصحاح التاسع من سفر الملوك الاول في النسخة البروتستانتية والثالث في النسخة الكاثوليكية ان ملك مصر صعد الى فلسطين وضرب جاذر (احدى مدنها الجنوبية) وأحرقها ثم أهداها لسليمان مهراً لابنته التي تزوجها سليمان كما ورد في الاصحاح الحادي عشر من السفر نفسه ان هدد امير ادوم فر من وجه سليمان الى مصر فآواه ملكها وزوجه اخت زوجته وظل في حماه الى ان مات داود فعـاد الى بلاده [5] . وورد في

---

(١) سيرة رعمسيس الحادي عشر ج ٨ ص ٥٢٢-٦٠١

(٢) نفس المصدر

(٣) انظر سيرة هذه الاسرة في مصر القديمة ج ٨ ص ٦٥٩-٧٩٦ وج ٩ ص ١-٧٤ وتاريخ مصر من اقدم العصور ص ٣٠٣ : ٣٥٧

(٤) تاريخ مصر من اقدم العصور ايضاً ص ٣٥٣

(٥) سليم حسن يخمن ان الملك في الحالتين هو بسوسنس الثاني آخر ملوك الاسرة الحادية والعشرين . انظر ج ٩ ص ٧٠ : ٧٣ من مصر القديمة .

الاصحاح نفسه ان يربعام تمرد على سليمان فطارده ففر الى مصر لاجئاً وحظي عند شيشاق فرعونها[2]، حيث يدل كل هذا على ما كان من صلة سيادة ما لمصر على فلسطين في عهد داود وسليمان امتداداً لما قبلها [1] وان كانت قبضتها عنها قد خفت وغدت اسمية اكثر منها فعلية .

ولما انتهى عهد الاسرة الحادية والعشرين قامت الاسرة الثانية والعشرون (٩٤٥—٧٤٥ ق‌م) واستطاع أول ملوكها شيشاق فرض هيبته وحكمه على جميع مصر طمح الى اعادة سلطان مصر على بلاد الشام فمد اصبعه الى مملكة فلسطين فأرسل يربعام اللاجىء عنده فقاد حملة تمرد ضد رحبعام ابن سليمان ادت الى انشطار هذه المملكة إلى دولتين اسرائيل ويهوذا ثم غزاها وفرض سلطانه عليها . ثم دس اصبعه في صور وأدى ذلك الى اغتيال ملك صور عبد عشتروت وقيام ملك محله موال له . ولقد سجل شيشاق خبر غزوته هذه في نقش على بوابة اقامها بين معبد رعمسيس الثالث والبوابة الثانية في طيبة سماها بوابة النصر ذكر فيه انه استولى على جميع فلسطين وانه وصل الى بلاد ميتاني (في جزيرة الفرات) غير ان المؤرخين الاثريين بريستيد وسليم حسن قالا ان شيشاق لم يتجاوز فلسطين في زحفه وان ما سجله كان من قبيل التباهي . وقد ذكر سليم حسن نقلا عن اثري اسمه مونتيه ان شيشاق ارسل تمثاله الى ملك جبيل ووصى رسوله ليتحدث مع الملك في صدد الحملة التي كان يعتزم تسييرها حيث يدل هذا ان صح على انه كان بين مصر وجبيل صلة ما ولعل شيشاق عرض على ملكها التحالف معه ضد صور .

على ان سلطان مصر انكمش بعد هذا الملك عن فلسطين ايضاً وظل منكمشاً بقية مدة الاسرة الثانية والعشرين والاسرتين الثالثة والعشرين (٧٤٥—٦٧٠ ق‌م) . فلما آل حكم مصر الى الاسرة الخامسة والعشرين الاثيوبية (٧١٢-٦٦٣ ق‌م) تطلع احد ملوكها شباكا الى بلاد الشام على امل مد سلطانه اليها . ومما رواه سليم حسن في سياق ذلك [3]

---

(١) انظر ص ٢٠٧ من تاريخ سورية ولبنان وفلسطين لفيليب حتي ترجمة حداد ايضاً .

(٢) انظر سيرة شيشاق في كتاب مصر القديمة ج ٩ ص ١٠٧:١٧٥ وسفر اخبار الايام الثاني الاصحاح (٢٢) وتاريخ سورية للدبس الجزء الاول المجلد الاول ص ٢٩٩ وتاريخ مصر من اقدم العصور لبريستيد ٣٥٧ : ٣٦٢

(٣) مصر القديمة ج ١١ ص ٥٨٣:٤٢٤ انظر لهذه النبذة التي شملت قصة المصاولات بين مصر واشور تاريخ كلدة واشور لادي شير ج ١ ص ١٢٥٠٨٦ والعقد الثمين ١٧٦ وما بعدها وتاريخ مصر من اقدم العصور لبريستيد ص ٣٦٣:٣٧٧

ان الأشوريين قد غزوا هذه البلاد وفرضوا سلطانهم عليهـــا فاستنجد ملوكهم بشباكا وعقدوا معه حلفاً . واعتبر شباكا ذلك بمثابة عودة سلطان مصر إلى هذه البلاد حتى انه نقش الخبر على جدران الكارناك وقال انه أخذ الجزية من ملوكها .

وبلغ الخبر سلمناصر ملك أشور (٧٢٧–٧٢٢) فزحف على بلاد الشام وتأخر شباكا عن نجدتها فبادر ملوكها إلى إعلان خضوعهم له ولكنهم لما عـــاد الملك الاشوري إلى عاصمته عادوا إلى التمرد بالاتفاق مع شباكا أيضاً فعاد سلمناصر ثانية وقسم جيشه قسمين سير واحداً منهما نحو فينيقية وزحف على رأس الآخر على فلسطين وضرب الحصار عـــلى عاصمة مملكة اسرائيل التي كانت مندمجة في التمرد مع مصر وملوك الشام . وظـل شباكا متربصاً . ولقـــد اضطر سلمناصر إلى العودة إلى بلاده وما لبث أن مات فزحف خليفته سرجون الثاني (٧٢٢–٧٠٥) عـــلى فلسطين ونسف مملكة إسرائيل . وبادر شباكا إلى الزحف ووصل إلى غزة حيث انضم اليه ملكها فزحف سرجون عليه فانهزم شباكا ووقع ملك غزة في الاسر . وقد انسحب شباكا إلى الجنوب فراراً من وجه الاشوريين ووطد هؤلاء سيادتهم على مصر . غير ان شباكا كر بعد قليل واستطاع ان يغلب الاشوريين وأولياءهم فزحف سناحريب الذي خلف سرجون (٧٠٥–٦٨١) واشتبك مـــع قوات شباكا التي كانت بقيادة أخيه طهراقة على الحدود فهزمها ووطد سلطان أشور على مصر ثانية . وفي هذه الاثناء مات شباكا وتولى شبتاكا محله فزحف على مصر وتمكن من فرض سلطانه عليها عوداً على بدء . ولم يلبث هذا أن مات أو قتل فخلفه طهراقـــة الذي اغتنم فرصة ارتباك ألم بأشور فحرك بلاد الشام فاستجابت اليه وأعلنت تمردها فزحف اسرحدون (٦٨٠–٦٦٨) الذي آل اليه العرش الأشوري على بلاد الشام فأخضعها ثم زحف نحو مصر واشتبك في جولتين مع طهراقه وتغلب عليه في الثانية ومزق شمل قواته واقام ملكاً اسمه نخاو على مصر تحت سيادته . وقد نقش خبر انتصاره على حجر تذكاري نصبه عنـــد نهر الكلب ورسم عليه صورته وأمامه طهراقة راكعاً وفي أنفه حلقة العبودية .

ولم يكد اسرحدون يعود إلى نينوى عاصمة آشور حتى كر طهراقة ثانية وتغلب على الحاميات الأشورية فزحف آشور بانيبال الذي خلف اسرحدون (٦٦٧–٦٢٧) على مصر واشتبك مع طهراقة وتغلب عليه وهزمه ووطد سلطان اشور على مصر . ولم يكد هذا يعود حتى كر طهراقة لثالث مرة وتمكن من التغلب عـــلى الحاميات الاشورية . وسير اشور بانيبال نجدة قوية اضطرت طهراقة الى الانسحاب ولم يلبث ان توفي . وجمع خلفه

تانوتآمون جموعه ورحف بها نحو مصر وقتل الملك نخاو الذي عينه الأشوريون . وسير ملك أشور حملة جديدة اشتبكت معه وهزمته ثم اقامت ملكاً جديداً اسمه بسماتيك تحت السيادة الأشورية .

ولقد ألم ارتباك بدولة أشور بعد قليل فاستطاع بسماتيك ان يمارس الاستقلال والسيادة . وانتهز نخاو الثاني الذي خلفه على العرش فرصة ذلك الارتباك فزحف نحو آسيا سنة ٦٠٣ ق م فتصدى له ملك يهوذا ولكنه تغلب عليه وفرض سلطانه على فلسطين ثم زحف نحو الشام وفرض سلطانه عليها حتى وصل إلى الفرات وكانت فينيقية من جملة ما انبسط سلطانه عليه . واستدل على ذلك من نقش على حجر عثر عليه في صيدا .

ولقد ذكر مؤلفو كتاب لبنان ١ انه وجد في جبيل نصب عظيم يمثل أحد الفراعنة وعلى جبهته الحية الرمزية وامامه الالاهة ايزيس وعلى رأسها القرص الشمسي مع قرني بقر كما كانوا يصورونها في مصر . ولقد ذكر بريستيد ٢ ان الالاهة ايزيس اعتزت في عهد الاسرة السادسة والعشرين التي كان نخاو الثاني المذكور احد ملوكها حيث يحتمل ان يكون هذا التمثال عائداً الى هذه الفترة من السيادة المصرية .

وفي هذه الاثناء زالت مملكة أشور وقام في العراق مملكة جديدة عاصمتها بابل فأرسل ملكها نابولانصر الذي وطد سلطانه على جميع العراق ابنه نبوخذ نصر (بختنصر) لفرض سلطانه على بلاد الشام لاعتباره اياها من نطاق مملكته كوارث لسلطان الاشوريين فيها . فسارع نخاو إلى لقائه ونشب بين الطرفين قتال في شمال سورية دارت الدائرة فيه على نخاو . غير ان بختنصر جنح الى التهادن معه لاضطراره الى العودة الى بابل بسبب موت أبيه ٣ . ولما عاد نخاو الى مصر قوى أسطوله وجيشه واخذ يحرض بلاد الشام على الدولة البابلية الجديدة . وكان أول المستجيبين للتحريض ملك يهوذا في فلسطين فأعلن العصيان . فزحف عليه بختنصر وأخضعه . ولكنه لم يكد بختنصر يعود الى بابل حتى تمرد ثانية استجابة لتحريض نخاو الذي وعد بالمساعده فزحف بختنصر ثانية وعزل الملك وعين ملكاً خاضعاً له . ولم يف نخاو بوعده .

ومع ذلك فان مصر لم تنفض يدها . اذ ان الملك وح ابوع الذي آل اليه العرش بعد

---

(١) ص ١٠٩

(٢) تاريخ مصر من اقدم العصور تعريب حسن كمال ص ٣٨٢ وبعدها

(٣) العقد الثمين ١٨٩ : ١٩١ وتاريخ كلدة وأشور لادي شير ج ١ ص ١٣٩ : ١٥٣

بسماتيك الثاني بين نخاو المذكور آنفاً استطاع أن يفرض سلطانه على بعض أنحاء فينيقية لفترة من الوقت. وقد حرض ملوك فينيقية وملك يهوذا على الدولة البابلية. فزحف بختنصر لثالث مرة على فلسطين . وبينما كان يحاصر اورشليم عاصمة يهوذا علم ان نجدة مصرية آتية فسارع إلى لقائها وهزمها هزيمة شديدة قرب غزة ثم عاد الى اورشليم فاستولى عليها ونهبها ودمرها ، وكان ذلك سنة ٥٨٦ ه . وقد أرسل في الوقت نفسه حملة إلى فينيقية فضربت الحصار أولا على صور واستطاعت أن تستولي عليها بعد مقاومة طويلة ودمرتها فلم يكن من بقية ملوك فينيقية وسورية إلا أن أعلنوا خضوعهم لسلطان بابل . وقد زحف بختنصر بعد ذلك على مصر فسارع ملكها الى اعلان خضوعه والتعهد باداء الجزية . ولما عاد بختنصر إلى بابل عادت مصر الى الحركة حيث نشط الملك ابريس الذي صار اليه الملك من الاسرة نفسها وارسل اسطوله الذي غلب الاسطول البابلي الراسي في مياه فينيقية، وتمكن نتيجة لذلك من فرض سلطانه على صيدا وصور وغيرها من انحاء فينيقية . غير ان هذا لم يطل حيث زحف بختنصر سنة ٥٦٧ وتمكن من اعادة سلطانه على سورية وفينيقية ومصر.

ولقد مات بختنصر سنة ٥٦٢ ق م فارتبكت حالة الدولة البابلية ؛ فانقض الفرس عليها بزعامة كورش ونسفوها سنة ٥٣٨ وبسطوا سلطانهم على العراق . واعتبروا أنفسهم ورثة البلاد التي كانت تحت سيادة بابل فزحف كمبيز ابن كورش حينما آل اليه العرش وتمكن من بسط سلطانه على سورية وفينيقية وفلسطين ومصر سنة ٥٢٥ ق م [١] .

ومع ذلك فقد تيسر لمصر ان تطرد الحاميات الفارسية وان تمارس استقلالها وسيادتها فترة بعد فترة بزعامة ملوك منها . وقد سجل لهؤلاء الملوك بعض حركات في اتجاه فينيقية أيضاً . فقد قاد أحدهم زت تاخو حوالي سنة ٣٦٠ جيشاً وسار به نحو فينيقية للقاء القوات الفارسية وصدها فأخفقت حركته وأسره الفرس . وتحالف ملك ثان منهم اسمه نقطانب الثاني حوالي سنة ٣٥٥ ه مع ملوك صور وصيدا فقامت جبهة مشتركة ضد الفرس غير ان هذه الحركة أخفقت كذلك حيث هزم الفرس جيوش هذه الجبهة واعادوا سيطرتهم على بلاد الشام ومصر ثانية . وبعد قليل زحف الاسكندر المكدوني على الشرق فاستولى على بلاد الشام ومصر ونسف دولة الفرس . فكانت حركة نقطانب الثاني هذه.

---

(١) العقد الثمين ١٩٣ : ١٩٦

تفصيل ما كان بين الممالك الفينيقية والدول العراقية [1]

-١٠-

لقد مر شيء من ذلك في سياق ما كان بين مصر والممالك الفينيقية . غير ان هناك اشياء أخرى يمكن ان تضاف الى ما ذكرناه منها ما هو عائد الى تاريخ أقدم من تاريخ ما ذكر في ذلك السياق ومنها ما فيه تفصيلات وافية لما ذكر اقتضاباً فيه لأنه لم يكن هناك موضعه . وأول من اتجه من العراق نحو بلاد الشام سرجون الاكادي الذي مد سلطانه إلى ما بين النهرين ثم الى بلاد الشام الداخلية والخارجية . وقد اختلف المؤرخون اختلافاً كبيراً عجيباً في تاريخ هذا الملك . فمحمد رفيق يؤرخه في كتابه التاريخ العام بالقرن الاربعين وادي شير بالقرن الثامن والثلاثين وبريستيد في كتابه القرون القديمة بالثامن والعشرين . وطه باقر في مقدمة الحضارات بالرابع والعشرين !

ومما رواه ادي شير ان نارام سين ابن سرجون احتفظ بسلطانه على بلاد الشام الساحلية والداخلية ومده الى حدود مصر [2] .وقد سار ملوك أور في عهدسلالتها الثالثة الامبراطورية على هذه الخطة فمدوا سلطانهم الى بلاد الشام بعد انكماشه عنها بعد الاسرة الاكدية . ولقد استولى العيلاميون على العراق الجنوبي بعد ذلك فاتجه ملكهم كدر لاعومر الذي يختلف تقدير المؤرخين لزمنه بين القرن الثالث والعشرين والقرن التاسع عشر قبل الميلاد في نفس الاتجاه فزحف على بلاد الشام وفرض سلطانه عليها . وقد ذكر ذلك في سفر التكوين من اسفار العهد القديم [3] . ولما قويت الدولة البابلية الامورية الاولى واستطاع سادس

---

(١) مرجع هذه النبذة الجزء الثاني والجزء الثالث من تاريخ الجنس العربي للمؤلف والجزء الاول من المجلد الاول من تاريخ سورية للدبس ص ١٩٣ وما بعدها و ٣٠٣ وما بعدها وتاريخ كلدة واشور لادي شير اسقف سمرد ج ١ ص ٤ : ٢٧ و ٥١ : ١٥٩ وتاريخ بابل واشور لجميل المدور والجزء الاول من مقدمة الحضارات القديمة لطه باقر ١١٥ وما بعدها .

(٢) تاريخ كلدة واشور ٢٤

(٣) الاصحاح الرابع عشر

ملوكها حمورابي الذي يختلف المؤرخون كذلك في تقدير زمن حكمه بين القرن الثالث والعشرين والقرن الثامن عشر [1] ان يجلي عن بلاده العيلاميين وان يوحد جميع العراق تحت سلطانه اتجه في نفس الاتجاه فمد سلطانه الى حوض الفرات ثم بلاد الشام داخلها وساحلها وقد ظل الامر كذلك ردحاً من الزمن بعده ثم انكمش السلطان العراقي عن بلاد الشام وظل منكمشاً بضعة قرون كان المصريون هم اصحاب السلطان فيها على بلاد الشام داخلها وساحلها منذ القرن السادس عشر الى القرن الثاني عشر قبل الميلاد على مـــا شرحناه في النبذة السابقة .

ولما قويت المملكة الاشورية تطلع ملوكها الى الاتجاه نفسه وكان اول من فعل ذلك تغلات بلاشر الاول (١١١٥ – ١١٠٠) حيث مد سلطانه الى بلاد الشام ومـــن جملتها فينيقية في جملة ما مده اليه من اقاليم واقام نصباً تذكارياً لذلك عليه صورته وخـــبر حروبه فوق صخرة قائمة على نهر الكلب – في جوار بيروت – لا يزال قائماً الى الآن . وارتبكت المملكة الآشورية بعده فتفلتت فينيقية وغيرها من سلطانها واستمر ذلك نحو مئتي عام (١١٠٠ – ٩٠٠) وهذه الفترة مصادفة لفترة سؤدد صور واستقلالها في عهـــد الامرة الحيرامية وداود وسليمان في فلسطين ، وان كان تخللها هجوم شيشق وفرض سلطانه على فلسطين ومحاولته مد هذا السلطان على بلاد الشام . ثم نشطت آشور وقويت منـــذ اوائل القرن التاسع فتقدم اسور ناصر بال احد ملوك هذه الفترة (٨٨٥ – ٨٦٠) نحو حوض الفرات والاقاليم الشامية وفرض سلطانه عليها . وقد عبر جبل لبنان ونزل الى البحر الابيض واعلنت ممالك فينيقية خضوعها له وقدمت هداياها وقطع كثيراً من اشجار لبنان وارسلها الى نينوى . وقد ذكر ذلك في نقوشه وعدد الملوك الذين اخذ منهم الجزية ومن جملتهم ملوك صيدا وصور وجبيل وارواد وقال إن جزيتهم مـــن الذهب والفضة والنحاس والحديد والادوات الحديـــدية ونسيج الصوف والكتان واخشاب الصندل والابنوس وجلود الحيوانات وإنه قدم محرقة على صخر تتلاطم عليه امواج البحر شكراً للآلهة على احسانهم اليه وانه ركب السفن التي اخذها من ارواد متنزها في البحر فقتـــل دلفيناً وانه اكب على الصيد في لبنان فاصطاد خنازير وبقراً وحشية وايايـــل وغزلاناً

---

(١) تاريخ كلده وآثور ج ١ ص ٢٧ ـــ ٣٢ وفي الجـــزء الاول من مقدمة الحضارات القديمة ص ١٣٩ ـــ ١٥٦ .

ونسوراً واخذ بعضها حية الى نينوى وقتل نموراً وضباعاً وثعالب الخ . . وخلفه ابنه سلمناصر الثالث الذي تكررت حملاته على بلاد الحيثيين والآراميين والفينيقيين حيث يدل على انها كانت تتمرد على السلطان العراقي مرة بعد مرة ؟ وقد كان سلمناصر ينتصر في حملاته ويرهب البلاد ويكتفي بما يظهره ملوكها من خضوع ويهدونه اليه من الهدايا ولا يقيم فيها حاميات فلا تلبث ان تعود الى التمرد . وكان ذلك يحدث بتحريض الحيثيين الذين كانوا في زمن السلطان المصري يفعلون ذلك ايضاً على ما شرحناه في النبذة السابقة . وقد نقش هذا الملك اخبار حملاته وحروبه وذكر في نقوشه في جملة من كان يستجيب الى التحريض ويشترك في القوات المتحالفة ملك ارقانات (عرقا) وماتينو ملك ارواد ومالك اوسنات . وفي نقش من النقوش ذكر ان اثني عشر ملكاً من ملوك سواحل البحر تحالفوا مع ملك دمشق ضده فكسر الجميع . وقد نزل الى ساحل البحر ونقش صورته على صخرة قائمة على نهر الكلب بجانب صورة تغلات بلاصر؟ وقد ذكر صور وصيدا وجبيل من جملة من خضع له وأدى اليه الجزية . وطرأ على آشور ارتباك ووهن بعد قليل من موت هذا الملك فتمردت سورية وفينيقية مع بلاد اخرى واستمر السلطان العراقي منكمشاً عنها ردحاً من الزمن . ثم عاد الى آشور نشاطها على يد تغلات بلاسر الثالث (٧٤٥ — ٧٢٧) فزحف على الاقاليم المتمردة واخضعها واحدة بعد اخرى وفي جملتها فينيقية التي سارع ملوكها الى اعلان الطاعة وتقديم الجزية . وعادت هذه البلاد الى التمرد وكان المحرك هذه المرة ملك دمشق الذي تحالف مع موتون الثاني ملك صور وغيره . وزحف تغلات للمرة الثانية ففتح دمشق وقتل ملكها فسارع ملك صور وغيره من ملوك فينيقية الى اعلان الطاعة وتقديم الجزية . وقد نقش هذا الملك اخبار حروبه ولكن الاحجار وجدت محطمة وقرىء عليها اسم صميره من جملة ما اخضعه من مدن فينيقية . وخلفه ابنه سلمناصر الخامس (٧٢٧—٧٢٢) وكانت مصر تحرك اسرائيل وفينيقية على التمرد فزحف هذا الملك فسارع ملوك فينيقية الى اعلان الطاعة وتقديم الهدايا ، ولما عاد الى نينوى عادت مصر الى التحريك واستجابت فينيقية لها فزحف الملك الآشوري ثانية وقسم جيشه الى قسمين وسار على رأس احدهما الى فينيقية فاخضعها عدا صور التي كانت متحصنة بالبحر ، وقد حاول غزوها من البحر فاخفق حتى لقد استطاع الصوريون اسر خمسمئة من رجاله . وحينئذ ضرب عليها الحصار وعاد الى نينوى وما لبث ان مات . وخلفه سرجون (٧٢٢— ٧٠٥) وكان الحصار قد اجهد صور فطلبت منه الامان فنحها اياه بعد ان تعهدت بالخضوع واداء الجزية . وعادت مصر فحركت ملوك سورية وفينيقية ضد آشور واستجابت للتحريك وحملت السلاح بقيادة ملك حماه وطردت الحاميات الآشورية فسارع سرجون الى الزحف

وهزم الجيوش المتحالفة وفرض سلطانه على البلاد المتمردة . وقد نقش اخبار زحوفه وانتصاراته ومما ذكره ان سبعة من ملوك جزيرة يمنا — وقد فسرها مترجم الخبر بقبرص — اعلنوا خضوعهم في جملة من اعلن خضوعه له وارسلوا اليه الخراج ، وقال انه لم يسمع بهؤلاء أحد من سلفائه وانه ارسل اليهم صورته منحوتة على عمود من المرمر الأسود وجد في التنقيبات الحديثة . وتولى بعد سرجون سنحاريب (٧٠٥ — ٦٨١) الذي ظهرت بوادر العصيان ضده في سورية وغيرها من الاقاليم ؛ وقد زحف على البلاد المتمردة وغلبها واخضعها واحدة بعد اخرى وفر منه ملك صور لولالي الى قبرص حيث مات غماً فأقام مكانه توبعل واستولى فيما استولى عليه من فينيقيا على صيدا وبيت زيت وصاربتا (صرفند) ومحلبا واوشو واوكزيب (الذيب) واكو (عكا) وقد دب الذعر في قلوب ملوك فينيقية الآخرين فسارعوا الى اعلان الطاعة ومن جملتهم بوبعل ملك صيدا وعيد بيليت ملك ارواد واور ملك جبيل ومناحم ملك سمشورتا . وقد نقش اخبار حروبه . وذكر هذه الاخبار في نقوشه . وتولى العرش بعده اسرحدون (٦٨٠ — ٦٦٧) ؛ وقد خامر عليه ملك صيدا عبد ملكرت فزحف على صيدا بنفسه وقبض على الملك بينما كان يحاول الفرار بحراً وقطع رأسه ونهب صيدا واحرقها وانشأ تجاهها مدينة سماها دور اسرحدون ونقل اليها أقواماً من بلاد الكلدان الجنوبية وولى عليها والياً آشورياً . وقد قدم عليه اثنان وعشرون ملكاً من ملوك سورية وفينيقية فاعلنوا خضوعهم وقدموا هداياهم ومن جملتهم بعل ملك صور وملكي آصاف ملك جبيل وماتان بعل ملك ارواد وابي بعل ملك شمشرتا وعشرة ملوك من قبرص على ما جاء في نقوشه التي سجل فيها زحفه وانتصاره . وعاد بعض ملوك فينيقية وبلاد الشام فتمردوا استجابة لتحريك ملك مصر ومن جملتهم ملك صور فزحف اسرحدون على مصر اولا وكسر ملكها وفرض سلطانه عليها ثم انقلب منها الى بلاد الشام وفينيقية فاخضعها ، ونقش على صخور نهر الكلب صورته الى جانب صور رمسيس الثاني وتغلات بلاسر وذكر تحتها خبر انتصاره . وقد عثر على حجر عليه صورته وقد ركع امامه ترهاقة ملك مصر وبعل ملك صور وفي انفيهما حلقة علامة العبودية . وقد جاء في بعض النقوش التي نقشها عن اعماله « اول ما خلدت الى الغارات وجهت طلائع بأسي جهة فينيقية فحاصرت مدينة صيدا التي على فم البحر ودككت اسوارها ونسفت مصانعها وهياكلها وطرحت انقاضها في البحر وقتلت من فيها من الكبراء والزعماء وفر ملكها عبد ملكرت واوغل في البحر فتعقبته وشققت الامواج وراءه حتى ادركته وجدعت انفه ثم عدت فاستحوذت على

ما في خزائنه من الذهب والفضة والحجارة الكريمة والجلود المعطرة والابنوس والأنسجة الارجوانية واستابت من مملكته الرجال والنساء والبقر والشاة والدواب وسائر ما تهيأ لي نقله الى مملكتي وشيدت حصناً منيعاً سميته دور اسرحدون وشحنته بالرجال الذين جلبتهم من ناحية مشرق الشمس ، وخلف اسرحدون اسوربانيبال (٦٦٧ — ٦٢٧) فعاد ملك مصر الى التحريك فزحف هذا على بلاد الشام ثم على مصر فوطد سلطانه عليها وقد استعان بالملاحين الفينيقيين وسفنهم في مطاردة طرهاقة ملك مصر بالنيل الى طيبة . وتمرد شمسومكين اخو اسور بانيبال وملك بابل على اخيه وحرض ملوك فينيقية وبلاد الشام فاستجابت اليه بعضهم . فلما تغلب الملك الاشوري على اخيه في بابل زحف على بلاد الشام ونكل بالخامرين عليه مع اخيه . وقد قرىء في نقش له « ذللت بعلاً ملك صور وجعلته يعرض عن طماحه ويخضع عنقه لنيري واشخصت بناته وبنات اخيه ليكن اماء لي واتى ابنه ياملك يبدي خضوعه لي ويقدم الي تقادم لم يسبق الي مثلها ويدفع لي بنته وبنات اخوته رهائن فغفرت عنه ونصبته ملكاً على صور .

وضعفت المملكة الأشورية بعد اسور بانيبال ثم تحالفت ضدها البابليون والماديون فقوضوها واقتسموها فاغتنم ملك مصر نحاو ومد يده الى سورية وفينيقية حتى الفرات فزحف نبوخذنصر وهزمه فسارع ملوك سورية وفينيقية وفلسطين الى التمرد فزحف نبوخذ نصر ثانية وقسم جيشه الى قسمين ارسل احدهما لاخضاع فينيقية وانقض بالثاني على سورية وفلسطين . وقد طالت مقاومة صور ولكنها سقطت اخيراً فامر بدكها حتى صارت قاعاً صفصفاً واسر ملكها ايتوبعل وكثيراً من اعيانها ونفاهم الى بابل فلم يكن من بقية ملوك فينيقية الا ان اعلنوا خضوعهم . ولم تنفض مصر يدها فان ابريس احد ملوك الاسرة السادسة والعشرين اعلن استقلاله ثم مد يده الى سورية وفينيقية ووطد سلطانه عليها بعض الوقت فزحف نبوخذ نصر للمرة الثالثة سنة ٥٦٧ ق م ووطد سلطانه مرة اخرى على هذه البلاد ثم على مصر .

ومات نبوخذ نصر سنة ٥٦٢ فارتبكت احوال مملكته وفي سنة ٥٣٨ ق م انقض عليها الفرس بزعامة كورش فنسفوها ووطدوا سيطرتهم عليها .

ولقد اعتبر الفرس جميع البلاد التي كانت خاضعه لبابل تابعة لهم ومن جملتها فينيقية وحرصوا على انبساط سلطانهم عليها . وحققوا حرصهم مدة طويلة تقرب من مئتي سنة باستثناء بعض الفترات.

ولما كان ذلك امتداداً لما كان بين فينيقية ودول العراق فاللائم ان تستمر على عرض ما كان من احداث بين فينيقية ودولة الفرس ايضاً (١).

ولقد عثر على حجر عليه نقش ذكر فيه ان جميع ملوك فينيقية ادوا لكورش الجزية في جملة من اداها اليه من ملوك البلاد ولا يذكر المؤرخون ان كورش زحف على فينيقية او ارسل جيشاً حيث يفيد هذا ان فينيقية خضعت للحكم الجديد بدون مقاومة امتداداً لما كان عليه الأمر قبل. وقد استمرت خاضعة لخليفته كمبيز ثم لغوتا ما ثم لدارا الاول ثم لاشويريش على ما سجله المؤرخون. وكانت الجزية المفروضة على فينيقية وسورية وفلسطين التي جعلت جميعها ولاية واحدة باسم الولاية الخامسة (٣٥٠) وزنة من الفضة.

ولقد عمل كورش على تألف اهل فينيقية فاطلق سراح من سباهم بختنصر من صور فعادوا وعمروا مدينتهم، واحاط ابنه كمبيز الفينيقيين بعنايته ومساعدته فادى ذلك الى استئناف نشاطهم الملاحي والتجاري والصناعي حتى بلغ شأواً عظيما كاد يعود به مجدهم في هذا المجال الى ما كان عليه ايام سؤددهم وسيادتهم فكان ذلك مما جعلهم لا يرون خسارة كبيرة عليهم من الخضوع لسيادة الغزاة عن طواعية ويستغرقون في نشاطهم، وينسجمون في الحكم الفارسي. ولقد ابقى هذان الملكان ملوك فينيقية في مناصبهم يمارسون الحكم المحلي في نطاق سيادتهم على ما كان يفعله الغزاة السابقون فكان ذلك مما ساعد على استمرار انسجام الفينيقيين وخضوعهم عن رضا وطواعية بعد الملكين.

وقد اوردنا في قوائم الملوك اسماء عدد من الملوك الفينيقيين الذين كانوا يمارسون الحكم المحلي في ظل السيادة الفارسية.

وقد كان ملوك الفرس يعينون والياً عاماً يمارس الاشراف العام على سورية وفينيقية؛ وقد ذكر اسم مدينة صيدا كمركز للوالي في بعض الحقب. ولعلها كانت مركزاً دائماً له؛ وكانت مهمته توزيع الجزية على المدن او الممالك الفينيقية وجبايتها. وقد عرف ان دارا الاول الملك الفارسي كان يقيم موظفين كبيرين الى جانب الوالي احدهما كقائد للحامية والآخر باسم رئيس الكتاب. وكانت مهمة هذا مراقبة تصرفات الوالي على

---

(١) مرجع تاريخ الحكم الفارسي في فينيقية الجزء الاول من المجلد الاول من تاريخ سورية للدبس ص ٣٢٧–٣٣١ وتاريخ سورية لجرجي يني ص ١٠٨ ـ ١٢٤ وكتاب لبنان ص ٢٣٠.

ما ذكره جرجي يني [1] .

ولقد ظل انسجام فينيقية مع الفرس مستمراً الى الشطر الاول من حكم ارتخشستا الاول (٤٦٥ –٤٢٣) وكان ملوك الفرس يستعينون بالفرس والملاحين والمحاربين الفينيقيين في حروبهم مع اليونان وحملاتهم على مصر وقبرص فكانوا يبلون فيها بلاء حسناً . وكان لهم من السفن المتنوعة الاشكال والاحجام والكثيرة العدد ما يدل على ما وصلوا اليه في المجال الملاحي من شأن عظيم .

ولقد نشبت الحرب اليونانية الفارسية في عهد دارا الاول ٥٢١–٤٨٥ واستمرت باستثناء فترات قصيرة اي الى اواسط القرن الرابع وانتهت بزحف الاسكندر المكدوني الذي بسط سلطانه على بلاد اليونان جميعها وورث عبء هذه الحرب وقضائه على الدولة الفارسية في اول الثلث الاخير من القرن المذكور . وقد تساجل الطرفان النصر والهزيمة فيها . واستعان الفرس بالسفن والملاحين والمحاربين الفينيقيين منذ بدئها . وقد وصف المؤرخون السفن الفينيقية في هذه الحقبة فقالوا إن كثيراً منها كان يزيد طوله على مئة ذراع وان منها ماكان ذا ثلاث طبقات وخمس طبقات وانها كانت مجهزة بالاسلحة والذخائر الكافية . وقد روى هيرودوت المؤرخ اليوناني ان ارتخششت الاول اراد اختبار حذاقة ملاحي البحر الابيض فاستدعى ملاحي السواحل الى سباق عظيم تسابقت فيه نحو ١٢٠٠ سفينة لأمم مختلفة وكان قصب السبق للصيدونيين .

وقد ذكر جرجي يني [3] ان عمارة فينيقية كانت مؤلفة من ١٢٠٠ سفينة اشتبكت في معركة حامية مع عمارة يونانية امام جزيرة ملتوس وابدى الفينيقيون شجاعة فائقة حتى كسروا العمارة اليونانية واستولوا على الجزيرة ومما ذكره هذا المؤرخ ان احشويريش الاول وجه العمارة الفينيقية مع العمارة المصرية الى اقتحام مضيق الدردنيل وكانت العمارتان مؤلفتين من ١٢٠٠ سفينة كبيرة ذات ثلاث طوابق و ٣٠٠٠ سفينة

---

(١) تاريخ سورية ص ١١٠

(٢) بدأ حكم الفرس بعد زوال بابل بالملك كورش سنة ٥٣٨ وخلفه بكير٥٢٩– ٥٢٢ ثم غوتاما ٥٢٢–٥٢١ ثم دارا الاول ٥٢١–٤٨٥ عم احشويريص ٤٨٥ – ٤٦٥ ثم ارتخشستا الاول ٤٦٥–٤٢٣ احشويريش الثاني ٤٢٣ وسعديات ٤٢٣ ودارا الثاني ٤٢٣ – ٤٠٥ ثم ارتخشستا الثاني ٤٠٥–٣٦٢ فارتخستا الثالث ٣٦٢ – ٣٣٨ فارسيس ٣٣٨ – ٣٣٧ فدارا الثالث ٣٣٧ –٣٣٣ الذي قتل وزالت المملكة بمقتله على يد اسكندر المكدوني (انظر تاريخ كلده وآثور ج ١ ص ١٥٣–١٦١

(٣) تاريخ سورية ص ١١٢ – ١١٥

صغيرة ، وانه لما اعياهم اقتحام المضيق احتفر الفينيقيون قناة موصلة الى البر الجانبي لاحتلاله، وكان قوادهم في هـذه الغزوة بنتر منستوس بن انيسوس الصيـدوني ومابن بن يسروم الصوري وماربل ابن اكبال الاروادي [1] ، وقد تمكن الايونيون من اغراق كثير من سفنهم فظن الملك ان ذلـك بسبب جبنهم او خياناتهم فغضب وامر بقطع رؤوس كثير منهم مما جعل معظمهم يعودون بسفنهم الى بلادهم محنقين ولم يبق الا السفن النقلية . وفي ربيع السنة التالية لم يشترك الفينيقيون في المعارك التي دارت بين اليونان والفرس والتي كتب فيها على الجانب الفارسي الغلبة والهزيمة ، مما جعل الملك يسعى الى مراضاتهم حتى عادوا الى مساعدته .

وفي الشطر الثاني من حكم ارتخشستا الاول هاجم اليونانيون سواحل فينيقية فردهم الوالي ابيفانوس الذي كان يقيم في صيدا بفضل معونة السفن الفينيقية . وبعد قليل أعلن هذا الوالي عصيانه على ملكه واستطاع بفضل مساعدة الفينيقيين ان يعـيد الجيش الذي أرسله الملك للتنكيل به ، واستقلت فينيقية فترة من الزمن وكان ذلك سنة ٤٩٠ ق م .

وفي سنة ٤٤٩ انعقدت الهدنة بين الفرس واليونان وقام في بلاد الفرس فتن فكان ذلك مساعداً على ممارسة فينيقية استقلالها لمرة ثانية . وفي هذه الفترة أخذت الصداقة تتوطد بين الفينيقيين واليونانيين وهاجر كثير من الفينيقيين الى اثينة لمعاطاة التجارة وانشأوا فيها حياً خاصاً بهم واقاموا معابد ليتعبدوا فيها حسب عقائدهم .

وقد عثر على الواح فيها نصوص معاهدة عقدت بين ملك صيـدا ستراتو وبين مجلس السناتو الآثيني اعفى فيها هذا المجلس الفينيقيين من الضرائب والتكاليف التي كان يلتزم بها الاجانب ومنحهم امتيازات عديدة . وتاريخ هذه المعاهدة يصادف لاوائل القرن الرابع قبل الميلاد .

ومما ذكرته الروايات القديمة [2] ان افيغوراس والي سلمينا من مدن قبرص تمرد عـلى السلطة الفينيقية في بلاده وقتل الحاكم الفينيقي ايدمون الصوري سنة ٣٩٣ ق م حيث يدل هذا على ان فينيقية استطاعت في هذه الحقبة ان تمارس استقلالها وتمد سلطانها الى قبرص

«١» الاسماء جاءت في صيغة يونانية لانها مقتبسة من المدونات اليونانية ولكن اللمحة العربية بادية عليها كما هو ظاهر .

«٢» تاريخ سورية جرجي بني ص ١١٩

أيضاً . ولقد استطاع افيغوراس ان يبسط سلطانه على جميع الجزيرة . ثم طمح الى بسط سلطانه على فينيقية وسورية وكليكية وبدأ يتحقيق مطمحه بمهاجمة سواحل فينيقية واستيلائه على صور ، وقد أثار بحركته ملك الفرس ارتخشستا الثاني لأنه رأى فيها خطراً على نفوذ دولته في بلاد الشام ومصر فسير حملة ضربت على قبرص الحصار ست سنين ٣٨٦ — ٣٨٠ حتى اضطر الوالي العاصي الى الخضوع والتعهد باداء الجزية . ونتيجة لذلك توطد سلطان الفرس على فينيقية وبلاد الشام .

ومات الملك الفارسي قبل ان يوطد سلطانه على مصر التي كانت اغتنمت فرصة فتنة ثارت في بلاد الفرس فتمردت على السيادة الفارسية ، وقد سير ارتخشست الثالث الذي تولى بعد الثاني ابيه حملة على مصر غير انها منيت بهزيمة منكرة بقيادة نقطانب ملك مصر . وحينئذ قررت فينيقية خلع طاعة الفرس واندمج في حركة العصيان الوالي الذي كان يقيم في صيدا واسمه فاتاس ، ونهب اهل صيدا مخازن الفرس وهدموا قصورهم واخذوا يعتدون على حامياتهم . وحينئذ زحف ارتخشستا بنفسه على رأس جيش جرار روي انه كان مؤلفاً من ثلاثمئة الف فارسي وعشرة آلاف مستأجر يوناني وضرب الحصار على صيدا التي كانت كما يبدو أبرز المدن وقائدة حركة العصيان . وخاف الوالي فأرسل إلى الملك رسولا يعرض عليه تسليم المدينة واهمل تدابير الدفاع عنها ، واقنع مئة من اعيانها بالخروج معه الى الملك للتفاوض . ولما وصلوا الى الملك اراد الوالي ان يتزلف اليه وينقذ نفسه فقال له ان الاعيان الذين معه هم سبب العصيان فأمر بقتلهم . وخرج الى الملك خمسمئة من رجال المدينة ليطلبوا الامان لها فاستشار تيناس فقال له انه لا يعتمد عليهم فقتلهم ايضاً . ولقد حاول اهل صيدا ان يدافعوا عن مدينتهم وانفسهم وقد رأوا حقد الملك عليهم شديداً فحشدوا مئة ونيفاً من السفن من ذوات الطوابق الخمس والثلاث والاربعين والثلاثين مجذافاً وحصنوا السور والابراج وشحنوها بالمقاتلين ، غير ان ذلك لم يغنهم لأن قوة الملك الفارسي وخيانة الوالي وقائد الجنود المرتزقة كانتا اعظم من ان تقاوم ؛ وأمر تيناس القائد بفتح ابواب المدينة واخذ الفرس يتدفقون اليها . وحينئذ عمد اهل صيدا الى الانتحار مفضلين الموت بأيديهم على الموت الذليل بيد اعدائهم فأحرقوا العمارة البحرية ثم اضرموا النار بمساكنهم وهم فيها مع كل ما يملكون فاحترقت المدينة بما فيها ومن فيها . اما الوالي الخائن فقد عظم على امرأته خيانته فوثبت عليه فقتلته ثم قتلت نفسها فوقه ؛ وكان ذلك في اواسط القرن الرابع .

ولقد استطاع ملك الفرس في رحلته هذه ان يوطد سلطانه عـلى فينيقية وسورية ، وظل موطداً الى اوائل الثلث الاخير من القرن المذكور حيث زحف الاسكندر المكدوني على بلاد الشرق واستولى عليها وكسر جيوش دارا وقوض مملكته وكان دارا نفسه من جملة الهلكى ، فدخلت فينيقية في جملة مـا دخل تحت سيطرته وسلطانه مـن اقاليم الشرق .

ومما روي في سياق زحف الاسكندر انه استعان بسفن وملاحي الفينيقيين في زحفه على العراق حيث جعلهم يفكون السفن وينقلونها قطعاً ثم يركبونها ويسيرونهـا في نهر دجلة ليعبر عليها مع اثقاله، وان كثيراً من التجار الفينيقيين رافقوا الحملة الى العراق وعادوا بأرباح عظيمة .

ومما روي في سياق استيلاء الاسكندر على فينيقية انه لما اقبل عليها خرج الى لقائه استراتو بن جيروستراتوس ملك ارواد وقدم له تاجاً من الذهب واعلن خضوعه له وسلمه مفاتيح ارواد ومدينة باراتوس المقابلة لها في البر والمعروفة اليوم باسم عين الحية ، وكان ابوه مع انيلوس صاحب جبيل وغيرهما من ملوك فينيقية وقبرص وحكامها في شيو مع العمارة البحرية التي حشدها الفرس لمقابلة الزحف المكدوني ، وحينما دنا من جبيل خرج اليه رجالها مستسلمين وسلموه المدينة ثم دعاه اهل صيدا فدخلها منصوراً . وطبيعي انه استولى قبل ذلك على طرابلس والبترون وبيروت وغيرها من المدن [1] .

ولما جاء الى صور ارسل اهلها اليه وفداً مع هداياهم ليدفعوه عن مدينتهم بالتي هي احسن فأبدى رغبة في الدخول الى مدينتهم البحرية ليقدم قرباناً في هيكل هركيل فخافوا ان يغدر بهم ويستذلهم فاقترحوا عليه تقديم القربان في هيكل المدينة البرية القديمة فاستاء من جوابهم وحاصر مدينتهم البحرية . وتأهبوا بدورهم للحصار والدفـاع . و كانت

«١» تاريخ سورية جرجي يني ص ١٢٤ - ١٣٠ و ٤٩٤ ومابعدها والجزء الثاني المجلد الثالث من تاريخ سورية للدبس ٥٣ وما بعدها

المدينة المحاصرة هي مدينة الجزيرة ، وكان لها سور ارتفاعه مئة وخمسون قدما ، فملأوه بأدوات الحرب والشبان المسلحين . وعظم الامر على الاسكندر وقرر الاستحواذ على على المدينة مها طال الامر وشق . وحاول ان يردم البحر الى الجزيرة ليشق طريقه اليها فبذل الصوريون جهدهم في عرقلة محاولته واحباطها وتخريب ما بناه وازعاج البناة بالنبال والحجارة . وحينئذ استعان بسفن صيدا وجبيل وقبرص وحاصرهم بحراً بالاضافة الى البر وضيق عليهم وتمكن في النهاية من اقامة السد بين اليابسة والجزيرة . ودارت رحى القتال بشدة اياماً عديدة بالنبال والحجارة والمجانيق ثم تغلب على المقاومة ودخل المدينة على رأس قواته . وقد التجأ بعض الصوريين الى الهياكل واحرق بعضهم انفسهم في مساكنهم مع اسرهم وممتلكاتهم على غرار ما فعله اهل صيدا ، وكان بعضهم يغامر فيهاجم جنود الاسكندر لئلا تذهب ارواحهم رخيصة . وقد امر الاسكندر بنهب المدينة وحرقها ونادى مناديه بإباحة دم كل الناس عدا الذين يلجأون الى المعابد . وقد دام حصار صور سبعة اشهر فضربت هي الاخرى مثل صيدا مثلا في المقاومة والعناد الوطني . ومع انه كان على رأس صيدا وصور وجبيل وارواد ملوك وطنيون في ظرف زحف الاسكندر فان المؤرخين لم يعودوا يذكرون ذلك بعد الاستيلاء الاسكندري . وقد قالوا أن الاسكندر جعل فينيقية وسورية وكيليكيا ولاية واحدة واقام عليها والياً من رجاله اسمه مانسي وعين لجباية مال فينيقية رجلا اسمه كربوانس حيث يكون هذا الاستيلاء قد انهى على ما هو المتبادر عهد الحكم الوطني العربي الجنس فقام مقامه حكم مكدوني يوناني ثم حكم يوناني سلوقي وبطلمسي في نطاق الدولتين اليونانيتين اللتين قامتا في مصر وبلاد الشام (٣٢٣ – ٦٤ ق م) ثم حكم روماني (٦٤ ق م – ٦٣٩ ب م)[1] ثم جاءت موجة الفتح الكبرى تحت راية الاسلام متسمة بسمة العروبة الصريحة فحررت فينيقية من الحكم الاجنبي فقام السلطان العربي فيها عوداً على بدء .

«١» لقد روي في سياق حكم اليونان ثم الرومان ان بعض المدن الفينيقية كانت احياناً تتمتع باستقلال ذاتي ، وعثر على نقود مسكوكة باسمها عليها صور بعض حكامها على ما سوف نورده بعد . غير انه ليس هناك ما يسوغ القول بجزم بأن هؤلاء الحكام كانوا من اهل البلاد والارومات العربية بل هناك دلائل على انهم كانوا من اليونانيين والرومانيين وبمثابة حكام اقطاعيين .

ولقد اخذت الموجات العربية الصريحة تنساح الى اطراف بلاد الشام والعراق في ظروف الفتح الاسكندري بل وقبلها بأمدما وتطبع هذه البلاد بطابعها تدريجياً . وسجل التاريخ في سياق ذلك طروء جماعة من هذه الموجات على فينيقية وهي التي عرفت بالايطوريين في اواخر الحكم اليوناني . وهكذا صار الطابع العربي الصريح يعمل عمله في فينيقية اسوة ببلاد الشام الاخرى فلما جاءت موجة الفتح الكبرى اخذ يقوى ويتسع حتى شمل جميع البلاد الفينيقية .

هذا ومع ان من المحتمل ان يكون تسرب من الداخل الشامي جماعات من الموجات العربية الاخرى التي طرأت على هذا الداخل كالآموريين والآراميين الذين تفرع منهم السريان فان التاريخ لم يسجل لهم بروزاً ونشاطاً خاصين متسمين بسمتهم في مجال الحكم والسلطان ؛ وهذا ما يجعل الكلام عن التاريخ السياسي العربي الجنس في دور العروبة غير الصريحة في فينيقية قاصراً على الكنعانيين الفينيقيين .

الموجات العربية

في

الجنوب الشامي المعروف

بشرق الاردن وفلسطين

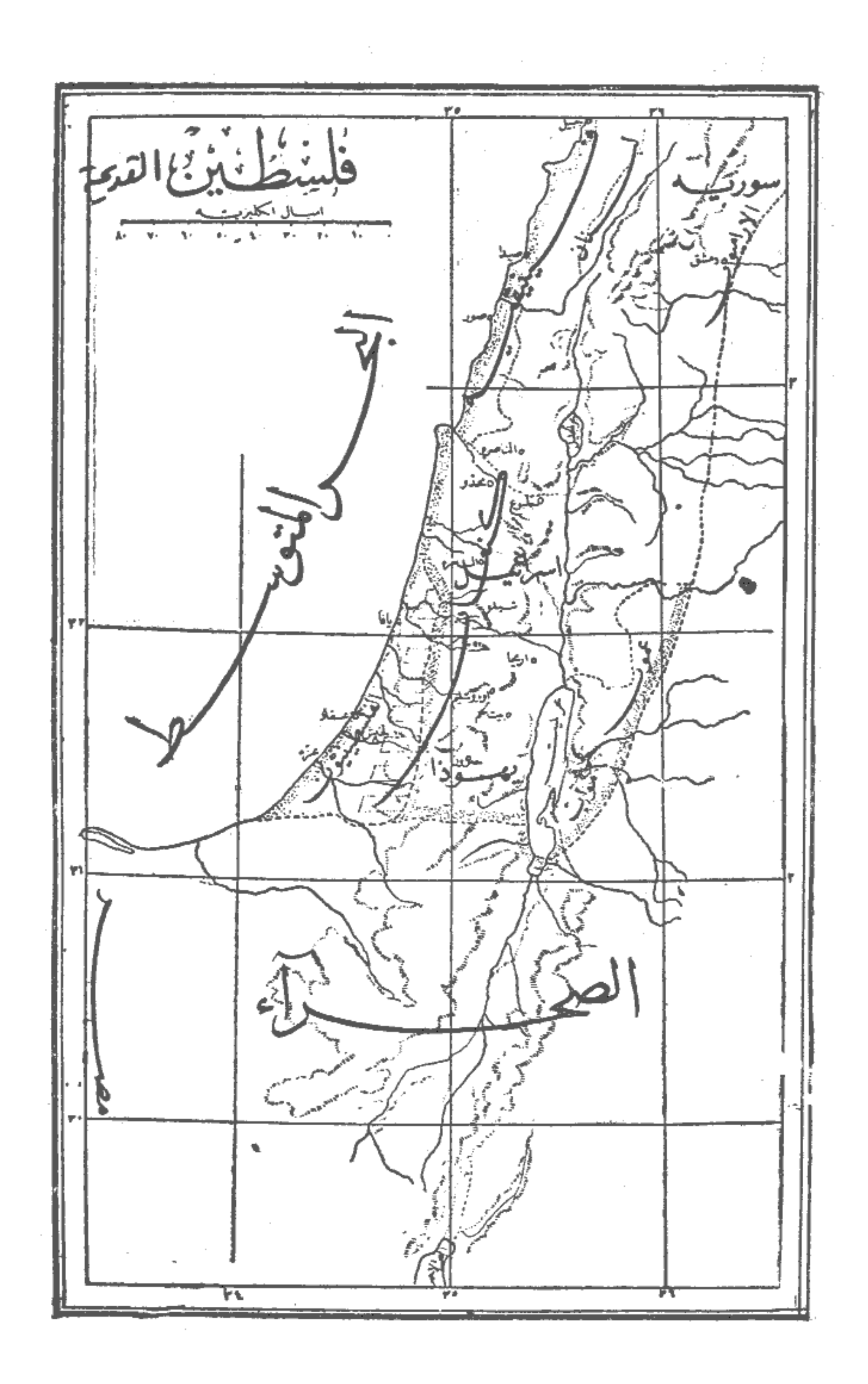
مصادر تاريخ هذا الفصل

- ١ -

من المؤسف ان ثغرات تاريخ الموجات العربية غـير الصريحة في شرق الأردن وفلسطين [1] باستثناء العبرانيين أو بني اسرائيل واسعة جـداً بحيث يتعذر عرض سلسلة تاريخية بأي شكل ، لا من حيث الممالك ولا من حيث اسماء الملوك ولا مـن حيث الاحداث والمآثر في حين ان اسماء عدد عظيم ،ان لم نقل العدد الاعظم ، من معالم هذا الاقليم بشطريه من انهار ووديان وآبار وعيون وسهول وجبال وهضاب وغيران وقرى ومدن ما تزال تحمل الطابع العربي القديم الكنعاني والآموري والآرامي والعبراني كشاهد على انه صار منذ اقدم الازمنة موطناً للجنس العربي قبل العروبة الصريحة دون شريك مؤثر تأثيراً هاماً على هذه المعالم . وقد أبقت العروبة الصريحة على أكثر هذه الاسماء مع شيء من التطوير والتعديل فظلت الشهادة قائمة خالدة . وقد أوردنا أسماء مئات قرى الاقليم بشطريه في مطلع الجزء كدليل راهن على ذلك

ونقول بعد هذا ان اكثر ما ورد عن الارومات العربية القديمة في هذا الاقليم قدورد في أسفار العهد القديم بمناسبة قصة طروء ابراهيم على أرض كنعان واستقراره فيها حوالى القرن العشرين على ما يخمن ثم بمناسبة قصة خروج بني اسرائيل من مصر واتجاههم بقيادة موسى نحو هذه الأرض حوالي القرن الثالث عشر قبل الميلاد ، وهو كما يبدو لا يرقى إلى أكثر من القرن العشرين ومعظمه لا يرقى إلى أكثر من القرن الثالث عشر في حين ان حلول الكنعانيين في شرق الأردن وغربه مثلا يخمن انه وقع في ظروف حلول اخوانهم الفينيقيين في الساحل الشامي الشمالي اي في أوائل أو أواسط الالف الثالث قبل الميلاد على ما ذكرناه قبل . وكل ما في الامر ان ما ذكر عنهم وعن غيرهم من الارومات التي يرجح انها من الجنس العربي جاء بأسلوب يفيد انهم كانوا مستقرين في هذه البلاد وانه كان لهم فيها مآثر ومظاهر سياسية وحضارية متنوعة .

«١» نستعمل تعبير فلسطين في تسمية الاقليم الواقع غرب الاردن تجوزاً وكما يسمى اليوم . وهـذا التعبير لم يطلق على فلسطين الا قبيل الميلاد المسيحي اقتباساً من اسم شعب بلست الذي جـاء من جزر اليونان واستقر في جنوب فلسطين في القرن الثاني عشر قبل الميلاد . وكان اسم ارض كنعان هو الذي يطلق على هذا الاقليم او على الجزء الاكبر منه على الاقل نسبة الى شعب كنعان الذى كان مستوطناً فيه .


فلسطين القديم
اميال انكليزية
البحر المتوسط
سوريه
يهوذا
الصحراء
مصر

وقد ورد عنهم شيء في رسائل تل العمارنة التي كتبت في القرن الرابع عشر قبل الميلاد. كما ورد عنهم شيء في نقوش الاشوريين التي كتبت بين القرن العـاشر والقرن السابع قبل الميلاد .

غير ان جميع ما ورد عنهم نتف مقتضبة ومفرقة لا تساعد كما قلنا على عرض سلسلة تاريخية ما .

ولقد كتب بيك الانكليزي في سنة ١٩٣٤ كتاباً ضخما في تاريخ شرق الآردن ترجمه إلى العربية بهاء الدين طوقان وقد ذكر له مصادر كثيرة افرنجية وعربية . ولكن ما احتواه الكتاب من تاريخ الارومات العربية الجنس القديمة في شرق الاردن والذي استند فيه الى بعض النقوش والمدونات القديمة ومنها أسفار العهد القديم لا يرقى أولا إلى أكثر من القرن العشرين قبل الميلاد وليس ما ورد فيه مع ذلك إلا نتف مقتضبة ليس فيها غناء .

وأحدث ما صدر من كتب تاريخ بلاد الشام القديم هو كتاب تاريخ سورية وفلسطين ولبنان للدكتور فيليب حتي ، وهو مؤرخ مشهور واسع الاطلاع . ومع ذلك فليس في هذا الكتاب عن فلسطين وشرق الأردن إلا نتف عابرة من تاريخها القديم ـ باستثناء بني اسرائيل الذين توسع قليلا في تاريخهم ـ برغم ما كان فيها من عناصر عربية الجنس كنعانية وآمورية كان لها كثير من المدن والممالك والنشاط على ما ورد في اسفـار العهد القديم ونقوش الأشوريين .

ومع انه جرى تنقيبات عديدة في شرق الأردن فان ما جرى قليل بالنسبة لما فيه من خرائب واطلال ولم يعثر على شيء ذي غناء في صدد التاريخ السياسي لهذه المنطقة .
ويقال شيء من هذا بالنسبة لغرب الأردن ـ اي فلسطين ـ وان كانت التنقيبات التي جرت فيها أوسع .

فنحن مضطرون والحالة هذه الى الاقتضاب في تاريخ الارومات العربية الجنس القديمة في شرق الأردن وفلسطين والاقتصار على نبذ مستفادة من المصادر المذكورة آنفاً ، مع التنبيه على اننا لن نستطيع الاسباب نفسها ان نكتب بحثاً خاصاً لكل من هذه الارومات وكل ما سوف نفعله ان يكون كلامنا شاملا لهم جميعاً في سياق واحد مع تعيينهم بقدر ما يمكن فيما سجله التاريخ لكل منهم مـن بروز ونشاط ، باستثناء بني اسرائيل الذين ساعدت المدونات على كتابة تاريخ خاص ومسهب لهم .

ولما كان أكثر ما ورد عن الارومات التي يرجح انها عربية الجنس في شرق الاردن وفلسطين انما ورد في اسفار العهد القديم كما قلنا فيحسن ان نقول كلمة في هذه الاسفار .

ان هذه الاسفار تسعة وثلاثون حسب الطبعة البروتستانتية وستة وأربعون حسب الطبعة الكاثوليكية . والخمسة الاولى منها أي التكوين والخروج واللاويين والعددوالتثنية منسوبة الى موسى الذي عاش في القرن الثالث عشر قبل الميلاد على ما يخمن . ويأتي بعدها في الطبعة البروتستانتية اسفار يشوع والقضاة وراعوث وصموئيل الاول وصموئيل الثاني والملوك الاول والملوك الثاني واخبار الايام الاول واخبار الايام الثاني وعزرا ونحميا واستير وايوب والمزامير والامثال والجامعة ونشيد الانشاد واشعيا وارميا والمراثي وحزقيال ودانيال وهوشع ويوئيل وعاموس وعوبديا ويونان وميخا وناحوم وحبقوق وصفينا وحجي وزكريا وملاخي . ويسمى صموئيل الاول وصموئيل الثاني في الطبعة الكاثوليكية بإسم الملوك الأول والملوك الثاني ويكون سفر الملوك الاول والملوك الثاني في البروتستانتية فيها الملوك الثالث والملوك الرابع .

وفي الكاثوليكية اسفار زائدة على مافي البروتستانتية وهي سفر طوبيا وسفر يهوديت بعد سفر نحميا . وسفر الحكمة وسفر يشوع بن سيراخ بعد سفر نشيد الانشاد . وسفر باروك بعد المراثي ، وسفر المكابيين الاول وسفر المكابيين الثاني بعد ملاخي . وتسمى هذه الطبعة سفر اللاويين بسفر الاحبار .

والاسفار اجمالا تتسم بالسمة الدينية . ومنها ما هو تاريخي في الدرجة الاولى مثل اسفار التكوين والخروج والعدد ويوشع والقضاة وصمويل والملوك واخبار الأيام واستير وعزرا ونحميا ودانيال وارميا وراعوث ويهوديت وطوبيا والمكابيين — والثلاثة الاخيرة من زوائد الطبعة الكاثوليكية — ومنها ما هو اخلاقي وتقديسي وتشريعي ومراثي وانذار وتنبوءات وهي اسفار الاحبار واللاويين والمزامير والامثال والجامعة ونشيد الانشاد والحكمة ويشوع بن سيراخ — والاثنان الاخيران من زوائد الطبعة الكاثوليكية — واشعيا ومراثي ارميا وباروك — وهذا من تلك الزوائد — وهوشع ويوئيل وعاموس وعوبديا وناحوم وحبقوق وصفينا وحجي وزكريا وملاخي . وهي مع ذلك تمثل ناحية

هامة من تاريخ وحياة بني اسرائيل الدينية والسياسية والاجتماعية والاخلاقية . وهناك سفران ليس لهما صلة ببني اسرائيل وهما سفرا أيوب ويونان. والثاني هو النبي يونس المذكور في القرآن على ما تفيده المقابلة بين محتواه وقصة يونس القرآنية . والاول هو أيوب المذكور في القرآن ويحتوي قصته التي المع اليها القرآن كذلك . وهناك سفر مغفل السمة وهو سفر يسوع بن شيراخ الذي هو من زوائد الطبعة الكاثوليكية وهو تشريعي واخلاقي .

ومن الاسفار ما هو طويل تزيد صفحاته على الخمسين والمئة ومنها ماهو قصير لاتتجاوز صفحاته العشرين بل منها ما هو ثلاث صفحات .

وقد احتوى سفر التكوين قصة الخليقة وطوفان نوح ومواليده ثم قصة نزوح ابراهيم الى ارض كنعان وذريته فيها ثم في مصر الى نهاية حياة يوسف . واحتوت اسفار الخروج والعدد قصة نبوة موسى وآياته وخروجه مع بني اسرائيل وطروئهم على شرق الأردن . واحتوت اسفار يشوع والقضاة وصموئيل والملوك واخبار الايام قصة بني اسرائيل الى ما قبل السبي الذي وقع في الثلث الاول من القرن السادس قبل الميلاد واحتوت اسفار استير وعزرا ونحميا ودانيال وارميا وراعوث ويهوديت وطوبيا والمكابين قصتهم في اثنـــاء السبي وبعده .

ومن الاسفار الاخلاقية والتقديسية والتشريعية والحكمية والتنبؤات والمراثي والانذار والرؤى ما هو متصل بحقبة بني اسرائيل وحالتهم قبل السبي ومنها ما هو عائد الى حقبه بني اسرائيل اثناء السبي وبعده .

ومن الجدير بالذكر ان سفر التكوين الذي هو من الاسفار الخمسة المنسوبة الى موسى والذي يحتوي تاريخ ما قبل موسى لا يحتوي اي عبارة تشير الى علاقة موسى به رواية أو تدويناً او املاءً خلافاً للاسفار الاربعة الاخرى أي الخروج والاحبار أو اللاويين والعدد والتثنية . والى هذا فان في الاسفار الاربعة عبارات تدل على انها لم تكتب مـــن قبل موسى ولا باملائه ولا في حياته وانما كتبت بعده وقد تكون كتبت بعده بمدة طويلة بل قد تكون كتبت او اعيد كتابتها بعد سبي بني اسرائيل من اورشليم - القدس - وعودتهم من السبي في القرن السادس قبل الميلاد . ففي كل مـــن سفر العدد والاحبار والتثنية شؤون واحداث ووصايا وتشريعات متنوعة مذكورة بصيغ مختلفة وزيادة ونقص في سفر الخروج السابق عليها في الترتيب . وفي سفر التثنية شؤون واحـــداث ووصايا

وتشريعات مذكورة بصيغ مختلفة وزيادة ونقص في اسفار الخروج والعدد والاخبار السابقة عليه . وفي كل من الاسفار الاربعة اشارات الى ما سوف يحل ببني اسرائيل من مصائب وشدائد واجلاء عن ارض كنعان وعودة اليها في سياق الترغيب في اتباع وصايا الرب ورسومه والانذار في حالة مخالفتها، وقد احتوى سفر اخبار الايام كثيراً مما احتوته اسفار صموئيل والملوك الاربعة التي سبقتها في الترتيب بشيء من الزيادة والنقص ايضاً ، بل وقد احتوى بعض ما احتوته اسفار التكوين والخروج والعدد ، جميع هذا لا يصح إلا في حالة تعدد الكتاب واختلاف الاوقات واستقاء الكتاب من مصادر مختلفة بينها بعض التطابق وبعض التخالف كما ان فيه واقع بني اسرائيل وسيرتهم بعد طروئهم على ارض كنعان – غرب الاردن او فلسطين – وهو ما وقع بعد موسى وما لم يذكر وقوعه في الاسفار الخمسة وما لا يعقل ان يرد فيها تلك الاشارات اليه إلا بعد وقوعه . وفي آخر اصحاحات سفر التثنية ذكر موت موسى ودفنه في الوادي في ارض مؤاب ثم قيل « ولم يعرف قبره الى يومنا هذا » والعبارة تفيد ان كتابتها وبالتالي كتابة الاصحاح ثم كتابة السفر انما كانت بعد مدة طويلة جداً من موت موسى . وفي سفر التكوين اسماء الشعوب التي كانت في فلسطين قبل قدوم ابراهيم ثم قبل خروج بني اسرائيل من مصر الى فلسطين، ووعد لابراهيم بأنه سوف يعطيه اراضيهم مع سعة حدود ما وعد به في مكان وضيقها في مكان آخر [1] ، وتكرر فيه اسم الفلسطينيين في سياق سيرة اسحاق [2] الذي يخمن انه من رجال القرن العشرين قبل الميلاد في حين ان الفلسطينيين لم يطرأوا على فلسطين الا في القرن الثالث عشر ، وهذا وذاك يدلان على ان السفر كتب بعد طروء بني اسرائيل على ارض كنعان (فلسطين) بمدة غير يسيرة تصاولوا في اثنائها مع الفلسطينيين في جولات عديدة كانوا يُغلبون فيها حيناً ويَغلبون حيناً . وهناك ما يدل على ان الأسفار التي احتوت احداث ما قبل السبي قد تبعثرت في اثناء المحن التي حلت ببني اسرائيل ثم رتبت او اعيد تدوينها بعد السبي ، بل وهناك ما يدل على ان بعضها كتب بعد السبي . ففي الاصحاح الثالث من سفر اخبار الأيام الأول مثلا سلسلة اسماء ملوك يهوذا الى آخرهم صدقيا الذي نسفت دولة يهوذا في عهده على يد نبوخذ نصر . وفي الاصحاح التاسع منه هذه الجملة « وسبي يهوذا الى بابل لأجل خيانتهم » وفي الاصحاح السادس والثلاثين من سفر اخبار

«١» اقرأ مثلا الاصحاحات ١٢و١٣و١٥و١٧و٢٨

«٢» اقرأ مثلا الاصحاح ٢٦

الأيام الثاني هذه الجملة « وفي السنة الاولى لكورش ملك فارس نبه الرب روح كورش فأطلق نداء في كل مملكة قائلا ان الرب اعطاني جميع ممالك الأرض وأوصاني ان ابني بيتاً له في أورشليم التي في يهوذا فمن منكم من شعبه فليصعد والرب معه» مما فيه دلالة قاطعة على ان السفر الاول كتب على الاقل في نهاية مملكة يهوذا وعلى ان السفر الثاني كتب حتما بعد السبي .

وسفر الملوك الثاني يذكر ملوك دولتي اسرائيل ويهوذا الى نهايتهما بما في ذلك نسف نبوخذنصر لدولة يهوذا وسبي اهلها الى بابل ويذكر بعض احداث جرت بعد السبي أو عقبه مما فيه دلالة قاطعة على انه كتب بعد نهاية دولة يهوذا فضلا عن احتمال كتابته بعد السبي وهو ما نرجحه . ولما كان هذا السفر هو استمرار لسيرة ملوك يهوذا واسرائيل التي بدىء بها في السفر الاول فالكلام المذكور ينسحب على هذا السفر ايضاً كما هو المتبادر . وفي الاصحاح الخامس والاربعين مـــن سفر اشعيا الذي عاش في أيام ملوك يهوذا يوثام وحزقيا وعزيا وآحاز اسم كورش وتغلبه مما يدل على انه كتب بعد السبي وفيه كذلك هذه العبارة « اخرجوا من بابل واهربوا من أرض الكلدانيين» مما فيه تأييد لذلك .

ولا تخلو أسفار أخرى من التي تتكلم عن ما قبل السبي من دلائل وقرائن مماثلة تسوغ القول انها كتبت بعد السبي ايضاً. بل انه ليس من التجوز ان يقال بناء على بعض الدلائل والقرائن ان الاسفار الاخرى العائدة لحقبة قبل السبي قد دونت أو أعيد تدوينهـــا بعد السبي .

غير ان هناك ما يدل أيضاً على ان هذه الاسفار قد نقلت محتوياتها مـــن اسفار غير موجودة في عداد الاسفار المتداولة . ففي الاصحاح الثاني عشر من سفر اخبار الايام الاول مثلا هذه الجملة « وامور رحب عام الاولى والاخيرة اما هي مكتوبة في اخبار شمعيا النبي وعدو الرائي» . وليس بين الاسفار اسفار باسم شمعيا النبي وعدو الرائي .

وفي الاصحاح العاشر من سفر يشوع هـــذه الجملة « فدامت الشمس ووقف القمر حتى انتقم الشعب من اعدائه . اليس هذا مكتوباً في سفر ياشر . وليس بين الاسفار سفر بهذا الاسم .

وفي سفر الملوك الاول ـ صموئيل الاول في الكاثوليكية ـ هذه الجملة « وأمور سليمان وكل ما صنع وحكمته اما هي مكتوبة في سفر امور سليمان . وليس هناك سفر بهذا

الاسم بين الاسفار المتداولة . وكثيراً ما جاء في أسفار الملوك هـــذه الجملة « وبقية أمور الملك فلان اما هي مكتوبة في سفر اخبار الايام لملوك يهوذا أو لملوك اسرائيل » وليس بين الاسفار ما يحمل هذه العناوين وليس في اسفار اخبار الايام المتداولة ما أريد الارجاع اليه أو شيء شاف فيه . والعبارة قد تفيد انه كان لكل مـــن ملوك اسرائيل ويهوذا ـــ دولتي اليهود بعد سليمان ـــ اسفار بأسماء اسفار ملوك اسرائيل واسفار ملوك يهوذا واخبار الايام لملوك اسرائيل واخرى لملوك يهوذا فيها تاريخهم . ففي هذا وامثاله دليل على ان كثيراً مما احتوته اسفار العهد القديم وخاصة التاريخية التي يرجح تدوينها بصيغتها الحاضرة بعد السبي منقول عن أصول مدونة قبلها كان احبار اليهود يحتفظون بها .

فهذه الامثلة قد تسوغ القول ان احداث موسى وما بعده قد دونت في ظروف مقاربة لحدوثها في مدونات كانت مقتبساً للاسفار التي ذكرتها والتي كتبت في ظروف السبي أو بعده أو أعيد تدوينها في هذه الظروف ويصح ان تكون موضع اعتماد مع التحفظ بسبب ما فيها من غلو ومتناقضات ومفارقات.

وهناك نقوش مصرية وأشورية أوردناها في الجزئين السابقين وهنـــاك نقش أردني سوف نورده في الفصل التالي تعود إلى أحداث بين بني اسرائيل وبين ملوك اشور ومصر وشرق الاردن قبل السبي بمدة طويلة حتى ان بعضها يعود الى القرن التاسع قبـــل الميلاد متطابقة الفحوى مع بعض ما ورد في هذه الاسفار التي كتبت في ظروف السبي أوبعده . ولم تكن هذه النقوش قد كشفت وقرئت مما يدل على انها مستقاة من مدونات قديمة . وهذا من اسباب ما يجعل هذه الاسفار محل اعتماد ما . وبالاضافة الى ذلك فان ما ورد في الاسفار من اعلام واسماء وجزئيات لا يعقل ان يكون من نسج الخيال . وكل ما يمكن ان يكون ان الخيال والتعصب وظروف التدوين قد اثر في بعض ذلك فأدى إلى ما ذكرناه من غلو ومفارقات .

وهذا الذي نقوله يمكن ان يقال بالنسبة لمحتويات سفر التكوين وخاصة من عهد ابراهيم وذريته وان كان التحفظ ازاءه اوجب بسبب قدمه وعـــدم وجود مستندات اخرى مؤيدة له .

فاستمرار تداول اسم ابراهيم وذريته وسكناهم في ارض كنعـان وانتشار بعضهم في شرق الاردن ونزوح يعقوب واسرته الى مصر واتصال ذلك بواقع خروج بني اسرائيل

بقيادة موسى من مصر وواقع طروئهم على شرق الاردن وغربه مما يسوغ القول ان ما احتواه هذا السفر من تاريخ ابراهيم ويعقوب وذريتها وما كان من احداث واعلام ومكان في شرق الاردن وغربه لا يخلو من حقيقة ، وان الاعلام والاحداث والجزئيات لا يعقل ان تكون من نسج الخيال ولا سيما ان من ذلك ما هو متطابق مع الواقع اليقيني في شرق الاردن وغربه ، وكل ما يكون هو ان معظم ما جاء فيه من ذلك كان مما تتداوله الروايات جيلا بعد جيل وتعرض بسبب ذلك ثم بسبب ظروف التدوين والتعصب للزيادة والنقص والغلو والمفارقات والمتناقضات .

صور عن شرق الاردن وفلسطين

قبل طروء بني اسرائيل

في القرن الثالث عشر والثاني عشر قبل الميلاد

مقتبسة من سفر التكوين

واليك الآن ما يمكن اقتباسه من سفر التكوين عن أحوال شرق الاردن وفلسطين في الفترة السابقة لطروء بني اسرائيل عليها بقيادة موسى ويوشع اي في القرن الثالث عشر أو الثاني عشر قبل الميلاد بل في ظروف حياة ابراهيم واسحق ويعقوب في فلسطين التي تخمن انها في القرن العشرين أو التاسع عشر قبل الميلاد . ومن واجبنا ان ننبه على ضرورة التحفظ ازاء ما نقتبسه من هذا السفر بناء على ما ذكرناه قبل وعلى احتمالات احتوائه كثيراً من الحقائق بسبب انه ذكر ثانية واكثر من مرة في ظروف سيرة بني اسرائيل بعد خروجهم من مصر :

ا ــ ان أول ما ذكر في هذا السفر اسم موقع شكيم حيث كان أول موقع نزل فيه ابراهيم حين طروئه على ارض كنعان على ما جاء في الاصحاح الثاني عشر . وتفيد العبارة ان هذا الاسم هو اسم مدينة او قرية قديمة قبل ابراهيم . وقد جاء في الاصحاح بعد ذكر نزول ابراهيم في هذا الموقع عبارة « والكنعانيون حينئذ في الارض» حيث يفيد هذا ان شكيم كنعانية وان جماعات كبيرة من الكنعانيين توطنوا غرب الاردن قبل القرن العشرين قبل الميلاد وأنشأوا فيهـا المدن . وقد ذكر اسم شكيم في الاصحاح الثالث والثلاثين من السفر نفسه بمناسبة عودة يعقوب من فدام آرام مع زوجاته وأولاده حيث

قال الاصحاح « ثم اتى يعقوب شيلم مدينة اهل شكيم التي بأرض كنعان حين جاء من فدآم آرام » وهذه العبارة تفيد أن شكيم كانت قرية أو مدينة ثانوية تابعة لمدينة رئيسية هي شيلم . ولقد ذكر الاصحاح الثاني عشر من سفر الملوك الثالث في الطبعة الكاثوليكية والاول في البروتستانتية اسم شكيم كمدينة كبيرة في وسط غرب الاردن . ومن المتواتر ان مدينة نابلس اليوم تقوم مكانها ، حيث يفيد هذا ان المدينة تعاظمت مع الزمن حتى صارت رئيسية في القرن العاشر قبل الميلاد بل وقبله على ما يستفاد من الاحداث التي ذكرت بمناسبتها .

ويبدو من كون موضع شكيم أول ما نزله ابراهيم ان ابراهيم جاء الى ارض كنعان من شرق الاردن فاجتاز نهر الاردن ثم سلك طريق الغور المعروفة اليوم بغور الفارعة لأن هذه الطريق تؤدي الى نابلس اليوم وشكيم الامس . وقد ظلت هذه الطريق ممراً لمن يأتي من العراق وبين النهرين إلى غرب الاردن . وقد سلكها يعقوب بعد ابراهيم كما مر بيانه .

ب ــ ثم ذكر الاصحاح الثاني عشر نفسه اسمي عاي وبيت ايل بهذه العبارة « ثم انتقل ــ اي ابراهيم ــ من هناك الى الجبل شرقي بيت ايل وضرب خباءه وغربيه بيت ايل وشرقيه العاي » وقد ذكر مفسرو الاسفار ان موقع العاي هو بين ما يعرف اليوم بقريتي دير دبوان ومخماس في منطقة رام الله وان بيت ايل هي التي تعرف اليوم ببيتين [1] .

وقد ذكر الاصحاح ٣٥ من سفر التكوين ان اسم بيت ايل القديم هو لوز وان يعقوب هو الذي سماها بهذا الاسم لأن الرب تجلى له عندها .

وقد ذكر الاصحاح (٣٥) من التكوين ان اسم بيت ايل القديم هو لوز وان يعقوب هو الذي سماها بهذا الاسم لان الرب تجلى له عندها .

ت ــ ثم ذكر الاصحاح الثالث عشر اسماء مدن سدوم وعموره وصوعر التي كان اسمها بالع بمناسبة ذكر اتفاق ابراهيم مع لوط على الافتراق عن بعضهما بسبب كثرة مواشيهما وتفادياً من النزاع بين الرعاة .

«١» مجلد العبرانيين للدبس ص ٢٠ وما بعدها

وهذه المدن الثلاث في غور الاردن في جوار البحر الميت على ما تفيده عبارة الاصحاح بأنها جميعها سقي وانها كانت كجنة الارض مثل ارض مصر مما يدل على ما كانت عليه من قوة الخصب ونضرة المنظر .

ث ـ ثم ذكر الاصحاح الرابع عشر اسماء مدن ادمة وصبوئيم واسماء خمسة ملوك من ملوك ارض كنعان وهم بارع ملك سدوم وبرشاع ملك عمورة وشنآب ملك ادمة وشمئير ملك صبوئيم وملك بالع بدون اسم حيث يدل على ان هذه المدن هي كراسي الممالك الخمسة وان هذه الممالك كانت من الممالك الموجودة في ارض كنعان قبل مجيء ابراهيم . وهذه المدن والممالك كانت في وادي الاردن على ما تفيده عبارة سفر التكوين . واللمحة العربية بادية هي الاخرى على اسماء المدن والملوك .

وقد ذكر الاصحاح هذه الاسماء بمناسبة ذكره الحرب التي شنها اربعة ملوك جاؤا من ناحية العراق وهم امرافل ملك شنعار واريوك ملك الاشار وكدرلاعومر ملك عيلام وتدعال ملك جوييم . وتفيد العبارة ان هؤلاء الملوك غزوا شرق الاردن وحوض الأردن مرتين . ففي المرة الأولى حاربوا الملوك الخمسة في غور السديم وهو بحر الملح أي بحر الميت ـ وخضع الملوك الخمسة لكدرلا عومر اثنتي عشرة سنة حيث يدل هذا على ان هذا الملك كان صاحب الكلمة العليا على الملوك الآخرين الذين جاؤا معه . ثم عصاه ملوك الاردن فأقبل في السنة الرابعة عشرة ومعه الملوك الذين جاؤا معه للتنكيل بالعصاة وقمع عصيانهم .

فخرج ملك سدوم وملك عمورة وملك ادمة وملك صبوئيم وملك بالع فصافوهم للحرب في غور السديم . وقد انهزم ملكا سدوم وعمورة فسقطا في آبار الحمر التي كانت في غور السديم . اما باقي الملوك فقد هربوا الى الجبل . وغنم الغزاة جميع اموال سدوم وعمورة ومضوا . واخذوا لوطاً الذي كان يقيم في سدوم في جملة الاسرى وامواله في جملة المنهوبات . وقد ذكر الاصحاح ان الخبر وصل الى ابرام العبراني وهو مقيم عند بلوطات ممرا الاموري اخا اشكول وعانر حلفائه . فجرد رجاله الذين كان عددهم ثلاثمئة وثمانية عشر وجد في اثر الغزاة وكسرهم واتبعهم الى صوبة التي في يسار دمشق واسترجع جميع المال ولوطاً والنساء وسائر القوم .

ج ـ وبلوطات ممرا المذكورة هي في حبرون (مكانها اليوم مدينة الخليل) على ما

ذكره الاصحاح الثالث عشر الذي ذكر ان ابراهيم انتقل بخيامه اليها من بيت ايل بعد افتراق لوط عنه . واسم ممرا اسم زعيم آموري على ما تفيده العبارة . ومن المحتمل ان يكون اشكول وعانر مــن زعماء هذه المنطقة واموريين مثل ممرا . وهذا يعني انه كان في فلسطين بالاضافة الى الكنعانيين جماعات من الأموريين الذين كانوا في هذا الظرف يعمرون بلاد الشام والذين هم كالكنعانيين من الجنس العربي الذين يسميهم الباحثون ساميين [1] .

ح ـ وقد ذكر الاصحاح الرابع عشر بمناسبة الغزوة العراقية اسماء مـدن وشعوب عديدة حيث قال ان كدرلاعومر حينما اقبل في السنة الرابعة عشرة مرة ثانية ضرب مع الملوك الذين معه اولا الرفائيين في عشتاروت قرينم والزوزيين في هام والايميين في شوى قريتائيم والحوريين جبلهم سعير الممتد الى سهل فاران الذي عند البرية . ثم رجعوا الى عين شفاط التي هي قادش فضربوا كل ارض العمالقة والأموريين المقيمين في حصاصون تامار . ومواقع الرفائيين والزوزيين والايميين والحوريين ومدنهم المذكورة هي في شرق الاردن على ما ذكره مفسرو أسفار العهد القديم [2] وما تدل عليه نصوص اخرى والخبر يفيد ان هؤلاء الاقوام ومدنهم كانت موجودة في شرق الاردن قبل طروء ابراهيم الذي كانت الغزوة في حياته وابان وجوده في ارض كنعان .

ولا يصف السفر ارومه هؤلاء الاقوام . والمعروف ان الاموريين موجـة كبرى جاءت مـن جزيرة العرب في اواسط الالـف الثالثة قبل الميـلاد وانتشرت في بلاد الشام وخاصة في الاقسام الشمالية والشرقية ، ثم ذهب منها جماعـات الى العراق فأنشأوا الدولة البابلية الاولى على ما ذكرناه في الجزء الثالث . والظاهر ان جماعات منهم اتجهت نحو الجنوب الشامي واستقرت فيه وغدت جزءاً من سكانه قبل القرن العشرين قبل الميلاد . وقد اشير اليهم مرات عديدة في الاسفار التالية للتكوين وبمناسبة طروء بني اسرائيل على شرق الاردن وفلسطين بعد خروجهم من مصر بأسلوب واحداث تدل على انهم كانوا في هذا الوقت مستقرين في شرق الأردن وفلسطين ولهم الدول والملوك والمآثر والبروز امتداداً لما قبل . وقد ذكر الحوريون مرة اخرى في الاصحاح السادس والثلاثين من سفر التكوين في سياق ذكر ذرية عيسو بن أسحق وسكناها جبل سعير وقبائلهـا

(١) انظر تاريخ سورية ولبنان وفلسطين لفيليب حتي ترجمه حداد ص ٦٢ و ٧١

(٢) مجلد مقال العبرانيين للدبس ص ٢٠ وما بعدها

وزعمائها في ارض أدوم التي يقع فيها جبل سعير بل التي كانت تسمى جبل سعير قبل ان تسمى ارض أدوم لان أدوم هو عيسو وقد سميت البلاد باسمه حينما نمت ذريته وكثرت حسب ما تفيده عبارة الاصحاح المذكور . وسعير أو أدوم هي المنطقة الجنوبية من شرق الاردن التي تقع فيها معان وبعض انحاء العقبة ووادي موسى والبتراء الخ . وقد جاء ذكرهم بهذه العبارة [١] « هؤلاء بنو سعير الحوري سكان الارض لوطان وشوبال وصيعون وعانة وريشون وايصر وديشان . هؤلاء زعماء الحوريين بني سعير في ارض ادوم . وبنو لوطان حوري وهيام . واخت لوطان تمناع . وهؤلاء بنو شوبال علوان ومنحت وعيبال وشفو واونام . وهذان ابنا صيعون اية وعانة . وعانة هذا هو الذي وجد المياه الحميمة في القفر حين كان يرعى حمير صيعون ابيه . وهذا ابن عانة ديشون . وبنت عانة اهليبامة . وهؤلاء بنو ديشان حمدان واشبات ويتران وكران . وهؤلاء بنو ايصر بلهان وزعوان وعقان . وهذان ابناء ديشان عوص وأران . وهؤلاء زعماء الحوريين الزعيم لوطان والزعيم شوبال والزعيم صيعون والزعيم عانة والزعيم ديشون والزعيم ايصر والزعيم ديشان . هؤلاء زعماء الحوريين في ارض سعير . » ومن المحتمل أن تكون الاسماء الاولى هي لاصحاب رئاسات الفروع التي كانت تسمى باسماء آبائها الاولين والثانية هي لاصحاب رئاسات على مدن خاصة سميت باسماء الفروع .

والعبارة قد تفيد ان هذه القبائل والزعامات كانت موجودة حينما طرأ بنو اسرائيل على منطقة جبل سعير اوادوم امتداداً لوجودهم فيها منذ حياة ابراهيم حيث تعرضوا آنذاك لغزوة العراقيين وذكروا بمناسبتها . واللمحة العربية القديمة بادية على الأسماء بقوة حيث يسوغ القول إنهم من أرومة عربية الجنس حلت في جبل سعير قبل القرن العشرين قبل الميلاد بمدة ما وامتد وجودها ونشاطها إلى زمن خروج بني اسرائيل من مصر في القرن الثالث عشر قبل الميلاد وبعده ؛ ولا سيما إن هذه المنطقة متصلة بجزيرة العرب مباشرة ومن المعقول ان تكون من اول مجالات تموج الجماعات التي كانت تخرج من جزيرة العرب آناً بعد آخر . ولا يبعد أن تكون كنعانية الارومة . لان هناك نصاً سنورده فيما بعد يذكر صراحة انه كان في هذه المنطقة جماعات من الكنعانيين لهم مدنهم وممالكهم .

نقول هذا ، وننبه في الوقت نفسه على ان فيليب حتي في كتابه تاريخ سورية ولبنان

---

(١) الطبعة الكاثوليكية في المطبعة الكاثوليكية سنة ١٩٥١

وفلسطين ذكر الحوريين كجماعة آرية برزت في شمال سورية وبين النهرين وكان لها نشاط في ظرف حركة الهكسوس (١٩٠٠ــ١٦٠٠ ق م) امتد إلى بعض انحاء ارض كنعان[١] ولقد ذكر سليم حسن في كتابه مصر القديمة [٢] نشاطاً مماثلا في نفس الظروف والمجال لجماعة سماهم الحورانيين ووصف ارومتهم بالآرية مما يحتمل أن يكونوا نفس الحوريين الذين ذكرهم حتى بل مما يرجح ان يكونوا كذلك . غير اننا نتساءل عما إذا كان هؤلاء هم نفس الحوريين الذين ذكروا في سفر التكوين كجماعة متوطنة في اقصى الجنوب مـــن شرق الاردن ام غيرهم ؟ ونميل إلى الاجابة سلباً على هذا السؤال بناء على ما ذكرناه من صفاتهم واسمائهم إذا صحت رواية هذا السفر عنهم [٣] .

ولقد ذكر الاصحاح السادس والثلاثون ايضاً في سياق الحوريين وزعمائهم ومواليد عيسو بن اسحق الذي سكن في جبل سعير ونمت فيها ذريته وصار لها فيها قبائل وزعامات ايضاً سلسلة اسماء الملوك الذين ملكوا في ارض ادوم قبل ماملك ملك لبني اسرائيل .

وهذه السلسلة هي (١) بالع بن يعور وكانت مدينته أي عاصمته دنهاية (٢) يوباب بن زارح من بصرة وملك بعد بالع (٣) حوشان مـــن أرض التيماني وملك بعد يوباب (٤) هداد بن بداد وكانت مدينته عويت وملك بعد حوشام وهو الذي كسر مديان في بلاد مؤاب (٥) سملة من مسريقة وملك بعد هداد (٦) شاؤول من رحوبوت النهر وملك بعد سملة (٧) بعل حانات بن عكبور وملك بعد سملة (٨) هدار من مدينة فاعو وملك بعد بعل حانات .

ولا يصف الاصحاح أرومات هؤلاء الملوك . فمن الممكن ان يكونوا مـــن ذرية عيسو كما من الممكن ان يكونوا من الحوريين . واللمحة العربية بادية على اسمائهم واسماء مدنهم بحيث يسوغ القول انهم من الأرومات العربية الجنس على كل حال سواء أكانوا من ذرية عيسو أم من الحوريين .

ويظهر من العبارة أن الملوك من عشائر وأسر ومدن مختلفة . ولعل كلاً منهم كان ملكاً

---

(١) انظر ص ١٦١ ـــ ١٦٥ تعريب حداد

(٢) ج ٤ ص ١٨٧ ـــ ١٩٥

(٣) ان فيليب حتي يقول انهم الذين ذكروا في العهد القديم ولكن لا يسند قوله الى سند مـــا ص ١٦٥

في مدينته ثم كان يفرض حكمه على جميع منطقة ادوم او سعير التي كانت تشغل الجزء الاكبر من شرق الاردن من ناحية الجنوب .

ولما كان أول ملك لبني اسرائيل هــو شاؤل الذي يسميه القرآن طالوت ، وكان حكمه في اواخر القرن الحادي عشر قبل الميــلاد فيكون حكم هؤلاء الملوك في الحقبة السابقة لهذا الظرف . ولا يمكن الجزم بما إذا كان هؤلاء الملوك هم جميع من تولوا ملك المملكة الآدومية قبل ملك بني اسرائيل او قسماً منهم ، وان كنا نميل الى الرأي الآخر لأن ملك ثمانية ملوك مهما طال لا يزيد عن مئتين او ثلاثمائة سنة في حين ان وجود الارومات العربية الجنس في هذه المنطقة يمتد الى ما قبل القرن العشرين قبل الميلاد بكثير ؛ ومــن المحتمل ان يكون هؤلاء الملوك من الحوريين .

اما العمالقة فلم يذكروا مرة اخرى في سفر التكوين ولكنهم ذكروا في اسفار اخرى بمناسبة ما كان بينهم وبين بني اسرائيل بعد خروجهم من مصر من احداث بلفظ عماليق ففي الاصحاح السابع عشر من سفر الخروج ان العماليق جاؤوا وحاربوا اسرائيل حينما خرجوا من مصر في موقع رفيديم الذي ارتحلوا اليه من برية سيناء ، وقد انتصر بنــو اسرائيل عليهم بتأييد الرب . وفي الاصحاح الخامس عشر من سفر صموئيل الاول خبر زحف شموئيل على عماليق وضربهم من حويلة الى شور التي تقابل سرمة وقبضه على ملكهم اجا حياً واستيلائه على مواشيهم - والمنطقة في صحراء سيناء - وفي الاصحاح السابع والعشرين من نفس السفر خبر حرب بين داود والعماليق سكان الأرض من شور الى ارض مصر وفي الاصحاح الثلاثين من نفس السفر خبر زحف العماليق على مدينة صقلاح الــتي كان ينزل فيها داود في ارض الفلسطينيين في جنوبي فلسطين حيث يدل كل هذا على ان منازلهم كانت في جنوب شرق الاردن مما يلي صحراء سيناء او النقب . والمتبــادر انهم هم ايضاً من القبائل العربية الجنس التي طرأت على فلسطين وشرق الاردن قبــل قدوم ابراهيم وعشيرته الى أرض كنعان وظلوا فيها إلى قرن حين خروج بني اسرائيل من مصر وكانوا ممن وقع اصطدام بينهم وبين هؤلاء .

وقد سلكهم جرجي زيدان في سلك الارومات العربية في كتابه تاريخ العرب قبل الاسلام [1] واسماؤهم واسماء مدنهم تحمل فعلا اللمحة العربية القديمة .

---

(١) انظر الطبعة الجديدة ص ٥٠ وبعدها .

وقد ذكر الرفائيون في الاصحاح الخامس عشر من سفر التكوين ايضاً في جملة ما ذكر فيه من الاقوام الذين كانوا يسكنون الارض . ثم ذكروا في الاصحاح الثاني من سفر التثنية في سياق نهي الرب عن معاداة المؤابيين بهذه العباره [١] « الايميون سكنوا فيها قبلاً ـ اي في ارض المؤابيين ـ شعب كبير و كثير وطويل كالعناقيين هم ايضاً يحسبون رفائيين كالعناقيين لكن المؤابيين يدعونهم ايميين » ثم ذكروا في الاصحاح الثالث من السفر نفسه في سياق ذكر عوج ملك باشان بهذه العبارة « ان عوج ملك باشان وحده بقي من بقية الرفائيين » [٢]

واسم مدينتهم التي ذكرت في سفر التكوين « عشتروت قرينم » يحمل اللمحة العربية القديمة . وعشتروت خاصة ترمز إلى أحد الآلهة السماوية التي مر ذكرها في سياق تاريخ جنوب الجزيرة والعراق وفينيقية بحيث يسوغ القول انهم كذلك ارومة عربية الجنس حلوا في بعض انحاء شرق الاردن وغربه قبل القرن العشرين قبل الميلاد وانشأوا المدن والممالك واستمروا فيها إلى وقت قدوم بني اسرائيل من مصر .

وقد ذكر الايميون في الاصحاح الثاني من سفر التثنية فوصفوا بالكثرة والطول وقال الاصحاح انهم كانوا في المنطقة التي حل فيها المؤابيون ابناء لوط وهم يحسبون جبابرة كالعناقيين .

وهذه المنطقة من مناطق شرق الاردن . واللمحة العربية بادية على اسم مدينتهم بحيث ينسحب عليهم الكلام الذي قلناه بالنسبة للعمالقة والحوريين .

ولم يذكر الزوزيون مرة اخرى . واسم مدينتهم التي ذكرت في الاصحاح الرابع عشر وهوهام يحمل اللمحة العربية ؛ وينسحب عليهم ما قلناه عن الايميين والرفائيين والعمالقة والحوريين كما هو المتبادر .

خ ـ وفي الاصحاح الرابع عشر اسم مليكصادق ملك شليم . وقد ذكر بمناسبة اقباله على الترحيب بابراهيم على اثر عودته من لحاق الغزاة وتخليصه لوطاً من المنهوبات والسبايا . وقد شاركه في ذلك ملك سدوم . وعرض هذا على ابراهيم ان يأخذ الاموال التي

---

(١) و(٢) الطبعة البروتستانتية . اما الطبعة الكاثوليكية فانها ذكرت كلمة جبابرة بدلا من كلمة رفائيين . غير ان هذه الطبعة ذكرت الرفائيين صراحة في الاصحاحين الرابع عشر والخامس عشر من سفر التكوين ؛

استخلصها فأبى وقال « رفعت يدي الى الرب الاله العلي مالك السموات والارض لا آخذ خيطاً ، ولا شراك نعل . ولا كل ما هو لك فلا تقول انا اغنيت ابرام . ليس لي غير الذي اكله الغلمان ، اما نصيب الرجال الذين ذهبوا معي عانر واشكول وعمرا فهم يأخذون نصيبهم » حيث يفيد هذا ان الآموريين حلفاء ابراهيم بزعامة الزعماء الثلاثة قد زحفوا معه وشاركوا في عملية الانقاذ .

وقد ذكر الاصحاح ان ملكيصادق قدم لابراهيم خبزاً وخمراً لانه كان كاهنا لله العلي وبارك ابراهيم وقال مبارك ابرام من الله العلي مالك السموات والارض . وتبارك الله العلي الذي رفع اعداءك الى يدك . واعطاه العُشر من كل شيء .

ومفسرو العهد القديم يراوحون التخمين عن شليم بين ان تكون القدس التي سميت اورشليم وبين ان تكون مكان القرية القائمة اليوم شرقي نابلس لجهة الغور التي يقال لها سالم[1] .

وقد ذكرت شليم في الاصحاح الثالث والثلاثين من سفر التكوين على ما اوردناه بوصفها مدينة اهل شكيم . وقد يؤيد هذا كون شليم هي سالم اليوم لانها قريبة إليها . واللمحة العربية بادية على اسم الملك والمدينة بقوة ومن المحتمل ان يكون من الكنعانيين .

وتفيد العبارة ان ملكيصادق كان موحداً . ولا يعرف على وجه التحديد ماذا يقصد بكلمة كاهن في ذلك الوقت ولعلها كانت تعني النبوة او ما في مداها .

وهكذا يكون توحيد الله والاتجاه اليه وحده وتقديسه والدعوة اليه وهي الظواهر التي استمرت في الجنس العربي وكانت من ميزاته العظمى ضاربة في القدم . في ارض كنعان وقبل قدوم ابراهيم اليها .

د ـ وفي الاصحاح الخامس عشر من سفر التكوين اسماء اقوام اخرى من سكان الارض وهم الفينيقيون والقنزيون والقدمونيون والفرزيون والجرجاشيون واليبوسيون . وليس هناك بيان آخر عنهم . فهم اما ان يكونوا فروعاً من الكنعانيين سموا باسمائهم نسبة إلى مدنهم او ان يكونوا فروعاً من ارومات اخرى نرجح انها ارومات عربية لما تحمله اسماؤها من لمحة عربية قديمة كانت ساكنة في غرب الاردن وشرقه قبل طروء ابراهيم على ارض كنعان . ولقد ذكر الاصحاح العاشر من سفر التكوين في سياق ذكر

---

(١) مجلد العبرانيين للدبس ص ٢٠ وما بعدها .

ذرية كنعان ان كنعان ولد صيدون بكره وحثاً واليبوسيين والآموريين والجرجاشيين والحويين والعرقيين والسينيين والارواديين والصماريين والحماتيين . وبعد ذلك تفرقت عشائر الكنعانيين . ومهما يكن من ضرورة الحذر في تلقي الانساب الواردة في هذا السفر والشك في صحتها تاريخياً فان العبارة مما قد يستأنس به في الدلالة على ان هذه الشعوب أو بعضها كنعانية الارومة ، لان سفر التكوين قد كتب بعد خروج بني اسرائيل من مصر واحتكاكهم بهذه الشعوب في شرق الاردن وغربه ؛ وليس من المستبعد ان يكون الذين كتبوا هذه العبارة كتبوها تقريراً لواقع معروف .

ذ ـ وفي الاصحاح الثامن عشر قصة غضب الله على سدوم وعموره لآثامها وارساله الملائكة لتدميرهما

وقد ذكر الاصحاح التاسع عشر قصة تآمر ابنتي لوط على ابيهما حينما هربتا معه والتجأوا الى مغارة قرب صوعر حيث أسكرتاه وضاجعتاه واحدة بعد اخرى لئلا يموت بدون نسل . وقد ولد لكبراهما ابن سمته مؤاب وهو ابو المؤابيين ولصغراهما ابن سمته عمي وهو ابو العمونيين .

ولقد ذكرت الاسفار التي احتوت قصة خروج بني اسرائيل وطروئهم على شرق الاردن وغربه المؤابيين والعمونيين كثيراً بما يفيد انهم كانوا اصحاب قوة وملك وخير كبير وظلوا كذلك الى امد طويل . وفي الاصحاح الثاني من سفر التثنية نهي لبني اسرائيل عن معاداتهم وتنبيه بانه ليس معطيهم من ارضهم شيئاً ولو موطىء قدم لانه جعلها ميراثاً لبني لوط . وليس ما يمنع ان يكونوا من ذرية لوط كما انه ليس ما يمنع ان يكون تسجيل ذلك متأثراً بوقائع طروء بني اسرائيل على شرق الاردن فاريد به ربط الماضي بالحاضر بقطع النظر عن صحته وعدمها .

ولقد جاء وقت غزا فيه بنو اسرائيل المؤابيين والعمونيين واستولوا على بلادهم مرة بعد مرة ونشب نضال واريقت دماء بينهم مما فيه نقض للنهي اذا كان صحيحاً ومما فيه دليل على أن التسجيل كان بتأثير الواقع .

ومهما يكن من امر فان صح نسبة بني عمون وبني مؤاب الى لوط فالمرجح انهم اختلطوا بمن كان في الارض قبلهم وان كانوا احتفظوا باسمي ابويها الاولين واستطاعوا ان يجعلوهما شاملين لجميع السكان والبلاد . . ووصف الايميين والزمزميين بالوصف القوي

الذي وصفوا به على ما مر يقوي ترجيحنا . فانه لا يعقل أن يكون بنولوط قد ابادوهم . ولقد عجز عن ذلك بنو اسرائيل بالنسبة لسكان فلسطين برغم ما كان منهم من قسوة وجنوح الى الابادة على ما سوف نذكره بعد . وكل ما يمكن ان يكون انهم حلوا في ارضهم وبرزوا عليهم واختلطوا بهم وصار الخليط يدعى مؤابيين وعمونيين .

وعلى كل حال فالمؤابيون والعمونيون الذين كان لهم كما قلنا حيز كبير وملك طويل الأمد في شرق الاردن يعتبرون من عناصر هذا الشرق ويورد تاريخهم في سياق تاريخه وهكذا فعلنا . وهم ارومات عربية الجنس على ما تدل عليه لغتهم واسماؤهم مما سوف نورده بعد سواء أكان اصلهم عبرانياً ام لم يكن . ولقد عثر على نقش لملك مؤاب ميشع من القرن التاسع قبل الميلاد اورده مؤلف كتاب تاريخ اللغات السامية في كتابه وعلق عليه بما يفيد انه شبيه جداً باسلوب اسفار العهد القديم العبرانية بفروق قليلة لعلها صارت نتيجة للتطور الزمني .

ر — وفي الاصحاح العشرين من سفر التكوين اسم مدينة جرار وملكها ابي ملك بمناسبة ارتحال ابراهيم الى الجنوب وأقامته بين قادش وشور في مملكة جرار . واسم الملك ومدينته يحمل اللمحة العربية القديمة كما هو واضح ؛ ومن المحتمل ان يكون من الكنعانيين . وجرار واقعة شرق خان يونس ومكان المدينة يعرف اليوم باسم ام الجرار على ما ذكره الدبس في كتابه عن العبرانيين [١]

ز — وفي الاصحاح الثالث والعشرين اسم قرية اربع وهي حبرون — واليوم مدينة الخليل — في ارض كنعان بمناسبة ذكر موت سارة فيها وشراء ابراهيم حقلاً فيه مغارة لدفنها فيها من شخص اسمه عفرون بن صوحر من بني حث . واللمحة العربية بادية على الاسم .

ولقد تكرر ذكر بني حث والحيثيين في سفر التكوين والاسفار الاخرى باسلوب يفيد انهم كانوا يشغلون حيزاً في أرض كنعان ؛ حيث ذكروا في الاصحاح الخامس عشر من سفر التكوين في جملة الأقوام الذين وعد الرب ابراهيم بتمكين نسله عليهم ، وذكروا في الاصحاح السادس والعشرين والسادس والثلاثين بمناسبة تزوج عيسو بن اسحق حينما كان مقيما في قرية اربع بامرأتين منهم اسم احداهما يهوديت بنت بئرى الحثي وثانيتهما بسمة بنت ايلون الحيثي . وذكروا في اسفار يشوع والقضاة باسلوب يدل على انهم كان لهم بعض

---

(١) ص ٣٣ — ٣٤

الشأن والحيز في غرب الاردن بمناسبة طروء بني أسرائيل كما ذكروا في سفرصموئيل الثاني بمناسبة ذكر قائد منهم اسمه اوريا احب داود زوجته وضاجعها حسب ما ذكر فيــه ؛ حيث يفيد ذلك ان هذا القبيل ظل مستمراً ذا نشاط وبروز إلى ظروف خروج بــني اسرائيل من مصر وطروئهم على غرب الاردن وما بعدها ايضاً .

ومن المعروف انه كان في شمال سورية شعب اسمه خيتا الذي عُرب الى الحيثين كان له بروز ونشاط وملك وحروب في القرن الخامس عشر قبــل الميلاد وبعده مما ذكرنا طرفاً منه في الفصل السابق ومعظم الباحثين يذهبون الى ان هذاالشعب من الجنس الآري عدا مفسري العهد القديم الذين يأخذون انساب سفر التكوين قضية مسلمة ويقولون إن حث احد ابناء كنعان بن حام بن نوح [1] أي ان الحيثيين والكنعانيين اخوة لاب .

واقد وصف الاصحاح السادس والثلاثون من سفر التكوين زوجــتي عيسو الحيثيين بصفة بنات كنعان . والاسماء الحيثية التي وردت في هذا السفر تحمل اللمحة العربية . ولا ندري هل هذا وذلك كان بسبب كون كثرة سكان الارض كنعانيين وغلبة طابعهم عليهم وانهم جالية من الحيثيين الشماليين جاءت الى هذه المنطقة واستقرت فيها قبل القرن العشرين قبل الميلاد ثم استمرت فيها وانطبعت بالطابع الكنعاني ؛ او لانهم حقاً اخــوة للكنعانيين او فرع من فروعهم [2] .

ش ــ في الاصحاح الرابع والثلاثين من سفر التكوين اسم « شكيم بن حور الحوي » وفي الاصحاج السادس والثلاثين اسم « اهليبامة بنت عانة بنت صبعون الحوى زوجــة عيسو بن اسحق » حيث يدل على انه كانت ارومة اخرى في غرب الاردن تسمى الحويين حينما طرأ ابراهيم على ارض كنعان . وقد ذكر الحويون في الاصحاح الثالث مــن سفر الخروج في جملة ما ذكر من اسماء شعوب سكان ارض كنعان. واللمحة العربية بادية على الاسم . وقد قــال الاصحاح الثالث والثلاثون مــن سفر التكوين ان شكيم بارض كنعان وقال الاصحاح الثاني عشر حينما ذكر نزول ابراهيم لاول مرة في مكان شكيم « وكان الكنعانيون حينئذ في الارض » . وقد ذكر اسم « الحويين في الاصحاح العاشر من سفر التكوين في عداد ابناء كنعان او قبائلهم حيث يسوغ كل هــذا ان يقال ان

---

(١) سفر التكوين الاصحاح ١٠
(٢) انظر ايضاً المجلد (١) الجزء (١) من تاريخ سورية للدبس ص ١٥٤ وما بعدها .

هذه الارومة فرع من الكنعانيين . فان لم تكن كذلك فتكون على الارجح فرعاً من ارومة عربية اخرى طرأت على بلاد الشام وانتشرت في انحائها على نحو ما كان يسير عليه التموج العربي[1] .

صور مقتبسة من أسفار الخروج واللاويين

والعدد والتثنية عن شرق الاردن وغربه

قبل طروء بني اسرائيل وفي ظروف طروئهم وبعده

ولقد احتوت اسفار الخروج واللاويين والعدد والتثنية وهي بقية الاسفار الخمسة المنسوبة الى موسى اسماء كثير من المواقع والمدن والشعوب التي تغلبت عليها اللمحة العربية القديمة في شرق الاردن وغربه ووصفها وحالتها وما كان بين اهلها وبين بني اسرائيل من احداث بمناسبة خروج هؤلاء من مصر بقيادة موسى واتجاههم نحو ارض كنعان في القرن الثالث عشر قبل الميلاد . وإليك ما يمكن اقتباسه منها :

آ — من اول ما ذكر من المدن في هذه الاسفار اسم مدينة مدين وكاهنها يثرون . وقد ذكر لاول مرة في سفر الخروج بمناسبة فرار موسى من مصر لاول مرة والتجائه الى مدين وتزوجه ببنت كاهنها يثرون[2] . ومدين تقع في شرق البحر الاحمر في منطقة العقبة . وقال مفسرو اسفار العهد القديم ان اهلها كوشيون والكوشيون والكنعانيون عندهم من اصل واحد وهو حام بن نوح . ومهما يكن من امر فان مدين مدينة عربية الجنس كما يبدو من اسمها واسم بنت كاهنها التي تزوجها موسى هو صفورة[3] ويبدو ان كلمة يثرو ويثرون تعني الكهانة لان سفري الخروج والعدد ذكرا الكاهن مدين اسماً آخر هو حوباب بن رعوئيل . واللمحة العربية القديمة بادية على الاسمين مما فيه تأييد لما قلناه[4] .

---

(١) ان فيليب حتي يقول ان الحويين هم غالباً الحوريون ، وهو يقول بمناسبة ذكر العهد القديم الحوريين والحويين ص ١٦٥) لماذا ذكر العهد القديم اسمين والحالة هذه ؟؟

(٢) سفر الخروج الاصحاح ٢ و٣

(٣) سفر الخروج الاصحاح ٢

(٤) سفر العدد الاصحاح ١٠

وبعض مفسري اسفار العهد القديم يربطون بين اسم مدين واسم احد ابناء ابراهيم من زوجته قطورة كأنما يراد بذلك القول إن هذه المدينة هي مدينة مدين بن ابراهيم انشأها وسكنها.

ولقد ذكر القرآن مدين وقصة التجاء موسى اليها وتزوجه من ابنة شيخ كبير فيها يجمع المفسرون على انه نبي الله شعيب . ويلحظ شيء من التقارب بين شعيب وحوباب بحيث يسوغ ان يقال ان شعيب تعريب لحوباب . وهكذا تكون ظاهرة النبوة والاتصال بالله والدعوة اليه قد استمرت في الجنس العربي وتمثلت في كاهن مدين على حد وصف سفر الخروج ونبي الله شعيب على حد وصف القرآن .

ونستطرد الى القول إن ذكر مدين تكرر وروده في اسفار اخرى . فقد ذكرت في الاصحاح ٢٢ من سفر العدد باسلوب يدل على انها كانت من جملة ما تشمله سيادة مملكة مؤاب . وذكرت في الاصحاح الخامس والعشرين من السفر نفسه بمناسبة قيام موسى بحركة حربية انتقامية ضدها . وذكر في ما ذكر اسماء اربعة من ملوكها وهم اوي وراقم وصور وحور ، وخبر حرق جميع مدنهم حيث يفيد هذا وذاك ان اسم مدين لم يكن لمدينة فقط بل كان لمنطقة كبيرة ايضاً فيها مدن عديدة ولكل منها ملكها الخاص .

ثم ذكرت في الاصحاح السادس والاصحاح السابع والاصحاح الثامن من سفر القضاة بمناسبة خبر غاراتها مع العمالقة وبني المشرق على اسرائيل وازعاجهم لهم اشد ازعاج وتسلطهم عليهم سبع سنين . وقد ذكر في سياق ذلك زاباح وصلمناع ملكيها وزيب وعوريب قائدي جيوشها كما ذكر ان عدد محاربيهم كان مئة وخمسة وثلاثين الفاً حيث ينقض هذا خبر إبادة اهل مدين وحرق مدنهم الذي ورد في الاصحاح الخامس والعشرين من سفر العدد او يفيد انها عادت فقويت وعظمت في الثلث الاول من عهد القضاه بعد موسى ويشوع .

ب ـ لقد كان خروج بني اسرائيل من مصر من طريق برزخ السويس فصحراء سيناء الى خليج العقبة ثم اتجهوا إلى الشمال حتى وصلوا الى تخوم مملكة ادوم . وهذه اسماء المواقع التي اجتازوها كما وردت في الاصحاح الثالث والثلاثين من سفر العدد : ارتحلوا من رعمسيس الى سكوت ومنها الى ايتام التي في طرق البرية . ورجعوا من هنا الى فم الحيروت التي تجاه بعل صفون ونزلوا امام مجدل . وساروا ثلاثة ايام في برية ايتام ونزلوا بمارة . ومنها الى ايليم التي فيها اثنتا عشرة عيناً وسبعون نخلة . ومنها نزلوا على بحر القلزم وارتحلوا

من هنا ونزلوا ببرية سين ثم ارتحـلوا ونزلوا بدفقة ، ثم بألوش ثم برفيديم ثم ببرية سينا ، وارتحلوا من هنا ونزلوا عند قبور الشهوة ثم ارتحلوا ونزلوا بحصيروت ومنها ارتحلواونزلوا برثمـة ثم بريون فارص ثم بلبنه ثم برسّة ثم بتهاوت ثم بجبل شافر ثم بحرادة ثم بمقهيلون . وارتحلوا من هنا فنزلوا بتاحت ثم بتارح ثم بمتقة ثم بحشمونة ثم بموسيروت ثم ببني يعقان . وارتحلوا منها ونزلوا عند كهف الجدجاد . ثم بيطبات ثم بعبرونة ثم بعصيون جابر ثم ببرية سين وهي قادش وارتحلوا من قادش ونزلوا بجبل هور في طرف ادوم .

ويبدو ان من هذه الاسماء ما هو مدن او قرى . واللمحة العربية القديمة بادية على معظمها بحيث يصح ان يقال انها تسميات اورمات عربية الجنس وان لم يمكن تعيينها . ولا غرو فان منطقتي سيناء والعقبة كانت منذ اقدم الازمنة مجال تموج القبائل التي كانت تطرأ من تخوم جزيرة العرب الشمالية .

ت ـ ومن اول ما ذكر من سكان الأرض بعد خروج بني اسرائيل مـن مصر عماليق . وذلك بمناسبة مجيء عماليق وقومه الى رفيديم ومحاربته لهم وانهزامه امامهم . وعبارة الاصحاح السابع عشر من سفر الخروج التي ذكر بها هذا الحادث تفيدان عماليق رئيس قومه الذي جاء على رأسهم لحرب بني اسرائيل وان اسم القوم هو عماليق ايضاً . وقد مر هذا الاسم في عداد مواليد عيسو . وقد ذكر سفر التكوين [1] ان امه سرية اسمها تمناع ، والى هذا فقد ذكر سفر التكوين على ما اوردناه قبل اسم « العمالقة » في جملة من ضربهم الغزاة العراقيون الذين غزوا شرق الاردن وغربه بقيادة كدر لاعومر .

فعماليق اماان يكون من العمالقة الأولين او من نسل عماليق بن عيسو . وقد يكون الارجح الاحتمال الثاني لان ابناء عيسو اسكنوا في منطقة جبل سعير المتاخمة لمنطقة العقبة ؛ والحرب التي جرت بين عماليق وبني اسرائيل جرت في هذه المنطقة .

ث ـ وفي الاصحاح الثالث عشر من سفر العدد اسماء بعض شعوب ارض كنعان ومدنها ووصف لما كانت عليه حالتها على لسان الرسل الذين ارسلهم موسى للتجسس عليها بعد ان وصلوا الى برية فاران في منطقة العقبة ونزلوا فيها .

وقد ذكر في الاصحاح ان الرسل صعدوا وتجسسوا الارض من برية سين الى رحوب في مدخل حماة وصعدوا الى الجنوب واتوا الى حبرون .

---

(١) السفر ٣٦

وقد يفيد هذا ان ارض كنعان لم تكن في اعتبار بني اسرائيل غرب الاردن بل كانت تشمل شرق الاردن ايضاً . اما عبارة « مدخل حماة » فقد تفيد ان مملكة حماة كانت ممتدة الى رحوب التي يخمنها الدبس بانها في ارض شرق الاردن .

وممن وردت اسماؤهم على لسان الرسل من سكان الارض بنو عناق واليبوسيون والحيثيون والآموريون والكنعانيون . ووصفوا بني عناق بالعمالقة والجبابرة وقالوا انهم يسكنون في الجنوب وذكروا من فروعهم اخيمان وتلماي وشيشان ؛ وقالوا ان الكنعانيين يسكنون عند البحر وعلى جانب الاردن والاموريين والحيثيين يسكنون في الجبل .

والعبارة تفيد ان هؤلاء كانوا يسكنون في غرب الاردن . ومن المحتمل ان يكون بنو عناق الذين وصفوا بالعمالقة والجبابرة هم من العمالقة الاولين الذين تعرضوا لضربة الغزاة العراقيين في القرن العشرين حيث استمروا قائمين في المنطقة الجنوبية من غرب الاردن إلى هذا الوقت . وليس هناك ما يوضح هوية اليبوسيين الذين يظهر ان ذكرهم مع ذكر الكنعانيين بسبب كونهم من ارومة اخرى نرجح انها ارومة عربية الجنس تفرعت من احدى الموجات التي كانت تخرج من جزيرة العرب وتطرأ على بلاد الشام وجاءت الى غرب الاردن فاستقرت فيها قبل خروج بني اسرائيل من مصر . وبعض النصوص يفيد ان اسم مدينتهم يبوس وانها هي اصل مدينة القدس؛ ولعل الاسم هو من اسم القبيلة على ما كان يجري عليه الاقدمون في التسميات .

ومما ذكره الاصحاح ان الرسل قطفوا من منطقة حبرون غصناً يحمل عنقوداً من العنب حمله منهم اثنان لثقله ، كما قطفوا شيئاً من الرمان والتين .

ولما عادوا الى موسى قالوا هذه ثمار الارض وانها حقاً تفيض لبناً وعسلاً غير ان الشعب الساكن فيها معتز ومدنه حصينة عظيمة جداً وانهم رأوا انفسهم ازاء بني عناق الجبابرة كالجراد وهكذا كنا في اعينهم ؛ وينطوي هذا الوصف على الدلالة على كثافة سكان ارض كنعان وقوتهم وما كان لهم من مدن كثيرة محصنة وما كانوا عليه من نشاط في مجال زراعة كروم العنب والتين والرمان .

وقد افزع الوصف بني اسرائيل اشد فزع وكان فزعهم سبباً لتحريم دخولهم الارض اربعين سنة وبقائهم في القفر حتى فني الجيل الذي ظهر منه هذا الفزع .

ونقول استطراداً ان في سفر التثنية وصفاً قوياً وشاملاً لارض كنعان تزيد في قوة

الصورة التي ذكرها الاصحاح عن لسان رسل موسى ؛ حيث جاء في الاصحاح السادس منه « اذا ادخلك الرب الهك الارض التي اقسم لآبائك ابراهيم واسحق ويعقوب ان يعطيها لك مدناً عظيمة حسنة لم تبنها . وبيوتاً مملوءة كل خير لم تملأها . وصهاريج محفورة لم تحفرها . وكروماً وزيتوناً لم تغرسها فأكلت وشبعت فاحذر ان تنسى الرب الهك الخ ؛ وحيث جاء في الاصحاح الثامن منه « ان الرب الهك مدخلك ارضاً صالحة . ارضاً ذات ماء وعيون تتفجر في غورها ونجدها . ارض حنطة وشعير وكرم وتين ورمان. ارض زيت وعسل . ارضاً لا تأكل فيها خبزك بتقتير ولا يعوزك فيها شيء . ارضاً من حجارتها الحديد . ومن جبالها تقطع النحاس . فتأكل وتشبع وتبارك الرب الهك لاجل الارض الصالحة التي اعطاكها » .

ومهما يكن من احتمال كبير بأن هذه التسجيلات والوعود متأثرة بالواقع وبعد دخول بني اسرائيل ارض كنعان ، ثم بعقدة الاختصاص الافتعالي فان ما جاء في وصف واقع ارض كنعان كان حقيقة قائمة مشاهدة .

ج – وفي الاصحاحات ٢٠و٢٢و٢٣ من سفر العدد اسماء مدن وملوك وشعوب عديدة بمناسبة تقدم بني اسرائيل بقيادة موسى نحو ارض كنعان بعد انقضاء مدة الاربعين سنة من حياة الفقر والتيه .

١ – منها : (قادش) وهي في منطقة العقبة . وقد وصفت بقادش برنع تمييزاً لها عن قادش اخرى كانت في غرب الاردن ومنها ملك آدوم الذي لم يذكر اسمه . وقد طلب منه موسى السماح بالمرور من ارضه وتعهد له بأن يدفع ثمن كل ما يصيبه منها . ولكن الملك ابى وانذر بني اسرائيل بمنعهم بالسيف وخرج للقائهم بشعب غفير ويد شديدة حسب عبارة السفر ، مما اضطرهم الى التحول عن بلاده والاتجاه في اتجاه غيرها ؛ وفي سفر التثنية [١] ما يفيد ان الرب نهى موسى عن تملك هذه البلاد ووصاه بالتحرز منها لانه جعلها ميراثاً لبني عيسو وليس معطياً لهم ولو موطىء قدم ؛ حيث يفيد هذا ان هذا الملك ومملكته مما يتصل بعيسو الذي نعته سفر التكوين بأبي الآدوميين .

ولقد جاء وقت غزا بنو اسرائيل فيه مملكة ادوم وفرضوا سلطانهم عليها ردحاً من الزمن في عهد داود وسليمان ناقضين بذلك وصية ربهم .

(١) الاصحاح ٢

وعلى كل حال فالنص يدل على ان مملكة ادوم كانت اذ ذاك قويـــة كثيفة السكان والمحاربين .

٢ – ومنها اسم ملك عراد الكنعاني . وقد ورد بهذه العبارة « وسمع الكنعاني ملك عراد المقيم بالجنوب ان بني اسرائيل قد جاؤوا على طريق اتاريم فقاتلهم وسبى منهم سبياً ثم نصرهم الرب عليه ففتكوا في قومه ودمروا مدنهم [١] » .

وتفيد العبارة ان عراد مدينة كنعانية من المدن التي كانت في منطقة العقبة الى الشمال وانها كانت كرسي مملكته ؛ وانه كان للكنعانيين في هذه المنطقة مدن عديدة اخرى غير عراد ؛ كما تفيد ان الكنعانيين لم يكونوا في غرب الاردن – فلسطين فقط – بل كان منهم جماعات في شرق الاردن وفي جنوبها وانه كان لهم ملك ومدن . ومن المرجح ان ذلك امتداد لما كان عليه الأمر قبل طروء بني اسرائيل وربما قبل طروء ابراهيم ايضاً .

٣ – ومنها اوبوت وعي عباريم وبئر ومتانة ونحليئيل وباموت والجواء وارنون التي هي تخم مؤاب . وقد ذكرت هذه الاسماء في سياق رحلة بني اسرائيل من جبل هور وهم يدورون عن ارض ادوم بطريق بحر سوف أي إن هذه المواقع في منطقة العقبة الى تخم مؤاب الواقعة في وسط شرق الاردن بعد حدود آدوم . ولا يعرف اذا كانت هذه الاسماء اسماء مدن او مواقع جغرافية من جبال واودية . وهي على كل حال تسميات عربية الجنس على ما تدل عليه اللمحة العربية القديمة البادية عليها . ويستثنى من ذلك مؤاب التي هي مدينة وكرسي مملكة بنفس الاسم .

٤ – ومنها سيحون ملك الآموريين وحسبون مدينته او عاصمته التي يقوم مكانها اليوم قرية تحتفظ باسمها معدلا وهو حسبان . وحسبان في وسط شرق الاردن . وهـــذا يعني ان هذه المملكة كانت في هذه المنطقة ويحدها من الجنوب مملكة مؤاب التي سوف يأتي بيان آخر عنها واللمحة العربية القديمـــة بادية على اسم الملك والمدينة . ولا غرو فالآموريون من الموجات العربية كما قلنا قبل .

ومما جاء في السفر [٢] ان اسرائيل ارسل رسلا الى سيحون يطلب منه السماح له بالمرور

---

(١) سفر الخروج الاصحاح ٢١

(٢) العدد الاصحاح ٢١

في ارضه فلم يسمح لهم وخرج على رأس قومه للقائهم . ولكن بني اسرائيل تغلبوا عليه وملكوا ارضه واقاموا في جميع مدن الأموريين وقراهم . وتفيد العبارة انه كان للآموريين في هذه المنطقة مملكة ومدن وقرى كثيرة اخرى غير حسبون .

٥ ــ ومما ذكر من الاسماء في سياق ذلك ياهص ويبوق وبنو عمون . حيث ذكر السفر ان سيحون خرج الى البرّية فأتى الى ياهص وحارب اسرائيل وان اسرائيل ملك ارضه من ارنون الى يبوق الى بني عمون .

ومن المحتمل ان تكون اسماء ياهص وارنون ويبوق مواقع جغرافية ، واللمحة العربية بادية عليها بحيث يسوغ ان يقال انها تسميات عربية الجنس من قبل سكان الارض الذين هم ارومات عربية الجنس كذلك .

٦ ــ اما بنو عمون فعبارة السفر تدل على انهم شعب ومملكة وقد وصف تخمهم فيه بانه كان قوياً . وفي سفر التكوين ما يفيد نسبتهم الى بن عمى بن لوط على ما ذكرناه قبل .

ولم يذكر السفر ان بني اسرائيل اصطدموا بهم حينما اتجهوا لاول مرة الى ارض كنعان بعد خروجهم من مصر .

وفي سفر التثنية [١] نهي لبني اسرائيل عن معاداة بني عمون لان الرب لم يعطهم ارضهم التي جعلها ميراثاً لبني لوط .

ولقد جاء وقت غزا بنو اسرائيل فيه مملكة عمون وفرضوا سلطانهم عليها ردحاً من الزمن في عهد داود وسليمان ناقضين بذلك وصية ربهم .

وعلى كل حال فالنص يدل على ان مملكة بني عمون كانت قوية التخم ؛ ولعل هذا هو الذي جعل بني اسرائيل يتحاشونهم .

٧ ــ وفي سفر التثنية [٢] اسم لشعبين من سكان ارض كنعان غرب الاردن وهم العويون والكفتوريون . ووصف الاولون بانهم المقيمون بالقرى الى غزة وان الكفتوريين الخارجين من كفتور اجلوهم واقاموا مكانهم . وليس هناك اشارة اخرى اليهم . ولكن هذا لا يمنع من احتمال كونهم هم الآخرون من ارومة عربية الجنس حلت في

---

(١) الاصحاح ٢
(٢) الاصحاح ٢

ارض كنعان عرب الاردن قبل طروء بني اسرائيل بل وربما قبل طروء ابراهيم ان لم يكونوا فروعاً كنعانية .

٨ – وممن ورد ذكره في سفر العدد[١] مدينـــة باشان وملكها عوج وقومه بمناسبة ذكر صعود بني اسرائيل من ارض الآموريين في طريق باشان وخروج عوج عـــلى رأس قومه الى لقائهم ومحاربتهم في اذرعي . وباشان هي على الارجح بيسان اليوم احدى مدن غور الاردن . ومن المحتمل ان تكون اذرعي هي قرية زرعـــين اليوم في منطقة بيسان .

وقد ذكر عوج مرة اخرى في الاصحاح الثالث من سفر التثنية ووصف هو وقومه انهم من الرفائيين اخوان اولئك الذين كانوا في مكان بني عمون والذين وصفوا بالكثرة والطول ؛ وقد مر ذكرهم ورجحنا انهم ارومة عربية لما يبدو على اسمائهم من لحـــة عربية . وهذا القول ينسحب على عوج وقومه بالتبعية .

ويذكر هذا الاصحاح ان بني اسرائيل اخذوا كل مدن عوج وقراه ولم تبق قرية لم يأخذوها . وقد سمى السفر مملكة عـــوج باسم كورة ارجوب وقـــال ان بني اسرائيل اخذوا كل مدنها البالغة ستين والتي كانت محصنة باسوار شامخة وابواب ومزاليج سوى قرى الصحراء الكثيرة جداً . ووصف السفر سرير عوج فقال إنه من حديد وان طوله تسعة اذرع وعرضه اربعة بذراع الرجل . ويدل الوصف على ما كانت عليه مملكة باشان او كورة ارجوب من عمران وقوة .

٩ – ومما ذكر في سفر العدد[٢] مؤاب وعربات مؤاب من عبر اردن اريحا وبالاق بن صفور ملك مؤاب . وذلك بمناسبة ذكر ارتحال بني اسرائيل من باشان واتجاههم الى غور اريحا حيث تفيد العبارة وعبارات اخرى جاءت في مكان آخر من السفر انه كان في وادي الاردن مملكة اسمها مؤاب عاصمتها مدينة بالاسم نفسه .

وقد ذكر سفر التكوين اسم مؤاب على ما مر بيانه . وفي الاصحاح الثاني من سفر التثنية نهي لبني اسرائيل عن معاداة مؤاب وعدم اثارتهم عليهم حرباً لان الرب ليس معطيهم من ارضهم ميراثاً حيث اعطاها لبني لوط ميراثاً .

---

(١) الاصحاح ٢

(٢) الاصحاح ٢٢

ولقد جاء وقت غزا فيه بنو اسرائيل مملكة مؤاب وسيطروا عليها ردحاً من الزمن في عهد داود وسليمان ناقضين بذلك وصية ربهم .

ومهما يكن من امر فاللمحة العربية القديمة بادية على الاسماء بحيث يسوغ القول إن المؤابيين ارومة عربية الجنس سواء أصحت نسبتهم إلى لوط أم لم تصح أم كانوا مزيجاً من ذرية لوط وغيرهم من سكان المنطقة ، وانهم كانوا على شيء من القوة جعل بني اسرائيل يتحاشونهم .

وفي الاصحاحات ٢٢ و ٢٣ و ٢٤ من سفر العدد قصة بالاق بن صفور ملك مؤاب مع بلعام بن يعور . العراف او المتنبىء . فقد فزع الملك مما صنع بنو اسرائيل في الأموريين فأرسل وفداً الى بلعام بن يعور الذي كان يسكن في مدينة اسمها فاتور على النهر والذي كان من شعب الملك لاستدعائه اليه لاجل لعن بني اسرائيل الذين غطوا وجه الارض وطردهم من حدود مملكته لانه يعرف ان من يلعنه يكون ملعوناً ومن يباركه يكون مباركاً وذهب الوفد المؤلف من شيوخ مؤاب ومدين يحملون حلوان العرافة الى بلعام وابلغوه دعوة بالاق . فتجلى الله لبلعام ونهاه عن اجابة الدعوة ولعن اسرائيل لانهم شعب مبارك . فرفض الدعوة قائلا لو اعطاني بالاق ملء بيته ذهباً وفضة فلن اتجاوز امر الرب . فأرسل الملك وفداً آخر والح على بلعام فتجلى له الرب وسمح له بالذهاب على شرط ان يبارك اسرائيل . ولما وصل الى مدينة مؤاب التي على تخم ارنون خرج بالاق لاستقباله واتى معه الى قرية حصوث واصعده الى مرتفعات بعل حيث بنى سبعة مذابح وهيأ سبعة ثيران وسبعة أكباش كما طلب بلعام . ولكن هذا بدلا من ان يلعن اسرائيل باركهم بامر الله ولما عاتبه بالاق قال له لا اقدر ان اقول الا ما يقوله الرب لي .

وتفيد القصة مهما يكن من امرها ما افادته نصوص اخرى من استمرار ظاهرة اتصال الله بالجنس العربي متمثلة هذه المرة ببلعام الذي لم يكن من بني اسرائيل وان كان من المحتمل ان يكون من بني ابراهيم ؛ بالاضافة الى ما فيها من اسماء مدن وصورة حياة ذلك الظرف واسم ملك مؤاب فيه . وتفيد ايضاً ان مدين كانت في هذا الظرف داخلة في نطاق مملكة مؤاب او تحت سيادتها .

١٠ ـ ومما ذكر من اسماء المدن في الاصحاح الخامس والعشرين من سفر العدد شطيم في تخوم مؤاب التي يحتمل ان تكون القرية التي تسمى اليوم شطة في منطقة بيسان . وقد

ذكرت في سياق ذكر بني اسرائيل فيها وما كان من اتصالهم ببني مؤاب ومديان وسجودهم لآلهة مؤاب حيث يدل هذا على سرعة تأثر الاسرائيليين بسكان الارض التي حلوا فيها .

١١ – ومن الاسماء التي وردت في الاصحاح الحادي والثلاثين اوي وراقم وصور وحور ورابع وهي اسماء خمسة ملوك مديانيين . وذلك بمناسبة زحف بني اسرائيل على مديان بأمر موسى والرب انتقاماً من اهلها بسبب ما كان من اغواء بنات مديان الاسرائيليين وجعلهم يتعلقون بعبادة بعلهم . ولعل الاسماء اسماء رؤساء مدن واقعة في منطقة مديان . ومما ذكره الاصحاح ان بني اسرائيل قتلوا الملوك الخمسة مع كل ذكر في مديان وسبوا النساء والاطفال ونهبوا جميع البهائم والمواشي واحرقوا جميع المدن والحصون بالنار ورجعوا بالسبايا والغنائم الى عربات مؤاب التي على اردن اريحا حيث يقيم موسى . وكان عدد الغنم المنهوبة ٦٧٥ الفاً والبقر ٧٢ الفاً والحمير ٦١ الفاً وكان وزن الذهب ١٦٧٥٠ شاقلا حيث يدل الوصف على ما كانت عليه مديان من سعة وعمران وثروة .

١٢ – ومن الجدير بالذكر ان مدين ليست وحدها التي كانت غنية هذا الغني بالمواشي بل كان ذلك شأن بقية شرق الاردن ايضاً .

ففي الاصحاح الخامس من سفر اخبار الايام الاول ان الاسرائيليين نهبوا من الهاجرين ويطور ونافيش ونودا بعد ان انتصروا عليهم ٥٠٠٠٠ جملاو ٢٥٠٠٠٠ رأس غنم و٢٠٠٠ ٥٠ حماراً . وفي الاصحاح الثالث من سفر الملوك الثاني [١] ان ميشع ملك مؤاب كان صاحب مواش وكان يؤدي لملك اسرائيل مئة الف خروف ومئة ألف كبش بصوفها . والعبارة قد تفيد ان ذلك كان جزية سنوية .

الى هنا ينتهي ما امكن اقتباسه من الاسفار الخمسة المنسوبة الى موسى من اسماء واعلام عربية الجنس كانت موجودة في شرق الاردن وغربه قبل عهد موسى وفي عهده اي ما بين القرن العشرين الى القرن الثالث عشر قبل الميلاد وما كانت عليه الارومات العربية من حالات ونشاط وما كان لها في هذه البلاد من مآثر وممالك .

---

(١) الاصحاح ٣ الطبعة البروتستانتية

صور مقتبسة من سفر يوشع

اول الاسفار التي تلي اسفار موسى الخمسة هو سفر يوشع . وفيه اشياء كثيرة من تلك الاسماء والاعلام والمآثر والممالك ايضاً وخاصة في غرب الاردن وردت فيه بمناسبة اخبار زحف بني اسرائيل على هذا الغرب واستيلائهم عليه وحروبهم مع سكانه حوالي القرن الثاني عشر قبل الميــلاد .

آ ـ واول ما ذكر مدينة اريحا باسلوب يفيد انها كانت كرسي مملكته وكان لها سور وكانت غنية بالذهب والفضة والنحاس والحديد [1]

ب ـ ثم ذكرت مدينة عاي التي عند بيت اون شرق بيت ايل التي كانت تسمى لوز . وكانت هذه المدينة ذكرت في مناسبة طروء ابراهيم حيث يفيد ذلك انها قديمة جداً ؛ وكانت كرسي مملكته ايضاً كما كان سكانها من الآموريين . وقد ذكر السفر ان الذعر والرعب دب في قلوب الاسرائيليين وقالوا غداً يسمع الكنعانيون وجميع سكان الارض ويحيطون بنا ويقرضون اسمنا [2] حيث يدل هذا على ما كانت عليه من قوة .

ت ـ وفي الاصحاح التاسع من السفر هذه العبارة « لما سمع جميع الملوك الذين في عبر الاردن ـ فلسطين ـ في الجبل والسهل وفي كل ساحل البحر الكبير الى جهــة لبنان الحيثيون والآموريون والكنعانيون والفرزيون والحويون واليبوسيون اجتمعوا معاً لمحاربة يشوع واسرائيل بصوت واحد » حيث تدل العبارة على انه كان في غرب الاردن عدد كبير من الممالك منها الكنعانية ومنها غير الكنعانية وانها كانت تعيش في الارض مـع بعضها بوفاق .

ث ـ وفي العبارة شعب جديد لم يدر اسمه قبل وهم الفرزيون . ونرجح انهم كباقي شعوب غرب الاردن وشرقه من ارومة عربية ، ان لم يكونوا فرعاً كنعانياً .

ج ـ ومما ذكر في هذا الاصحاح مدن جبعون والكفيرة وبئرت وقرية بعاريم بمناسبة رسل ارسلهم جبعون الى الاسرائيليين ليأخذوا منهم عهد امان بعد ما سمعوا شدة القمع والفتك والتحريق والابادة التي سمعوا عنها في اريحا وعاي واهلها .

---

(١) الاصحاح ٢ ـ ٦
(٢) الاصحاح ٧ و ٨

ولايزال في فلسطين الوسطى قرى تحمل هذه الاسماء معدلة مثل جبع والكفير والبئرة. وعبارة السفر لا تفيد ان هذه المدن كانت كراسي ممالك وكان لها ملوك . وقد وصفت جبعون في الاصحاح العاشر انها مدينة عظيمة كاحدى المدن الملكية - العواصم - وانها اعظم من مدينة عاي وكل رجالها جبابرة حيث يدل ذلك على انها كانت زعيمة مدن وقرى منطقتها . وقد ذكر الاصحاح الحادي عشر ان اهلها من الحويين .

ح - وفي هذا الاصحاح اسماء ادوني صادق ملك اورشليم وهو هام ملك حبرون وفرام ملك يرموت ويافيتع ملك لخيش ودبير ملك عجلون . وذلك بمناسبة تحالف الملوك الخمسة على جبعون بسبب مسالمتها لبني اسرائيل .

والعبارة تفيد ان الملوك الخمسة من الآموريين . واللمحة العربية بادية على اسماء الملوك ومدنهم ؛ وكان لهم مدن محصنة على ما تفيد عبارة الاصحاح حيث تذكر انه لم ينج منهم إلا من لحق بمدينته المحصنة .

والاصحاح يذكر ان ادوني صادق هو الذي استدعى الملوك الاربعة الآخرين واقترح عليهم التحالف ضد جبعون والتنكيل بها ؛ حيث قد يفيد هذا ان ملك اورشليم كان بمثابة الرأس أو المتزعم للممالك الآمورية الخمسة . ولقد ذكر سفر التكوين [١] اسم ملكيصادق ملك شليم بمناسبة عودة ابراهيم من اللحوق بالغزاة العراقيين ووصفه بالكاهن باسلوب يدل على انه كان موحداً على ما ذكرناه قبل . وليس من المستبعد ان يكون ادوني صادق من نسله وان تكون شليم هي التي عرفت فيما بعد باورشليم فذكرها الاصحاح بهذه الصيغة .

خ - وفي الاصحاح نفسه اسماء مدن مقيدة ولبنه وجازر بمناسبة زحف الاسرائيليين عليها ايضاً والعبارة تفيد انها هي الاخرى كانت كراسي ممالك وانه كان هناك مدن وقرى تابعة لكل منها ايضاً . ولم يذكر السفر ارومة ملوك وسكان المدن الثلاثة كما ذكر الخمسة الاولين . واللمحة العربية بادية على الاسماء ومن المحتمل ان يكونوا كنعانيين .

د - وفي الاصحاح الحادي عشر اسماء يابين ملك حاصور ويوباب ملك مادون وملك

(١) الاصحاح ١٤

شمرون وملك اكشاف بدون اسماء وعبارة « والملوك الذين الى الشمال في الجبــل وفي العربة (وادي عربة على الارجح الذي هو في الجنوب الشرقي من غور اريحا) جنوبي كنروت وفي السهل وفي مرتفعات دور غرباً « وذلك بمناسبة ارسال الاول اليهم يدعوهم إلى الاجتماع تحت راية واحدة مع جيوشهم لمحاربة بني اسرائيل واجتماعهم فعلا عــلى مياه اسمها ميروم ؛ حيث يؤيد الخبر وجود عدد كبير من المدن والملوك في غرب الاردن بالاضافة الى ما ذكر سابقاً . وقد عين الاصحاح مواقع الممالك بالنسبة لشعوب غرب الاردن فقال إن الكنعانيــين في الشرق والغرب والآموريين والحيثيين والفرزيــين واليبوسيين في الجبل والحويين تحت حرمون في ارض المصفاة . وقد جــاء في الاصحاح « ان الملوك جاؤوا مع جيوشهم شعباً غفيراً كالرمل الذي على شاطىء البحر في الكثرة بخيل ومركبات كبيرة جداً « حيث يدل ذلك على ما كانت عليه ممالك هذا الاقليم من قوة وكثرة واستعداد . وقد يفيد تولي ملك حاصور الدعوة انه كان بمثابة الرأس او المتزعم في هذه الممالك ؛ بل إن هذا ذكر صراحة في الاصحاح بهذه العبارة « إن حاصور كانت قديماً رأس جميع تلك الممالك .

ذ ــ ولقد ذكر الاصحاح ان يوشع فتح حاصور وقتــل ملكها وجميع سكانها واحرقها بالنار في جملة ما ذكرت اصحاح سفر يشوع ما فتحه يشوع من مدن وإباد من سكان . غير ان الاصحاح الرابع من سفر القضاء نقض هذا اشد نقض اذ قال إن الرب باع بني اسرائيل الى يد يابين ملك كنعان الذي كان ملكاً بحاصور وضيق عليهم بشدة عشرين سنة » وكان ذلك في عهد القضاة الذي اعقب عهد يشوع وبعبارة اخرى بعــد موت يشوع بسنين عديدة حيث يفيد ذلك ان مملكة حاصور ــ التي كانت في المنطقــة الشمالية من ارض كنعان وبتعيين ادق في منطقة الجليل وجبل تابور على ما يستفاد من الاصحاح المذكور ظلت ذات قوة وسلطان شامل الى هذا الوقت وان كان من المحتمل ان يكون الملك يابين الذي ذكره هذا الاصحاح هو غير يابين الذي ذكره الاصحاح سفر يشوع الحادي عشر ؛ وانما اسم على اسم حسب عادة الملوك الذين هم من اسرة واحدة على ما مر امثاله كثيراً .

ا ــ وفي الاصحاح الثاني عشر من سفر يوشع احصاء اجمالي بما تم لبني اسرائيل من انتصارات وبما استولوا عليه من مدن وارضين في شرق الاردن وغربه وهو في الوقت نفسه احصاء بما كان في

شرق الاردن وغربه من ممالك حيث يقول «وهؤلاء ملوك الارض الذين ضربهم بنو اسرائيل وامتلكوا ارضهم في عبر الاردن نحو مشرق الشمس من وادي ارنون الى جبل حرمون وكل العربة نحو الشروق : سيحون ملك الآموريين الساكن في حبشون المتسلط من عروعير التي على حافة ولاي ارنون ووسط الوادي ونصف جلعاد الى وادي يبوق تخوم بني عمون والعربة الى بحر كنروت نحو الشرق والى بحر العربة بحر الملح (كناية عن بحيرة لوط على الارجح)نحو الشروق بيت يشيموت ومن الشيمن تحت سفوح الفجة. وتخوم عوج ملك باشان من بقية الرفائيين الساكنين في عشتاروت واذرعي والمتسلط على جبل حرمون وسلحة وعلى كل باشان الى تخم الجشوريين والميكيين ونصف جلعاد تخوم سيحون ملك حشبون موسى عبد الرب وبنو اسرائيل ضربوها واعطاها موسى عبد الرب ميراثاً للراووبينيين (بني راؤبين احد الاسباط) والجاديين (بني جاد احد الاسباط (ولنصف سبط منسى . وهؤلاء ملوك الارض الذين ضربهم يشوع وبنو سرائيل في عبر الاردن غرباً من بعل جاد في بقعة لبنان الى الجبل الاقرع الصاعد الى سعير واعطاها يشوع لاسباط اسرائيل ميراثاً حسب فرقهم في الجبل والسهل والعربة والسفوح والبرية والجنوب الحيثيون والاموريون والكنعانيون والفرزيون والحويون واليبوسيون . ملك اريحا ـ ملك عاي ـ من اورشليم ـ ملك حبرون ـ ملك يرموث ـ ملك لخيش ـ ملك عجلون ـ ملك جازر ـ ملك دبير ـ ملك جادر ـ ملك حرمة ـ ملك عراد ملك لبنة ـ ملك عدلام ـ ملك مقيدة ملك بيت ايل ـ ملك تفوح ـ ملك حافر ـ ملك افيق ـ ملك تشارون ـ ملك مادون ـ ملك حاصور ـ ملك شمرون ـ ملك اكشاف ـ ملك تعنك ـ ملك مجدو ـ ملك قادش ـ ملك يقنعام كرمل ـ ملك دور ـ ملك جوييم في الجلجال ـ ملك ترصة . جميعهم واحد وثلاثون »

وفي هذه القائمة اسماء كثيرة لم ترد قبل .

ز ـ وفي الاصحاح الثالث عشر من السفر ما يفيد ان هذه الممالك ليست كل ما كان في شرق الاردن وغربه من ممالك فقد قال « إنه بقي ارض كثيرة جداً لم يملكها يشوع وهي كل دائرة الفلسطينيين وكل الجشوريين من الشجور الذي هو امام مصر الى تخم عقرون تحسب للكنعانيين واقطاب الفلسطينيين الخمسة الغزي والاشدودي والاشقلوني والجتي والعقروني والعويين من التيمن كل ارض الكنعانيين ومغارة التي للصيدونيين الى رفيق تخم الاموريين وارض الجبليين وكل لبنان نحو شروق الشمس من بعل جاد تحت جبل حرمون الى مدخل حماة .

س ـ واسم « العويون » و« الشيحوريون » يأتي لاول مرة هنا ، ولا يذكر الاصحاح هويتهم ، ونميل الى القول فيهم بما قلناه في اليبوسيين والفرزيين والحويين .

ش ـ واسم الفلسطينيين يأتي لاول مرة هنا [1] . ومع انهم ليسوا ارومة عربية الجنس فقد لعبوا على مسرح غرب الاردن دوراً هاماً وشغلوا حيزاً عظيما امتد الى القرن الثالث قبل الميلاد وصار هذا الغرب يسمى باسمهم . وهم الجماعات الذين طرأوا على جنوب فلسطين في القرن الثالث عشر قبل الميلاد وكان اسمهم بلست او فلست او بلاسج حسب اختلاف الروايات على ما شرحناه في الجزء الثاني من الكتاب ثم في الفصل الاول من هذا الجزء وكان لهم حينما طرأ بنو اسرائيل على غرب الاردن بعد خروجهم من مصر ممالك عديدة في هذا الجنوب منها غزة واشدود ـ اسدود اليوم ـ وعسقلون ـ عسقلان اليوم ـ وجت وعقرون اوميغرون ويبنه ورافاح .

وعبارة الاصحاح تفيد أن بني اسرائيل لم يقدروا عليهم او لم يتحرشوا بهم فظلوا حيث هم . وقد نشب بينهم وبين بني اسرائيل في عهد القضاة وعهد الملوك صيال مديد كانوا يغلبون فيه حيناً ويغلبون حيناً ولكنهم ظلوا محتفظين بكياناتهم وبلادهم .

ص ـ وفي الاصحاح الثالث عشر من سفر يوشع ثم في الاصحاحات التالية له الى الاصحاح العشرين اسماء مدن كثيرة في شرق الاردن وغربه لم تذكر قبل مثل ميدبا وعرعير وياموت وبعل بعل وبيت بعل معون وقديموت ومنيعة ويهض وسبحة وصارت الشجر وبيت فغور وبيت بشيموت ويعزيز وربة وزامة وبطوليم وبيت هادام وبيت نمرو وسكوت وصافون وقبطيل وعيدر وياجور وقينة ويمونة وعرعره وثينان وزيف وطالم وبعلون وحدته وقريوت وحضرون وامام وشماغ ومولادة وحصير حيدو وعشمون وبيت قلط وحصر شوعال ويزبونة وبعلة وعبيم وعاصم وتوكبد وكسيل وصقلغ ومدمنة

---

(١) ورد اسم الفلسطينيين في الاصحاح السادس والعشرين من سفر التكوين في سياق ذكر حلول اسحق في منطقة بئر السبع حيث وردت هذه الجملة فيه (حسده الفلسطينيون) غير انه لما كان الفلسطينيون انما جاؤوا الى فلسطين في نهاية القرن الثالث عشر قبل الميلاد في حين ان حقبة وجود اسحق كانت حسب ما يخمن في القرن التاسع عشر قبل الميلاد فالمتبادر ان الاسم اريد به اهل البلاد الكنعانيين وان الاصحاح ذكرهم باسم الفلسطينيين تأثراً بما كان من واقع وجود الفلسطينيين حينما دون سفر التكوين بعد خروج بني اسرائيل من مصر وطروئهم على فلسطين التي كانت تسمى ارض كنعان .

وستسنة ولباون وسلحيم وعين ورمون واشتاؤول وصرعة واشنة وزانوح وعـــين جنيم وغيام وسوكرة وعزيقة وشعرايم وعديتايم وجديرة وجـــدير قرنايم وصنات وحداشة ومجدل جاد ودلعان والمصفاة ويقتئيل وبصعة وجديروت وبيت داجون وظعمة وعـــاثر وعاشان ويفتاح واشنة ونصيب وفصيلة واكزيب ومريشة وشامير ويتير ودنـــة وسنة وعناب واشتمو وعانيم وجوشن وحولوت وجبلو واراب ودومة واشعار وينوم وحمصة وصعبور ومعون وبوطة ويزرعيل ويقدعام والغابن وجبعة وتمنـــة وحلمول وبيت صور وجدور ومعارة وبيت عنون وتقون ولمـكاكة والنيشان ومدينة الملح وعين حدي ولوز وعطاروت وبيت حوروت ونعرات واشير ويساكر وبيلعام وسـكان دور وبيت حجلة ووادي قصيص وبيت العربة وصماريم والعويم والغارة وعفـــرة وكفرا والعفني والموصة وراقم وبير قئيل وتزالة وصيلع وآلف ويبوس وجبعة وقربة وشبع وحصر شوعال وبالة وصقلع وبيت المركبوت وحصر سوسة وبيت لباوت وشاروحين وعين ورمون وعاثر ومرعلة ودباشة وساريد وتابور والدبرة وعلت قاصين ونبعة وحناتون وقطة ونهـــلال وبدالة وبيت لحم ويزرعيل وشونم وحقارائيم وشينون واناصرة وربيت وقشيون وايص ورمة وبيت شمس وحلقة وحلي وباطن والملك وعمعاد ومشـــال وزبولون ونعتبل وبيت العامق وكابول وعبرون وحمون وقانة وحوصة وعمة وحالف وينئيل وارزبوت وحقومة والصديم وصير ورحمة ورقة وكنارة وادامة وقادش ويرئون ومجدل ايل وحوريم وبيت عناة وصرعة وشعيلق وايلون وشبلة وتمنة والتقية وحيثون وبعلة وبني برق وجت رمون والرقون ولشم . ويتبع كل مدينة من هذه المدن ضياع وقرى عديدة على مـــا ذكر في الاصحاحات وان لم تورد اسماؤها .

وفي هذا الثبت الطويل دلالة على ما كان من استبحار العمران في شرق الاردن وغربه قبل طروء بني اسرائيل حتى لكأنه لم يكن مكان يقيم عليه الاسرائيليون مدناً جديدة واللمحة العربية القديمة بادية على جل هذه الاسماء إن لم نقل كلها . ولا غرو فاغلبها عربية الجنس . وكثير من هذه الاسماء ما يزال يطلق على مدن وقرى ومواقع وخرائب في شرق الاردن وغربه مع بعض التعديل . ويظهر هذا من مقابلة الاسماء باسماء المدن والقرى القائمة فيها اليوم والتي اثبتناها في مطلع هذا الجزء حيث يدل هذا وذاك على أن بني اسرائيل لم يكادوا يبنون مدناً جديدة وعلى انهم عاشوا في مدن وقرى من قبلهم .

ولقد جاء في الاصحاح الرابع والعشرين من سفر يشوع خطاب وجهه يشوع لبني اسرائيل بلسان الرب « اعطيتكم ارضاً لم تتعبوا عليها ومدناً لم تبنوها وكروم زيتون لم تغرسوها » مما فيه تأييد لما قلناه .

صور مقتبسة من سفر القضاة

وفي سفر القضاة الذي يأتي بعد سفر يوشع اسماء واحداث كثيرة متصلة بشرق الاردن وغربه ايضاً ذكرت في سياق سيرة بني اسرائيل في عهد القضاة الذي سبق قيام ملكهم برئاسة طالوت (شاؤول)والذي كانت احوالهم فيه غير مستقرة وكانوا يعيشون فيه تحت حكم مشايخ عرفوا باسم القضاة ؛ وذلك حوالي ١١٥٠ – ١٠٢٠ ق م .

آ – فمن ذلك في الاصحاح الاول اسم ادوني بازق بوصفه ملك مدينة بازق الكنعانية في سياق زحف سبط يهوذا على هذه المدينة التي وقعت في التوزيع في حصتهم وقد قبضوا على الملك وقطعوا اباهم يديه ورجليه فقال ان سبعين ملكاً مقطوعة اباهم ايديهم وارجلهم كانوا يلتقطون تحت مائدتي مما يدل على ما كان عليه من قوة وسيطرة وشمول سلطان .

ب – وفي الاصحاح نفسه ان اسباط منسى وافرايم وزبولون واشير ونفتالي لم يطردوا الكنعانيين الذين وقعت بلادهم في حصتهم وهي بيت شان (بيسان اليوم) وقراها وتعنك (لا تزال قائمة باسمها) وقراها ودور وقراها ويبلعام وقراها ومجدو وقراها وجازر وقطرون ونهلول وعكو (عكا اليوم)واجلب واكزيب (الزيب اليوم) وحلبة ورحوب وبيت شمس وبيت عنات وان الاسباط المذكورة سكنوا مع اهلها الكنعانيين ؛ وكل ما كان من امر انهم فرضوا الجزية حينما اشتد ساعدهم ؛ ولا شك ان هذا انما كان لعجزهم عن طردهم . وواضح منه ان كثيراً من اهل البلاد بل معظم اهلها في شمالها ووسطها وجنوبها ظلوا حيث هم .

ت – وفي الاصحاح نفسه ان الآموريين حصروا بني دان في الجبل ولم يدعوهم ينزلون الى الوادي ، وانهم ظلوا يسكنون جبل حارس في ايالون وشعلبيم وكان تخمهم من عقبة العقارب فصاعداً حيث يدل هذا على انهم كانوا على درجة من القوة وان كان الاصحاح ذكر ان بني يوسف فرضوا عليهم الجزية حينما اشتد ساعدهم وبقوا حيث هم .

ث ـ وفي الاصحاح الثالث خبر غزوة حجلون ملك مؤاب لبني اسرائيل . ومما ورد فيه ان حجلون جمع بني عمون والعماليق وزحف بهم واستعبد بني اسرائيل ثماني عشرة سنة .

ج ـ وفي الاصحاحين الرابع والخامس خبر تسلط يابين ملك حاصور الكنعاني ـ في غرب الاردن ـ على بني اسرائيل واستعبادهم عشرين سنة ، وكان لي تسعمائة مركبة من حديد واسم قائده سيسرا . وحاصور في منطقة جبل طابور في الجليل على ما ذكره الاصحاح . ويفيد الخبر انها مملكة قوية وان سلطانها كان شاملاً لمنطقة واسعة بعد دخول بني اسرائيل غرب الاردن . وقد تزعم ملكها حركة مقاومة وصد بني اسرائيل على ما مر شرحه . وهذا الخبر ينقض ما ذكره الاصحاح الحادي عشر من استيلاء بني اسرائيل على حاصور واحراقها وقتل ملكها وابادة سكانها ...

ح ـ وفي الاصحاح السادس خبر غارات اهل مدين والعمالقة وبني المشرق على اسرائيل غارات شديدة اضطرتهم الى ترك مدنهم وقراهم والالتجاء الى الكهوف والمغاور والحصون وكانوا اذا زرعوا صعدوا عليهم فأفسدوا غلاتهم الى مدخل غزة . ولم يبقوا لهم ميرة ولا غنماً ولا بقراً ولا حميراً . وكانوا يصعدون بمواشيهم وخيامهم ويأتون كالجراد كثرة . فذلت لهم بنوا اسرائيل ذلا عظيما لمدة سبع سنين حيث يفيد هذا ما كان عليه المغيرون المتحالفون من قوة وشدة . وقد ذكر الاصحاح السابع اسم ملكين من ملوكهم هما زاباح وصلمناع . واسم قائدين من قوادهم وهما زيب وعوريب . واللمحة العربية بادية بقوة عليهم . ولقد ذكر الاصحاح (٣١) من سفر العدد ان بني اسرائيل دمروا مدين وابادوا اهلها . والمدة بين هذا الظرف وذاك لا تزيد عن مئة سنة ان لم تقل . وهذا يعني ان الخبر الاول مبالغ فيه كثيراً وان اهل مدين وحلفاءهم انتعشوا وجمعوا جموعهم وزحفوا على اسرائيل لاخذ ثأرهم .

خ ـ وفي الاصحاح العاشر خبر تسلط بني عمون على الاسرائيليين الذين في شرق الاردن ثم عبورهم النهر وضربهم اسباط يهوذا وبنيامين وافرايم (في منطقة القدس ونابلس) . وقد مر ذكر بني عمون بوصفهم مملكة في شرق الاردن كانت قائمة حينما طرأ بنو اسرائيل على هذه المنطقة بقيادة موسى ممتدة الى ما قبل ذلك . وقد كان موسى تحاشاهم لانهم كانوا اقوياء .

وهكذا يبدو مما ان الآموريين والكنعانيين والمؤابيين والعمونيين والمدينيين

في غرب الاردن وشرقه ظلوا مستقرين في البلاد بعد طروء بني اسرائيل عليها محتفظين بشخصياتهم وكياناتهم . وقد ذكر الاصحاح العاشر من هذا السفر ان بني اسرائيل تأثروا بهم دينياً واجتماعياً فعبدوا آلهتهم وقلدوهم في عاداتهم حيث يفيد هذا انهم كانوا اقوى منهم استقراراً وثقافة حضارة ايضاً .

صور مقتبسة من اسفار صموئيل والملوك واخبار الايام

وفي سفري صموئيل الاول والثاني وسفري الملوك الاول والثاني(والاسفار الاربعة في النسخة الكاثوليكية تسمى باسفار الملوك فقط دون اسم صموئيل) ثم في سفري اخبار الايام الاول والثاني وهي الاسفار التي تحكي سيرة بني اسرائيل منذ قيام ملكهم حوالي اواسط القرن الحادي عشر بزعامة طالوت (شاؤول) ثم ملك داود وسليمان ثم سيرة مملكتي يهوذا واسرائيل اللتين قامتا بعد سليمان نتيجة لتمرد اكثرية الاسباط على ابن سليمان الى زوال ملكهم على يد نبوخذ نصرعام ٥٨٦ ق م اشياء كثيرة متصلة باحوال شرق الاردن وغربه وتاريخها وما كان من مصاولات خاصة بين بني اسرائيل وممالك شرق الاردن .

آ ـ ففي الاصحاح الحادي عشر من صموئيل الاول خبر زحف باحاش ملك بني عمون على يابيش جلعاد في شرق الاردن التي كان يقيم فيها فريق من بني اسرائيل بقصد فرض سيادته عليه فطلبوا منه الأمان فقبل بشرط قلع كل عين يمنى لهم حيث يدل هذا إن صح على مقدار ما كان عليه هذا الملك واهل بلاده من اعتداد وما كانوا يضمرونه لبني اسرائيل من ازدواء . وطلبوا منه مهلة وارسلوا يستسيغثون بشاوول الذي صار ملكاً على بني اسرائيل فزحف وضرب العمونيين ويبالغ الاصحاح كالعادة فيقول انه لم يبق منهم اثنان معاً وان الزاحفين معه كانوا (٣٣٠)الفاً . ومن ادلة المبالغة ان الاصحاح(١٢) من السفر نفسه ذكر صعود الفلسطينيين على بني اسرائيل فاوقعوا فيهم الذعر وتفرقوا شذر مذر حتى يبق حول شاوول الا ستمائة رجل .

ب ـ وفي الاصحاح الخامس عشر من السفر نفسه خبر زحف شاوول على قبائل العماليق في صحراء النقب وضربهم ضربة شديدة لانهم وقفوا في وجه بني اسرائيل حينما

جاؤوا من مصر . ويفيد الخبر ان هـذا القبيل العربي الجنس ظـل محتفظاً بكيانـه ايضاً في هذه المنطقة . ووصف ضربة شاوول مبالغ فيها كثيراً حيث يذكر انـه قتلهم جميعاً وعفا عن ملكهم اجاج وفي هذا تناقض في الوقت نفسه . ولقد ذكر الاصحاح الثلاثون من السفر خبرغزو العمالقة لمدينة صقلاح التي كان لجأ اليها داود اثناء مطاردة شاوول له واحرقوها بالنار وسبوا جميع سكانها فكيف يكون هذا اذا كان شاوول قد ابادهم !

ت ـ وفي الاصحاح الثامن من سفر صموئيل الثاني خبر اخضاع داود لبني مؤاب وبني عمون والعمالقة وآدوم وصوبة آرام في حوران وجبايه الجزية منهم واقامتـه في آدوم محافظين وجعله جميعهم عبيداً . ولا يذكر هذا الاصحاح ولا غيره ان داود اخضع بالقوة الحربية غير عمون وآدوم على ما سوف يرد بيانه . والنصوص الآتية تدل على ان عمون ومؤاب خاصة ظلت محتفظة بكيانها . واذا صح الخبر فتكون قد خضعت لسيادة داود مع احتفاظها بكيانها باستثناء آدوم . ولقد ورد في الاصحاح الحادي عشر مـن سفر الملوك الاول ان هدد الآدومي بن ملك آدوم فر الى مصر مع بعض رجـاله نتيجة لغزو داود بلاده فحظي فيها بترحيب ملك مصر وحمايته وزوجه بأخت زوجته وظل في مصر الى ان مات داود فعاد الى بلاده وقاد حركة تمرد ضد سيادة بني اسرائيل عليها طيلة ايام سليمان .

وقد تمكن من استعادة سيادته في بلاده على ما تفيده نصوص اخرى على مـا سوف يأتي بعد . وقد ذكر الاصحاح الحادي عشر من سفر الملوك الاول ايضاً ان زوزن بن اليداع من رجال ملك صوبة ارام جمع جموعه وقاد حركة تمرد وغارات على اسرائيـل طيلة ايام سليمان حيث يفيد هذا ان صوبا كذلك لم تلبث ان تفلتت من سلطان داود .

ث ـ وفي الاصحاح العاشر من صموئيل الثاني خبر موت ناحاش ملك بني عمون وقيام حانون عوضه وقول داود ان ناحاش صنع معي معروفاً وارساله وفداً الى حنون لتعزيته . وقد استشعر بنو عمون نية سيئة من وفد داود فقالوا لحنون ان داود قد ارسله لفحص المدينة تمهيداً للاستيلاء عليها ، وحينئذ حلق لحى الوفد وقص ثيابهم من الوسط الى استاهم احتقاراً وازدراء . وغضب داود وسير جيشاً قوياً لقتالهم .

واستأجر بنو عمون عشرين الفاً من آرام بيت رحوب وصوباً والفاً من مكن واثني عشر الفاً من طوب ليقفوا في وجه زحف جيش داود . وقد امعن هذا في البلاد تدميراً

ثم ضرب الحصار على ربة عمون العاصمة (مكانها عمان اليوم) وجاء داود على رأس جيش آخر وشدد الحصار حتى استولى على المدينة واخذ تاج ملكها الذي يزن قنطاراً مــن الذهب والمرصع بالحجارة الكريمــة مع غنائم وفيرة جداً . بعد ضربه بني عمون ضربة شديدة .

والنصوص الآتية تدل على ان كيان مملكة بني عمون بقي قائماً . ولعل داود اكتفى بفرض الجزية عليها وهو ما اشير اليه قبل .

ج-وفي الاصحاح الحادي عشر من سفر اخبار الايام الاول ان اليبوسيين أهل اورشليم حاولوا منع داود من دخول المدينة حينما تمت له البيعة فقاتلهم ودخلها عنوة ثم اتخذ لنفسه حصناً اقام فيه حيث يفيد هذا ان اهل اورشليم الكنعانيين ظلوا محتفظين بقوتهم الى زمن داود امتداداً لما قبله بل وانهم ظلوا كذلك بعد دخول المدينة فترة من الزمن .

ح - وفي الاصحاح الرابع من سفر الملوك الاول ان سليمان كان متسلطاً على جميع الممالك من النهر الى اراضي فلسطين والى تخم مصر وكانت تحمل اليه الهدايا وتخضع له كل ايام حياته . وعبارة ارض فلسطين تعني ممالك الفلسطينيين في الجنوب (غزة وعسقلان وسدود وجت وعقرون وبنيه وتوابعها) . وعبارة من النهر تعني غرب النهر .

وهذا وذاك يعني انه كان في غرب الاردن في زمن ملك سليمان ممالك كنعانية وآمورية محتفظة بكيانها مع خضوعها لسليمان وداود من قبــله بالاضافة الى ممالك الفلسطينيين التي لم تكن خاضعة له ؛ ويعني كذلك ان ما كان خضع لداود من ممالك شرق الاردن قد تفلت واستعاد استقلاله وسيادتــه .

خ - وفي الاصحاح الحادي عشر من السفر ان سليمان كان متزوجاً مــن مؤابيات وعمونيات وآدوميات وصيدونيات بالاضافة الى حيثيات وبنت لفرعون وانه تعلق بهــن فازغن قلبه فتبع عشتروت الاهة الصيدونيين وملكوم رجس بني عمون وبنى مشرفــاً لــكاموش رجس مؤاب .

والمعقول ان يكون ذلك قد شاع في بني اسرائيل في عهده ايضاً . وهذا يدل على ما كان للكنعانيين من قوة وتأثير ديني واجتماعي على بني اسرائيل في اقوى عهود سيادتهم امتداداً لما قبل ذلك بما ذكره سفر القضاة بل وسفرا العدد والخروج واوردناه قبــل .

د ــ وفي الاصحاح الثاني من سفر اخبار الايام الثاني ان سليمان احصى الاجانب في ارض اسرائيل فكانوا (١٥٣٦٠٠) فاستخدمهم عمالا ومشرفين في عمارة المعبد والقصر وغيرهما مما انشأه . والرقم يمثل الرجال على الاغلب وهذا يعني ان عدد الاجانب ــ والمقصود من ذلك الخاضعون له في غرب الاردن من الكنعانيين والآموريين ــ يبلغ بالنساء والاولاد نصف مليون مما يعطي فكرة عن كثافة الذين بقوا في غرب الاردن الى عهد سليمان من الارومات العربية الجنس فضلا عن الفلسطينيين في الجنوب . وقد يدل الخبر على ان رجال الكنعانيين والآموريين كانوا اصحاب فن وبراعة مما جعل سليمان يستخدمهم في اعماله الانشائية ..

ذ ــ وفي الاصحاح الرابع عشر من سفر اخبار الايام الثاني خبر زحف الكوشيين بزعامة ملكهم زارح على دولة يهوذا في عهد آسا ثالث ملوك هذه الدولة بالف ألف مقاتل وثلاثمائة مركبة ووصوله الى مريشة . وارتاع آسا وبنو اسرائيل برغم ذكر الاصحاح انه كان لهم جيش قوامه (٥٨٠٠٠٠) حامل رمح وقوس وترس . ولم يجرأوا على لقائهم الا بعد الاستغاثة من الله ووعده لهم بالنصر . وقد ذكر الاصحاح انهم هزموا الزاحفين وطاردوهم الى جرار وفتكوا فيهم حتى لم يكن حي ثم ضربوا جميع المدن حول جرار ونهبوها وكان من المنهوبات مقادير عظيمة من الماشية .

وتعبير الكوشيين كان يطلق في آثار مصر القديمة على سكان بلاد النوبة . وسفر التكوين يذكر انهم من بني حام بن نوح .

وليس من المعقول ان يكون الزحف من بلاد النوبة . ومدينة جرار من المدن الكنعانيه القديمة وهي شرقي خان يونس على ما ذكرناه قبل ولا تزال آثارها قائمة تعرف باسم الجرار ؛ ونرجح ان الاصحاح اطلق تعبير الكوشيين على اهل هذه المنطقة اعتباطاً وانهم من الكنعانيين القدماء . وبقطع النظر عما في الارقام وسير الحرب من مبالغة وخيال فالخبر يفيد على كل حال ان مملكة جرار ظلت قائمة بعد دخول بني اسرائيل الى غرب الاردن ثم خلال حكم داود وسليمان الى عهد دولتي يهوذا واسرائيل بعدهما وانها كانت تضم مدناً عديدة .

ر ــ وفي الاصحاح الاول من سفر الملوك الثاني جملة « وتمرد المؤابيون على اسرائيل بعد وفاة آحاب » وفي الاصحاح الثالث بيان آخر حيث ذكر ان ميشاع ملك مؤاب كان

صاحب ماشية وكان يؤدي الى ملك اسرائيل ١٠٠٠٠٠ حمل و ١٠٠٠٠٠ كبش بصوفها فلما مات تمرد ابنه على اسرائيل . وقد ذكر السفر ان يورام بن آخاب ملك اسرائيل زحف عليهم واشترك معه في الزحف ملك يهوذا ولكن زحفهم اخفق وعاد يورام مجروحا ويفيد الخبر ان مملكة اسرائيل تمكنت في ظرف ما لم يذكر حقيقته من بسط سيادتها على مملكة مؤاب . ولقد اكتشف في قرية ديبان من قرى البلقاء ـ واسم هذه القرية متطور من اسم ديبون التي كانت عاصمة مؤاب على ما تفيده النصوص ـ حجر عرف انه نصب تذكاري اقامه ملك مؤاب ميشع ونقش عليه قصة تمرده على اسرائيل وتحريره لمملكته من سيادتها . وهذه ترجمته باللغة الفصحى [1] نقلا عن كتاب تاريخ اللغات السامية لاسرائيل ولنفستون ص ١٦٠ وما بعدها :

« انا ميشع بن كموش ملك مؤاب الدبوني . حكم والدي مؤاب ثلاثين عاماً . وملكت بعد والدي . بنيت محلا عالياً لكموش [2] في قورخا لانه انقذني من جميع الملوك وجعلني ازدري اعدائي . كان عمري ملك اسرائيل اضطهد مؤاب عدة سنوات لان لكموش كان غاضباً على بلاده اثناءها . خلفه معاصري ابنه الذى قال ايضاً « سأظلم مؤاب . لكني اهلكته وبيته واسرائيل هلاكاً ابدياً . »

« استولى عمري على ارض مادبا وسكن عليها هو وابنه لمدة اربعين سنة . لكن لكموش افتتحها في عهدي . وقد شيدت بعل ميون وعملت فيها خزاناً واعدت بناء تبو جاثان . »

« سكن رجال جاد أرض عطروت . حاربت المدينة واستوليت عليها . قتلت جميع اهلها ليسر لكموش ومؤاب . »

« وحملت منها مذبح دوده وسحبته امام لكموش في المدينة » .

« ثم اسكنت فيها رجال شارون وما خاروت . قال لي لكموش اذهب وافتح نبو بالقرب من اسرائيل فذهبت اليها ليلا وحاربتها من الفجر حتى الظهر وتغلبت عليها وذبحت « جميع سكانها . (٧٠٠٠) رجل وولد وامرأة وطفل . لانني اوقفتهم الى عشور

---

(١) اوردنا في تمهيد الجزء بعض سطور هذا النقش بلغته الاصلية التي تحمل اللمحة العربية القديمة .
(٢) كموش اسم اله مؤاب الخاص الحامي .

لكموش . واخذت منها مذابح يهوا وجررتها على الارض امام لكموش . وقد بنى ملك اسرائيل جهاز وقطنها حين كان يعلن الحرب علي . لكن لكموش هزمه امامه . وافتتحت المدينة وضممتها الى دبون . انا الذي بنيت قورخا والسور الخشبي والمتاريس واعدت بناء

نقش ميشع ملك موأب

بواباتها وابراجها وشيدت قصر الملك وحفرت مجاري خزانات المياه في المدينة . لم يكن في قورخا صهريج . لهذا امرت جميع الناس ليعمل كل منهم صهريجاً في بيته . وحفرت اقنية قورخا بواسطة اسرى اسرائيل . وقد اعدت بناء عروعير وعبدت الطرقات في ارنون.

واعدت بناء بيت باروت لانها كانت تهدمت . اعدت بنـــاء بيزر لان كل ديبون كانت خاضعة لسلطاني .وحكمت مئة المدينة التي ضممتها الى مملكتي . اعدت بناء مادبا.واستوليت على بيت ديلاتون . وبيت بوميون . واخذت هناك .

والنقش وثيقة اقوى من نص سفر العهد القديم بطبيعة الحال لانـــه دون في ظروف الحادث . ويفيد ان عمري ملك اسرائيل هو الذي فرض سلطانه على مؤاب في زمن الملك لكموش واستمر هذا السلطان اربعين سنة ، وأن ميشع لم يكتف باسقاط سيادة اسرائيل وانما استولى على بلاد كانت لاسرائيل في شرق الاردن بعد أن اهلك واسر كثيراً مـــن اهلها الاسرائيليين .

وآخاب هو سابع ملك من ملوك اسرائيل وملك في السنة الثانية والستين من قيـــام اسرائيل وامتد حكمه ٢٢ سنة ؛ حيث يكون تاريخ الحادث في اواسط القرن التاسع قبل الميلاد . ونص نقشه يفيد ما كان عليه هذا الملك من نشاط عمراني وما انشأه مـــن مشاريع عديدة نتيجة لذلك .

ز ـ وفي الاصحاح الثاني والعشرين من سفر الملوك الاول ان آخاب ويوشافاط ملكي اسرائيل ويهوذا زحفا على راموت جلعاد في شرق الاردن لاستخلاصها من يد ملك آرام ولقي آخاب حتفه وارتد الزحف غائباً . والخبر يفيد ان ملك آرام ـ وهو ملك دمشق على ما يفيده اصحاح آخر من السفر نفسه كان يمد سلطانه الى هذه الناحية من شرق الاردن الواقعة في آخر تخم شرق الاردن الغربي والتي كان يقيم فيها اسرائيليون .

س ـ وفي الاصحاح العشرين من سفر اخبار الايام الثاني ان بني مؤاب وبني عمون ومعهم الآدوميون صعدوا الى قتال يوشافاط .

وهذا رابع ملوك يهوذا وحكمه يصادف حكم يورام بن آخاب ملك اسرائيل الذي تمرد ميشع عليه ؛ حيث يحتمل ان يكون ميشع بعد ان نجح في تمرده تحالف مع ملوك آدوم وعمون ضد مملكتي اليهود وقاموا بزحفهم على مملكة يهوذا . ومما ذكره الاصحاح ان يوشافاط ارتاع حينما جاءه خبر الزحف وأخذ يبتهل الى الله وأمر شعبه بالصوم والصلاة والابتهال الى الله فجاءه رجل الله وبشره بالنصر وبث في قلبه الشجاعة وحينئذ خرج على رأس الجموع . ومع ذلك فالاصحاح يذكر مقرباً في الخيال ان الرب لم يجشم اليهود حرباً وانما ضرب الزاحفين ببعضهم وجعل بعضهم يقتل بعضاً حتى هلكوا جميعاً ومنـــح اليهود

اموالهم الكثيرة وأمتعتهم الثمينة . ومن العجيب ان يذكر الاصحاح ارتياع يوشافاط مع ان الاصحاح السابع عشر والثامن عشر من السفر نفسه استويا إطناباً بما كان من غناه ومجده وعظمته وقال ان قوته بلغت اكثر من مليون ومئة الف جبار من يهوذا (٧٠٠٠٠٠) ومن بنيامين (٣٨٠٠٠٠) !

ش – وفي الاصحاح الرابع عشر من سفر الملوك الثاني ان امعيا بن يواش ملك يهوذا حارب الادوميين في وادي الملح وقتل منهم عدداً كبيراً . وهذا الملك ثامن ملوك يهوذا والحادث وقع بعد الحادث السابق بمدة لا تقل عن سبعين سنة حسب سني حكم الملوك المذكورة في الأسفار .

ص – وفي الاصحاح الثامن والعشرين من اخبار الايام الثاني ان الآدوميين زحفوا على يهوذا في عهد الملك آحاز حفيد امعيا وضربوها وسبوها فأخذوا ثأرهم .

والخبر يفيدفي الوقتنفسه أن آدوم كانت لهم مملكة مستقلة فاستعادت قوتها وتمكنت من اخذ ثأرها .

ض – وفي الاصحاح السادس من سفر الملوك الثاني ما يفيد ان رضين ملك دمشق الآرامي ساعد الآدوميين على استرداد ثغر ايله من الاسرائيليين في زمن فتح بن رمليا ملك اسرائيل الذي يصادف حكمه نحو اواسط القرن الثامن قبل الميلاد وبعد نحو عشرين سنة من هذا الحادث اي في سنة ٧٢٠ ق م صعد شلمناصر ملك آشور على السامره وحاصرها واستولى عليها واجلى اهلها فكان ذلك نهاية دولة اسرائيل في عهد هوشع الذي خلف فتح المذكو آنفاً على ما ذكره الاصحاح السابع عشر من الملوك الثاني .

ط – وفي الاصحاح السادس والعشرين من سفر اخبار الايام الثاني ان العمونيين ادوا الجزية الى عزيا تاسع ملوك يهوذا الذي يصادف حكمه حوالي اواسط القرن الثامن قبل الميلاد . وفي الاصحاح التالي لهذا الاصحاح خبر قتال جرى بين يوتام بن عزيا وملك بني عمون انتصر الاول فيه وفرض على الثاني جزية سنوية مقدارها الف قنطار فضة وعشرة آلاف كر من القمح ومثلها من الشعير ؛ حيث يفيد الخبر ان عزيا استطاع في ظرف لم توضحه الاسفار فرض سيادته على مملكة عمون فلما مات تمرد ملك عمون على ابنه ولكنه اخفق . وعلى كل حال فالخبر يفيد ان مملكة عمون ظلت محتفظة بكيانها .

ظ – في الاصحاح الرابع والعشرين من سفر الملوك الثاني ان غزاة من مؤاب وبني عمون

صعدوا على يواقيم سابع عشر ملوك يهوذا ولم يذكر الاصحاح نتيجته ولكن صيغته تدل على ان الزاحفين شفوا غليلهم . والخبر يفيد ان مملكة عمون تفلتت من سيادة مملكة يهوذا بل وحاولت ان تضربها انتقاماً لثأرها ؛ وان مملكة مؤاب كانت كذلك متمتعة باستقلالها وسيادتها متحالفة مع مملكة عمون ضد مملكة يهوذا . وكان هذا الحادث في ظروف ارتباك المملكة الآشورية وبروز دولة الكلدانيين وقبل قليل من صعود نبوخذ نصر ملك بابل ونسفه مملكة يهوذا سنة ٥٨٦ ق م .

صور مقتبسة من أسفار ما بعد زوال مملكة يهوذا وسبي اهلها الى بابل

آ – في الاصحاح الرابع عشر من سفر عزرا ان اليهود حينما اذن لهم كورش ملك الفرس بالعودة الى اورشليم وتجديدها وتجديد المعبد وجاء منهم من جاء واخذوا يستعدون لتجديد المدينة والمعبد تصدى لهم اعداؤهم شعوب فلسطين وشرق الاردن لمنعهم وكتبوا عرائض للملك الفرس وذكروا فيها سيرة بني اسرائيل وشرورهم ومصالحهم وطلبوا منعهم وكان الملك قد آل في هذه الاثناء الى أرتخشتا الاول . فأمر بمنعهم . ومن جملة الذين اشتركوا بالعرائض الشعوب الذين أرسلهم ملوك آشور الى فلسطين واسكنوهم في بلاد السامره حينما قوضوا مملكة اسرائيل سنة ٧٢٠ ق م والذين اعتنقوا الموسوية . وقد ارادوا أن يشتركوا في تجديد المعبد فرفض الاسرائيليون قائلين نحن نبني للرب اله اسرائيل فتضامنوا مع شعوب الارض ضدهم . حيث يفيد هذا ان أهل البلاد الاصليين ظلوا مقيمين في فلسطين وشرق الاردن بعد نسف دولتي اليهود وظلوا يحقدون على بني اسرائيل لسالف سيرتهم الباغية .

ب – في الاصحاح الخامس اسم تتناي والي عبر النهر (شرق الاردن) بمناسبة محاولة اليهود بناء المعبد للمرة الثانية . حيث يفيد هذا ان شرق الاردن صارت تحت حكم الفرس المباشر او تحت اشراف وال فارسي عام . وهكذا كان الامر في فلسطين على ما يفيده الاصحاح الرابع والاصحاح الخامس ابضاً .

ت – في الاصحاح التاسع اشارة الى ما كان من المصاهرة والاختلاط بين بني اسرائيل

العائــدين وشعوب الارض الكنعانيين والحيثيين والفرزيين واليبوسيين والعمونيــين والآموريين حيث يؤيد هذا مايفيدة الاصحاح الرابع ببيان واف . وجميع هؤلاء الشعوب كانوا في فلسطين وشرق الاردن قبل طروء بني اسرائيل وظلوا فيها أثناء وجودهم وبعد زوال ملكهم ايضاً . وكانوا وظلوا أصحاب تأثير عليهم .

ث ــ في الاصحاحات ٣ ــ ٦ من سفر نحميا الذي هو من العائدين والذي عينه ملك الفرس كوال على منطقة اليهودية التي استقر فيها العائدون (منطقة القدس) ان نحميــا باشر في تعمير اورشليم وسورها فسمع بذلك سنبلط السامري فغضب واخــذ يتوعــد وينذر امام اخوته وجيش السامرة وكان عنده طوبيا العموني فتحالف معه وانضم اليهم العمونيون والاشدوديون والعرب الذين كان زعيمهم جاشم وارسلوا انذاراً الى نحميــا . وكان بين طوبيا العموني وبعض اليهود نسب فأرسل الى أنسبائه يحرضهم عــلى نحميا ويخوفهم من العاقبة . غير ان نحميا صمد واتم بناء السور بجهد عظيم . وهذا يفيد بالاضافة الى تأييده ما ذكرناه سابقاً (١) أنــه كان في السامره حكم عــلى رأسه حاكم سامري (٢) انه كان على رأس العمونيين زعيم أو حاكم منهم (٣) انه كان جماعات عربية صريحة العروبة على رأسهم زعيم او حاكم منهــم وان لم يعرف مكان وجودهم بالتحديــد . (٤) ان الفلسطينيين كانوا موجودين في بلادهم في جنوب فلسطين وتضامنوا مع سائر الشعوب ضد بني اسرائيل .

ج ـ في الاصحاح الثامن من سفر زكريا نبوءة بسوء مصير الفلسطينيين ومدنهم غزة واسقلون وعقرون واشدود حيث يؤيد هذا ما قلناه آنفاً ببيان اوفى .

ح ــ في الاصحاح الخامس من سفر المكابيين الاول ــ وهذا مــن زوائد النسخة الكاثوليكية ــ ان الامم من حول بني اسرائيل حينما علموا أن المذبح بني ودشن كما كان استشاطوا غضباً واخذوا يعدون ايديهم بالقتل لبني اسرائيل فتصدى لهم يهوذا زعيم الحركة المكابية اليهودية ــ وكان ذلك في عهد السلوقيين اليونانيين وفي أواسط القرن الثاني قبل الميلاد ـ فحارب اولا بني عيسو وخربهم وسلبهم ثم حاصر بني بيــان وأبسلهم وحرق بروجهم ثم عبر الى بني عمون وكسرهم واستولى على يعزيز وتوابعها من ارضهم ومع ذلك فان الامم التي في شرق الاردن احتشدوا واخذوا يهاجمون بني اسرائيل الذين هم في تخومهم وقتلوا منهم عدداً كبيراً . وابادوا الرجال في أرض طــوب وعددهم الف وسبوا نساءهم

واولادهم ونهبوا اموالهم . وفي الوقت نفسه احتشد اهل عكا وصور وصيدا وسائر اهل الجليل واخذوا يهاجمون بني اسرائيل الذين هم في تخومهم معتزمين ابادتهم • وقد ارسل بنو اسرائيل في الناحيتين رسلا يستنجدون بيهوذا فسارع الى نجدتهم فارسل اخاه سمعان الى الجليل على رأس نجدة وذهب هو الى شرق الاردن على رأس نجدة اخرى وتمكنت النجدتان من التنكيل بالحشود وتدمير مدنهم ثم سحب بني اسرائيل من الناحيتين الى اليهودية خشية من الكرة عليهم . حيث يفيد هذا استمرار وشدة الكره والنقمة على بني اسرائيل في اهل فلسطين وشرق الاردن الاصليين ومحاولتهم اغتنام اي فرصة للاثخان بهم والقضاء عليهم . وسحب بني اسرائيل من شرق الاردن والجليل يدل على أن يهوذا لم لم يتمكن من سحق بني اسرائيل وانهم ظلوا اصحاب القوة والكثافة في الناحيتين مما جعل يهوذا مضطرا الى سحب بني اسرائيل منها والتخلي عنها .

خ ـ وفي الاصحاحات ٧ ـ ٩ من السفر نفسه ان الملك ديمتريوس السلوقي امر بكيدس أمير عبر النهر ـ شرق الاردن ـ بالانتقام من بني اسرائيل بسبب استمرار ثورتهم • وعين رجلا موالياً له من بني اسرائيل اسمه الكيمس كاهناً اعظم وامره بالتضامن مع بكيدس في مهمته • وسار الرجلان على رأس جيش عظيم انضم اليه انصار الكيمس ؛ وأخذا ينكلان بالمكابيين وتمكنا من فرض سلطانهما على اليهودية وانزال ضربة شديدة ببني اسرائيل . وتصدى لهم يهوذا بمن معه من المكابيين ونشب صيال شديد بين الطرفين قتل خلاله يهوذا واشتدت وطأة بكيدس على بني اسرائيل غير ان المكابيين نظموا صفوفهم بقيادة يوناثان أخي يهوذا وانبروا لمصاولة بكيدس وأنزلوا في جيشه بعض الهزائم واضطروه الى التهادن معهم والعودة إلى بلاده .

والخبر يفيد على كل حال استمرار العداء ضد بني اسرائيل من شعوب فلسطين وشرق الاردن ؛ بالاضافة الى وجود مملكة في شرق الاردن تحت سيادة السلوقيين . وهذه المملكة هي مملكة الانباط في دور العروبة الصريحة على ما سوف نشرحه في الجزء التالي .

د ـ وفي الاصحاح الثاني عشر من السفر نفسه ان سمعان زعيم المكابيين بعد يوناثان سمع أن أهل يافا وأشقلون (عسقلان) والحصون التي قربها يريدون تسليم بلادهم لحزب ملك سلوقي منافس للملك الذي يواليه سمعان فزحف عليهم وضربهم واستحوذ على بلادهم .

والخبر يكشف عن شدة حقد أهل البلاد على بني اسرائيل وجنوحهم الى التضامن مع خصوم المكابيين .

ذ ـ وفي الاصحاح العاشر من سفر المكابيين الثاني ان الآدوميين كان لهم حصون وكانوا يزعجون اليهود ويتجهزون لحربهم فهاجمهـم المكابيون وضربوهم ضربة شديدة . حيث ينطوي في هذا نفس الدلالة السابقة . ومملكة الانباط قامت في بدء امرها عـلى أنقاض دولة آدوم ، ومن المحتمل أن يكون في صدد جولة من جولات الصيال والحرب بين هـذه المملكة واليهود .

ر ـ وفي الاصحاح الثاني عشر من هذا السفر خبر دعوة اهل يافا الاسرائيليين المقيمين عندهم الى نزهة بحرية في القوارب واغراقهم اياهم نساء ورجالا واطفالا . وخبر اعتزام اهل يمنا القريبة من يافا على صنع مثل ذلك مع الاسرائيليين الذين عندهم . وخبر اشتداد وطأة بلاد اخرى مثل كسنيس وقرنيم وهيكل وعفرون وبيت شان على الاسرائيليين الذين عندهم كذلك . وقد ذكر الاصحاح ان يهوذا زعيم المكابيين زحف على هذه البلاد واحدة بعد اخرى ونكل باهلها . والخبر يفيد على كل حال شدة الحقد والعداء بين اهل البلاد والاسرائيليين .

ز ـ وفي الاصحاح الثالث عشر خبر التشاد ما بـين المكابيين والسلوقيين نتيجة لايلولة الملك الى ملك جديد اسمه ديمتريوس واستئناف المصاولة بين الطرفين وارسال الملك الجديد جيشاً لقتال المكابيين وقد ذكر الاصحاح الرابع عشر ان الامم الذين في اليهودية صاروا يتسابقون الى الانضمام لهذا الجيش لقتال الاسرائيليين ؛ وفي الخبر الدلالة نفسها .

صور مقتبسة من الآثار المصرية والعراقية عن فلسطين وشرق الاردن

وفي الآثار المصرية والعراقية اشياء غير يسيرة عن شرق الاردن وفلسطين . منها ما هو عائد الى غيرهم قبل طروئهم على شرق الاردن وفلسطين وبعده .

ولا تذكر هذه الآثار اسم فلسطين وشرق الاردن . وكانت تسميات بلاد الاسيويين والمتنو والرتنو في الآثار المصرية تعنيها ، وقد ذكر في الآثار المصرية اسماء مدن واماكن

وشعوب كانت في فلسطين كما ذكر في الآثار العراقية اسماء مدن واماكن وملوك في فلسطين وشرق الاردن ايضاً .

فمما ورد في الآثار المصرية :

آ ـ اسم سيناء ووادي المغارة فيها . وقد ذكر ذلك مراراً واقدم مرة ذكرتها الآثار في آثار سمرخست من ملوك الاسرة الاولى ٣٢٠٠ ـ ٣٠٠٠ق م بمناسبة حملة الملك لصد غارات البدو ومنعهم من التسلل الى مصر [١] . وقد كشفت الحملة مناجم متنوعة في سيناء فصار ملوك مصر من بعده يهتمون لتشغيلها واستغلالها والدفاع عنها واهم هذه المناجم كان مناجم الفيروز .

ب ـ واسم انف الغزال الذي خمنه الاثريون بانه الكرمل وجاء ذلك في آثار بيبي الاول من ملوك الاسرة السادسة [٢] (٢٦٢٥ ـ ٢٤٧٥) بمناسبة حملات سيرها لقمع اضطرابات قامت في جنوب فينيقية .

ت ـ واسم مدينة سكمم في آثار سنوسرت الثالث من ملوك الاسرة الثانية عشرة [٣] (٢٠٠٠-١٧٨٨) في مناسبة حملة ارسلها لمطاردة البدو وتوطيد سلطان مصر على فلسطين وقمع الاضطراب فيها . ويحتمل ان تكون هذه المدينة هي نفس مدينة شكيم الكنعانية التي ذكرها سفر التكوين وذكرناها قبل .

ث ـ واسم مدينة وقلعة شاروهن في شمال فلسطين في آثار احمس اول ملوك الاسرة الثامنة عشرة (١٥٨٠ ـ ١٣٤٠) بمناسبة مطاردته جيش وحكام الهكسوس وقد تحصنوا في هذه القلعة فحاصرهم فيها واجلاهم عنها وفرض سلطانه على جميع فلسطين [٤] .

ج ـ واسماء مجدو وينعم اوبونم وحرنكة في آثار تحتمس الثالث من الاسرة نفسها وهي مدن في شمال فلسطين في مناسبة المعركة التي دارت بينه وبين قوات ملوك الشام بزعامة ملك الحيثيين . وقد انتصر عليهم وفرض سلطانه على بلاد الشام نتيجة لذلك [٥] .

---

(١) تاريخ مصر من اقدم العصور لبريستيد ترجمة حسن كمال ص ٢٤ وبعدها .
(٢) مصر القديمة سليم حسن ج ١ ص ٣٦١ ـ ٣٦٧ .
(٣) مصر القديمة ج ٣ ص ٢٧٨ وبعدها .
(٤) مصر القديمة ج ٤ ص ٩٥ وبعدها .
(٥) مصر القديمة ج ٤ ص ٣٩٨ وبعدها.

ح ـ وأسماء مـــدن بيت شان (بيسان) وابق ومجا وتاباس (طوباس) وسوكا ومجدل يون وقبعا وسومنة وتورر في آثار امنحتب الثاني من ملوك الاسرة نفسها بمناسبة تمرد بلاد الشام وحملاته لاخضاعها ، وقد تمكن من ذلك . وهذه المدن من مدن أو ممالك مدن فلسطين على ما خمنه الاثريون [1] .

خ ـ واسم مدينة جيزر في آثار تحتمس الرابع من نفس الاسر . بمناسبة عصيانهـا والتنكيل بها [2] . وجيزر من ممالك فلسطين الكنعانية على ما مر ايراده نقلاً مـــن سفر يوشع .

د ـ واسم قبائل الخبيرو في احدى رسائل تل العمارنة المرسلة الى امنحتب الرابع او أخناطون من نفس الاسرة من والى القدس عيد خيبا [3] وقد ربط سليم حسن العالم الاثري المصري الجليل بين الخبيرو وبين اسم العبيرو الذي هو نواة اسم العبرانيين مما سوف نستوفي الكلام عنه في فصل العبرانيين . وقد جاء ذكرهم بمناسبة ما كان منهم مـــن عيث وفساد وحركات ازعجت سكان فلسطين وارعبتـــهم .

ذ ـ أسماء اسدرالون (وهذا هو اسم مرج بن عامر قديماً في وسط فلسطين للشمال) وباهوبا وبيت شلل ورحوبو وثارو في آثار سيتي الاول من ملوك الاسرة التاسعة عشرة (١٣٤٠ - ١٢٠٠ ق م) وهي مدن او ممالك فلسطينية . وقد ذكرت بمناسبة تمـــرد بلاد الشام وزحف سيتي لقمعه وتوطيد سلطان مصر على هذه البلاد ثانية [4]

ر ـ أسماء الجليل ودبور وعسقلان في آثار رعمسيس الثاني من ملوك الاسرة نفسها في سياق خبر حملاته المتعددة على بلاد الشام لقمع تمردها والمصاولة مع ملوكها وملك الحيثيين الذي كان يحرضها [5]

ز ـ وأسماء عسقلان وجيزر واسرائيل وكنعان في آثار مرنتباح من ملوك الاسرة نفسها بمناسبة ذكـــر التنكيل الشديد فيهـــا بسبب الثورة التي نشبت في فلسطين .

( ) مصر القديمة ج ٤ ص ٦٧٢ وبعدها .
(٢) مصر القديمة ج ٥ ص ٥ وبعدها .
(٣) مصر القديمة ح ٥ ص ٢٥١ وبعدها .
(٤) مصر القديمة ج ٦ ص ٢٧ وبعدها .
(٥) مصر القديمة ج ٦ ص ١٩٨ وبعدها .

والمقصود من اسرائيل قبيلة اسرائيلية كانت فرت من مصر قبل خروج بني اسرائيل من مصر . والمقصود من كنعان الشعب الكنعاني الذي كان يعمر فلسطين ؛ وعسقلان كرسي احدى ممالك فلسطين . وهذا يدل على ان الثورة كانت عامة اندمج فيهـا جميع شعوب فلسطين وهو ما تفيده الآثار ايضاً[1].

س – وأسماء قبائل سعر والشاسو وبلست في آثار رعمسيس الثالث من ملوك الاسرة العشرين (١٢٠٠ – ١٠٩٠) ق م [2] وبلست هو الجماعات التي طرأت على فلسطين وحلت في جنوبها واقامت الممالك العديدة فيه وتطور اسمها الى فلسطينيين . وسعير اسم قبائل في شرق الاردن في منطقة العقبة وقد ذكروا في سفر التكوين وسفر الخروج ايضاً وذكرناهم سابقاً . والشاسو قبائل من قبائل فلسطين او شرق الاردن . والتعبير يعني الرعـاة . وقد ذكرت هذه الاسماء بمناسبة زحف رعمسيس الثالث عـلى فلسطين وشرق الاردن وبلاد الشام لاخماد ثورة نشبت فيها وهذا يفيد ان فلسطين وشرق الاردن اندمجتـا في حركة الثورة .

ش – وأسماء جمـا وارا وربات وتاعنيكا وشنمايا وبيت شانزايا ورحبيا وحبوميا وادرم وشواد ومخم وقبعي وبيت حورن وقدتم وايون ومكديا وادر وحينم وعـرن وبرم وزدتبر ومجم وبيت عزم وكافاري وشيك وبيت تبوح وابويا وبيت زابي وككما وسدنوبانيرو وقد سنت وبركت وادميا وصم رم ومجدر وباعمق وعيزميا وانمر وباحقل فيتشيا وارهرر وباحقل ابرام وشبرت وركيت وباحقل نعزيت وزبكيا وخاناي وبانجب وتشدنو وباحقل شنيا وهقق وبانجب واشمرت وباحقل حننن وباحقل ارقدوادمم وحننى وأدريا وباحقل ترون وحيدب ترتر وحيدب ديوت وحقلم عرد وربت وعرد نبت ويرحم وادر وبابي وباقرنه ومحنج وفريم وايربيرد وبيت عنت وشرح وارمتن وحرت وادمم وارد وير وإنن ويودن وشردد وربح وربتي وعنجرن وهام . وهذه الاسماء من نقوش شيشنق الاول اول ملوك الاسرة الثانية والعشرين ٩٤٥ – ٥٧٠ في مناسبة زحفه عـلى فلسطين وفرض سلطانه عليها . وهي اسماء مدن في فلسطين في شمالها ووسطها وجنوبهـا ومنها مدن في شرق الاردن . مما يلي فلسطين . ومن هذه المدن ما كان كرسي ممالك

---

(١) مصر القديمة ج ٧ ص١ وبعدها .

(٢) مصر القديمة ج ٧ ص ٢٥٤ وبعدها.

كنعانية وذكرت في سفر يوشع . وليست الاسماء هي كل ما نقشه شيشق ، ولكن مـا امكن قراءته . وهناك اسماء مهشمة او ساقطة . ومجموع المدن ١٨٠ [1] .

ومما ورد في الآثار العراقية :

آ ـ اسم بعشا ملك عمون . في آثار سلمناصر الثالث (٨٦٠ ـ ٨٢٥ ق م [2] وقـد اندمج هذا الملك في حركـة التمرد والتجمع ضد سلطان العـراق الى جـانب ملك دمشق الآرامي وكان عدد الجنود التي اشترك بها عشرة آلاف . وهـذا يفيد ان ممالك شرق الاردن وبالتبعية ممالك فلسطين كانت تحتفظ بكيانها حينما كان ملوك مصر والعراق يبسطون سلطانهم على شرق الاردن وفلسطين وكان هؤلاء الملوك يكتفون بأخذالجزية . فكان ذلك مما يتيح للملوك شرق الاردن وفلسطين التمرد او الاندماج في التمرد من حين الى حين . وقد ذكرت آثار سلمناصر انه تمكن مـن قمع التمرد والتنكيل بالرؤساء واخضاع البلاد .

ب ـ واسماء جليعاد وآبل في شرق الاردن وغزة في فلسطين في آثار تغلات بلاسر (٧٤٥-٧٢٧ [3] ق م) بمناسبة حركة تمرد وزحفه لاخمادها كذلك . وقد ذكرت الآثار انه قمع التمرد .

ت ـ واسماء رابيح (رفح) وغزة والآدوميين والفلسطينيين والمؤابيين واسدود في آثار سرجون الثاني (٧٢٢ ـ ٧٠٥) [4] بمناسبة ثورة وتمرد فلسطين وشرق الاردن وبلاد الشام معاً وزحف سرجون الثاني لاخمادها .

ث ـ واسماء بدايل ملك عمـون وكموش ندبي ملك مؤاب وملكرام ملك آدوم واسمابعل ملك غزة وبادي ملك ميغرون اوعقرون حسب اختلاف المصادر وصدقا ملك عسقلون ومطنى ملك اسدُود . والثلاثة الاولون ملوك شرق الاردن والخمسة الآخرون ملوك الفلسطينيين في جنوب فلسطين . وكذلك اسماء مدن بيت داغون (بيت اجن) ويافا وبني براق وازور (يازور)من مدن فلسطين الجنوبية . وكان بعضها كراسي ممالك

---

(١) مصر القديمة ج ٩ ص١١٠ ـ ١٢٦ .

(٢) تاريخ كلدة واثور ج١ص٦٩

(٣) تاريخ العرب قبل الاسلام جواد علي ج ٢ ص ٢٩٩ وبعدها .

(٤) تاريخ كلدو وآثور ج ١ ص ٨٨-١٠١ وتاريخ بابل وآشور لجميل المدور ص ٩٨ .

كنعانية وقد ذكرت هذه الاسماء في آثار سنحاريب (٧٠٥ – ٦٨١) في سياق خبر تمرد بلاد الشام وفلسطين وشرق الاردن معاً وزحفه لاخماده وقمعه [١] وهذا يؤيد ما قلناه من ان ملوك العراق كانوا يبقون ملوك البلاد على رأس ممالكهم .

ج – واسماء موصوري ملك مؤاب وبدوئيل ملك بيت عمون وكموش جبري ملك آدوم في آثار اسرحدون (٦٠٠ – ٦٦٧) بمناسبة تمرد وزحف لاخماده ايضاً [٢].

ح – وفي نقش من آثار بانيبال (٦٦٧ – ٦٢٧) ورد تعبير حكام آدوم وعمون ومؤاب في سياق خبر امره اياهم بالتنكيل بالقبائل ورؤساء البدو الذين تحالفوا ضده [٣] .

خ – واسماء غـــزه واورشليم في آثار نبوخذ نصر بختنصر (٦٠٤ – ٥٦٢) بمناسبة زحف هذا الملك على فلسطين وتنكيله بملكها اليهودي لتحالفه ضده مـــع مصر وملك غزة [٤] .

صور ما كان بين مصر والعراق من ناحية وشرق الاردن وفلسطين من ناحية اخرى

إن معظم المقتبسات التي اقتبسناها من النقوش المصرية والعراقيـــة عائد لاحداث الزحوف التي كانت تتعرض لها شرق الاردن وفلسطين من ناحية مصر حيناً ومن ناحيـــة العراق حيناً . ولقد كانت ممالك هذين القطاعين ممالك مدن كالممالك الفينيقية . وكان كل منها يحتفظ بكيانه وشخصيته وان كان احياناً يقوم بينها توائق وتحالف مثل تلك دون ان يغطي على شخصيتها . فكان هذا مما جعل القطاعين كممالك فينيقية عرضة لزحوف مصر

---

(١) تاريخ كلده وآثور ج ١ ص ١٠١–١١٤ والمجلد الاول من الجزء الاول من تاريخ الدبس ص ٣١٢ – ٣١٣ .

(٢) تاريخ كلدو وآثور ج ١ ص ١١٢–١٢٤ وتاريخ بابل واشور للمدور ص ١١١ –١١٥ والمجلد الاول الجزء الاول تاريخ سورية للدبس ص ٣١٤ – ٣١٥ .

(٣) تاريخ كلدو وآسور ج ١ ص ١٢٣–١٢٥ وتاريخ العرب قبل الاسلام جواد علي ج ٢ ص ٣١٩ وبعدها .

(٤) تاريخ كلدو وآثور ج١ ص١٣٩ –١٥٣

والعراق اللتين كان يقوم فيها دول قوية يخضع لسلطانها جميع مصر او العراق منذ اقدم الازمنة . وكانت هذه الممالك تخضع للغزاة كذلك لانه لم يكن لها قوة موحـــدة تحت راية واحدة تستطيع ان تقاوم الغزو .

ولقد كانت القبائل البدوية تتموج بصورة دائمة ومنذ اقدم الازمنة نحو حدود مصر الشمالية بطريق سيناء او ساحل خليج العقبة فكان ذلك الباعث الاول على نشاط ملوك مصر العسكري الدفاعي والهجومي في اتجاه بلاد الشام التي كان شرق الأردن وفلسطين جزءاً منها واولى مراحلها .

واول ما عرف من الآثار المصرية من هذا النشاط حركة سمر خست احد مـــلوك الاسرة الاولى وكان باعثها صد غارات البدو على حدود مصر من ناحية سيناء .

وقد قاد اوسير حملة فاستطاع ان يعيد العدو وان يفرض سلطانه على سيناء وان يقيم فيها حامية لتكون مركزاً دفاعياً . وقد اكتشف هذا الملك مناجم في سيناء فصار استغلالها من بواعث حملاته وحملات مصر من بعده ايضاً . ثم كانت حملات سنفرو احد ملوك الاسرة الثالثة لصد البدو الذين عادوا الى غاراتهم ولاستغلال المناجم معاً وقـــد استولى هذا الملك على الاراضي التي كان ينزل فيها البدو بعد ان طردهم عنها وانشأ فيها قلاعاً وحصوناً وآباراً .

وسجل ذلك في نقش عثر عليه في سيناء عليه صورته على هيئة مقاتل يقمع اعداءه . ثم كانت حملات خوفو احد ملوك الاسرة الرابعة لنفس القصدين . وقد طرد البدو مـــن الحدود واقتفى آثارهم الى مسافة بعيدة شمالا وفرض سلطان مصر على هذه الساحة ، سجل ذلك في نقش سمى فيه البدو باسم المنتو [1] وهو اسم كان يطلق في الآثار المصرية على سكان بلاد الشام شمالها وجنوبها .

ثم كانت حملات سحورع احد مـــلوك الاسرة الخامسة لصد حركات البدو ايضاً . والآثار تذكر ان هذا الملك سير حملة بحرية فبسط سيطرته على السواحل الشامية . وقد ذكرنا ذلك في فصل فينيقية . والمتبادر ان هذا السلطان شمل فلسطين وشرق الاردن ايضاً .

---

(١) انظر مصر القديمة ج ١ ص ٢٨٧ – ٢٩٧

ويؤيد هذا ما ذكرته الآثار من حملات سيرها بيبي الاول احد ملوك الاسرة السادسة لقمع اضطرابات حدثت في جنوب فينيقية بناحية انف الغزال (الكرمل) في فلسطين ؛ حيث يفيد هذا ان سلطان مصر استمر في عهد هذا الملك على فلسطين وشرق الاردن وفينيقية امتداداً لعهد الاسرة السابقة .

ومذ صار سلطان مصر يمتد الى فينيقية وسورية منذ عهد سمورع وبعده كان يشمل بالتبعية فلسطين وشرق الاردن ، وحينما كانت يد مصر تنكسف عن هذه البلاد نتيجة لارتباك داخلي أو تحريض يؤدي الى التمرد او حينما كانت مصر تزحف على بلاد الشام للقمع والتنكيل وتتمكن من اعادة سيطرتها كان ذلك يشملها بالتبعية . على ان سلطان مصر صار احياناً ينحصر في فلسطين بعد الاسرة العشرين او بتعبير ادق بعد رعمسيس الثالث اقوى ملوك هذه الاسرة وآخر ملوك مصر العظام . وصار ينكسف عنها ايضاً حينما كانت ترتبك احوال مصر في عهد ملوك هذه الاسرة ثم في عهد معظم الاسر التالية لها . باستثناء محاولات كان يقدم عليها بعض ملوك هذه الاسرة في سبيل مد سلطان مصر الى فلسطين وما وراء فلسطين من حين الى حين فتنجح لفترات قصيرة .

ولقد شرحنا ما كان ذلك من صور في عهد الاسر الحادية عشرة والثانية عشرة ثم في عهد الهكسوس والاسرة الثانية عشرة وما بعدها الى نهاية حكم الاسر المصرية في الفصل السابق ؛ ومعظم هذه الصور يشتمل فلسطين وشرق الاردن ايضاً فلا نرى ضرورة للاعادة والتكرار . وانما ننبه فقط عل امر هام وهو ان ملوك مصر كانوا على الاعم الاغلب يبقون ملوك فلسطين وشرق الاردن على رأس ممالكهم ويكتفون منهم بالجزية والخضوع كما كانوا يفعلون مع ملوك فينيقية بل سائر بلاد الشام ؛ فيظل هؤلاء الملوك يمارسون السلطان المحلي وكان هذا الاسلوب مما يساعدهم على التمرد والعصيان والاستجابة للتحريض على ذلك بقصد الاستمتاع بالاستقلال التام ؛ مما تكرر كثيراً على ما تدل عليه الصور التي اوردناها في الفصل السابق .

ولقد شمل اتجاه العراق المبكر نحو بلاد الشام شرق الاردن وفلسطين ايضاً . فحينما مد سرجون الاول الأكادي سلطانه الى بلاد الشام مده الى هذين القطاعين وسار على ذلك ملوك الدول العراقية جميعها .

ولقد كانت زحوف العراق تجيء احياناً الى شرق الاردن اولا ثم تنتشر منها الى

الشمال نحو سورية او الى الغرب نحو فلسطين وفينيقية فيكون القطاعان ـ شرق الاردن وفلسطين ـ اول ما ينبسط عليها السلطان العراقي من بلاد الشام .

وحينما كان يطرأ ضعف او ارتباك على دول العراق تنكسف نتيجة له يدها عن بلاد الشام او حينما كان يقوم تمرد وعصيان في بلاد الشام ضد سلطان العراق حينما كانت دول العراق تسير حملاتها لقمع التمرد والعصيان في بلاد الشام وتتمكن من ذلك كان كله يشمل القطاعين بالتبعية .

ومن الجدير بالذكر ان سلطان العراق توطد على بلاد الشام منذ القرن التاسع باستمرار الى القرن السادس . رغم ما كان من تكرر العصيان والتمرد حيث كان ملوك العراق يتمكنون دائماً من قمع العصيان والتمرد وتوطيد سلطانهم .

ولم يحدث ان انحصر سلطان العراق في فلسطين او شرق الاردن كما كان يحدث مثل ذلك بالنسبة لسلطان مصر على ما ذكرناه آنفاً .

ولقد شرحنا ما كان من صور النشاط العراقي ونتائجه في بلاد الشام منذ عهد سرجون الاول الاكادي الى نهاية دولة بابل الاخيرة في القرن السادس في فصل فينيقية . ولما كانت هذه الصور شاملة لشرق الاردن وفلسطين فلا نرى حاجة الى تكرار ايرادها هنا . وانما ننبه هنا ايضاً على ما نبهنا عليه في الكلام عن مصر وهو ان ملوك العراق ايضاً كانوا يبقون ملوك شرق الاردن وفلسطين على رأس ممالكهم ويكتفون منهم بالخضوع والجزية كما كانوا يفعلون بالنسبة لسائر ملوك فينيقية وبلاد الشام . واحيانا كانوا يقتلون او يعزلون وينفون بعض الملوك ولكنهم كانوا يقيمون ملوكاً بدلا منهم من نفس ارومتهم على الاغلب الا ما كان من نسف اسرحدون لدولة اسرائيل اليهودية ونسف نبوخذ نصر (بختنصر) لدولة يهوذا اليهودية بعد ان تكرر عصيان ملوكها ومخامرتهم على ما سوف نستوفي الكلام عنه في فصل العبرانيين .

وهذا ما كان يساعد ملوك هذه البلاد على التمرد والعصيان والاستجابة للتحريض في الفرصة السانحة ضد السلطان العراقي طموحاً لممارسة السيادة التامة .

فلسطين وشرق الاردن بعد دولة بابل

والمصير الذي صارت اليه بلاد الشام بعد قليل من موت بختنصر (نبوخذ نصر) صارت اليه فلسطين وشرق الاردن حيث دخلت هذه البلاد في سلطان الفرس حينما قوضوا

دولة بابل في سنة ٥٣٨ ق.م ومدوا سلطانهم الى بلاد الشام ومصر التي كان سلطان دولة بابل يمتد اليها ؛ وظلت خاضعة لسلطان الفرس تبعاً لبلاد الشام الاخرى الى الفتح المكدوني سنة ٣٣٣ هـ .

ولقد اذن كورش الملك الفارسي الذي قوض دولة بابل لبني اسرائيل المنفيين في بلاد العراق من قبل سرجون ملك آشور وبختنصر ملك بابل بالعودة الى فلسطين وتجديد اورشليم والمعبد فعاد فريق منهم [١] . ولما حاول العائدون تجديد اورشليم والمعبد اعترضهم اهل فلسطين وشرق الاردن الاصليون الذين ظلوا يعمرون البلاد امتداداً لوجودهم فيها قبل طروء بني اسرائيل وبعده ثم بعد نسف دولتي اسرائيل ويهوذا ونفي اهلها الاسرائيليين واظهروا لهم العداء والمناوأة ، ومن ثم نشب الصيال بينهم عوداً على بدء مما يدل على تأصل الحقد والكراهية ضدهم في اهل البلاد السابق سيرتهم . واستمر يخفت حيناً ويشتد حيناً على ما ذكرته اسفار ما بعد السبي واوردنا صوراً عديدة منه في نبذة سابقة .

ومع ان الفرس عينوا ولاة عموميين لشرق الاردن وفلسطين على ما تذكره هذه الاسفار [٢] فان فيها ما يفيد انه كان يقوم تحت اشرافهم حكام محليون في انحاء فلسطين وشرق الاردن من اهلها الاصليين حيث ذكر اسم بسنلط السامري وطوبيا العموني وجاسم العربي في سفر نحميا [٣] كزعماء لبلادهم في سياق ذكر تصدي اهل البلاد لمناوأة اليهود ومنعهم من تجديد اورشليم والمعبد بأسلوب يدل على انهم كانوا اصحاب سلطان محلي . وقد ذكر معهم الاشدوديون . ثم ذكرت في سفر زكريا [٤] في سياق الاشارة الى هذه الاحداث اسماء مدن غزة وعسقلون وعقرون واسدود بصفتها من جملة المتحالفين ضد اليهود . ولا يكون هذا معقولا الا مع فرض وجود حكومات محلية في هذه المدن وقد جاء في كتاب تاريخ شرق الاردن [٥] ان عمون وسعت حدودها في فترة الحكم الفارسي

---

(١) الاصحاح الاول من سفر عزرا

(٢) انظر الاصحاح ٤ و ٥ من سفر عزرا .

(٣) الاصحاح ٤و٦من سفر نحميا .

(٤) الاصحاح ٩

(٥) تأليف بيك الانكليزي وترجمة طوقان ج ١ ص ٣٥ .

حتى اصبحت تضم كل البلقاء الى وادي الموجب . واسلوب العبارة يدل على ان عمون كانت كرسي مملكة وحكومة عمونية .

واستمر الأمر كذلك الى زحف الاسكندر المكدوني على بلاد الشرق ونسفه دولة الفرس فدخلت بلاد الشام ومن جملتها شرق الاردن وفلسطين في سلطانه .

ولما مات انقسمت مملكته . وقـام نتيجة لذلك دولة السلوقيين اليونانيين في سوريا ودولة البطالسة اليونانيين في مصر فكان شرق الاردن وفلسطين تخضع لهذه فترة وتلك فترة . وكان اليونانيون يعينون ولاة عامين لها . وكان مـع ذلك يقوم احياناً حكام محليون من اهل البلاد تحت سيادتهم . ولقد كان لبني اسرائيل حركة ثورية نجحت بعض الشيء في توطيد كيان وحكم سياسي لهم في منطقة القدس التي سميت باليهودية وكان سلطانهم يمتد الى ما وراء هذه المنطقة مما سوف نستوفي الكلام عنه في فصل العبرانيين .

وقد قام في شرق الاردن كيان وحكم سياسي هو المعروف بدولة الانباط التي حلت محل دول آدوم وعمون ومؤاب . وكان هذا الكيان صريح العروبة نتيجة لبروز العروبة الصريحة في هذه الظروف وانسياح القبائل العربية الجديدة الى بلاد الشام متسمين بسمتها مما سوف نستوفي الكلام عنه في الجزء التالي .

وظل الامر في فلسطين وشرق الاردن على ذلك الى ان زحف الرومان وقضوا على الدولتين اليونانيتين في بلاد الشام ومصر في القرن الاول قبل الميلاد فخضعت البـلاد لسلطانهم ومن جملتها فلسطين وشرق الاردن . ولقد كان لهم ولاة عموميون ايضاً . غير ان كيان الانباط في شرق الاردن بقي امداً ما في عهدهم ثم زال وقـام كيان عربي صريح آخر في منطقة حوران تحت سيادة الرومان كان حكمه يمتد الى شرق الاردن واحياناً الى بعض انحاء فلسطين مما سوف نستوفي الكلام عنه في الجزء التالي ايضاً .

وظل الامر كذلك الى ان جاءت موجة الفتح العربية الكبرى تحت رايـة الاسلام فحررت البلاد من الرومان ووطدت السلطان العربي عوداً على بدء فيها مع اتسامه هذه المرة بسمة العروبة الصحيحة والاسلام .

المآثر الحضارية والعقائد

ليس هناك وثائق يستند اليها للاسهاب في ذكر ما كانت عليه الارومات العربية الجنس في شرق الاردن وفلسطين من حضارة وفنون وتقاليد كما فعلنا بالنسبة لفينيقية والعراق ومصر . فليس لنا مناص من الاكتفاء بما تخلل الفصول السابقة من ذلك ؛ مع القول ان طبيعة شرق الاردن الجغرافية قد جعلته اكثر ما يكون يشتغل بالزراعة وتربية الماشية ويحتفظ بسمة اقرب الى البداوة منها الى الحضارة . وقد يؤيد هذا ان ذلك قد ظل الطابع المميز له في مختلف ادوار التاريخ الى اليوم تقريباً .

اما غرب الاردن في عهد الارومات غير الاسرائيلية فانه يبدو من خلال ما اوردناه انه كان احسن حالا من ناحية العمران وكثافة السكان والحضارة والحياة والثروة ،وان الزراعة فيه كانت راقية وخاصة زراعة كروم العنب والتين والرمان .

أما ديانة هذه الارومات فقد كانت مزيجة من التوحيد والوثنية كما كان شأن الارومات العربية في الاقطار الاخرى . وقد كان اسم الاله الرئيسي بعل واسم الالاهة الرئيسية التي كانت بمثابة زوجة له عشتار وعشتروت . وكان يرمز بالاول الى القمر وبالثاني الى الشمس حيناً والزهرة حيناً . والمرجح انهم كانوا يلمحون وراءهما قوة عظمى ويعتبرونها بمثابة عينيها ويتعبدونها على هذا الاعتبار كما كان ذلك شأن بني عمومتهم في الاقطار الاخرى كذلك .

وقد كان لهم آلهة محليه رئيسية ايضاً كحماة عرف منها اسم لكموش اله المؤابيين وملكوم اله العمونيين على ما جاء في الاصحاح الحادي عشر من سفر الملوك الثاني .

والمرجح انه كان لآلهتهم تماثيل مادية يضعونها في معابدهم ويقومون عندها بطقوسهم كما كان شأن بني عمومتهم في الاقطار الاخرى وان لم يمكن ايراد بيان موثق ودقيق عنه .

وفي قصة بلعام ومراجعته من قبل بالاق بن صفور ملك مؤاب للعن بني اسرائيل

التي اسهب في سردها سفر العدد في اصحاحاته الثاني والعشرين والثالث والعشرين والرابع والعشرين والتي وقعت في حياة موسى ما يدل على انه كان يبرز من حين لآخر كهان او عرافون او متنبئون متصلون بالله او يزعمون انهم كذلك فيرجع اليهم الناس في الظروف العصيبة والخطوب الشديدة فيستعينون بهم عليها .

واذا اردنا ان نأخذ بالروايات البعيدة التي رواها سفر التكوين ــ فان هذا المظهر كان قائماً ايضاً قبل ذلك بأمد طويل حيث ورد في الاصحاح الرابع عشر منه ان ملكيصادق ملك شليم كان كاهناً لله العلي وانه بارك ابرام ابراهيم ــ حينما عاد منصوراً من مطاردته للغزاة العراقيين قائلا مبارك ابرام من الله العلي مالك السماوات والارض .

هذا ولقد مرت اشارات الى ما كان من تأثير بني اسرائل بالحياة والتقاليد الدينية والاجتماعية للاروميات الكنعانية التي كانت وظلت مستقرة في غرب الاردن تأثراً كبيراً حتى اندمج في ذلك ملوكهم بل اعظم ملوكهم سليمان حيث يدل هذا على انهم كانوا اقوى شخصية وارقى ثقافة وحضارة .

العبرانيون وبنو اسرائيل
في
شرق الاردن وفلسطين

تمهيد

لقد شغل العبرانيون وبنو اسرائيل الذين ينتسبون اليهم والذين صار اسم بني اسرائيل مرادفاً لاسمهم بل علماً عليهم وعلى لغتهم حيزاً كبيراً طويل الامد من مسرح شرق الاردن وغربه مما يسوغ افرادهم في فصل خاص .

والمصدر الرئيسي لتاريخهم هو اسفار العهد القديم مع نتف عابرة او مقتضبة في الآثار المصرية والعراقية . فليس من مندوحة من اقتباس هذا التاريخ من ذلك المصدر الذي احتوى من التفصيلات الجزئية ما يثير العجب وما يجعله فذاً بالنسبة لتاريخ اي امة قديمة اخرى في مثل قدم بني اسرائيل والذي نعتقد ان فيه حقائق تاريخية كثيرة مهما كان فيه ما نبهنا عليه في مطلع الفصل السابق من شوائب ومآخذ .

وسفر التكوين الذي هو اول هذه الاسفار والذي يؤرخ الحقبة السابقة لقدوم بني اسرائيل الى شرق الاردن وغربه من مصر يجعل طروء ابراهيم الذي يعتبره بنو اسرائيل جدهم الاعلى حادثاً افرادياً . وقد حكت بعض اصحاحاته قصة نزوحه الى غرب الاردن الذي كان يسمى ارض كنعان باسلوب يكتنفه شيء من الغموض والتناقض وتتأثر على الارجح بوقائع بني اسرائيل بعد خروجهم من مصر وانبثاق فكرة اختصاصهم من الله بامتيازات متنوعة .

ففي عبارة الاصحاح (١١) من هذا السفر ما يفيد ان النزوح من اور الكلدانيين الى ارض كنعان كان فكرة تارح ابي ابراهيم وانه خرج منها ومعه ابنه ابراهيم وكنته ساره ولوط ابن ابنه هاران المتوفى وحل في حاران ومات فيها . وفي الاصحاح (١٢) ان الرب قال لابراهيم انطلق من ارضك وعشيرتك وبيت ابيك الى الارض التي أريك فاجعلك امة كبيرة واباركك واعظم اسمك وتكون بركة ويتبارك بك جميع عشائر الارض . فخرج من حاران ومعه زوجته ولوط وامواله وعبيده الى ارض كنعان .

وبينما يذكر الاصحاح (١١) ان بلد ابراهيم اور الكلدانيين يروي الاصحاح (٢٤) ان ابراهيم استحلف كبير عبيده بان لا يأخذ لابنه اسحق زوجة من بنات كنعان وان يذهب الى ارضه وعشيرته ويأخذ منها زوجة لابنه ووصاه بان لا يرده الى هناك لان ربه اخذه من بيت ابيه وارض مولده واتى به الى ارض كنعان واقسم لي ان هذه الأرض ستكون لي ولنسلي ، وان العبد ذهب الى آرام النهرين الى مدينة ناحور اخي ابراهيم وخطب ابنته لاسحق واتى بها الى ارض كنعان. ويلحظ هنا ان الاصحاح (١١) ذكر ان تارحاً ابا ابراهيم خرج مع ابنه وكنته وابن ابنه ولم يذكر ناحوراً بينما يذكر هنا ناحوراً ومدينته ! وقد كرر الاصحاح (٢٦) القصة بالنسبة ليعقوب ايضاً حيث وصى اسحق يعقوب بان يذهب الى فدان آرم ويتزوج من بنت خاله لابان . ويبدو ان فدان هذا هو اسم مدينة ناحور؛ حيث يفيد هذا ان ارض مولد وعشيرة ابراهيم هي ارام النهرين . وعلى هذا فابراهيم اما ان يكون كلدانياً او آرامياً . والكلدانيون والآراميون من الارومات العربية الجذس على ما شرحناه في الجزء الثالث ولقد جاء في الاصحاح (٢٦) من سفر التثنية في سياق وصايا الرب لبني اسرائيل وطقوس تقديم تقدماتهم هذه العبارة « ثم تجيء وتقول بين يدي الرب الهك ان ابي كان آرامياً تائهاً فهبط مصر ونزل هناك في رجال قلائل فصارامة عظيمة شديدة كثيرة » حيث يمكن ان تكون هذه العبارة تمثل رواية أو ذكرى كان يتناقلها بنو اسرائيل بأن جدهم الاكبر آرامي وحيث يكون هذا من مرجحات او مقومات الأصل الآرامي . ولقد كان ابراهيم يسمى ابرام والصلة ملموحة بين هذا الاسم وبين آرام كما هو ظاهر .

بقيت التسمية العبرانية التي تسمى بها ابراهيم وبنو اسرائيل من بعده ولغتهم التي صار اسم العبرانية علماً مستمراً عليها . فالاصحاح (١٤) من سفر التكوين سمى ابراهيم (ابرام العبراني) وفي الاصحاح الاول من سفر الخروج وردت هذه العبارة « كلم ملك مصر قابلتي العبرانيات وقال لها اذا استولدتما العبرانيات فانظرا عند الكرسي فان كان ذكراً فاقتلاه وان كان انثى فاستبقياها حيث يفيد هذا ان اسم العبرانيين كان يطلق على بني اسرائيل في مصر قبل خروجهم منها أي قبل القرن الثاني عشر قبل الميلاد وان هذا امتداد متصل بجدهم الاكبر ابراهيم الذي كان يوصف بوصف العبراني . ولقد ورد اسم عبريو في ورقتين من أوراق البردي كتبتا في القرن الثالث عشر قبل الميلاد وفي عهد

رعمسيس الثاني ثالث ملوك الاسرة التاسعة عشرة (١٢٩٢–١٢٢٥) ق م [1] وموجود في متحف لايد في هولانده . وقد ترجمها من المصرية القديمة عالم اسمه شباس ؟ وهي رسالتان . احداهما من كاتب اسمه كويسر جواباً لرئيس اسمه بكنتفاح يقول فيها « استرضاء لسيدي اتممت امره الذي انفذه الي قائلاً اعط الجنـــود قوتهم وأعط أيضاً « العبريو » الذين ينقلون الحجارة لبناء الملك رعمسيس مريانان خليل العـدل والذين وكل امرهم الى رئيس الشرطة عيـــنمان فأنا اجريت عليهم رزقهم في كل شهر بمقتضى الاوامر السامية التي انفذها سيدي الي » والثانية من كاتب اسمه كينا الى رئيس له اسمه كجاناهو يقول فيها « اطعت ما امرني به سيدي قائلا اعط الجنود أرزاقهم والعبريو ايضاً الذين ينقلون الحجاره لهيكل الشمس الذي انصرفت اليه عنايـــة رعمسيس مريمان في جنوب منف [2] وقد رجح الباحثون ومنهم من جزم كالمطران الدبس ان العبريو هؤلاءهم بنو اسرائيل الذين نموا وترعرعوا في مصر ثم تعرضوا لقسوة ملوكها بعـــد تقويض حكم الهكسوس وكان ذلك سبباً لخروجهم مـــن مصر بقيادة موسى حيث يبدو من هذا ان لتسمية العبرانيين لبني اسرائيل اصلا تاريخياً وثيقاً غير سفر التكوين [3] .

هذا في نطاق روايات سفر التكوين التي لا تذكر شعباً باسم العبرانيين وتجعل وصف ابرام بالعبراني وصفاً خاصاً وتجعل تسمية العبرانيين لبني اسرائيل من هذا الوصف .

ولقد ذكرت أحدى رسائل تل العمارنة — وهي رسائل آجرية بابلية الخط واللغـــة عثر عليها في المكان المعروف بتل العمارنة اليوم بمصر — اسم قبائل بدو الخابيرو وما كان من عيثها فساداً وتخريباً في فلسطين في عهد اخناطون احد ملوك الاسره الثامنة عشرة (حوالي ١٤٠٠ — ١٣٨٠ ق م وهذا تاريخ حكم هذا الملك) ولقـــد ذكر سليم حسن المؤرخ المصري الجليل استناداً الى دراساته ان جماعات مهمة من الخابيرو كانوا من جملة الذين تسللوا الى مصر في ظروف حركـــة التسلل العربي الجنس التي سميت بحركـــة

---

(١) هذا تاريخ حكم رعمسيس اما تاريخ حكم الاسرة فهو ١٣٤٠–١٢٠٠ ق م

(٢) مقال في العبرانيين للمطران الدبس ص ٨٩ وقد ذكر هذه الوثائق مؤلف العقد الثمين ص ١١٧– ١١٩ واكد على عبارة العبرانية على ما شرحناه في الجزء الثاني .

(٣) في الاصحاح الاول من سفر الخروج ذكر خبر تسخير بني اسرائيل في مصر في اعمـــال البناء والطين واللبن مما فيه توافق مع ما جاء في الرسالتين

الهكسوس في القرن التاسع عشر قبل الميلاد وانهم ساميون اي عرب الجنس حسب اصطلاحنا . وقد ربط بين تعبير خابيرو وتعبير عابيرو وبطأ فيه شيء من المنطق والصواب[1] بحيث يسوغ القول ان ابراهيم وذريته بني اسرائيل هم من الخابيرو او العابيرو وان هذا هو سبب تسميتهم بالعبرانيين ، وان قبائل الخابيرو او العابيرو قد طرأوا على فلسطين في القرن العشرين فتسلل منهم من تسلل الى مصر وبقي منهم من بقي في فلسطين ، وخرج جماعة من انسال المتسللين منهم من مصر مع من خرج بعد انهيار حكم الهكسوس فكان العائثون في الامن في عهد اخناطون منهم . وبقي منهم جماعات في مصر في جملة من بقي بعد ذلك الانهيار مما سموا بالهكسوس على ما هو متفق عليه من قبل الباحثين استناداً الى الآثار واوردنا خبره في الجزء الثاني[2] وان بني اسرائيل الذين خرجوا من مصر بقيادة موسى كانوا هم الباقين في مصر او منهم .

ويرد على هذا (١) انه غير متسق مع سيرة ابراهيم واسحق ويعقوب واولاده الواردة في سفر التكوين . وهذا ليس مهماً لان هذه السيرة بحرفيتها تتحمل كثيراً من التوقف .

(٢) انه لم يرد ذكر لقبائل الخابيرو والمفروض انهم كانوا في فلسطين او شرق الاردن حينما خرج بنو اسرائيل من مصر بقيادة موسى وطرأوا على شرق الاردن ثم حينما طرأوا على فلسطين بقيادة يوشع لا في اسفار العهد القديم ولا في الآثار ولا في مصادر قديمة اخرى . والوقت الذي مر بين هذا الطروء وتاريخ رسالة تل العمارنة لا يزيد عن مئة وخمسين سنة وهذه المدة قد لا تكفي لتواريهم عن المسرح اسماً او وجوداً في حين ظلوا قبلها اكثر من ذلك ولم يتواروا . وهذا مهم كما يبدو . ولعله هو الذي جعل بعض الباحثين ينكر هجرة يعقوب وذريته الى مصر وخروجهم منها ويذهب الى ان بني اسرائيل او العبرانيين موجة سامية (عربية الجنس) طرأت على شرق الاردن وفلسطين مثل

---

(١) انظر مصر القديمة ج ٤ ص ١٩٥ وتاريخ مصر من اقدم العصور لبريستيد تعريب حسن كمال ١٥٤ — ١٦٣

(٢) تاريخ الجنس العربي ج ٢ ص ١٢٦ — ١٢٨ وفي هذه الصحف اقوال ومصادر اقوال المؤرخين في توكيد بقاء جماعات كثيرة من الهكسوس في مصر بعد انهيار حكم الهكسوس.

غيرها وتصاولت مع سكانها ثم تغلبت على بعض انحائها واستقرت فيها وهم الخابيرو او العابيرو الثابت وجودهم في فلسطين في القرن الرابع عشر يقيناً بناء على رسالة تل العمارنة والممتد وجودهم الى ما قبل ذلك بأمد ما على ما هو المتبادر .

غير ان وجود العابيرو في مصر ثابت بورقتي البردي اللتين اوردنا نصهما قبل . وخروج بني اسرائيل من مصر وطروئها على شرق الاردن وفلسطين اللذين يذكرهما اسفار العهد القديم لا يعقل عندنا ان يكون اختراعاً لانهما ليسا موغلين في القدم ، وهما متصلان بواقع واحداث وذكريات لم تكد تنقطع من القرن الثاني عشر قبل الميلاد الى القرن الثاني بعد الميلاد .

ومما خطر لبالنا مـــن تعليل لذلك ان فروع الخابيرو الذين بقوا في فلسطين وشرق الاردن وذكرت رسالة تل العمارنة خبر عيثهم في القرن الرابع عشر قـــد استقروا في المدن او الريف وصاروا يعرفون باسماء الاماكن التي استقروا فيهـــا : ولقد ذكر في الاسفار ان المؤابيين والعمونيين هم من انسال لوط ابن اخي ابراهيم وان الآدوميين هم من انسال عيسو بن اسحق بن ابراهيم وانهم حلوا بين سكان البلاد التي نزلوا فيها عـــلى ما سوف يرد تفصيله بعد ، اي انهم من العبرانيين فلا يبعد ان يكونوا هم اولئك وان تكون اسماء مؤاب وعمون وآدوم هي اسماء الاماكن التي حلوا فيها فصارت لهم اسماء بدلا من اسم الخابيرو أو العابيرو ، وان يكون بنو اسرائيل قد عرفوا روابط القربى بينهم فجعلوا هذه الروابط في الاسفار تتصل بابراهيم ولوط اللذين جعلتهما هذه الاسفار آباء العبرانيين جميعهم .

ومما خطر لبالنا أيضاً ان خابيرو او عابيرو هي صفة او اسم خاص لجماعات من القبائل الآرامية أو الآمورية او الكنعانية التي كانت في بلاد الشام وشرق الاردن وفلسطين في ظروف حركة الهكسوس وبعدها وظلوا فيها بعـــد طروء بني اسرائيل واحتفظوا باسماء اروماتهم العامة دون صفة أو اسم الخابيرو أو العابيرو في حين احتفظ بنو اسرائيل في مصر بهذا الاسم فسموا به في الآثار المصرية ثم في أسفار العهد القديم وظل مرادفاً لاسمهم وبنوع خاص صفة للغتهم [1]

---

(١) يلحظ ان ما اوردناه هنا عن اصل العبرانيين يختلف بعض الشيء عما اوردناه عن ذلك في كتابنا تاريخ بني اسرائيل من اسفارهم والذي اوردناه هنا هو ما تبين لنا اخيراً انه الاصوب ولا سيما بعد ان عرفنا ما جاء في رسائل تل العمارنة عن الخابيرو .

أما اسم بني اسرائيل فقد سميت به ذرية يعقوب خاصة لان اسرائيل هو اسم ثان ليعقوب . وقد ذكر سفر التكوين الاصحاح (٣٢) أن ملك الله هو الذي سمى يعقوب بهذا الاسم فصار بنوه يتسمون به . ولقد نقشت قصيدة على جدران الكارناك سجلت فيها انتصارات مرنتباخ أحد ملوك الاسرة التاسعة عشرة الذي كان حكمه حوالي ١٢٢٥ – ١٢١٥ ق م (حكم الاسرة (١٣٤٠ — ١٢٠٥) فيها ذكر اسرائيل في جملة الشعوب التي نكل بها الملك [١] . ولما كان خروج بني اسرائيل من مصر بقيادة موسى قد وقع بعد هذا الملك على ما يرجح وبالتالي قبل تدوين سفر التكوين أول أسفار العهد القديم على كل حال فتكون تسمية اسرائيل حقيقة تاريخية تعود إلى ما قبل الثاني عشر قبل الميلاد .

ولقد ذكر بعض المؤرخين [٢] ان قبيلة من بني اسرائيل هربت من مصر الى فلسطين قبل حكم مرنتباخ المذكور آنفاً فراراً من العذاب والاضطهاد الذي وقع عليها في عهد ابيه رعمسيس الثاني الذي كان حكمه ١٢٩٢ – ١٢٢٥ ق م حيث يكون في هذا توفيق بين وجود جماعة من بني اسرائيل في فلسطين قبل خروج بني اسرائيل الجماعي بقيادة موسى إذا صح أن التنكيل الذي وقع من قبل مرنتباخ الاول على بني اسرائيل كان في فلسطين .

وننبه على ان الاسفار لم تذكر شيئاً عن ذلك ومن المحتمل ان تكون هذه القبيلة قد هلكت او هلك معظمها واندمج من بقي منها في سكان فلسطين وذهبت بدداً . وعبارة القصيدة المار ذكرها تساعد على هذا التعليل حيث جاء فيها « ان اسرائيل خربت ولم يبق لها بذر . »

ونريد ان ننبه على نقطة اخرى وهي ان كل ما تقدم من ترجيح كون العبرانيين وبني اسرائيل من قبائل الخابيرو او العابيرو لا ينفي احتمال وجود ابراهيم كشيخ عشيرة من هذه القبائل وان يكون سكن في فلسطين في القرن التاسع عشر وان تكون ذرية منه قد سكنت في شرق الاردن واخرى قد نزحت الى مصر وان الذين خرجوا بقيادة موسى هم او منهم وان فيما ورد في سفر التكوين من سيرة ابراهيم واولاده واحفاده حقيقة ما شيبت بخيال واغلاط بسبب تداول الروايات والذكريات سماعاً .

---

(١) مصر القديمة ج٧ ص ١١١

(٢) انظر مثلا تاريخ مصر القديمة من اقدم العصور لبريستيد ترجمة حسن كمال ص ٢٦٧ وما بعدها .

هذا ولقد كتبنا سيرة العبرانيين وبني اسرائيل بشيء من التفصيل في كتاب سميناه تاريخ بني اسرائيل من اسفارهم اقتباساً من اسفار العهد القديم في الدرجة الاولى كما اوردنا نتفا كثيرة منها في الفصل السابق . لذلك سوف نلتزم الايجاز هنا محيلين على ذلك الكتاب من اراد الاطلاع على تفصيل اوفى .

غير اننا نرى ان ننبه بين يدي سيرتهم على امر مهم وهو التسجيلات الكثيرة المتكررة في مختلف اسفار العهد القديم بان الله عز وجل إلههم وحسب وانه جعل الشعوب لهم عبيداً وجعلهم أصحاب الحق الأبدي المطلق في أرض كنعان التي كانت حدودها تسجل تسجيلاً متبايناً فتكون حيناً غرب الاردن او قسماً منه وحيناً تمتد الى شرقه وغربه وحيناً تمتد من النيل الى الفرات ، وانه أباح لهم بل شرع لهم وأمرهم تعالى وتقدس أن يبيدوا جميع سكانها من نساء وأطفال وشيوخ ورجال وحذرهم من قطع أي عهد لاي منهم او ابقائهم بين ظهرانيهم بدون حاجة الى انذار وإعذار وانه أباح لهم استعباد سكان المدن البعيدة جداً إذا ما استسلموا لهم وابادتهم إذا رفضوا الاستسلام مع استيلائهم على جميع أموالهم ، وانه يغفر لهم ما يقترفونه من آثام ويرتكبون فيه من انحرافات وانه إذا غضب عليهم وعرضهم للاذى بسبب انحرافاتهم فان ذلك يكون على سبيل التأديب ثم لا يلبث ان يعود الى نصرهم وتأييدهم مما فيه غلو عجيب انحرفوا به وشذوا عن الارومات العربية حتى صاروا وصمة عار في جبين الجنس العربي ومما هو من دلائل ومظاهر الشوائب التي ألمت بالاسفار ، ومما كان منشأه على الاغلب ما قاسوه في مصر من ذل واضطهاد وما قوبلوا به من اهل البلاد حينما خرجوا من مصر واتجهوا نحو شرق الاردن من تجهم ومقاومة على ما سوف نذكره بعده فكوّن فيهم عقدة وظل مكبوتاً إلى أن وجد امكان الانفجار ورد الفعل في شرق الاردن وغربه ، فكان من أثره هذه التسجيلات وكان بدوره سبباً لما عاملهم به اهل البلاد والغزاة من قسوة وتنكيل وتشريد .

ولقد ظلت هذه العقدة قائمة في نفوسهم وناظمة لسيرتهم بعد تشردهم من فلسطين وتشتتهم تحت كل كوكب خلال الفي عام وسرت الى من اعتنق دينهم من غير جنسهم ايضاً لان دعائمها مسجلة في الأسفار التي يقدسها اليهود من اسرائيليين وغير اسرائيليين فبقوا غرباء تجاه الأمم التي عاشوا بينها ، وتعاملوا مع هذه الامم في نطاقها ، وتعرضوا لاضطهاد هذه الامم وكراهيتهم بسببها ؛ وظل اثر الاضطهاد والكراهية مكبوتاً في

صدورهم جيلاً بعد جيل حتى وجد من جديد مجال رد الفعل والانفجار في فلسطين فكان منهم ما كان من وحشية القمع والفتك والتدمــير والتخريب واستحلال كل شيء . . .

واقد قلنا قبل ان اسفار العهد القديم تتسم بالسمة الدينية . وهذه السمة تسم الأسفار التاريخية وغير التاريخية معاً . وتبدو هذه السمة في الاسفار التاريخية في ما تربطه بــين سيرة بني اسرائيل السياسية والاجتماعية وبين سلوكهم الديني بحيث تفسر دائماً ما كان يصيبهم من بلاء وأذى وعدوان وهوان بأنه عقوبة ربانية لهم على ما كانوا يرتكسون فيه من مخالفات لوصايا الله واوامره ومن انحرافات خلقية ودينية ، وما كانوا يصيبونه من نصر على اعدائهم ويغنمونه منهم من غنائم ويتيسر لهم من رفاه حياة بانه مكافأة لهم على ما يكونون قد التزموه من جادة الاستقامة والصلاح الديني والخلقي واتباع وصايا الرب واوامره ؛ ثم فيما تقرره من ان ما قاموا به من غزوات وتحركوه مــن حركات وفعلوه من افعال في سبيل امتلاك ارض كنعان وغيرها وما اصابوه من نصر ونجاح فيها كان بأمر الله وتأييده ومعجزاته ؛ وانهم كانوا يفرقون ويرتعدون مــن أي زحف يأتي اليهم بقطع النظر عما تذكره الاسفار من كثرة مقاتليهم فلا يقدمون على لقائه الا بعــد وعد من الله بالنصر والتأييد . .

(١) سيرة ابراهيم واولاده واحفاده الاولين

هذه السيرة واردة في سفر التكوين . ومن اهم ما فيها امر اتصال ابراهيم واولاده وبعض احفاده الاولين بالله وتجليه لهم ودعاؤهم باسمه مما ورد في اصحاحات عديــدة بأساليب مختلفة [١] بقطع النظر عما جاء في سياق ذلك من وعود واختصاصات نرجح انها من جملة ما كان متأثراً بتاريخ ووقائع بني اسرائيل بعد خروجهم من مصر .

وهذا امر على جانب عظيم من الخطورة بالنسبة للجنس العربي ، ولا سيما انه ظــل يتكرر وظلت رواياته ومأثوراته تتواتر جيلاً بعد جيل الى دور العروبة الصريحة الذي تمثل فيه هذا الأمر بمحمد بن عبد الله النبي العربي الهاشمي القرشي صلى الله عليــه وسلم . وقد حمل هذا الجنس به رسالة الدعوة الى الله وحده ونبذ كل عقيدة شركية او وثنية والدعوة الى مكارم الاخلاق والنهي عن الفواحش ما ظهر منهــا وما بطن . ولقــد

---

(١) انظر الاصحاحات ١٢ و١٥ و١٦ و١٧ و١٨ و٢٠ و٢١ و٢٦ و٣٢ و٣٥

ورد في سفر التكوين [1] عن ملكيصادق ملك شليم انه كان كاهناً للاله العلي وانـه بارك ابراهيم وهتف ممجداً اسم الله مالك السموات والارض مما ينطوي فيه ان هذاالأمر العظيم لم يبدأ في الجنس العربي بابراهيم بل يعود الى زمن اقدم منه وهو زمن الكنعانيين مما يزيد في خطورته وجلاله .

ومما ورد في السفر اسماء اولاد واحفاد ابراهيم من زوجتيه السريتين هاجر وقطوره، وهم اسماعيل من الاولى وزمران ويقشان ومدان ومديان ويشبان وشوحا من الثانيـة وقد ذكرت اسماء بنايوت وقيدار وادبئيل وبسام ومشماع ودومة ومسا وحدار ويتما ويطور ونافيش وقدمه ابناء لاسماعيل وسبأ وددان ابناء ليقشان . وعيفة وعفر وحنوك وابي راع والدعة ابناء لمديان . وآشوريم ولطوشيم ولؤميم ابناء لددان [2] وفي الاصحاح الذي وردت فيه هذه الاسماء ان ابراهيم اعطى جميع ما له لاسحق ووهب لبني السراري هبات وصرفهم عن اسحق ابنه في حياته شرقاً الى ارض المشرق .

وبقطع النظر عما في العبارة من فكرة الاختصاص الافتعالي التي ظلت دائماً تبرز في كل سيرة بني اسرائيل فمن المحتمل ان يكون فيها حقيقة أي ان يكون ابراهيم قد حمـل ابناءه من هاجر وقطوره الى الرحيل والسكنى في شرق الاردن .

وبعض الاسماء كانت قبائل ومدناً وشعوباً في ظروف خروج بني اسرائيل من مصر الى شرق الاردن في القرن الثالث عشر قبل الميلاد . ومن هذه القبائل والمدن والشعوب ما كان في شرق الاردن نفسها مما تفيده العبارة ايضاً [3] حيث يحتمل ان يكون التدوين متأثراً بالواقع ومراداً به ربط الحاضر بالماضي بقطع النظر عن صحته وان كان لا يبعـد ان يكون فيه حقيقة ايضاً وان يكون ابناء ابراهيم من هاجر وقطوره قدغبوا وتكاثروا وغدوا قبائل تسمت بأسماءالآباء الأولين وبنوامدناً كذلك ببعض هذه الاسماء واختلطوا

---

(١) الاصحاح ١٤

(٢) الاصحاح ٢٥

(٣) وردت بعض هذه الاسماء كاسماء شعرب فيمنقوشات الأشوريين في اواسط القرن الثامن قبل الميلاد انظر الجزء الثالث من تاريخ الجنس العربي ص ١٠٦ والمفارقة في تسميةاشور كحفيدلابراهيم ظاهرة فان الاشوريين وجدوا فيالعراق قبل ابراهيم بامد طويل !

بأهل المنطقة وصاروا جزءاً منها . وإذا لم يصدق هـذا على الجميع فلا يبعد ان يصدق على البعض .

ومما ذكره السفر قصة ولادة ساره لاسحق وقطع ابراهيم له العهد دون ابنه البكر اسماعيل بأن يكون الابن المبارك الذي يكون لنسله الملك وارض كنعان والسيادة على نسل اخويه والشعوب الاخرى [1] مما يلمح فيه ذلك الاختصاص الافتعالي المتأثر بالوقائع الذي ظل بنوا اسرائيل يحرصون على تسجيله لانفسهم والذي انبثق فيهم على الاغلب من عقد متنوعة نشأت فيهم اثناء اقامتهم في مصر وبعد خروجهم منها وقويت حتى صارت الناظمة لسيرتهم وجعلتهم شاذين عن سائر ارومات الجنس العربي ...

ومن هذا القبيل ما ورد في سفر التكوين عن عيسو ويعقوب ولدي اسحق ، حيث ذكر الاصحاح (٢٥) ان عيسو عاد منها تعباً من الصحراء وكان يعقوب قد طبخ طبيخاً فطلب عيسو منه ان يطعمه فأبى الا مقابل تنازله عن حق بكوريته ففعل ؛ وحيث ذكر الاصحاح (٢٧) ان اسحق طلب من عيسو ان يصنع له طعاماً من صيدا ليباركه وكانت الام تحب يعقوب اكثر لأن عيسو تزوج من بنات كنعانيات وحيثيات فجعلت يعقوب يصنع الطعام وجعلته في زي عيسو فاحتالت بذلك على زوجها ليعطي بركته ليعقوب ونجحت في حيلتها وبارك اسحق يعقوب على توهمه انه عيسو ودعا له بأن يجعله مباركاً تخدمه الامم وتسجد له القبائل ويكون سيداً لاخوته ويسجد له بنو امه ويكون لاعنه ملعوناً ومباركه مباركاً ... ويعقوب هو الجد الثالث العمود من بني اسرائيل الذي سماه ما ذكره سفر التكوين اسرائيل ؛ حيث يلمح مـن تسجيل ذلك الاختصاص الافتعالي على المتأثر .

ولقد كان التسجيل لهذه الروايات والتي قد تكون صحيحة او لا تكون ، مثالها ذا أثر عجيب فيما نعتقد في بني اسرائيل الى درجة أن صار المكر والاحتيال والكذب والخداع وسيلتهم المفضلة في كل وقت حتى أصبح ذلك خلقاً راسخاً من اخلاقهم يتوارثه الأبناء عن الآباء دهراً بعد دهر ويتأثر به الذين اعتنقوا اليهودية من غير بني اسرائيل ، وان يكون من جملة مقويات عقدهم النفسية .

---

(١) الاصحاح ١٦ و ١٧ و ٢١

ولقد اثارت الحيلة عيسو على ما ذكره السفر [1] فخافت الام على يعقوب منه وهربته إلى بلد خاله في آرام النهرين حيث لبث بضع سنين تزوج فيها وصار له أولاد وماشية . وارتحل عيسو ناقماً ومعه زوجاته وأولاده إلى شرق الاردن حيث نزل في جبل سعير — وهذا جبل واقع في منطقة العقبة ومعان في جنوب شرق الاردن لجهة الغرب على ما ذكره السفر الذي ذكر كذلك انه كان لعيسو خمسة أولاد هم اليناز ورعوئيل ويعوش وبيلام وقورح فتزوجوا وتناسلوا وغدوا قبائل تتسمى باسمائهم . وكان لعيسو اسم آخر هو آدوم فسميت البلاد والذرية بهذا الاسم أيضاً . وهكذا يتكرر تسجيل نفي عيسو من ارض كنعان كما سجل نفي اسماعيل واخوته لتبقى هذه الأرض لاسحق ثم ليعقوب وذريته من بعده مما فيه أثر الاختصاص الافتعالي بقطع النظر عن صحته وعدمها . وعبارة السفر تفيد أن القبائل المسماة بتلك الأسماء كانت موجودة حينما جاء بنو اسرائيل الى شرق الاردن فاريد بتسجيل هذا الواقع ربط الحاضر بالماضي ولا مانع من أن يكون فيه حقيقة .

وقد ذكر سفر التكوين ما كان من صدام بين بني يعقوب واهل شكيم ورحيلهم عنها إلى جهات حبرون ثم حسد اخوة يوسف ليوسف واحتيالهم على أبيهم حتى أذن لهم بأخذه معهم والقائهم إياه في الجب وعثور قافلة اسماعيلية عليه وبيعه لرئيس شرطة فرعون فوطيفار وما كان من غرام زوجة هذابه وسجنه ثم تعيينه أميناً لخزائن فرعون وإحضاره أبويه واخوته ونزولهم أرض جاسان التي أمر فرعون بتخصيصها لهم والتي يخمن الباحثون انها في الدلتا الشرقية في اصحاحات متوالية [2] باسلوب لا يخلو من الخيال والحقيقة معاً ويخمن بعض الباحثين ان نزوح يعقوب واولاده كان في عهد الهكسوس او في ظروف حركتهم على ما شرحناه في الجزء الثاني من الكتاب شرحاً يغني عن التكرار .

(٢) سيرة بني اسرائيل في مصر وقصة خروجهم

منها الى حلولهم في شرق الأردن بقيادة موسى

هذه السيرة مشروحة باساليب متنوعة في أسفار الخروج والعدد والتثنية واللاويين . ولقد ورد في سفر الخروج في سياق طويل واصحاحات متوالية ما كان من نمو بني

---

(١) الاصحاح ٢٧ ايضاً

(٢) من الاصحاح ٣٣ الى الاصحاح ٥٠ آخر اصحاحات السفر .

اسرائيل وخشية فرعون من عواقب ذلك واضطهادهم وتسخيرهم في اعمال البناء والطين ثم ايعازه لقابلاتهم بقتل الاولاد الذكور وشفقة الرب عليهم وعزمه على انقاذهم واخراجهم إلى الأرض التي تدر لبناً وعسلاً ، وتجليه لموسى في جبل حوريب في سيناء وأمره بالقيام بهذه المهمة ومعجزات موسى واخذه ورده مع فرعون وانتهاء الأمر بخروج بني اسرائيل بقيادته الى برية شور ثم الى برية سيناء مما لا يخلو من خيال ومبالغة وحقيقة معاً [1]

ويخمن هؤلاء ان خروج بني اسرائيل من مصر كان على دفعتين حيث هربت قبيلة منهم قبل خروج موسى بمدة غير قصيرة على ما مر بيانه . ويخمن خروجهم بقيادة موسى في اواخر القرن الثالث عشر قبل الميلاد(حوالي ١٢٠٥ ق م) وهذا وقت كانت احوال مصر فيه مرتبكة بعض الشيء [2].

وننبه على ان الاسفار لم تذكر خبر فرار القبيلة وبالتالي لم تذكر شيئاً عنها في سياق احداث بني اسرائيل في شرق الاردن وفلسطين . وقصيدة مرنتباح التي ذكرت أسرائيل على ما ذكرناه قبل قالت ان بذرة اسرائيل قد خربت فاذا كانت الكلمة تعني أسرائيل في فلسطين فتكون هذه القبيلة ابيدت او هلك معظمها . وإذا كان بقي منها بقية فتكون قد اندمجت في قبيلة اخرى وضاعت معالمها حينما خرج بنو اسرائيل بقيادةموسى خروجهم الجماعي وحلوا في شرق الاردن ثم في فلسطين .

وفي اثناء وجود موسى وبني أسرائيل في برية سيناء تكررت ظاهرة تجلي الله لموسى حينما كان يصعد الى الجبل لمناجاة ربه وتلقي كلامه على ما فصلته الاصحاحات التاسع عشر وما بعده من سفر الخروج ثم اصحاحات سفر اللاويين او الاحبار وسفر العدد .

ولقد احتوت وصايا الله التي وصى بها موسى على ما ذكرته تلك الاسفار تشريعات متنوعة في الاطعمة والانكحةوالطقوس والعبادات وخيمة المعبد وثياب الكهانوالشؤون الاجتماعية والمدنية والاخلاقية مما يمكن ان يطلق على مجموعه اسم الشرائع الموسوية ، ومما كان ولا يزال ذا أثر قوي في تاريخ البشر وحياتهم الى اليوم ، ومما كان مظهراً

---

(١) الاصحاحات ١ - ١٥

(٢) مصر القديمة ج ٧ص ١ - ٢٠٣ والعقد الثمين ص ١١٧ - ١١٩ والكافي ج١ ص٩٠ - ٩٨ وتاريخ مصر من اقدم العصور بريستيد ص ٢٦٧ وبعدها .

جديداً آخر من مظاهر الحدث العظيم الذي كان من مميزات الجنس العربي فكان له بـه المأثرة الخالدة والرسالة الانسانية السامية بما كان في ذلك من توكيد فكرة وحـدة الله وربوبيته والدعوة اليه وحده وتحرير الانسان من الخضوع لأي قـوة خفية وظاهرة اخرى وانشاء مجتمع انساني حر تسود فيه الاخلاق الفاضلة، ومن تحظير لعبادة الاوثان والشرك بالله والقتـل والزنا والزور والكذب والسرقة والحسد واشتهاء نساء الناس واموالهم واضطهاد الفقراء والغرباء والارقـاء والرشوة والربا والنفـاق والبغي والمحاباة ومن الحث على تكريم الآباء وعمل الخير والبر بالاقارب والاباعد والغرباء وتحرير الأرقاء ومساعدة المحتاجين بصيغ متنوعة وتوكيد مكرر بقطع النظر عما كان مـن انحراف بني اسرائيل عن وصايا الله وتشريعاته الاخلاقية والتوحيدية وعما كان من ضيق افقهم الذي صور لهم أن الله هو الههم وحدهم وان الدين الذي جاء به موسى هو دينهم الخاص وانهم شعب الله المختار الذي يكون سائر الشعوب عبيداً له مما يحتمل ان يكون نتيجة للكبت والاضطهاد المديد الذي قاسوه في مصر فأوجد فيهم عقـدة عقّدت حياتهم وشوّهت أخلاقهم وجعلتهم يرتكسون في الانحـرافات الدينية والاخلاقيـة ارتكاساً شديداً ويشذون عن الجنس العربي شذوذاً كبيراً على ما ألمعنا اليه في مطلع الكلام .

وان كان من شيء يقال في صدد هذه الشرائع فهو في صدد التفصيلات الجزئية العجيبة للطقوس والاشكال الكهنوتية والتعبدية التي لايبعد أن تكون متأثرة بواقع بني اسرائيل بعد خروجهم .

ومما ذكره الاصحاح الاول من سفر العدد أن موسى أحصى بني اسرائيل عند خروجهم فبلغ عدد الذكور الذين في سن العشرين فما فوق (٦٠٣٥٠٠) يضاف اليهم (٢٢٠٠٠) ذكور سبط لاوي الذين لم يدخلوا في العدد حيث يعني هذا ان عدد الخارجين مع النساء والاطفال يبلغ نحو مليون ونصف مما فيه مبالغة كبيرة كما هو المتبادر .

ولقد سجلت اصحاحات سفر الخروج (١٥ – ٣١) مراحل خروجهم وسيرهم الى أن وصلوا إلى برية سينا حيث اقاموا ردحاً من الزمن فيها . وقد لقوا مصاعب ومشاق وحرماناً في رحلتهم فكانوا يتبرمون ويندمون ويثورون على موسى وهرون مرة بعد مرة في اثناء ذلك .

ولقد احتوى هذا السفر (الاصحاح ٣٤ وما بعده) وعوداً من الرب لموسى باعطاء

قومه ارض الكنعانيين والآموريين والحيثيين والفرزيين والحويين واليبوسيين وبطرد هذه الامم أمامهم ، وتحذير من قطع أي عهد لهم أو معاشرتهم أو مصاهرتهم ، وتوكيد بأن الرب قد اتخذ بني اسرائيل له شعباً وسيكون لهم الهاً ؛ بما هو متأثر بالوقائع التي جرت بعد وبما يمثل في الوقت نفسه الاختصاص الافتعالي والعقد النفسية التي نبهنا عليها والتي جعلتهم يعتبرون أنفسهم متميزين على غيرهم مختصين بالرب ورعايته دون سائر البشر لهم الحق المطلق فيما في أيدي الغير بل وفي دمائهم ، ثم التي جعلتهم مستعدين لتفجير حقدهم في من يقدرون عليه .

ولقد تكررت التسجيلات المماثلة في أسفار العهد القديم بما يدل على ان هذه الروح ظلت الناظم لسيرتهم مع غيرهم . وقد صارت كذلك في سيرة أنسالهم وفي سيرة من اعتنق اليهودية من غيرهم بسبب تكرار قراءتها في كتب يقدسونها ..

ويحكي الاصحاح (١٧) من سفر الخروج خبر مجيء العمالقة لمحاربتهم بما فيه اولى بوادر العداء نحوهم من سكان البلاد ومن المحتمل ان يكون قد بدا منهم حركات عدوانية جعلت هؤلاء يبادرون الى مقابلتهم وصدهم .

ولقد تكرر هذا من مختلف أرومات البلاد في مختلف الظروف وبدون أي شذوذ مما لا يمكن تعليله إلا بأنه بدا منهم روح حاقدة عدوانية ونفس شرهة طامعة في ما في أيدي الغير جعل أهل البلاد يناصبونهم العداء منذ بدء طروئهم عليهم . ولقد أظهرت الوقائع التي سجلوها في أسفارهم كل هذه الصفات بما كان لهم من سيرة غادرة معتدية شرهة قاسية أثرة حتى ان الذين سالموهم لم يسلموا منهم .

وفي برية سينا تكررت مخالفاتهم للوصايا التي بلغها موسى عن الله من توحيد ونهي عن الجرائم والمنكرات على ما ذكرته اصحاحات سفر الخروج . وكان من اهم ذلك صنع عجل من ذهب وتقديم القرابين له وقد ظل هذا ديدنهم في جميع تاريخهم أيضاً وسبباً لتكرار الانذارات الرهيبة لهم عن لسان الرب دون ما جدوى [١] .

ولقد احتوى سفر اللاويين ـ الأحبار ـ وصايا وتشريعات طقسية ومدنية وخلقية بلسان الرب واحتوى إلى هذا ترغيباً وترهيباً شديدين لبني اسرائيل في حالة اتباعهم الوصايا ومخالفتها في سياق طويل يلمح فيه ما نبهنا عليه من مزاعم الاختصاص بالرب

---

(١) انظر الاصحاح الرابع من سفر عزرا

وكونهم شعبه ويشفق عليهم وينقذهم مهما أثموا وانحرفوا وطغوا وبغوا كما يلمح فيـــه أثر الوقائع المتأخرة أيضاً .

ومن الجدير بالذكر انه ليس في هذا السفر ولا في غيره ما يدل عـــلى أن موسى أو بني اسرائيل مأمورون بدعوة غيرهم الى ديانتهم وان كل ما فيها مصنوب على كون الديانة ديانتهم الخاصة وكون الرب هو ربهم حتى بلغ منهم هذا إلى درجة انهم رفضوا اشتراك السامريين الذين اعتنقوا اليهودية في تجديد معبد اورشليم حينما أعادهم كورش من منفاهم إلى فلسطين بهذا التجديد .

ومع هذا فانه يبدو خلال النصوص انه كان بينهم غرباء معتنقون للديانة اليهودية . والارجح ان هذا ليس نتيجة دعوة ولا تبشير وانما هو تساهل مع غرباء كانوا يعيشون بينهم وكانت أحكام الديانة ورسومهـــا تشملهم [1] .

وهكذا يصح أن يقال إن الديانه اليهودية ليست تبشيرية مع أن ما انطوى فيها من تعاليم ومبادىء يجعلها جديرة بأن تكون ديانة ورسالة انسانية عامة وخالدة . والمتبادر أن هذا قد أتى من عقدة بني اسرائيـــل النفسية التي جعلتهم انانيين يعتبرون انفسهم متميزين عن البشر ويضطغنون الحقد لغيرهم ويجنحون إلى الانفراد في حياتهم وإذا كانت طوائف كبيرة من امم اخرى اعتنقت الديانة اليهودية مما هو ثابت أيضاً كسكان بلاد السامرة الذين ارسلهم الملوك الآشوريين وأقاموهم مكان المسبيين من بني اسرائيل على أثر نسف دولة اسرائيل (٧٢٧ ق م) وفي ظروف سبيهم في بابل [2] ثم بعد عودتهم ثم بعد جلائهم عن فلسطين [3] فالمتبادر أن ذلك كان بسبب مـــا صاروا اليه من حالة وهـــن وتشتت ولعله كان بقصد تقوية أنفسهم بغيرهم على أن هذا ظل في نطاق ضيق محدود ايضاً حينما يقاس عددهم بعدد أهل الديانات الانسانية العامة التي تتسق اصولها وجوهرهـــا مع ديانتهم .

---

(١) انظر الاصحاح ١٩ و٢٠ من سفر اللاويين او الاحبار .

(٢) انظر الاصحاح ٢و٤ من سفر عزرا .

(٣) انظر تاريخ بني اسرائيل من اسفارهم للمؤلف ص ٣٢٩ – ٣٣٠ .

ولقد احتوى سفر العدد قصة مراحل بني اسرائيل من برية سيناء إلى شرق الاردن وما كان من تذمرهم ولجاجهم بل وتمردهم ومؤامراتهم على موسى وتفكيرهم بالعودة الى مصر خوفاً من مواجهة أهل البلاد وما كان مـن غضب الله وغضب موسى عليهم المرة بعد المرة . وممـا حكاه قصة الرسل الذين أرسلهم موسى للتجسس على أرض كنعان وعودتهم ممتلئين خوفاً ورعباً مما كان عليه أهلها من كثافة وضخامة وقوة جعلتهم يرون أنفسهم كالجراد مع تنويههم بما كانت عليه البلاد من خصوبة وعمران ؛ فأعلن جمهور بني اسرائيل رفضهم فأثاروا غضب الله ونبيه عليهم وكتب عليهم المكوث في البرية أربعين سنة حتى يموت الجيل الجبان . ولما انتهى الاجل أخذوا يتقدمون نحو شرق الاردن مع استمرارهم على التذمر واللجاج والخوف . وطلب موسى مـن ملك آدوم السماح لهم بالمرور فأبى فتحاشوا ارضه وساروا في طريق طويلة لقوا فيها كثيراً مـن المشاق والأذى وتجمع عليهم الكنعانيون والعمالقة ليقاتلوهم . غير أنهم تغلبوا عليهم ؛ وجاؤا إلى أرض الآموريين فطلب موسى من ملكها سيحون الاذن بالمرور فأبى وخرج اليهم فتغلبوا عليه واستولوا على بلاده وقتلوا أهلها وغنموا اموالها ثم فعلوا ذلك في ملك بيسان عوج واهل مملكته ثم نزلوا في صحراء مؤاب واقاموا حول شليم . ولم يلبثوا أن أخذوا يفجرون مع بنات مؤاب ومدين ويتعلقون بآلهتهم وسير موسى من هنا جيشاً إلى مدين فضربها ودمرها بحجة ان بنتا منها اغوت بعض شباب بني اسرائيل .

وتصادف حركات موسى في شرق الاردن لظروف ارتباك حالة الاسرة العشرين المصرية (١٢٠٠ – ١٠٩٠)التي كانت صاحبة السيادة على فلسطين وشرق الاردن رسمياً .

وهذا مايعلل عدم حدوث رد فعل لهذه الحركات التي كانت حروباً شديدة إذا صحت روايات الاسفار .

(٣) سيرة بني اسرائيل في فلسطين بقيادة يوشع

ومات موسى بعد قليل من حادث ضرب مدين وتدميرها فتولى فتاه يوشع قيـادة بني اسرائيل في الزحف على ارض كنعان . ولقد احتوى سفر التثنية فيما احتواه الخطة التي رسمت لبني اسرائيل ليسيروا عليها حينما يتجهون الى ارض كنعان او بالاحرى الخطة التي طبقوها ثم سجلوا انها خطة الهية تعالى الله عز وجل عـن ذلك .

وتقوم هذه الخطة المذكورة في السفر المذكور (الاصحاح السابع) بالنسبة لاهل

ومدن أرض كنعان على أساس « عدم قطع أي عهد لهم وعدم الرأفة بهم وعدم مخالطتهم وعدم مصاهرتهم وضربهم ضرب ابادة والاستيلاء على اموالهم المنقولة وغير المنقولة والصامتة والصائتة » وبالنسبة لأهل المدن البعيدة جداً على أساس « دعوتهم إلى المسالمة فان أجابوا وفتحوا لهم فيكونون لهم عبيداً وان رفضوا ثم تغلبوا عليهم فيقتلون جميع ذكورهم ويسترقون نساءهم وأطفالهم وتكون أموالهم ودوابهم غنيمة لهم » . ولم يسجل التاريخ خطة رهيبة مثل هذه الخطة في الظلم والقسوة والشمول والعدوان المبادر دون استفزاز ولا سبق عداء ولا اعذار ولا إنذار ! وقد يكون هذا التسجيل متأثراً بالواقع وما جرى بعد دخول بني اسرائيل أرض كنعان من تطبيق هذه الخطة الرهيبة ؛ غير أن ذلك يدل على ما كان يعتمل في نفوسهم من حقد وشره وانانية مما صار طابعاً مميزا لهم في صلاتهم بغيرهم في مختلف الأزمنة والأمكنة

وفي سفر يشوع تفصيل ما جرى بين أهل أرض كنعان ومدنها وبين بني اسرائيل حينما اتجهوا نحوها وأخذوا يتصرفون في نطاق هذه الخطة مما أوردنا كثيراً منه في الفصل السابق ، وبعد أن استولوا على ما استطاعوا أن يستولوا عليه من مدن وقرى وغنائم وأموال نصبوا خباء المعبد في مكان اسمه شيلو بين نابلس والقدس على اثني عشر ميلا من نابلس فأصبح هذا المكان عاصمة دينية ومدنية لهم في دور وجودهم الأول في أرض كنعان .

ويفيد الاصحاح الثالث عشر من السفر ان انحاء كثيرة من ارض كنعان في الجنوب والشمال والوسط لم تدخل في يد بني اسرائيل في هذا الدور كما يفيد الاصحاح الأول من سفر القضاة أن جماعات كبيرة من الكنعانيين والآموريين ممن استولى بنو اسرائيل على مدنهم وقوضوا ممالكهم في انحاء فلسطين المختلفة ظلوا في بلادهم وعاش بنو اسرائيل بينهم هذا بالاضافة الى ممالك الفلسطينيين في الجنوب التي ظلت بمنأى عن نشاطهم ومطامحهم بالمرة في هذا الدور . ويفيد هذا السفر وغيره أن بني اسرائيل لم يكادوا ينشئون جديداً من المدن وانهم عاشوا في مدن أهل البلاد وان كان من المحتمل انهم غيروا بعض اسمائها بلهجتهم .

وحركات يوشع كانت كذلك في العهود الاخيرة من حكم الاسرة العشرين التي ازدادت احوالها ارتباكاً فيها فلم يكن لها رد فعل أيضاً برغم ان السيادة الاسمية كانت لها على فلسطين .

(٤) عهد القضاة

ولقد عاش بنو اسرائيل ردحاً من الزمن في ظل ما عرف بعهد القضاة الذي كان يتولى قيادتهم وتدبير شؤونهم فيه مشايخ عرفوا باسم القضاة . ومدة هـذا العهد حسب روايات سفر القضاة الذي يقص سيرة هذا العهد أكثر من ٤٠٠ سنة ،

وهذا من مبالغات الأسفار . فقد خرج بنو اسرائيل من مصر بعد مدة ما مـن وفاة رعمسيس الثاني التي كانت سنة ١٢٢٥ ومات سليمان حوالي سنة٩٣٥ق م ومدة حكمه وحكم داود وطالوت ثم موسى ويوشع لا تقل عن ١٨٠ سنة فتكون مدة العهد مئة سنة أو أقل حسب هذا الحساب المعروف طرفاه معرفة يقينية تقريباً . ومـن الطريف أن المطران الدبس يعمل حساباً وينتهي منه إلى أن مدة العهد ٣٣١ سنة ![١] .

ولقد كان بنو اسرائيل في هذا العهد في حالة فوضى وتفكك ثم في حـالة انحراف خلقي وديني شديد على ما تفيده اصحاحات هذا السفر [٢] حتى ليفيد الوصف ان الانحراف وخاصة عبادة آلهة أهل البلاد الذين كانوا يعيشون بينهم أو في جوارهم كالبعل وعشتاروت وآلهة مؤاب وعمون لكموش وملكوم كان شاملاً عاماً حيث يدل هذا عـلى انهم كانوا فاقدي الشخصية الخلقية والدينية برغم ما تبجحوا فيه وسجلوه في أسفارهم وان اهـل البلاد كانوا اقوى منهم حضارة وحيوية وثقافة واستقراراً فما لبثوا أن تأثروا بهم .

ولقد تعرضوا في هذه الحقبة لغزوات وضربات واستعباد وذل من ارض كنعان ومن خارجها والاصحاحات تسجل ذلك كعقوبة لهم من الرب على انحرافاتهم مما يمكن أن يكون فيه دليل على أنها كتبت متأخرة متأثرة بالوقائع .

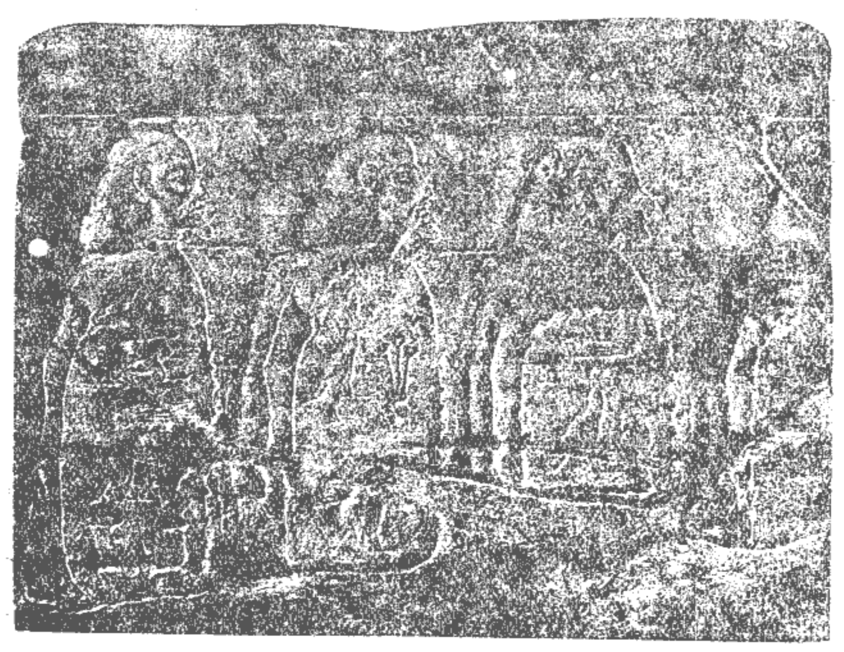
وأول من غزاهم واستعبدهم شعنائم ملك الآراميين في النهرين فكان اخلاصهم على يد عتنئيل اخي كالب الذي كان أول قضاتهم . ثم غزاهم حجاون ملك مؤاب ومعه جموع العمونيين والعماليق فكان خلاصهم على يد اهودا بن جيرا الذي صار قاضيهم . ثم غزاهم الفلسطينيون فكان خلاصهم على يد شمجرين عنات أحد قضاتهم . ثم تسلط عليهم يابين

---

(١) مقال في العبرانيين ص ٢٢٠

(٢) اقرأ خاصة الاصحاح الثاني . وفي جميع اصحاحات هذا السفر تتكرر عبارة بنو اسرائيل الشر في عيني الرب ....

ملك حاصور الكنعاني الذي ظلت مملكته قائمة في الجليل وكان خلاصهم على يد باراق . ثم أخذ المدينيون والعمالقة وبنو المشرق يزعجونهم بغاراتهم الشديدة ويثخنون فيهم قتلاً وتدميراً ونهباً . وكان خلاصهم على يد القاضي جدعون . وقد حاول ابن لهذا أن يقوم بانقلاب ويسمي نفسه ملكاً وقتل سبعين من اخوته لاجل ذلك ولكنه اغتيل فذهبت حركته بدداً . ثم غزاهم بنو عمون وكان خلاصهم على يد يفتاح الجلعادي الذي صار



اشخاص من بني اسرائيل من القرن العاشر قبل الميلاد

قاضيهم . ثم غزاهم الفلسطينيون مرة اخرى فكان خلاصهم على يد شمشون .

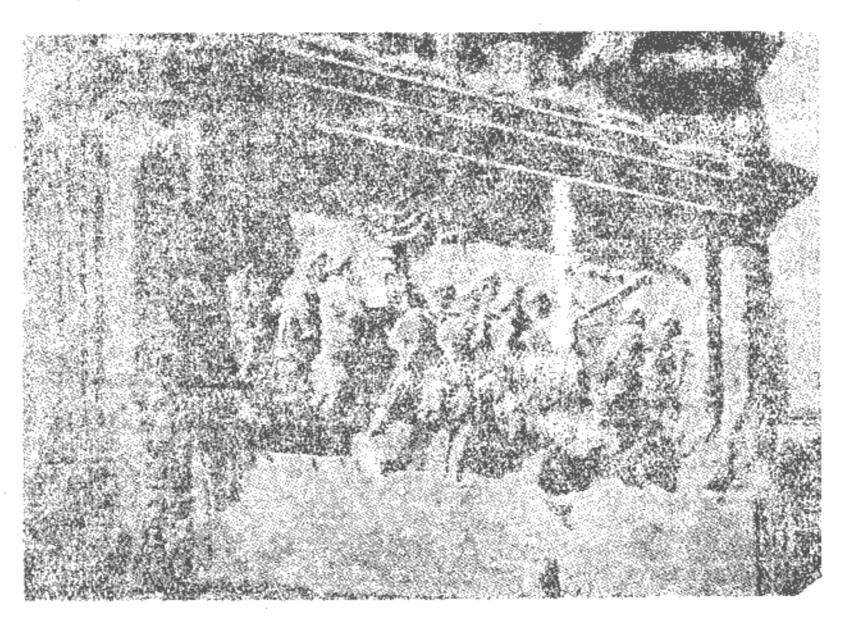
وفي سفر صموئيل الاول [1] بقية قصة سيرة القضاة بحيث ذكر فيه استمرار بني اسرائيل على انحرافهم الخلقي والديني وغزو الفلسطينيين لهم للمرة الثالثة في هذا الدور وضربهم اياهم ضربة شديدة واخذ تابوتهم — أي الصندوق الذي فيه آثار والواح موسى

---

(١) انظر الاصحاحات ١ — ١٠

مما أفزعهم أشد الفزع وجعلهم يعلنون رغبتهم في التوبة ويطلبون من نبيهم صموئيل انتخاب ملك يقاتلون تحت لوائه ، وقد اختار لهم شاوول فكان ذلك أول عهدهم الملكي .

ولقد ظلت احوال مصر مرتبكة في عهد الاسرة العشرين ثم في عهد الاسرة الحادية والعشرين ١٠٩٠ ـ ٩٤٥ ، وهذا ما يعلل به ما كان من حركات حربية واعتداءات متنوعة بين بني اسرائيل في عهد القضاة وغيرهم من داخل فلسطين وخارجها دون أي رد فعل في مصر .



مشهد قديم من مشاهد بني اسرائيل في معبد اورشليم
مرسوم على اثر قديم في روما

(٥) الدور الملكي الاول

ان العهد الملكي لبني اسرائيل كان دورين متميزين ففي الاول تولى الملك شاوول ثم ابنه اشبوشت ، ثم داود ، ثم ابنه سليمان . وتخلل ذلك حادثان : الأول ان داود نادى بنفسه ملكاً في حبرون حينما مات شاوول وآل الحكم في اورشليم الى ابنه اشبوشت ، والثاني ان ابناً لداود اسمه ابشالوم تمرد على ابيه ونادى بنفسه ملكاً في حبرون ثم استطاع ان

يستولي على اورشليم ردحاً من الزمن وقد قتل ابشالوم فعاد داود الى عرشه الشامل .

٤ ــ وخلاصة سيرة عهد شاوول الذي يخمن انه كان في اواخر القرن الحادي عشر قبل الميلاد ١٠٥٠ ــ ١٠٢٠[١] انه تصاول مع الفلسطينيين حتى تمكن من تحرير اسرائيل من ربقتهم ؛ ثم تصاول مــع العمونيين فحمى بني اسرائيل الذين هم في جلعاد شرق الاردن من سيطرتهم ، وقد حكت هذه القصص عدة اصحاحات مــن سفر صموئيل الاول في سياق فيه وليس في الاسفار اشارة واضحة الى المكــان الذي اتخذه شاوول عاصمة له . غير ان الاصحاح (١١) من صموئيل الاول ذكر أن صموئيل دعــا الناس الى الصعود الى الجلجال حيث جدد فيهــا البيعة له .

وقد ذكر الاصحاح (١٣) من السفر خبر اجتماع الشعب وارء شاوول في الجلجال حينما زحف الفلسطينيون لمحاربة بني اسرائيل ؛ حيث قد يفيد هذا وذاك ان الجلجال كانت مركز شاوول او عاصمته وقد ذكر الدبس[٢] ان الجلجال هذه هي مايسمى الجلجول اليوم حذاء اريحا .

ومما فعله شاوول زحفه على مدينه جبعون وضربه اهلها ضربة ساحقة لانهم ارسلوا الى بني اسرائيل وفداً حينما دخلوا فلسطين واستولوا على اريحا والعي وابادوا اهلها طلبوا منهم الأمان وقالوا لهم اننا مــن بلد بعيد ثم ظهروا انهم من كنعان وانهم اخــذوا الأمان بطريق الاحتيال[٣] .

ومما حكته اصحاحات سفر صموئيل الاول قصة تخوف شاوول من داود ومطاردته له لقتله ولجوء داود الى الفلسطينيين وقضائــه عندهم ردحاً طويــلاً الى ان مــات شاوول ؛ وفي القصة العجيب الغريب من الاساليب التي عمد اليها شاوول في مطاردتــه لداود والتي عمد اليها داود في التفادي من الوقوع في يده واحترامه له فيها كثير مــن الخيال والمبالغة .

٢ ــ ولم تذكر الاسفار أي نشاط لاشبوشت الذي خلف اباه في الملك بل ذكرت انحرافاً خلقياً فظيعاً ــ وهو سطوه على سراري ابيه ــ ادى الى نفرة الناس منه واغتياله[٤] .

---

(١) هذه السيرة في سفر صموئيل الاول الاصحاحات ١١-٣١ .

(٢) مجلد مقال في العبرانيين ص ٢٧٧ .

(٣) الاصحاح ٢١ من سفر صموئيل الثاني .

(٤) الاصحاح ١ من صموئيل الثاني .

٣ ـ وكان داود حينما مات شاوول قـد جاء الى حبرون وبويع من قبل بني اسرائيل الذين هم فيها فلما اغتيل اشبوشت تمت لداود البيعة من قبل جميع الاسباط [١] .

وسيرة داود مشروحـة في سفر صموئيل الثاني وبعض اصحاحات سفر اخبار الايام الاول .

وخلاصة اهم ما ذكر منها خبر زحف الفلسطينيين على اسرائيل في عهده لئلا يتفاقم أمر اليهود وتمكنه من صدهم ، وسكناه في مدينة اورشليم وانشائه حصناً له فيها بعـد تمكنه من التغلب على اليبوسيين أهلها حينما تصدوا لمنعه ، ونقله تابوت الرب الى هـذا الحصن ، وانبساط سلطانه وجزيته على ممالك شرق الاردن عمون ومؤاب وآدوم وعلى مملكة صوبا الآرامية التي قال مفسرو الاسفار انها في حوران ، وغزوته لدمشق وفرض الجزية على ملكها الآرامي .

وكل ما تقدم جاء باشارات مقتضبة عدا سيطرة داود على عمون حيث ذكرت بشيء من التفصيل [٢] ذكر خلاله قصة داود البشعة مع زوجة اوريا الحثي التي صارت ام سليمان.
ومن ذلك خبر تمرد ابشالوم ابن داود على ابيه . فقد اعتدى اخ له من ام اخرى على عرض شقيقته [٣] ولم يعاقبه ابوه فغضب وغادر اورشليم واخذ كثير من بني اسرائيل ينضوون اليه فنادى بنفسه ملكاً في حبرون ثم زحف الى اورشليم فاضطر داود الى الفرار منهـا فاستولى عليها واستمرت المحنة ردحاً من الزمن حتى انتهت بعودة بني اسرائيل ثانيـة إلى داود واغتيال ابشالوم .

على ان أحوال المملكة عادت فاضطربت حيث تمرد زعيم اسمه شبع بن بكرى الذي التف عليه كثير من الاسباط فكانت محنة شديدة عكرت عهـد داود مرة اخرى .
واغتنم الفلسطينيون فرصة المحن الملمة باسرائيل فأخذوا يغيرون عليها وتكررت الوقائع بين الطرفين دون نتيجة حاسمة . وقد كاد داود ان يقتل في احداهـا . والمرجح ان ممالك شرق الاردن وممالك الآراميين وراءه التي ذكر خبر سيطرة داود عليها قد تفلتت مـن

---

(١) الاصحاح ١ من صموئيل الثاني .
(٢) صموئيل الثاني او الملوك الثاني الاصحاح ١٠ – ١٢ .
(٣) لقد تكرر مثل هذه الفاحشة . ومن ابشع ما كان من ذلك اعتداء بكر يعقوب على زوجة ابيه انظر الاصحاح ٣٥ من سفر التكوين .

هذه السيطرة خلال المحن التي أوهنت قوة داود ودولته لان الاسفار لم تذكر أي سلطان لسليمان عليها أما الممالك الفلسطينية فالظاهر من نصوص السفر أنها ظلت متمتعة باستقلالها وسيادتها .

ومما ذكر من سيرة داود اهتمامه الشديد لانشاء بيت للرب وإعداده لوازم ذلك من ذهب وفضة وخشب ومعادن اخرى وحجارة ورخام الخ وقد ذكر الاصحاح (٢٩) من أخبار الأيام الاول انه أعد لذلك ثلاثة آلاف قنطار او وزنة [١] من ذهب اوفير وسبعة آلاف قنطار أو وزنة فضة مصفاة ، وانه طلب من رؤساء بني اسرائيل أن يتبرعوا فتبرعوا بخمسة آلاف قنطار أو وزنة من الذهب وعشرة آلاف قنطار أو وزنة من الفضة وثمانية عشر الف قنطار من النحاس ومئة الف قنطار من الحديد عدا كميات كبيرة من الخشب وحجارة الجزع وحجارة الترصيع وحجارة الرخام والحجارة الكريمة الاخرى حيث يدل هذا برغم ما يحتمل من مبالغة على أن عهد داود كان عهد رخاء وثراء على أن ما جاء في الاصحاح (٢٢) من ذلك السفر من امر داود بجمع الأجانب الذين في أرض اسرائيل لاعمال النحت واعداد المعادن يدل على ما كان عليه بنو اسرائيل من ضعف في المهن وخاصة الرفيعة منها .

ولقد ظلت امور مصر مرتبكة في حقبة داود ايضاً فأتاح هذا وذاك لداود ما أتاحه من حرية الحركة والنشاط والسيادة والتبسط في البلاد المجاورة في أواسط عهده كما هو المتبادر .

وقد بلغت مدة حكمه أربعين سنة منها سبع في حبرون على ما ذكره الاصحاح (٢٩) من سفر أخبار الأيام الاول .

وينسب إلى داود سفر المزامير وفيه مئة وخمسون مزموراً . وهي أناشيد استغاثة واستغفار تمجيد وتقديس وتسبيح رائعة الاسلوب والمعنى وتعد من أعظم آداب اللغة العبرانية ؛ ومن أعظم الآداب الانسانية معاً .

٤ – وتولى بعد داود سليمان الذي بلغت مدة حكمه كذلك أربعين سنة ؛ وقد تصدى لمنافسته على العرش في حياة ابيه أخ له من ام اخرى اسمها ادونيكا ولكنه تغلب

---

(١) النسخة الكاثوليكية تذكر «القنطار» والبروتستانتية تذكر «الوزنة»

عليه . وسيرته مشروحة في سفر الملوك الاول ثم في سفر أخبار الأيام الثاني ١

وقد دشن عهده بقتل أخيه المنافس وقتل رئيس جيش أبيه وعزل الكاهن الاكبر لانهما كانا متحزبين لاخيه .

ويستفاد من الاصحاح الثالث والرابع من سفر الملوك الثاني أن عهد سليمان كان عهد هدوء وسلام ورفاه بالجملة وان سلطانه في الوقت نفسه كان قاصراً على فلسطين باستثناء بعض ممالك الفلسطينيين في جنوبها . وكان يشمل مملكة حشبون في شرق الاردن التي استولى عليها بنو اسرائيل بقيادة موسى دون غيرها .

واهم أعماله انشاء المعبد الذي أعد أبوه لوازمه المتنوعة وانشاء قصر لسكناه وللحكم معاً في اورشليم . وقد اطنبت الاصحاحات ٥–٩ من الملوك الاول والاصحاحات ٣–٧ من اخبار الايام الثاني بما كان عليه وخاصة المعبد من فخامة وضخامة واناقة وبما بذله سليمان في سبيل زخرفته وتذهيبه ومحاريبه وتماثيله وارضه وسقفه وابوابه ومصاريعه من جهود واكلاف حتى لكأنه سبيكة من ذهب ثم بما كان من حفاوته العظمى مع الشعب بتدشينه والمقادير العظيمة التي ذبحها من الثيران والغنم للقرابين والولائم التي امتدت اعيادها اربعة عشر يوماً مهما كان فيها مبالغة وخيال فالمرجح انها احتوت حقائق ظلت تتناقلها الاجيال . وقد أعانه حيرام ملك صور الذي كان على صداقة مع ابيه داود واستمرت في عهده على ذلك بما ارسله اليه من مهندسين وصناع ماهرين واخشاب وذهب . وقد كافأه سليمان فوهبه عشرين مدينة من الجليل وخصص له عشرين الف كر من الحنطة ومثلها من الزيت سنوياً .

وقد ذكر الاصحاح الرابع من الملوك الاول ان طعام سليمان في كل يوم ثلاثون كراً من السمن وستين من الدقيق وعشرة ثيران مسمنة وعشرين ثوراً من المرعى ومئة من الشاة عدا الايائل والظباء واليحامير وسمان الطير وانه كان له اربعون الف مزود لخيل مراكبه واثنا عشر الف فارس .

وقد اطنب هذا الاصحاح ثم الاصحاح (١٠) من سفر اخبار الايام الثاني بما كان سليمان عليه من حكمة وعدل وما كان من انتشار صيته وتوافد ملوك الارض اليه لسماع حكمته حاملين هداياهم الثمينة اليه ومن جملتهم ملكة سبأ التي جاءت في موكب عظيم ومعها احمال من الطيوب والذهب والحجارة الكريمة . وقد بلغ وزن ما ورد عليه في سنة

(١) الاصحاحات ١–١١ من الملوك الاول و ١ – ٩ من اخبار الايام الثاني .

واحدة (٦٦٦) قنطاراً من الذهب غير الوارد من ذلك من التجار والمكاسين. وقد صنع ٢٠٠ مجنب من ذهب وعرشاً من عاج ملبس بالذهب. وكانت جميع آنيته من ذهب. وكانت الفضة عنده مثل الحجارة كثرة. وقد لا يخلو ما ذكرته الاسفار من خيال ومبالغة ولكن المرجح كذلك ان فيها حقيقة تداولتها الاجيال. وفيها ما يدل على ما كانت عليه حالة المملكة في عهده من رفاه وثراء وما كان له من مجد وصيت؛ وقد ذكر الاصحاح (٩) من سفر الملوك الاول انه كان لسليمان اسطول تجاري يمخر البحر الاحمر وكان حيرام ملك صور شريكه ومساعده في ذلك.

ومما ذكرته الاسفار من المهم من سيرة سليمان انه احصى الاجانب الذين هم في ارض اسرائيل فكانوا (١٥٣٦٠٠) وانه سخرهم في أعمال الحمل وقطع الاحجار والمناظرة على الاعمال في منشآته التي أنشأها في اورشليم وغيرها وهم الآموريون والحيثيون والفرزيون والحويون واليبوسيون الذين بقوا من السكان القدماء ولم يستطع بنو اسرائيل قتالهم [١]؛ والعبارة تفيد أن هذا الرقم هو عدد الرجال القادرين على العمل وهذا يعني ان عدد اهل البلاد الاصليين في غرب الاردن في زمنه كان يقرب من نصف مليون إذا ما اضيف الى الرقم النساء والاولاد وهذا غير الفلسطينيين الذين كانوا خارج سيطرة سليمان!

وقد تفيد العبارة انهم كانوا الاقدر والابرع في الاعمال الانشائية من بني اسرائيل. ولقد كانت الرقعة الخاضعة لسيطرة سليمان في غرب الاردن لا تضم صحراء النقب ولا منطقة غزة وسواحلها إلى ما فوق سدود وبينه حيث يبدو من ذلك مقدار كثافة السكان الاصليين في عهده حتى ولو كان في الرقم مبالغة.

ومما ذكره الاصحاح (٩) من سفر الملوك الاول ان سليمان اصهر الى فرعون مصر وان هذا الفرعون صعد إلى فلسطين وأحرق مدينة جيزر وقتل الكنعانيين ووهب المدينة لسليمان كمهر لابنته. وقد خمن سليم حسن العالم المصري [٢] ان هذا الملك هو بسوسنس

---

(١) انظر الاصحاح ٩ من سفر الملوك الثاني و٨ من اخبار الايام الثاني

(٢) مصر القديمة ج ٩ ص ٧٢-٧٣ وقد خمن بريستيد ان الملك الذي اصهر اليه سليمان هو شيشنق اول ملوك الاسرة الثانية والعشرين انظر تاريخ مصر من اقدم العصور ص ٣٤٧-٣٦٢ والاصحاح ١١ من سفر الملوك الاول قد يؤيد تخمين بريستيد.

الثاني من ملوك الاسرة الحادية والعشرين (١٠٨٥–٩٥٠ ق م) . والخبر يفيد ان يد مصر قويت بعض الشيء في بعض سني حكم سليمان ومارست سيادتها في أرض فلسطين ، امتداداً لما كان لها من هذه السيادة في العهد السابق وان كانت قد ضعفت بسبب ارتباك حالتها على ما ذكرناه قبل . ولعل اصهار سليمان لملكها كان مظهراً من مظاهر التودد والتزلف ابان قوة يده هذه .

ولم يخل عهد سليمان مع كل ذلك من انحرافات خلقية ودينية التي ذكر الاصحاح الحادي عشر من سفر الملوك الثاني انه هو نفسه كان إلى شيشق ملك مصر (اول ملوك الاسرة الثانية والعشرين ٩٤٥–٧٧٠ ق م) حتى إذا مات سليمان عاد وقاد حركة تمرد ضد ابنه أدت إلى انشطار مملكته على ما ذكره الاصحاحان ١١ و ١٢ من سفر الملوك الاول .

ويظهر أن سليمان أثقل كاهل الشعب بمشاريعه الانشائية وتكاليفه الباهظة حيث كان ذلك من الذرائع التي تذرع بها يربعام في حركته التحررية على رحيعام ابن سليمان .

هذا وينسب الى سليمان سفرا الامثال ونشيد الاناشيد من أسفار العهد القديم . وفي الاول مواعظ ووصايا وأمثال حكيمة خلقية واجتماعية ودينية . وفي الثاني تخيلات رمزية فيها حكمة وموعظة . واسلوب السفرين بليغ رائع ويعد من أعظم آداب اللغة العربية ومن اعظم الآداب الانسانية في الوقت نفسه .

(٦) الدور الثاني لملوك بني اسرائيل

— ١ —

قام هذا الدور بعد قليل من موت سليمان ونتيجة لحركة التمرد التي قام بها يربعام . فقد خلف سليمان على العرش ابنه رحيعام ؛ فأخذ بيعة سبطي يهوذا وبنيامين في منطقة اورشليم وحبرون وجاء الى السامرة لأخذ بيعة بقية الاسباط فتصدى له يربعام الذي عاد من مصر وطلب منه وعداً بتخفيف الأعباء التي فرضها أبوه على الشعب فأجابه بغلظة وجفاء وعنادفأثار عليه الاسباط ورفضوا بيعته وعاد مخفقاً . ونادى الاسباط بيربعام ملكاً عليهم فانقسمت المملكة بذلك إلى مملكتين جنوبية عاصمتها اورشليم واسمها يهوذا وقوامها سبطا يهوذا وبنيامين وشمالية عاصمتها شكيم واسمها اسرائيل وقوامها الاسباط الباقية .

وأخبار الدولتين مسرودة بشيء من التداخل في الاصحاح الثاني عشر وما بعده من سفر الملوك الاول ـ الثالث في الطبعة الكاثوليكية ـ وجميع سفر الملوك الثاني ـ الرابع في الكاثوليكية ـ والاصحاح العاشر وما بعده من سفر اخبار الايام الثاني .

ولقد ذكر بريستيد [١] ان شيشق اول ملوك الاسرة الثانية والعشرين ٩٤٥ ـ ٩٢٥ق م هو الذي حرض يربعام الذي كان فر من وجه سليمان ولجأ اليه استهدافاً لاعادة نفوذ مصر الفعلي الى جميع فلسطين . وذكر الدبس [٢] أن شيشق كان ينوي غزو فلسطين ثم سورية وفينيقية لتوطيد سلطان مصر عليها كما كان في العهود السابقة فأرسل يربعام لشق المملكة اليهودية كما دس على ملك صور حليف سليمان من اغتاله تمهيداً لذلك .

لقد غزا شيشق فعلاً فلسطين في عهد رحبعام ويربعام بعد انقسام المملكة واستولى عليها على ما عرف من النقوش التي أمر بنقشها على سور الكارناك والتي ذكر فيها اسماء (١٨٠) مدينة من مختلف انحاء فلسطين وتخوم شرق الاردن كمدن فتحها من جديد [٣]. وقد ذكر الاصحاح الثاني عشر من سفر اخبار الايام الثاني غزوة شيشق هذه وقال ان شيشق صعد في السنة الخامسة من ملك رحبعـــام على اورشليم في الف ومئتي مركبة وستين الف فارس وعدد لا يحصى من اللوبيين والسكيين والكوسيين واستولى على مدن يهوذا المحصنه وصار الى اورشليم ونهب ما في خزائن بيت الرب ودار الملك . حيث يبدو من هذا كله اصبع شيشق فيما تم من انقسام المملكة .

ولقد كانت مملكة اسرائيل تشمل اكثر الاسباط كما كانت اوسع مساحة وأكثر قابلية مادية الا انها كانت في معظم ايامها مضطربة بعكس مملكة يهوذا التي كانت اكثر استقراراً واطول عمراً . وقد استمرت سلسلة ملوكها بدون انقطاع في ذرية سليمان خلافاً لسلسلة ملوك اسرائيل التي كانت من اسر واسباط متعددة .

وقد تولى عرش مملكة يهوذا تسعة عشر ملكاً هـــذه اسماؤهم ومدة حكمهم كمـــا ذكرته الاسفار :

---

(١) تاريخ مصر من اقدم العصور ترجمة حسن كمال ص ٣٥٧-٣٦٢

(٢) الجزء الاول المجلد الاول تاريخ سوريه ص ٢٩٩

(٣) انظر مصر القديمة ج ٩ ص ١١٠-١٤٦

١ ــ رحبعام بن سليمان	مدة حكمه ١٧ سنة			
٢ ــ ابيا بن رحبعام	«	«	٣	
٣ ــ آسا بن ابيا	«	«	٤١	
٤ ــ يهوشافاط بن آسا	«	«	٢٥	
٥ ــ يهورام بن يهوشافاط	«	«	٨	
٦ ــ اخزيا بن يهورام	«	«	١	مات قتلا
عتليا ام اخزيا	«	«	٦	ماتت قتلا
٧ ــ يواش بن اخزيا	«	«	٤٠	مات قتلا
٨ ــ امعيا بن يواش	«	«	٢٩	« «
٩ ــ عزيا بن امعيا	«	«	٥٢	« «
١٠ ــ يوثام بن عزيا	«	«	١٦	
١١ ــ يوحاز بن يوثام	«	«	١٦	
١٢ ــ حزقيا بن آحاز	«	«	٢٩	
١٣ ــ منسى بن حزقيا	«	«	٥٥	
١٤ ــ آمون بن منسى	«	«	٢	مات قتلا
١٥ ــ يوشيا بن آمون	«	«	٣١	« «
١٦ ــ يهوحاز بن يوشيا	«	«	ثلاثة اشهر	
١٧ ــ يواقيم « «	«	«	١١ سنة	
١٨ ــ يهيواكين بن يواقيم	«	«	ثلاثة اشهر	
١٩ ــ صدقيا بن يواقيم	«	«	ستة اشهر	

وقد عمرت هذه المملكة الى سنة ٥٨٦ ق م وسقطت على يد نبوخذ نصر ملك بابل الكلداني الذي قتل صدقيا ونهب اورشليم ودمرها وسبي اهلها الى بابل .

وقد تولى عرش مملكة اسرائيل ايضاً تسعة عشر ملكاً على ما ذكرته الاسفار . وكانوا من اسر مختلفة حيث كان يتمرد على الملك الجالس متمرد فيخلعه ويحل محله ويخلفه بعض ابنائه حيناً ومتمرد آخر حيناً . وقد تقلب على عرش المملكة نتيجة لذلك ثماني أسر وافنيت ثلاث اسر من ملوكها افناء تاماً وعمرت الى سنة ٧٢٠ ق م وسقطت لى يدسرجون

الثاني الذي اعتقل آخر ملوكها ونفاه مع معظم اهالي المملكة الى آشور . وقد تبدلت عاصمتها اكثر من مرة بسبب الانقلابات فكانت شكيم هي العاصمة اولا ثم صارت ترصة ثم شامر القريبة من شكيم . وهذه اسماء ملوكها حسب ما ذكرته الاسفار مع مدة حكمهم :

كتابات على نقود عبرية قديمة



الرسم الاول

(١) שקל ישראל בש (נ.ז) (٢) ירושלים הקדושה



الرسم الثاني

(١) ירושלם (٢) שנה אחת לגאלת ישראל

١ ـ يربعام بن نباط الافرايمي ومدة حكمه ٢٢ سنة

٢ ـ ناداب بن يربعام « « ٢ سنة

ثار عليه بعشا بن اخيا من سبط يساكر وقتله واباد نسل ابيه .

٣ ـ بعشا مدة حكمه ٢٤ سنة

٤ ـ ايله بن بعشا « « ٢ سنة

ثار عليه قائد اسمه رمزى وقتله واباد نسله .

٥ ـ رمزى سبعة أيام

ثار عليه قائد اسمه عمرى وحصره فأحرق نفسه .

٦ — عمرى	مدة حكمه ١٢ سنة
٧ — آخاب بن عمرى	« « ٢٢ سنة
٨ — اخزيا بن آخاب	« « ٢ سنة
٩ — يورام بن آخاب	« « ١٢ سنة

ثار عليه قائد اسمه ياهو بن يهوشافاط وقتله واباد نسله

١٠ — ياهو بن يهوشافاط	مدة حكمه ٧ سنوات
١١ — يهوا حاز بن ياهو	مدتـــه ١٧ سنة
١٢ — يهواش بن يهوا حاز	« ٤١ سنة
١٣ — يربعام بن يهواش	« ٤١ سنة
١٤ — زكريا بن يربعام	« ستة اشهر

ثار عليه قائد اسمه شلوم بن يابيش وقتله

١٥ — شلوم	« شهر واحد

ثار عليه مناحيم بن جاد وقتله

١٦ — مناحيم	« ١٠ سنوات
١٧ — فقيحا بن مناحيم	« سنتان

ثار عليه فقح بن رمليا وقتـــله

١٨ — فقح بن رمليا	« ٢٠ سنة

ثار عليه هوشع بن ايله وقتله

١٩ — هوشع بن ايله

ويرجح ان سليمان مات سنة ٩٣٥ ق م ويبدو من ذلك ان روايات الاسفار لمدة حكم الملوك مقارب مع تاريخي انتهاء كل من الدولتين .

— ٣ —

وهذا اجمال لسيرة الدولتين الداخلية والخارجية مستمد من اصحاحات اسفار الملوك الاول والثاني واخبار الايام الثاني التي ذكرناها قبل [1] .

---

(١) انظر الصحف ١٣٠ — ١٧٩ من تاريخ بني اسرائيل من اسفارهم ففيها تفصيل لهذا الاجمال .

١ ـ كانت الصلات بين الدولتين في اغلب حقبة وجودهما معاً صلات عداء وجفاء وحرب . ولم تصف الا حقبة قصيرة في عهد عمرى ملك اسرائيل ويهوشافاط ملك يهوذا وبعض خلفائها بسبب المصاهرة التي قامت بين الاسرتين .

٢ ـ وكانت الصلات بين دولتي اليهود وملوك دمشق الآراميين ايضاً صلات عداء وجفاء حرب على الاكثر . وكان النصر يحالف الآراميين في الاكثر فيتمكنون من احتلال بعض بلاد من المملكتين ويثخنون فيها نهباً وسلباً وقتلاً وسبياً . وكان بعض ملوك المملكتين في سياق تصاولهم فيما بينهم يستنجدون بملوك دمشق ضد بعضهم فيتاح بذلك لهؤلاء الزحف والنهب والسلب واحتلال بعض البلاد . وقد سجل ليواحاز ملك اسرائيل وابنه يواشي ولحفيده يربعام نصر على الآراميين . وفي آخر مرة زحف رصين ملك آرام على مملكة يهوذا بالاتفاق مع ملك اسرائيل فاستنجد ملك يهوذا بتغلات بلاسر ملك آشور وارسل اليه ما في خزائنه من مال فجاء هذا وضرب دمشق ضربة قاضية .

٣ ـ وقد سجلت الاسفار بعض الاحداث بين دولتي اليهود ومصر . وكان بعضها محالفات ضد آشور وبابل مع ملوك مصر مما جعل ملوك آشور وبابل يزحفون على الدولتين المرة بعد المرة ويضربونها وينسفونها في النهاية .

ومن اهم هذه الاحداث زحف شيشق في عهد رحبعام ويربعام على فلسطين ونهبه لخزائن الرب والملك في اورشليم واحتلاله المدن المحصنة ومما سجلته الاسفار تحالف ملك اسرائيل هوشع مع شباقا ملك مصر الذي تسميه الاسفار سوا ـ ضد سلمناصر ملك آشور. وقد ادى هذا الى زحف سلمناصر ثم سرجون من بعده على اسرائيل ونفى سكانها إلى آشور وارسال جماعات عديدة من هذه البلاد واسكانهم محل المنفيين . وهم الذين صاروا يعرفون بالسامريين لأن معظمهم سكنوا في منطقة السامرة . وقد اعتنقوا الموسوية . ومن ذلك تحالف حزقيا ملك يهوذا مع ملك مصر ضد سنحاريب ملك آشور فزحف هذا وكاد ان يسحق الدولة لولا اضطراره الى العودة بسبب حادث تمرد في بلاده . ومع ذلك زحف نخو ملك مصر وضربه يوشيا ملك يهوذا . وقد اقام اليهود ابنه مكانه فلم يوافق نخو على ذلك وقبض عليه واقام اخاً له تعهد بأداء ١٠٠ قنطار فضة وقنطار ذهب جزية سنوية .

ومع ذلك تحالف ملك يهوذا يهوياقيم مع ملك مصر ضد نبوخذ نصر ملك بابل

فزحف هذا اول مرة فأعلن يهوياقيم خضوعه ثم نكث فزحف ملك بابل ثانية وخلـع الملك واقام مكانه ملكاً اسمه صدقيا ومال هذا الى مصر فزحف ملك بابل للمرة الثالثة وقضى على دولة يهوذا ودمر اورشليم والمعبد ونهب جميع ما في المعبد والقصور وسبي عدداً كبيراً من اهلها الى بابل [١].

٤ – وقد سجلت الاسفار احداثاً ومصاولات بين دولتي اليهود والفلسطينيين . فمن ذلك صعود هؤلاء على مملكة يهوذا في عهد الملك يهورام ودخولهم اورشليم ونهبهم خزائنها وسبيهم عدداً كبيراً من جملتهم ابناء الملك ونساؤه وزحف عزيا ملك يهوذا عـلى جت وبنة واشدود من مدن الفلسطينيين وتدميره اسوارها . وزحف الفلسطينيين في عهـد يوآحاز حفيد عزيا على مملكة يهوذا واستيلائهم على مدن بيت شمس وايالون وجديروت وسوكو وتمنه وجمزو وتوابعها .

وكان هذا آخر ما ذكرته الاسفار من المصاولات بين الفريقين الذي يدل على ان الفلسطينيين ظلوا متمسكين بكيانهم وممالكهم وقوتهم . ولقد اخذت بلاد الشام ومن جملتها شرق الاردن وغربه تتعرض في هذا الظرف (٧٥٠ ق ومـا بعده) لغزوات واكتساحات الملوك الآشوريين فكان ذلك مما شغل الفريقين عن بعضهم كما هو المتبادر .

٥ – وقد سجلت الاسفار مصاولات عديدة بين ممالك شرق الاردن ودولتي اليهود مما شرحناه في الفصل السابق شرحاً يغني عن التكرار .

٦ – وبالاضافة الى ما ذكرناه في البند الثالث فقد احتوت الاسفار احداثاً اخرى بين دولتي اليهود والمملكة الآشورية . من ذلك صعود ملك آشور على اسرائيل وتقـديم ملكها مناحيم اليه الف قنطار من الفضة فدية . وزحف سنحاريب على يهوذا واستيلائه على عدد من مدنها وفرضه عليه (٣٠٠) قنطار فضة و (٣٠) قنطار ذهب اداها اليـه حتى انه نزع الذهب عن ابواب الهيكل ودعائمه من اجل ذلك

ولقد ذكرت النقوش الآشورية احداثاً عديدة بين ملوك الآشوريين وملوك دولتي اليهود منها ما ورد في الاسفار ومنها ما لم يرد وكان مغايراً لما ورد والمستفاد منها ان اشور ناصر بال الثالث (٨٨٥ – ٨٦٠ ق م قد سيطر على بلاد الشام التي منها على الارجح

---

(١) معظم هذه الاحداث مؤيد بآثار مصرية وعراقية ايضاً انظر الجزء الثاني من كتاب تاريخ الجنس العربي ص ٢٢٦–٢٣٦ و٢٤٧ – ٢٧٥ والجزء الثالث ص ٨٢ – ١٤٤ و١٥٠– ١٥٣.

مملكتا اليهود وقد انتقلت السيطرة الى ابنه شلمناصر الثالث فتمردت عليه بـلاد الشام واشترك آخاب ملك اسرائيل بمئتي مركبـة وعشرة آلاف مقاتل مـع الجيوش تحت قيادة نبهدد ملك دمشق الارامي . وكانت الغلبة للملك آشور . وقد ارسل الياهو ملك اسرائيل هداياه الى هذا الملك مع وفد خاص معلناً ولاءه . وتمردت بلاد الشام على



مشهد من مشاهد سبي بني اسرائيل الى بابل

شور في عهد اداد نيري (٨١٢ ـ ٧٨٣ ق م) فاخضعها وذكرت النقرش ارض عمرى في عـداد الخاضعين والعبارة تعني مملكة اسرائيل الـتي كان ملكها عمرى . ثم زحف تغلات بلاسر الثالث(٧٤٥ ـ ٧٢٧ ق م على بلاد الشام ووطد سيطرته عليها وقدذكرت نقوشه ان فلسطين كانت من جملة الخاضعين لهذه السيطرة .

وفي نقش لهذا الملك ذكرت مدن جلعاد وأرض عمرى واجلاء وجهائها إلى آشور وقتل فقح ملك اسرائيل ونصب هوشع مكانه وأخذه من هذا عشر وزنات من الذهب وألف وزنة من الفضة . ومما ذكرته الآثار الاشورية غير ما ورد في الاسفار سيطرة آشور بانيبال على بلاد الشام ومن جملتها مملكة يهوذا . وكانت مملكة اسرائيل قد زالت قبله فكان الحاكم عليها والياً آشورياً (١) .

٧ – وقد سجلت الاسفار كثيراً من أحوال دولتي اليهود الداخلية ونددت بنوع خاص وبقوة انحرافاتها الدينية والخلقية وربطت بينها وبين سقوطها .

وجملة القول في صدد دولة اسرائيل ان ملوكها وشعبها انحرفوا منذ البداية بتأثير العامل السياسي وما قام من جفاء وقطيعة بينهم وبين ملك أورشليم وسبطي يهوذاوبنيامين اللذين تابعوه . فأقاموا معبدين رئيسيين في دان وبيت ايل ليقيموا فيها أعيادهم ويستغنوا عن معبد أورشليم تفادياً من عواقب الاختلاط ووضعوا في كل من المعبدين تمثالا ذهبياً للعجل . وظلوا منحرفين في هذا الطريق إلى النهاية . والى هذا فانهم كانوا ينحرفون إلى عبادة آلهة الكنعانيين وطقوسهم وينشؤون لها المذابح . وجاء وقت كانت عبادة البعل فيه مستشرية نتيجة لمصاهرة يهورام الملك صيدون وزواجه من بنته ايزابعل حتى لقد كان للبعل أربعمئة كاهن أو نبي . وكانت فترات صلاحهم الديني الجزئي قصيرة . وتعددت الانقلابات في هذه الدولة وكانت تؤدي إلى سفك دماء غزيرة وإبادة أسر مالكة برمتها . وظلت عرضة للغزوات الخارجية . ولم يسجل لها استقلال واستقرار ونشاط إلا في فترات قصيرة .

وجملة القول في صدد دولة يهوذا انها كانت بالاجمال أحسن حالا من دولة اسرائيل سواء من ناحية الاستقرار أم من ناحية الصلاح وقد سجلت الاسفار لبعض ملوكها نشاطاً غير يسير في مختلف المجالات . ونوهت بما كان لهم من مجد وغنى وقوة مثل يوشافاط وحزقيا ويوشيا وان كان في ما ذكرته من ذلك مبالغة وخيال . على انها سجلت مظاهر انحراف وتضعضع شديده شاملة . وكانت فترات ذلك أطول من فترات الاستقامة والصلاح ،

(١) انظر في صدد المأثورات الاشورية تاريخ كلدة وآشور لادي شير ج ١ ص ٥٨–٧٦و٨٠–٨٨ و١٠١–١١٤و١٢٣–١٢٥ وتاريخ بابل وآشور لجميل المدور ص ٨٧و١١١ وما بعدها .

وأسماء الملوك المنحرفين كلياً أو جزئياً أكثر مـــن المستقيمين كلياً أو جزئياً . وكان الانحراف الديني شاملا شمولا عجيباً في معظم حقبها حتى كان بيت الرب في أوقات عديدة مملوءاً بالرجاسات والاصنام والمشاهد الوثنية ومسرحاً لاقامة الطقوس الوثنية فضلا عن الأماكن الأخرى وفي كل ناحية من أنحاء الدولة .

وفي الاصحاح السابع عشر من سفر الملوك الثاني وصف عام لحالة الدولتين الانحرافية وربط بينها وبين سقوطها ، وقد جاء فيه « كان بنو اسرائيل قد خطئوا الى الرب إلههم الذي أخرجهم من يد فرعون . وعبدوا آلهة أخرى وجروا على سنن الامم التي طردها الرب من وجههم وعلى ما سنه ملوك اسرائيل (١) وعملوا في الخفاء أموراً غير مستقيمة في حق الرب الههم . ابتنوا المشارف في جميع مدنهم وأقاموا أنصاباً على كل أكمة . وقتروا هناك (٢) مثل سائر الامم وفعلوا افعالا سيئة لاسخاط الرب وعبـدوا الاصنام فأمرهم الرب على السنة أنبيائه بالتوبة وحفظ وصاياه فلم يسمعوا وصلبوا رقابهم مثل آبائهم الذين لم يؤمنوا بالرب الههم ورذلوا فرائضه وعهده الذي قطعه مع آبائهم واقتفوا الباطل وصاروا باطلا وتركوا جميع وصايا الرب الههم وصنعوا لهم عجلين من المسبوكات وأقاموا غاباً وسجدوا لجميع جند السماء وعبدوا البعل وأجازوا بنيهم وبناتهم في النـــار (٣) وتعاطوا العرافة والفأل وباعوا أنفسهم لعمل الشر فغضب الرب جداً اسرائيل ونفاهم من وجهه ولم يبق إلا سبط يهوذا فقط ويـهـوذا أيضاً لم يحفظوا وصايا الرب وسلكوا في سنن اسرائيل فرذل الرب جميع ذرية اسرائيل واذلهم واسلمهم الى ايدي الناهبين ونبذهم من وجهه .

وفي الاصحاح السادس والثلاثين مـــن سفر أخبار الايام الثاني تعقيب شديد ثان في سياق ذكر سقوط دولة يهوذا على يد نبوخذ نصر جاء فيه « حتى ان جميع رؤساء الكهنة والشعب أكثروا الخيانة حسب كل رجاسات الامم ونجسوا بيت الرب الذي قدسه في أورشليم فأرسل الرب اله آبائهم اليهم عن يد رسله مبكراً ومرسلا لأنه أشفق على شعبه وعلى مسكنه فكانوا يهزأون برسل الله ورذلوا كلامـــه وتهاونوا بأنبيائه حتى ثار غضب

---

(١) يربعام ومن بعده باقامة المعبدين ووضعهما فيهما تمثالي العجل .

(٢) من طقوس الديانة اليهودية ان تذبح القرابين في مذبح المعبد

(٣) من طقوس الكنعانيين ان يجيزوا اولادهم من فوق النار وان يقدموها احياناً قرابين تحرق بالنار

غضب الرب على شعبه حتى لم يكن شفاء فأصعد عليهم ملك الكلدانيين فقتل مختاريهم بالسيف في بيت مقدسهم ولم يشفق على فتى أو عذراء ولا على شيخ أو أشيب بل دفع الجميع ليده وجميع آنية بيت الله الكبيرة والصغيرة وخزائن بيت الرب وخزائن الملك ورؤسائه وأحرقوا بيت الله وهدموا سور أورشليم وأحرقوا جميع قصورها بالنار وسبى الذين بقوا من السيف الى بابل فكانوا له ولبنيه عبيداً الى ان ملكت مملكة فارس لاكمال كلام الرب (١) .

(٧)

دور ما بعد السبي

يقص قصة هذا الدور اسفار ارميا وعزرا ونحميا واستير وطوبيا والمكابيين ـ والاخيرة من زوائد النسخة الكاثوليكية ـ بالاضافة الى المؤرخ اليهودي يوسيفوس من رجال القرن الاول الميلادي ثم الى مصادر أخرى قديمة وحديثة غير يهودية .

ومما ذكرته هذه المصادر(٢)ان نبوخذ نصر أقام على اليهودية ـ وهذا الاسم الذي صارت تعرف به بلاد مملكة يهوذا ـ والياً اسرائيلياً اسمه حلقيا ، وان هذا أراد أن يطوع من بقي من بني اسرائيل في البلاد لسلطان بابل فأثار غضب زعمائهم فقتلوه مع بعض رجاله ثم غادروا البلاد الى مصر فراراً من انتقام الكلدانيين فغدا جلاء بني اسرائيل تاماً عن البلاد تقريباً .

وقد ظلت المنطقة التي كانت تقوم فيها مملكة اسرائيل مأهولة بأنسال سكانها القدماء من كنعانيين وآموريين ويبوسيين وفرزيين ثم بأنسال الجماعات العراقية التي أرسلها أسرحدون وسنحاريب اليها واسكنها في منطقة السامرة والتي صارت تعرف فيما بعد بالسامريين . وقد اعتنقوا الموسوية في مراحل اقامتهم الاولى (٣) . والى هؤلاء

---

(١) انظر في صدد احوال وانحرافات دولتي اليهود اسفار الملوك الثاني واخبار الايام الثاني واشعيا وارميا ومراثي ارميا وباروك وعاموس وميخا وصفنيا

(٢) الاصحاح ٢٥ من سفر الملوك الثاني

(٣) انظر الاصحاح ١٧ من سفر الملوك الرابع في النسخة الكاثوليكية والثاني في البروتستانتية والاصحاح ٤ و ٩ من سفر عزرا

فقد كان جماعات من أهل البلاد الاصليين في منطقة مملكة يهوذا بعد سبي بني اسرائيل منها (١) كما كانت الاقسام الجنوبية من فلسطين مأهولة بالفلسطينيين الذين ظلت ممالكهم قائمة في مدن غزة واسدود وعسقلون وحتب وعقرون (٢) .

وحينما قوض كورش ملك فارس دولة بابل الكلدانية سمح لمن يريد من بني اسرائيل بالعودة الى فلسطين وتعمير أورشليم والمعبد وأعطاهم ما أخذه نبوخذ نصر من المعبد من أواني الذهب والفضة فعاد جماعات منهم على دفعتين يبلغ عددهما نحو خمسين ألفاً . وبقي أكثر المنفيين في منفاهم (٣) .

ولما أخذوا يستعدون لتعمير المدينة والمعبدبعد وصولهم تصدى لهم شعوب الأرض في شرق الأردن وغربـــه وارسلوا العرائض ضدهم إلى ملك الفرس الذي خلف كورش يحذرونه منهم ويذكرون له ما كان من سيرة آبائهم حيث يبدو من هذا استمرار كراهية وحقد أهل البلاد لهم نتيجة لما كان من سيرتهم معهم التي كانت تمليها عليهم عقدهم . وقـد نجحوا في حملتهم فصدرت الأوامر بمنعهم وظل المنع مستمراً ردحاً غير قصير الى أن أذن لهم دارا الثاني بالبناء (٤) . ولقد أراد السامريون الذين ذكرنا أنهم اعتنقوا الموسوية وكانوا يقيمون في منطقة السامرة أن يشتركوا مع بني اسرائيل في تعمير المعـــبد لأن الموسويـــة جـــامعة بينهم فرفض هؤلاء وقـــالوا انمـــا نبني للرب اله اسرائيل ممـــا جعل السامريين ينضمون إلى شعوب الارض في العداء لهم والشكوى ضدهم (٥)
ولقد برز من المنفيين زعيم اسمه نحميا عينه الفرس والياً على اليهودية فجاء وأخذ ينشط في سبيل انعاش قومه وتحصين سور أورشليم فتصدى له أهل شرق الاردن وفلسطين بقيادة ثلاثة زعماء هم جاشم العربي وسنبلط السامري وطوبيا العموني وأخذوا يصاولونه ويزعجونه ويعرقلون نشاطه . واشترك معهم الاشوريون والفلسطينيون (٦).

وقد ظل مع ذلك أمرهم مستقيا طيلة حكم الفرس . وظلوا موالين لهم وملتزمـــين

(١) انظر سفر المكابيين الثاني الاصحاح ١٤
(٢) انظر سفر نحميا الاصحاح ٤ وسفر زكريا الاصحاح ٨
(٣و٤) سفر عزرا الاصحاحات ١ - ٨
(٥) الاصحاح ٤ سفر عزرا
(٦) سفر نحميا الاصحاحات ١ - ٧

للحياد ازاء ما كان يقوم ضد هذا الحكم من تمرد في بلاد الشام ومصر (١) .

ولما زحف الاسكندر المكدوني اليوناني على الشرق وقوض الدولة الفارسية وبسط سلطانه على امبراطوريتها دخلوا في سلطانه أسوة ببلاد الشرق .

ولقد قام بعده دولتان يونانيتان وهما دولتا البطالسة والسلوقيين وكانتا تتنافسان بنوع خاص على فينيقية وغرب الأردن وشرقه فكان بنو اسرائيل ينقلون من سلطة هذه إلى سلطة تلك تبعاً لتساجل النصر بينهما غير ان الفترة التي خضعوا فيها للسلوقيين كانت أطول (٢) وقد نشأ نتيجة لذلك فيهم حزب ميال للبطالسة وآخر ميال للسلوقيون، وتعرض الحزب البطلمسي لـ كيل شديد من السلوقيين جعل فريقاً كبيراً منه يفرون إلى مصر ويقيمون فيها ويبنون هيكلا على غرار هيكل أورشليم — وبذل السلوقيون جهودهم في تحويل اليهود عن التقاليد الدينية والاجتماعية اليهودية إلى تقاليد اليونانيين فاستجاب كثير منهم الى ذلك ، وكان التنافس بين زعمائهم على الكهانة التي كانت صاحبة السلطان الديني والمدني معاً على اليهود والمسؤولة أمام الدولة السلوقية مؤدياً بدوره كذلك الى انشقاقات ودسائس ووشايات بينهم كان لها تأثير قوي في المجتمع اليهودي و ت الى تعرض الاحزاب المناوئة للتقاليد اليونانية والمرآسات الدينية المتزلفة للسلوقيين لاضطهادات ومذابح شديدة في عهد سلوقس الرابع وانطيخوس الثالث . وقد كانت قسوة هذا اشد وأشمل فأوقع فيهم مذابح هائلة ونهب أموالهم وهدم بيوتهم وأقام المذابح الوثنية في مختلف الانحاء وأخذ يكرههم بالقوة على عبادة الآلهة اليونانية واقامة الحفلات اليونانية وأكل لحم الخنزير وترك الختان الخ (٣) مما أدى الى انفجار الثورة الكبرى التي عرفت بالثورة المكابية والتي يعتز بنو اسرائيل بها ويعدونها من مفاخرهم وهي في الحق مفخرة ولعلها مفخرتهم العملية الوحيدة لأنها كانت تعبيراً عن الاباء والتمرد على الظلم والاضطهاد ولأن بعض رؤسائها ورجالها كانوا حقاً أبطال حروب وأبطال تضحية في سبيل الذب عن أمتهم ومقدساتهم والتمتع بالاستقلال والسيادة والكرامة مما لم يكد يسجل لهم مثله بمثل بواعثه وبعض أدوار سيرته . وقد صار لهم نتيجة لهذه الثورة من

---

(١) عيد العبرانيين للمطران الدبس ٦٢٩ وما بعدها

(٢) تاريخ سورية للدبس المجلد الثاني الجزء الثالث ص ٨٥-١٢٣

(٣) المصدر السابق الاصحاحات ١و٢ من سفر المكابيين الاول والاصحاحات ٣و٤و٥و ٦ و ٧ من سفر المكابيين الثاني .

جديد كيان دولة امتد نحو مئتي عام ونيفاً (١٦٠ق م — ٧٠ ب م) وتمتع في بعض أدواره بشيء من السيادة والبروز والتوسع والامتداد إلى بقية أنحاء فلسطين وبعض أنحاء شرق الأردن نتيجة لما كان من تنافس السلوقيين والبطالسة. غير ان دولتهم كانت في معظم أدوارها خاضعة لسيادة السلوقيين التي كانت تشتد وتقوى حيناً وتخف حيناً.

على ان عهد دولة المكابيين قد شيب بمعكرات كثيرة من اليهود أنفسهم مما هو شنشنة بني اسرائيل حيث ظل كثير منهم على انحرافهم الديني والخلقي وكان كثير منهم يمالئون السلطات السلوقية والبطلسية وينضوون الى جيوشها التي كانت تقاتل الدولة المكابية وتحاول نسفها أو اخضاعها، وكان كثيراً ما ينشب خلافات دينية وتنافسية فيما بين اليهود تراق فيها الدماء الغزيرة ويسام الناس فيها الجور وتؤدي الى الاضطراب والارتباك. وكان هذا من أسباب قصر مدة السيادة المكابية التامة وخضوعها في أكثر مدتها للسيادة السلوقية أو البطلسية كما أدى في النهاية إلى انهيارها.

(٨)

الدولة المكابية (١)

ولقد تولى الامر فيها أسرتان: الاولى عرفت بأسرة حشمناي وكان منها عشرة ملوك وهم:

متثيا بن يوحنا بن شمعون — يهوذا بن متثيا — يوناتان بن متثيا — شمعون بن متثيا — ضاهر كانوس بن شمعون — ارسطو بولوس بن هركانوس — اسكندرزحة بن هركانوس — هركانوس بن اسكندر — انيتغونوس بن ارسطو بولوس — وقد كان الخمسة الاولون يلقبون بلقب الكهانة والآخرون بلقب الملك.

والاسره الثانية لا يعرف اصلها يقيناً ويتراوح التخمين في ذلك بين انها اسرائيلية أو آدومية أو فلسطينية عسقلانية. وكان منها خمسة ملوك وهم:

هيرودوس الاول — ارخلاوس ابنه — انتيغوس المسمى هيرودوس الثاني — اغريبا ابن اسطو بولوس بن هيرودوس — اغريبا الثاني ابن هذا.

وقد امتد حكم الاسرة الاولى نحو ١٢٥ سنة أي من ١٦٠ ق م إلى ٢٥ ق م والثانية من ٢٥ ق م الى ٧٠ ب م ومن أشهر زعماء الأسرة الاولى ثانيهم يهوذا الذي توطدت الدولة

(١) هذه النبذة مقتبسة من سفري المكابيين من زوائد النسخة الكاثوليكية وتاريخ يوسيفوس طبعة صادر وتاريخ سوريه المجلد الثالث الجزء الثاني للدبس ص ٨٥-٣٥.

المكابية على يده . وقد سجل له سفر المكابيين الاول انتصارات عديدة عـــلى السلوقيين بأسلوب لا تخفى فيه المبالغة والخيال . وجعلهم مضطرين الى الاعتراف بدولته على شرط خضوعه لسيادتهم اسمياً . وقد ضرب الاقوام والمدن غير الاسرائيلية في شرق الأردن وغربه بسبب ما كان من اعتداءاتهم عـــلى بني اسرائيل واندمج في الحرب التنافسية بين البطالسة والسلوقيين الى جانب الاولين . وكذلك مـــن أشهرهم شمعون وهو رابعهم وهركانوس ابنه وخليفته حيث تمتعت الدولة المكابية في عهدهـــا بالاستقلال والقوة . وهركانوس هذا هو أول من تلقب بلقب الملك وقد مارس السيادة التامة ، وكان عهـــد ابنه اسكندر ايضاً عهد قوة وسيادة . ولقد نجمت فتنة بين الطائفتين الفريسية والصدوقية في عهد هركانوس امتدت الى ما بعده وأدت الى حروب اهلية بين بني اسرائيل كانت تشتد حيناً وتخف حيناً واندمج فيها الملوك أنفسهم فكانت من أسباب ضعف الدولة المكابية وخضوعها ثانية لسيادة السلوقيين .

وممن اشتهر من رؤساء هذه الدولة هيرودوس الأول أول ملوك الاسرة الثانية التي يتراوح التخمين في أصلها بين أن تكون أدومية أو إسرائيلية أو فلسطينية .

وقد كان الرومان قد استولوا في سنة ٦٤ ق م على بلاد الشام وحلوا محل السلوقيين وأخذوا يتدخلون في شؤون الدولة المكابية . وكان ان حظي هيرودوس وأبوه مـــن قبل لديهم فعينوه ملكاً . وقد استطاع ان يبرز كملك قوي واسع السلطان جم النشاط والثروة على ما جاء في تاريخ يوسيفوس بأسلوب فيه كثير من الخيال والمبالغة .

ولما مات هذا اشتدت قبضة الرومـــان وأخذوا يتدخلون في جميع شؤون الدولة المكابية وعينوا ولاة الى جانب ملوكها كانوا هم اصحاب السلطان الفعلي وخاصة في عهد اغريباش الأول والثاني .

وفي هذه الفترة وبالتحديد في عهـد اوغسطوس قيصر وفي السنة ٢٩ من حكمه وفي اواخر عهد هيرودوس الثاني ظهر من بني اسرائيل عيسى ابن مريم عليه السلام داعياً الى الله وحده ربه ورب السماوات والأرض ورب العـــالمين والى الصلاح والاصلاح مبشراً بالمحبة والرفق والسلام ناعياً على اليهود وخاصة زعمائهم الدينيين ما ارتكسوا فيه مـــن انحرافات وآثام دينية وخلقية شاجباً النفاق واستغلال الدين مؤيداً الوصايا والتشريعات الموسوية مخففاً عن الناس كثيراً من التكاليف والقيود مبيناً لهم حقائق ما كانوا مختلفين فيه داعياً إلى البر بالفقراء والمساكين منددأً بالتكالب على الدنيا فكان ظهوره ودعوته وسيرته مظهراً جديداً من مظاهر ميزة الجنس العربي الفذة التي هي من أعظم مآثره ذات



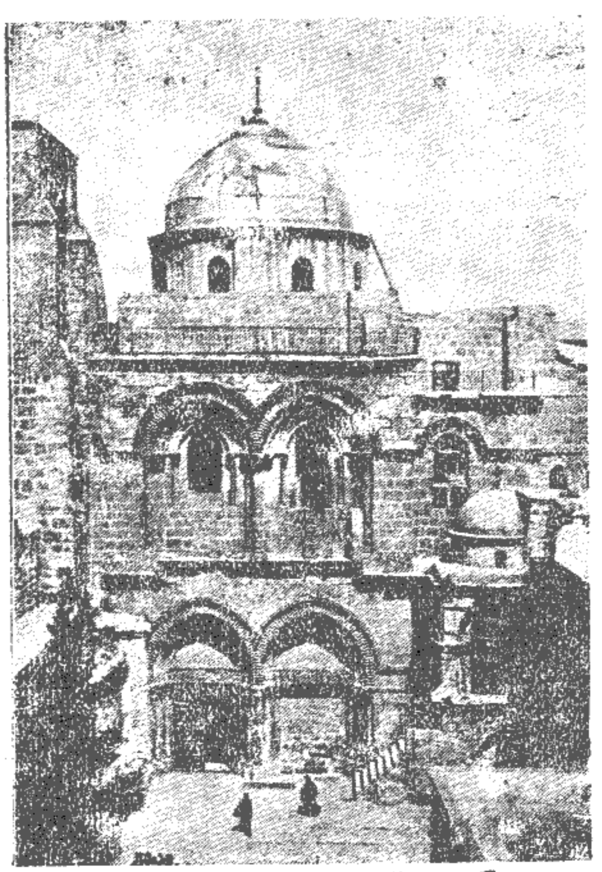
صورة قديمة تمثل السيد المسيح وأمه

الاثر الخالد في الانسانية وتاريخها بقطع النظر عما كان من انحراف عنها وتحريف فيها وسوء تأويل لها وانقسام الى شيع واحزاب متناحرة فيها .

وقد كان من طبيعة الدعوة التي دعا اليها ان غدت الديانة المسيحية ديانة انسانية عامة انضوى تحت لوائها امم مختلفة في اجناسها والوانها وبلادها مما لم يكن حظ الديانة الموسوية بسبب ضيق الافق والنظر الذي كان اليهود عليه على ما ذكرناه قبل ، بحيث جاءت الدعوة المسيحية لتكون معدلة ومصلحة ومنقية لما علق بالاولى من شدة وتزمت وادران وتشويش وانحراف وتحريف وسوء تأويل وضيق أفق ونظر .

وقد تألب رؤساء اليهود على السيد المسيح بسبب دعوته الاصلاحية التجديدية لأنه كان يشدد الحملات والنكير عليهم خاصة وحرضوا عليــه الجمهور ، وشكوه الى الوالي الروماني بيلاطوس البنطي وطالبوا بشنقه والاناجيل المتداولة تذكر ان الحاكم استجاب لهم ونفذ طلبهم .

ونقول استطراداً ان القرآن يقرر ان الله انزل الانجيل على عيسى وان شنق عيسى لم يتم بل شبه لهم ، وان رواية شنقه قائمة على الظن دون اليقــين وان هناك اختلافات كثيرة في شأن عيسى بين النصارى انفسهم .



كنيسة القيامة التي فيها قبر المسيح

والاناجيل المتداولة ليست الا ترجمة لعيسى كتبها اشخاص بعد موته بمدة غير قصيرة واستقوا ما كتبوه من الرواة . وقد احتوت كثيراً من اقوال عيسى وتعاليمه التي عليها

طابع الوحي الرباني . والمتداول المعترف به منها وان كان اربعة فقد كانت اكثر من ذلك مع اختلاف في هذا العدد والنصوص . ومن الاناجيل غير المعترف بها انجيل برنابا فيه تقريرات عن شخصية عيسى وحكاية لاقواله متطابقة مع مااحتواه القرآن من مثل ذلك في صدد توكيده انه عبد الله ورسوله ودعوته إلى عبادة الله وحده ، وتنديده بالذين دعوه او يدعونه ابن الله ، وتبشيره ببعث النبي محمد عليه السلام ، وفي صدد انكار صلبه وتقرير كون المصلوب هو غيره وقد شبه به ، وفي صدد كون ولادته هي معجزة ربانية وحسب .

ولقد وجد بين معتنقي المسيحية من كان يقول ان المسيح بشر احرز الفضائل فاختاره الله ابناً له وان العذراء حبلت به بفعل الروح القدس وينكر مساواته لله واشتهر من هؤلاء ابيون حتى لقد روى ان يوحنا انما كتب انجيله لتنفيذ كلامه وقد وجد غير واحد من كبار رجال المسيحية في القرون التالية يقولون اقوالا مماثلة او مقاربة وصارت أقوالهم مذاهب اعتنقها جمهور كبير من النصارى من اشهرهم نسطور واوطيخا ويعقوب البردعي في بلاد الشام واريوس وديستوروس في مصر [1] .

ولقد آمن كثير من النصارى وفيهم القسيسون والرهبان حينما سمعوا النبي يتلو القرآن وتبين لهم ما عرفوه من الحق والصدق في ما ورد فيه على ما ذكرته آيات قرآنية عديدة [2] .

ثم اخذ يدخل النصارى في بلاد الشام والعراق ومصر وشمال افريقية في الاسلام افواجاً بعد الفتح الاسلامي حتى شمل في النهاية اكثريتهم ؛ مما ينطوي فيه دلالة حاسمة على انهم انما فعلوا ذلك لانهم رأوا في القرآن تقريرات في صدد السيد المسيح متطابقة مع مذاهبهم .

---

(١) انظر تاريخ سورية لدبس مجلد ٣ ج ٢ ص ٥٥٧ – ٥٥٨ ومجلد ٤ ج ٢ ص ٨٥ وبعدها و٢٦٦ وبعدها و٣٨٢ – ٣٩٠ و٦٢٢ وبعدها .

(٢) اقرأ مثلا آيات القصص ٥٢–٥٣ والاسراء ١٠٧–١٠٩ والمائدة ٨٢ – ٧٥ وبعض المبشرين والمغرضين يزعمون ان النصارى اعتنقوا الاسلام كرهاً ورهبة ووجود انسال النصارى القدماء محتفظين بنصرانيتهم في مختلف انحاء بلاد الشام والعراق ومصر خلال الحكم الاسلامي الشامل المستمر دليل على زيف هذا الزعم وما يرويه التاريخ من بعض الاحداث قد كان لاسباب سياسية وشخصية على ما سوف يأتي تفصيله في الاجزاء التالية من الكتاب ان شاء الله .

(٩)

تدمير اورشليم وأسبابه

ان اليهود نتيجة لما حسبوه انتصاراً لهم على عيسى عليه السلام اشتدت محاسنهم فأداهم ذلك الى الاعتداء على الوثنيين والسامريين في فلسطين وسورية . وكان هؤلاء يقابلونهم بالمثل ويشتكونهم الى الرومان . ولم يقفوا عند هذا الحد فانهم أخذوا يتنمرون على الرومان ايضاً فكان هذا وذاك مؤدياً الى تدمير اورشليم وضربهم ضربة قاصمة على ما جاء تفصيله في الجزء الثاني المجلد الثالث من تاريخ سورية ، للدبس وفي تاريخ يوسيفوى اليهودي .

وقد اسهب المؤرخ اليهودي المذكور خاصة فيما كان من أحداث بين اليهود والرومان التي أدت الى ذلك التدمير . وقد قال ان بداية الشر والبلاء كانت بخروج خارجي — وهذا تعبيره — اسمه العازار بن الكاهن حنابي ألف عصابات من الحرامية على حد تعبير يوسيفوس أيضاً وصار يعيث في البلاد فساداً فسير عليه الوالي الروماني فيلكس حملة انهزمت أمامه فاستفحل أمره، وكان اغريبا في روما فرجع على عجل وأخذ يخوف الناس من عاقبة الحركة ولكن العازار لم يرتدع ، وأخذ يشتبك مع القوات الرومانية فانقلبت حركته الى ثورة ضد الرومان وتمكن من احتلال القدس وفر اغريبا الى روما . وأرسل القيصر نيرون حملة قوية أحرقت جميع ما عبرت به من مدن اليهود وقتلت أهلها الى أن وصلت الى اورشليم وضربت عليها الحصار . وتمكن العازار من كسرها وقتل عدد كبير منها فأرسل القيصر حملة أقوى بقيادة قائد مشهور اسمه وسباسيانوس وأمره باستئصال اليهود وهدم حصونهم وتخريب بلدانهم . وقد جاء هذا القائد الى الجليل أولا فأوقع في اليهود مذبحة هائلة حتى كادوا يفنون فيها . وبرز بعد ذلك خارجي ثان اسمه يوحانان فالتف عليه من بقي من فلول اليهود في الجليل واتجهوا تحت قيادته نحو القدس وسيطروا عليها وتصرفوا فيها تصرفاً ارهابياً شديداً وانحشوا في القتل والمصادرة ، واستعانوا بجيش من آدوم[1] فجاء الجيش وشارك يوحانان وجماعته في القتل والنهب ، فبرز

---

(١) آدوم دولة كانت من دول شرق الاردن عاصمتها بطرا فحلت محلها دولة الانباط العربية. والاستعانة انما كانت من هذه الدولة التي سبق ان استعان احد ملوك اليهود باحد ملوكها على ما ذكرناه قبل.

خارجي ثالث اسمه شمعون ونشب بينه وبين يوحانان نزاع على الرئاسة وانقسم الناس في القدس بينهما وأخذت الاشتباكات تقع وكثر القتل في الشوارع والازقة حتى صار الناس لا يمشون الا على الجثث والدماء والاشلاء كما كثرت المصادرات فأخذ أهلها يرسلون الاستغاثات الى القائد الروماني ، وكان في روما نزاع جعل وسباسيانوس يعود اليها مع قسم من جيشه ليشترك في النزاع لحسابه — وقد آل اليه الملك نتيجة لذلك — وترك ابنه طيطوس على رأس بقية الجيش فزحف هذا على القدس وضرب عليها حصارا شديداً ذاق أهلها منه الهول وجاعوا جوعاً شديداً حتى أنهم اكلوا الحيوانات والجيف وروث البهائم ومنهم من أكل أولاده بعد ما أتوا على كل اخضر ويابس ، هذا بالاضافة الى ما كان يقع عليهم من فتك ونهب وشدة من رؤساء الثورة الذين ظل يوسيفوس يصفهم بالخوارج ويعزو اليهم الخراب وتشتيت الأمة .

وقد تمكن طيطوس في النهاية سنة ٧٠ ب م من اقتحام المدينة وأخذ يعمل مع جيشه يد التدمير والنهب والتحريق والقتل حتى تركها قاعاً صفصفاً ، وكانت أسوارها ومعبدها من جملة ما دمر من معالمها وبذلك زالت الدولة المكابية وانفرط عقد بني اسرائيل السياسي في فلسطين .

وقد ذكر يوسيفوس ان عدد من قتل ومات في اورشليم في هذه المعامع زاد عن الف الف وان عدد الذين سباهم واسرهم طيطوس من جماهير اليهود ومحاربيهم زاد على مئة الف ونزح عدد كبير من النازحين الى قبرص ومصر والقيروان والحجاز ولم يبق في فلسطين منهم الا شراذم ضعيفة .

(٩)

بعد تدمير اورشليم (١)

على أن اليهود لم تخمد نأمتهم بالمرة بعد هذه الضربة . فان الجماهير التي نزحت عن فلسطين الى قبرص ومصر والقيروان هاجت على اليونانيين والوثنيين الذين كانوا في هذه الاقاليم وتمكنوا من قتل الآلاف المؤلفة منهم وكانوا يمثلون بضحاياهم تمثيلا فظيعاً فيقطعون

---

(١) هذه النبذة مقتبسة من الجزء الثاني من تاريخ سورية للدبس ص ٥٥٩ وما بعدها والجزء الثاني المجلد الرابع ص ٤٤١ وما بعدها وص ٩٩ وتاريخ كلده واشور لادي شير ج ٢ ص ٨ وما بعدها .

اطرافهم ويشربون دماءهم ويأكلون لحومهم ؛ مما فيه دلالة على شدة الغيظ والحقد ؛ وكان ذلك في عهد الامبراطور الروماني ترايان ٩٨ -١١٧ ب م فاستشاط غضباً على اليهود ، واوقع فيهم مذبحة هائلة في الاسكندرية ، واثخن قواده في من كان منهم في قبرص وحظروا على اي يهودي دخولها ولو كان ضالا ، وارسل ترايان رجالا خصوصيين الى مصر وليبية وبين النهرين فأوقعوا فيهم المذابح الكبيرة.

ولقد انشأ الامبراطور أدريان الذي تولى بعد تراجان (١٣٧ - ١١٧ ب م) هيكلا للشمس في مكان هيكل اليهود المدمر في اورشليم واسكن جالية رومانية في جبل صهيون وحظر الختان على اليهود، فهاجت الشراذم اليهودية التي بقيت في فلسطين وماجت وحمل زمر منها السلاح وقام فيهم رجل اسمه باركوكبا اي ابن الكوكب وادعى انه المسيح المنتظر فضربهم والي القدس الروماني ضربة قوية ولكنهم لم يرتدعوا فأرسل الامبراطور قائداً خاصاً على رأس حملة قوية فأخذ يضربهم في مكان بعد مكان ويضيق عليهم ويدمر قراهم ويسبي نساءهم واولادهم ويبيعهم في اسواق العبيد . وقد اخذ كثيراً من رجالهم اسرى ليكونوا غذاء لأسود الملاعب . وحرم على اليهود دخول اورشليم ثم سمح لهم بدخولها يوماً واحداً في السنة لقاء غرامة كبيرة لينوحوا على خرائب المعبد . فكان هذا القمع الشديد الذي يخمن انه كان في سنه ١٣٢ ب م الضربة النهائية لليهود في فلسطين التي لم تقم لهم فيها قائمة بعد [1]

غير ان التاريخ سجل لهم في فلسطين بعض النشاط الديني في القرن الثاني بعد الميلاد وبعده حيث اجتمع فريق من احبارهم في طبريا فأنشأوا مدرسة لتعليم الفرائض الدينية وألفوا الكتاب المعروف بالتلمود . وهو قسمان (المشناة) ومعناها الشريعة الثانية وهذا القسم هو بمثابة تفسير للتوراة (والغمرة) ومعناها التتمة وهو تفسير للمشناة [2] .

---

(١) انظر تاريخ سورية المجلد الثالث الجزء الثاني ص ٥٥٩ وما بعدها للمطران الدبس ويروي المؤلف ان عدد الذين قتلوا في القيروان وليبية من اليهود بلغ (٢٢٠) الفاً وفي قبرص (٢٤٠) الفاً وفي فلسطين (٥٨٠) الفاً وعدد القرى التي دمرت لهم في فلسطين (٩٠٠) والارقام لا تخلو من مبالغة ولكنها تفيد على كل حال ان الضربة التي نزلت فيهم كانت ساحقة ماحقة .

(٢) ننبه على ان المؤرخين يذكرون ان قسمي التلمود لم يتكاملا الا في القرن الرابع . وان هناك تلموداً آخر يسمى البابلي الفه بعض الربيين بعد هجرتهم الى العراق اثر ما انزله فيهم ادريان من ضربه ولم يكمل الا في القرن الخامس او السادس (انظر تاريخ سورية المجلد الثالث الجزء الثاني للدبس ص ٥٧٥ .

على ان اليهود لم ينضووا جميعهم الى جامعة التلمود حيث بقي فريق منهم فيهم العلماء والاحبار ينكرونه ولا يقرون بغير الاسفار الخمسة الاولى من العهد القديم ثم باسفار الانبياء الاخرى ويعرفون بالقرائين . اما الذين قبلوا التلمود وساروا عليه فقد عرفوا بالربانيين .

ولما انقسمت الامبراطورية الرومانية إلى شرقية وغربية وصارت القسطنطينية عاصمة للامبراطورية الشرقية كانت فلسطين كسائر بلاد الشرق العربي تابعة لها ؛ يديرها ولاة وعمال يعينهم قياصرتها حيناً وولاة الشام الرومان حيناً آخر .

ولقد تولى عرش القسطنطينية بعد قسطنطين بقليل يوليانوس الذي عرف بالجاحد أو المرتد لانه ارتد عن المسيحية الى الوثنية واخذ يضطهد المسيحيين ويعيد الهياكل الوثنية . وقد حرض اليهود على تجديد هيكلهم في اورشليم وامدهم بالمال والرجال والمعدات لتكذيب قول المسيح بانه لا يقام في الهيكل حجر على حجر . وقد تسارع اليهود الى اورشليم مغتنمين الفرصة غير ان هذه الحركة لم تصل الى نتيجة لان يوليانوس لم يلبث ان قتل (٣٦٣ ب م) وكان اليهود كلما اقاموا جبهة تداعت على ما يرويه الدبس . وعاد خلفاء يوليانوس الى المسيحية فصار اليهود يتعرضون لاضطهادهم واضطهاد المسيحيين معاً . وقد اشتد الاضطهاد عليهم خاصة في عهد جوتنيان (٥٤١–٥٧٩) الذي شمل اضطهاده جميع المخالفين لمذهبه من النصارى ثم اليهود الوثنيين على السواء . وقد ثار اليهود في عهده فقمع ثورتهم بشدة . ثم ثاروا في انطاكية في عهد الملك فوقا ٦٠٢ – ٦١٠ على النصارى وقتلوا بطركها وكثيراً من نصاراها فنكل بهم فوقا تنكيلاً شديداً وارغم كثيراً منهم على التنصر . وفي سنة ٦١٥ ب م انتصر الفرس على الرومان واستولوا على بلاد الشام وفلسطين فتنمر اليهود وشرعوا ينتقمون لانفسهم من النصارى والسامريين فشهدت فلسطين المذابح الاهلية مرة اخرى . وقد روى ان اليهود ساعدوا الفرس على ما تم لهم من انتصار . وانهم كانوا يشترون من الفرس الاسرى ويذبحونهم وقد بلغ من قتلوه بهذه الطريقة ١٨٠ و ٩٠ الفاً مما فيه بالغ الحقد والقسوة ولما انتصر هرقل على الفرس سنة ٦٢٥ ب م واجلاهم عن فلسطين تهيأ للنصارى ان ينتقموا من اليهود ؛ فتجددت المذابح . وهذه المذابح التي وقعت قبيل الفتح الاسلامي تفسر لنا ما كان من شدة كراهية النصارى الذين غدوا اكثرية اهل فلسطين وخاصة اكثرية مدينة اورشليم في ظل حكم الروم لليهود حتى

جعلتهم يشترطون في الصلح الذي عقده معهم الخليفة عمر بن الخطاب (رض) عدم سكنى اليهود في المدينة المقدسة .

ولقد كان انتصار الروم على الفرس واستردادهم فلسطين كالشهقة الاخيرة للسراج قبل الانطفاء فانهم لم يلبثوا الا قليلا حتى قوضوا خيامهم وزال حكمهم سنة ٦٣٩ ب م ١٧ ه نتيجة لحركة الفتح الاسلامي التي قاد البطل العربي عمرو بن العاص معاركها في فلسطين ضد الروم بعد الانتصار الحاسم الذي احرزه جيوش الفتح عليهم في اليرموك .

ولقد كان كثير من اليهود قد اعتنقوا المسيحية كما اعتنق كثير منهم الاسلام اسوة بمعظم سكان فلسطين القدماء فصار عدد الذين احتفظوا باليهودية فيها قليلا . ولقد اخذ الطابع العربي يشتد في فلسطين نتيجة لتوالي الموجات العربية الصريحة إليها قبيل الاسلام[1] ثم في ظل الفتح الاسلامي وبعده حتى شمل بيسر وسهولة جميع سكانها الذين احتفظوا بنصرانيتهم ويهوديتهم والذين هم من انسال الارومات العربية الجنس القديمة لاتحاد اروماتهم مع هذه الموجات الصريحة العروبة حتى غدا هذا الطابع طابع فلسطين المقدس الخالد .

ولقد ذكرنا قبل أن جماعات من اليهود قد نزحوا بعد تدمير اورشليم الى الحجاز .

---

(١) في الجزء الثاني من طبقات ابن سعيد ورد ذكر « وفد الداريين » في جملة الوفود . وذكر ان احدهم تميماً قال للنبي عليه السلام لنا جيرة من الروم لهم قريتان يقال لاحداهما حبرى والاخرى بيت عنون فان فتح الله عليك الشام فهبها لي قال له هما لك . وهاتان القريتان هما من ضواحي مدينة الخليل حيث يفيد هذا ان قبيلة الداريين كانت في ارض فلسطين قبل الفتح وهي صريحة العروبة . (انظر طبعات ابن سعد ج ٢) وقد روى جواد علي في الجزء الثالث من كتابه تاريخ العرب قبل الاسلام (ص ٢٠٤) نقلا عن المؤرخ الروماني بروكوبيوس من رجال القرن السادس بعد الميلاد ان الامبراطور جوستنيان عين والياً اسمه ابو كرب بن جبلة حاكماً على عرب فلسطين اي انه كان في القرن السادس عرب صرحاء في فلسطين ممتداً على الارجح الى ما قبل ذلك ايضاً ويؤيد هذا الامتداد الى القرن السادس قبل الميلاد اسم جاشم العربي الذي ورد في الاصحاح (٦) من سفر نحميا في عداد الذين تصدوا لمناوأة اليهود ومنعهم من تجديد اورشليم والمعبد .

وهذا امر طبيعي لان الموجات العربية الصريحة اخذت تنساح الى بلاد الشام منذ القرن السابع قبل الميلاد بل وقبله على ما اثبتته آثار الاشوريين (انظر الجزء الثاني من تاريخ العرب قبل الاسلام لجواد علي ص ٢٧٧ وما بعدها وتاريخ العرب قبل الاسلام لجرجي زيدان ص ١٦٩ وما بعدها) ثم اشتد تواليها تحت راية العروبة الشديدة الصراحة في القرون السبعة السابقة للفتح حتى صارت تملأ جنبات بلاد الشام .

وقد استقر النازحون في مدينة يثرب والقرى التي في طريق الشام القريبة منها واشتغلوا بالزراعة والتجارة والصناعة والربا واثروا وبنوا وحاولوا ان يستعلوا على العرب فشكاهم لملك غسان في رواية وملك حمير في رواية اخرى فجاء وضربهم ضربة شديدة غير انها لم تكن قاضية عليهم حيث ظلوا محتفظين بكيانهم ونشاطهم .

ولقد ذكرت الروايات العربية وايدتها المدونات اليونانية والرومانية والحبشية القديمة ان ملكاً من ملوك حمير اسمه تبان اسعد ابو كرب مر في احدى غزواته بيثرب فجاءه حبران من احبار اليهود فاعجب بهما واتبع دينهما واخذهما معه الى اليمن ودعا قومه إلى الدخول فيما دخل فيه فأجابوه وكان ذلك على ما يخمن في القرن الخامس الميلادي [1] . وكانت النصرانية بدورها قد انتشرت في اليمن قبل ذلك فأخذ رجال الديانتين يتنافسون ويتكايدون نتيجة للعداء الذي كان مشتداً بين اليهود والنصارى في مختلف انحاء بلاد الشام ومصر ؛ وكسب اليهود الجولة الاولى في عهد ذي نواس الذي اشتد في اضطهاد النصارى وارسل الى ملك الحيرة يحرضه على مثل ذلك ؛ وجر هذا الاضطهاد على اليمن غزو الاحباش الذين اتخذوه ذريعة انتصار لبني دينهم في الثلث الاول من القرن السادس فتمكنوا من تقويض الدولة الحميرية وضربوا بدورهم اليهود ضربة شديدة حتى افنوهم او كادوا [2] .

ولما بعث النبي محمد عليه السلام وهاجر الى المدينة وقفوا من دعوته موقف المتهجم ثم المناوىء ثم المتآمر لانهم رأوا فيها تهديداً لمصالحهم ومركزهم ، وقد انذرهم النبي المرة بعد المرة وطاولهم فلم يرتدعوا فيئس من ارعوائهم ونكل فيهم جماعة بعد جماعة حتى انحصدت شوكتهم وكانت وصيته الاخيرة اخراجهم بالمرة من جزيرة العرب فنفذ الخليفة الثاني عمر بن الخطاب الوصية .

هذا ، وواضح مما تقدم ان العبرانيين وبني اسرائيل عاشوا على عمران وحضارة وفنون من سبقهم في سكنى شرق الاردن وغربه من الارومات العربية الجنس الكنعانية

---

(١) انظر الطبري ج ٣ ص ١٠٥ والعرب قبل الاسلام جواد علي ج ٤ ص ٧١ وبعدها وتاريخ اليهود في بلاد العرب لاسرائيل ولنفسون ص ٥١ وبعدها .

(٢) انظر تاريخ العرب قبل الاسلام لجواد علي ج ٣ ص ١٧٢ وبعدها وج ٤ ص ١٧٨ وبعدها والطبري ج ١ ص ٥٣٠ وبعدها .

والآمورية ، وكانوا يتأثرون بهم في كل ذلك حتى لقد ظلوا ينحرفون عن مزيتهم العظمى التوحيد المطلق نتيجة لذلك بحيث يصح أن يقال انهم لم يكادوا يجددون شيئاً في مجال الفن والحضارة ، وقد يكون لهم ميزة فيما تمثله أسفار العهد القديم من آداب . غير ان ذلك لا يعد ابتكاراً لأنه وجد كثير من أسسه في الآثار المكتشفة في العراق ومصر وسورية(١)

وفي خلال الفصل كثير من مظاهر نشاطهم الحضاري والعمراني والادبي والديني يغنينا عن عقد نبذة خاصة بذلك .

استدراك واستطراد

إن بعض العرب ينظرون بشيء من الازورار إلى سلك العبرانيين وبني اسرائيل في سلك الجنس العربي بسبب ما قام بين العرب واليهود في التاريخ الحديث من عداء وصدام ناتجين عن عدوان اليهود على فلسطين وأهلها بمساندة الاستعمار الباغي .

غير ان هذه النظرة في غير محلها . فالعبرانيون وبنو اسرائيل المتفرعون منهم هم من الأرومات العربية الجنس سواء أكانوا قبيلا خاصاً هو الذي عرف باسم الخابيرو أو العابيرو أم فرعاً من الآموريين أو الآراميين أو الكلدانيين على ما يكاد يجمع عليه الباحثون مع فارق واحد هو أنهم يسمون هذه الأرومات بالساميين في حين نسميها نحن بالجنس العربي على ما شرحناه في مقدمة الجزء الأول من تاريخ الجنس العربي . ومن واجب المؤرخ ان يذكر ما يثبت له من حقائق بدون النظر إلى أي اعتبار . وهذا هو الذي جعلنا نسلكهم في سلك الجنس العربي .

ومن الحق أن ننبه في هذه المناسبة على أنه لا يعقل أن يكون الجنس العربي شاذاً عن البشر ليكون كله صالحاً . ففيه الصالح والطالح وفيه العادل والظالم وفيه المستقيم والمنحرف مما هو بديهي لا يتحمل مراء . مع القول ان القبيل العبراني الاسرائيلي قد جاء شاذاً حيث كان في مختلف سيرته المعروفة منذ القرن الثاني عشر قبل الميلاد من أسوأ ما يكون قسوة وظلماً وعدواناً وحقداً وشرهاً وانحرافاً دون أن يكاد يكون لذلك استثناء على ما يستبينه القارىء من خلال أسفارهم .

---

(١) انظر تاريخ سورية ولبنان وفلسطين لفيليب حتي ترجمة حداد ص ٢٢١-٢٣٧ ومصر القديمة ج ٥ ص ٣٠١-٣٢٨ والجزء الاول من مقدمة في الحضارات القديمة لطه باقر ج ١ الفصل الثاني عشر

ونستطرد الى القول ان الحركة اليهودية الحديثة التي تقوم عــلى أساس زعم اليهود المعــاصرين بأنهم أنسال بني اسرائيل القدماء وربطهم حركتهم بتاريخ هؤلاء في فلسطين وجعلهم ذلك مستمداً لحركتهم ومبرراً لما يهدفون اليه مـــن اقامة دولة لهم في فلسطين وما جاورها لا تستند إلى أي أساس من منطق وتاريخ صادق . فبالاضافة الى أن دعوى حق اليهود بالعودة إلى فلسطــين لأن بني اسرائيل اليهود عاشوا فيهـــا زمناً مــا قبل الفي سنة باطلة مضحكة ، وبالاضافة كذلك إلى أن بني اسرائيل قد طرأوا على فلسطين طروءاً وهي غاصة بالسكان ولم يكن لهم فيها أي مجد ومفخرة على ما تقدم شرحه فان دعوى اليهود المعاصرين بصلتهمببني اسرائيل القدماء هي زائفة أيضاً لأن معظم الفئة القايلة التي بقيت في فلسطين بعد ضربات الرومان القاصمة في القرنين الأول والثاني بعــد الميلاد اعتنقوا المسيحية ثم الاسلام واندمجوا في العروبة . ومعظم الذين تشردوا في انحاء الشام ومصر وشمال افريقية ونجوا من القتل اعتنقوا الاسلام واندمجوا في العروبـــة كذلك . والذين حافظوا عــلى يهوديتهم عاشوا بين الأقوام الأخرى في آسيا وأوروبا وافريقية فاختلطت دماؤهم بدماء هذه الأقوام . وهذا فضلا عن أنه من الثابت ان كتلا كبيرةمن أصل آري في آسيا وأوروبا اتخذت اليهودية ديناً . منهم من فعل ذلك قبل الميلاد ومنهم من فعله بعده (١) بحيث يصح أن يقال ان معظم اليهود اليوم من أنسال هذه الكتل وان الدم الاسرائيلي العربي الذي كان في الجدود الأولين قد باد أو كاد ، وان قصارى ما في الأمر ان الدين الطبيعيهو الطابع المخصص للكتل التي تدين بهذا الدين والتي تمت إلىمختلف الاجناس .

وان اسفار العهد القديم التي ظل اليهود يتدارسونها مع التلمود ويعتبرونهـــا مرجعهم

---

(١) ان الشعوب التي ارسلها اسرحدون الىفلسطينواسكنها بلاد السامرة بعد نسف مملكة اسرائيل اعتنقت الموسوية وكثير من اهل العراق اندمجوا مع بني اسرائيل في المنفى واعتنقوا اليهودية عــلى ما ذكرته اسفار العهد القديم (انظر سفر استير وعزرا) وقد ذكرت الموسوعة اليهودية في مجلدها السادس خبر اعتناق قبائل الخزر للدين اليهودي وانتشارها بعد ذلك في انحاء روسية ومنها الى اوروبا الوسطى في مختلف الظروف وهؤلاء هم الطوائف الشكنازية التي تؤلف اكثرية اليهود . ولا شك ان اعتناق اليهودية من قبل جماعـــات آرية الجنس ليس قاصراً على الخزر وكل مافي الامر ان الخزر اكبر الكتل المتهودة . ولقد أورد البلاذري في كتابه فتوح البلدان (ص٢٠٨) نص كتاب امان كتبه القائد العربي حبيب بن مسلمة لاهل مدينة واسيل في بلاد الارمن والخزر جاء فيه انه اعطى الامان لنصارام ومجوسهم ويهودهم اي انه كان في مناطق ارمينية والخزر يهود في اوائل القرن الهجري الاول ممتداً الى ما قبل ذلك . والمتبادر ان لا يكون اليهود في مدينة واحدة فقط ...

الديني والتشريعي والتاريخي ظلت تؤثر فيهم وتطبعهم بطابع الجبلة الشاذة التي تميز بها بنو اسرائيل القدماء وليس من شأن هذا ان يسبغ عليهم صفة قومية متميزة . ومحاولة احياء اللغة العبرانية القديمة التي حفظتها الكتب والاسفار الدينية وظلت في نطاقها وحسب هي عملية اصطناعية ومتصلة بفكرة النزوع إلى إحياء قومية لها لغة خاصة مما أوحت به حالة اليهود الاجتماعية والسياسية حيث رأى بعض رجالهم في أواخر القرن التاسع عشر ان لا خلاص لبني ملتهم من تلك الحالة إلا بايجاد مكان يجتمعون فيه ويحيون كأمة فتفتقت في ذهنهم فكرة الذهاب الى فلسطين واحياء اللغة العبرانية لأنهم رأوا في تاريخ اليهود القديم ما يمكن أن يكون سنداً لفكرتهم وباعثاً على اعتناقها من قبل اليهود فكانت الحركة الصهيونية التي اقتبس اسمها من أحد تلال مدينة القدس أورشليم عاصمة مملكة داودوسليمان ويهوذا ومكان معبدهم البائد والتي ترمي الى حشد اليهود في فلسطين واقامة دولة وكيان قومي فيها بقوة الدافع الديني والذكريات التاريخية مهما كان ذلك من بعد عن الحقائق ومناقضة للعلم والتاريخ والمنطق السليم .

وبقاء اليهود في كل مكان وجدوا فيه كتلا منطوية على نفسها في مساكنها ومعايشها وأخلاقها وعاداتها معرضة للاحقاد والاضطهاد والاحتقار وخاصة في القرن السابق وماقبله ليس من شأنه أن يعضد صحة القومية المتميزة التي تتصل ببني اسرائيل القدماء الذين يريد اليهود الصهيونيون نسبة أنفسهم إليهم ، وانما هو متصل بوجودهم بين الكثرة الدينية الاخرى التي يقوم العداء الديني والاجتماعي والاقتصادي بينها وبينهم ونتيجة من نتائجه ومظهر من مظاهر حياة الاقلية الدينية والمذهبية الأخرى وما تفرضه هذه الحياة وامتدادها في القرون الوسطى .

على ان الهدف الصهيوني لم يتحقق في معناه ومداه القومي والديني والتاريخي المزعوم برغم ما بذله الصهيونيون من جهود جبارة ودعاية قوية وحبكوه من مؤامرات واسعة ، وحتى برغم ما وصلوا اليه من نتائج ايجابية قد تبدو عظيمة فيما تم من حشد عدد كبير من اليهود في القسم الذي ساعدهم طواغيت الاستعمار على اغتصابه من فلسطين وفيما أنشأوه من منشآت وحصلوا عليه من اعترافات دولية بكيانهم . فاليهود الذين حشدوا إلى الآن في فلسطين لا يزيدون عن ١٥٪ من مجموع يهود العالم . وتسعون في المئة من المحشورين لم يأتوا بدافع صهيوني قومي وديني وتاريخي وانما أتوا بالدرجة الاولى بدافع الفقر والبطالة والخوف من الاضطهاد والاغراء بالحياة الآمنة الرضية . ولم يأت من اليهود الذين هم في

حالة مادية حسنة وأمن ممن يعيشون في أوروبا الغربية وأمريكا إلا القليل جداً برغم ما يتظاهرون به من حماس للصهيونية وبرغم ما بذل من جهود ودعايات واغراءات وخداع لأن ذلك الهدف غير متسق مع طبائع الأشياء وراهن التاريخ والوقائع في شيء . وكل الدلائل تدل على ان الحركة الصهيونية في حالة جمود أو تراجع من ناحية هدفها القومي والديني والتاريخي . وإذا كانت هذه الحركة مستمرة مع ذلك على نشاطها فان مرد هذا الى كونها قد غدت منظمة موظفين تضم عشرات الالوف الذين يرتزقون منها في فلسطين وسائر أنحاء العالم ، ثم إلى الدول الاستعمارية التي رأت وما تزال ترى في هـــذه الحركة وسيلة إلى تحقيق مآربها في الشرق العربي فتغدق عليها المساعدات وتؤيدها بمختلف الوسائل والمواقف . وحياة الدولة اليهودية منوطة بالدرجة الاولى بهذه المساعدات والتأييد ولن يدوم هذا إلى الأبد وحينما ينقطع تنقطع هذه الحياة ؛ وسيحدث ذلك حتما في مـا نعتقد عاجلا أو آجلا وخاصة انالشعب العربيالذي يعدتسعين مليوناً والذي يحدق بهم ويكونون فيه كعوامة تافهة في بحر عظيم قد انجرح أشد جرح وانكاه من سيرتهم في فلسطين وقـد تنبه لنواياهم المريبة تجاه جميع بلاده . وقد صمم على ان لا أمن ولا نجاة له إلا باقتلاع جرثومتهم . ولهذا أخذ يقوى ويزداد تصميا . ولسوف يأتي يوم يصبحون فيه عالة عـــلى الدول الاستعمارية والغربية التي ساعدتهم على الهجرة ثم على اقامة دولتهم عـلى الأرض المغتصبة من الوطن العربي والتي شرد عنها أهلها دون أن يكون لهذه الدول الفائدة التي املوها من وراء ذلك . ولسوف يثير ذلك التبرم في هذه الدول التي ترى مصالحها تتعثر في بلاد العرب العظيمة الساحة والامكانياتوالعدد بسببهم ولسوف يؤدي هذا إلىتركهم وشأنهم وحينئذ تقوم قيامتهم وتنتهي مسرحيتهم .

الموجات العربية

في

سوريا الوسطى والشمالية وحوض الفرات

تمهيد

- ١ -

ان الثغرات في تاريخ الموجات العربية في بـــلاد الشام الداخلية الوسطى والشمالية واسعة جداً مع الاسف بحيث يتعذر عرض سلسلة تاريخية بأي شكل . لا من حيث الممالك والملوك ولا من حيث الاحداث والمآثر ، في حين ان اكثر من نصف اسماء مدن وقرى هذه الاقسام الشامية اليوم ما تزال تحمل اللمحة العربية القديمة على ما يبدو من النظر في قوائم الاسماء التي أثبتناها في مطلع هذا الجزء . بقطع النظر عن احتمال كون كثير من القرى والمدن التي تحمل اسماء غير عربية أو اسماء عربية فصحى والتي كانت موجودة قبل الفتح كانت تسمى بمثل تلك الاسماء مما فيه الدلالة على أن الجنس العربي قد طبعها بطابعه ولعله كان أول من استعمرها ثم ظل يستعمرها .

ومع انه جرى تنقيبات عديدة في هذه الاقسام فان ما جرى قليل بالنسبة لما فيها من خرائب وأطلال وتلول كثيرة ، ولم يعثر في ما جرى على شيء ذي غنـــاء في صدد التاريخ السياسي والمآثر الحضارية لما قبل القرن الخامس عشر قبل الميلاد باستثناء كشفيات ماري في تل الحريري في حوض الفرات التي سوف نفصلها بعد والتي لم تسد مع ذلك إلا ثغرة ضيقة في تاريخ سورية (١) السياسي والحضاري القديم . ومعظم ما عثر عليه يعود الى عهد الرومان بعد الميلاد الذي كان يقوم في خلاله حكومات عربية صريحـــة في بعض انحاء بلاد الشام مثل تدمر وحوران اللتين وجد فيهما كثير من الآثار قد تكون مفيدة في تاريخ البلاد في عهد العروبة الصريحة ، مما سوف نورده في الجزء الثاني .

ونرجو ان تهتم الجمهورية العربية المتحدة لهذه الناحية فينشط في عهدها التنقيب ويتسع وينكشف كثير مما غمض من أحداث هذه البلاد السياسية وغير السياسية القديمة وبالتالي من تاريخ ومآثر الجنس العربي الذي عمرها من أقدم أزمنة التاريخ على ما هو متفق عليه عند الباحثين . فالجنس العربي قد اعتاد على تدوين أحداثه في مختلف حقب التاريخ عـلى

(١) في اخر مبحث الاراميين من هذا الفصل شرح منشأ اسم سورية واطلاقه على بلاد الشام .

ما مر شرحه في الاجزاء والفصول السابقة . ولا بد من أنه فعل ذلك في إبان وجوده ونشاطه في هذه البلاد . وكشفيات أوغاريت في الساحل الشامي التي نوهنا بها في فصل الكنعانيين في الساحل الشامي وكشفيات ماري التي سوف نتكلم عنها بعد دلائل قوية على ذلك .

-٢-

ولقد كتبت كتب كثيرة في تاريخ سورية القديم . ولكن هذه الكتب لم تسد شيئاً هاماً من الثغرة أيضاً . ويبدو أن مؤلفيها لم يستطيعوا ذلك بسبب نقص المادة الاثرية .

وهذا كتاب تاريخ سوريه ولبنان وفلسطين لفيليب حتي الذي ترجم الجزء الأول منه المعقود على تاريخ بلاد الشام هذه قبل الاسلام إلى العربية جورج حداد شاهد على ذلك وهو أحدث ما نشر ومؤلفه متبحر في التاريخ ومطلع من دون شك على جل أو أهم ما كتب في مادته من كتب عربية او أعجمية. وكل ما كتبه عن الآموريين والآراميين وهم الموجتان الكبريان اللتان غمرتا بلادالشام الداخلية الوسطى والشمالية وحوض الفرات وكان منها معظم سكان هذه البلاد لا يزيد عن ثلاثين صفحة بأسلوب عام وعابر فيه بعض أسماء وأحداث ثانوية ، في حين ان فصل الكنعانيين استغرق ثماني وثمانين صفحة وفصل الشعب العبراني استغرق سبعاً وأربعين صفحة لأن المادة التاريخية المعروفة لهذين الشعبين متوفرة أكثر اثرياً وتدويناً .

-٣-

ومع سعة تلك الثغرات فانه عرف من تاريخ هذه الاقسام الشامية والموجات العربية الجنس فيها أشياء كثيرة أيضاً مما عثر عليه من نقوش آشوريه ومصرية ومن التنقيبات التي جرت فيها ثم من أسفار العهد القديم على علاتها غير ان ما عرف من ذلك لا يساعد كما قلنا على عرض سلسلة تاريخية بشكل ما . فليس من مناص من الاقتضاب والاقتصار على نبذ مستفادة من المصادر المذكورة على نحو ما فعلنا بالنسبة لشرق الاردن وفلسطين باستثناء العبرانيين .

الامويون

الامو ريو ن

أوليائهم

من أول ما عرف من الموجات العربية الجنس الطارئة على بلاد الشام الوسطى والشمالية موجة الآموريين التي يخمن تاريخ طروئها منتصف الالف الثالث قبل الميلاد أو ثلثه الاول حيث ذكر اسمهم في منقوشات عراقية مدونة في القرن الثالث والعشرين قبل الميلاد (١). ولا يختلف الباحثون في كونهم من الساميين أي من الجنس العربي حسب اصطلاحنا على ما شرحناه في الجزء الثالث من تاريخ الجنس العربي (٢) .

ولا يعني هذا بطبيعة الحال ان الموجة الامورية هي أولى موجات جزيرة العرب إلى هذه الاقسام الشامية . فهي متصلة اتصالا مباشراً بجزيرة العرب من ناحيتها الشمالية . وانسياح الموجات من جزيرة العرب إلى الاقطار المجاورة لها في الشمال والجنوب أقدم بكثير من هذا الوقت على ما شرحناه في الجزء الثاني والثالث من تاريخ الجنس العربي . فمن المعقول أن تكون هذه الأنحاء من الأنحاء التي كانت تنساح إليها تلك الموجات منذ بدء تموجها وانسياحها من الجزيرة . ولقد كان في هذه الانحاء سكان وعمران قبل الموجة الامورية نسبهم المؤرخون والاثريون إلى الارومة السامية أي الجنس العربي حسب اصطلاحنا (٣) . وكل ما في الأمر أنه ليس من الممكن تاريخياً ذكر شيء محدد الاسماء والاحداث عنهم .

ويظن ان الاموريين جاؤوا من شمال الجزيرة إلى بادية الشام ثم أخذوا يتسربون منها إلى بلاد الشام وينتشرون في أرجائها الشمالية وحوض الفرات . وكان هذا الحوض من مراكز تكتلهم . ومنه تدفقوا إلى العراق الجنوبي وكانت منهم سلالة بابل الأولى التي أقامت في بابل دولة عظمى من ملوكها حمورابي على ما شرحناه في الجزء الثالث (٤) .

---

(١) كتاب فيليب حتي المذكور في التمهيد ص ٧٠

(٢) ص ٥٠ وما بعدها انظر ايضاً الجزء الاول من مقدمة الحضارات القديمة لطه باقر ص ١٣٩ والقرون القديمة لبريستيد ترجمة قربان ص ٩٤

(٣) انظر تسريح الابصار فيما يحتوي لبنان من الاثار للاب لامارتين ج ١ ص ٧٣-٧٤ مثلا .

(٤) ص ٥٠-٦٤

ولقد اختلف المؤرخون في وقت قيام هذه الدولة حيث ذكر ادي شير في تاريخ كلدة وآشور سنة ٢٤١٦ ق م بداية لتاريخها بينما ذكر بريستيد سنة ٢٢٠٠ ق م وبينما يؤخذ من سياق طه باقر ان قيامها كان حوالي القرن العشرين (١) .

ولا بد من أن يكون مر على طروئهم على العراق مدة لا تقل عن مئة سنة حتى أمكنهم أن يتغلبوا على الحكومات القائمة وينشئوا دولتهم . وهذا يعني أن تدفقهم من حوض الفرات للعراق كان بين القرن السادس والعشرين والقرن الحادي والعشرين حسب اختلاف التقديرات ، ويسوغ تقدير طروئهم على بلاد الشام بين القرن الثامن والعشرين والقرن الخامس والعشرين لانه لا بد من أن يكون مر على طروئهم على بلاد الشام مدة ما قبل أن يتدفقوا على العراق .

ولقد ذكر جرجي زيدان ان الاموريين هم من الآراميين وان اسم آمورو نعت نعتهم بها العراقيون ويعني الغرب لأنهم كانوا يقيمون في البلاد الواقعة غربيهم وجاؤوا منها إلى العراق (٢) وقد سموا في الآثار العراقية باسم مارتو أيضاً ومعناه الغرب في اللغة السومرية (٣) . ومع ان طه باقر وفيليب حتي يقرران ان الاموريين غير الآراميين وانهم أولى موجات السامية (العربية) المعروف طروؤها على بلاد الشام فانهما يقولان ما يقوله زيدان عن اسمهم وكونه نعتاً جغرافياً من العراقيين (٤) . وهذا القول الذي هو على الارجح قول علماء غربيين يقتضي أن تكون التسمية وصفية سماهم بها العراقيون . هذا في حين ان اسم آمورو كان لاصقاً بمن بقي منهم في سورية وبمن ذهب منهم الى فلسطين وشرق الاردن واستقروا فيها على ماورد في أسفار يوشع والقضاة والعدد والتثنية من أسفار العهد القديم (٥) وإذا كانت الآثار العراقية سمت بلاد الشام آمورو فلا يقتضي أن يكون اسم الاموريين من ذلك ولا يمنع بل يقتضي ان يكون ذلك ناتجاً عن كون اسم الآموريين أصيلا فسمت الآثار العراقية البلاد التي يسكنونها به . ومن الغريب انه

(١) انظر تاريخ كلدة واثور ج ١ ص ٢٧ والقرون القديمة لبريستيد ص ٩٤ ومقدمة الحضارات لطه باقر ج ١ ص ١٣٩

(٢) انظر العرب قبل الاسلام جرجي زيدان طبعة جديدة ص ٥٥-٦٦

(٣) كتاب طه باقر المذكور آنفاً ص ١١٧

(٤) مقدمة الحضارات ج ٢ ص ٢٣٢-٢٣٣ لطه باقر وتاريخ سورية ولبنان وفلسطين ص ٧٠-٧١

(٥) انظر الاصحاح ١٣ من سفر العدد والاول من سفر التثنية والخامس من سفر يوشع والاول من سفر القضاة

بينما يقال ان آمورو معناها الغرب في لغة العراق إذ ذاك تورد لفظة أخرى من هذه اللغة بهذا المعنى وهي مارتو . والفرق واضح بين اللفظين ...

ومن العجيب كذلك ان فيليب حتي بينما يتابع زيدان في قوله ان امورو نعت نعت به العراقيون سكان حوض الفرات وسورية بمعنى الغربيين والغرب يقول ان اسم الاموريين الخاص او اسم اله القبيلة هو آمورو (١)

لأن هذا يعني حسب قوله وقول زيدان وطه باقر ومن أخذوا قولهم عنهم ان الآراميين عرفوا النعت الجغرافي الذي نعتهم وسماهم به العراقيون في آثارهم وتسموا بـــه وسموا الههم الخاص به أيضاً ! ولا ندري كيف يفوت هؤلاء العلماء ان هذا لا يعقل حدوثه في حال ، وان تسمية الاموريين الههم الخاص باسم آمورو دليل حاسم على ان هذا الاسم أصيل لهم وليس نعتاً جغرافياً نعتوا به من العراق وصاروا يعرفون أنفسهم به ...

ولقد ورد اسم الاله « آمورو » على خاتم اسطواني عثر عليه في خرائب مدينة ماري الآمورية التي كانت عاصمة مملكته منذ النصف الثاني من الالف الثالث قبل الميلاد والتي اكتشفت حديثاً فأصبح الامر في درجة اليقين (٢) . ولقد اعتادت كل قبيلة من الجنس العربي ان تتخذ حامياً لها وان تسمي نفسها ابناء هـــذا الاله على ما مر بيانه في الأجزاء الثلاثة . مما فيه تفسير لقول حتي ان الاله آمورو هو إله الاموريين القبلي ومما فيه دليل حاسم على ان التسمية الامورية اصيلة لهذا القبيل . فاما ان يكون اسم الاموريين مقتبساً من اسم الههم الخاص أو يكون اسم الههم الخاص مقتبساً من اسمهم .

أما قول زيدان ان الاموريين هم الاراميون فهو قول يخالفه فيه جمهور البـــاحثين الذين يقررون انهما موجتان متميزتان وان الاموريين جاؤوا الى بلاد الشام قبل الاراميين بأمد طويل قد يكون الف عام او سبعمئة عام (٣) .

هذا واستتباعاً لاصالة تسمية آمورو لهذا القبيل الذي سمي بها فان مما يرد على البال ان يكون بين الكلمة وكلمة عمور العربية الصريحة التي هي في الوقت نفسه اسم قبائل عربية في دور العروبة الصريحة في بادية العراق في القرن الرابع للهجرة ممتدة إلى ما قبل ذلك على الارجح صلة تطورية ما (٤) .

---

(١) تاريخ سورية ولبنان وفلسطين ج ١ ترجمة حداد ص ٨٣

(٢) انظر مجلة الحوليات الاثرية السورية المجلد الخامس ص ١٠٣ - ١٠٤

(٣) انظر تاريخ سورية ولبنان وفلسطين لحتي ص ١٧٦ وبعدها ومقدمة الحضارات لطه باقر ج١ ص١٠٧

(٤) ذكر مؤلف العقد الفريد اسم قبائل العمور من قبائل بادية العراق والمؤلف من اهل القرن الرابع انظر الجزء ٢ ص ٢٣٦

-٢-

صور من آثار ونشاط الاموريين

ومن المدن التي يرجح انها من منشآتهم وما تزال قائمة شهيرة مدينة حلب . وقد قرئ اسمها على نقوش عراقية اكادية تعود الى اواخر الالف الثالث قبل الميلاد . وقرىء معه اسم لومكال أو شومكال موصوفاً بصفة كاهن وملك (١) . وقد عرف من الآثار ان الالاهة عشتار كانت تتبوأ مركزاً مهما في حلب وخارجها وكانت تنسب اليها فيقال عشتار حلب . وكانت تدعى ابنة الاله سين اله القمر .

وقد وجد في لارسه احدى عواصم الدويلات التي يظن ان الاموريين اقاموهـــا في العراق في أوائل طروئهم (٢) نقشان يرجع عهدهما الى القرن الواحد والعشرين قبل الميلاد أمر بنقشهما وردسين بن كودوق مابوك الذي حكم بين سنتي ٢٠٤٧و٢٠٢٦ وفيهما خبر بنائه معبداً وترميمه آخر اكراماً لعشتار الحلبية وخطاب موجه اليها جـاء فيه : انا وردسين ملك لارسه من أجل حيـــاتي وحياة كودور مابوك الى الذي انجبني بنيت في قدس اقداس الالهة النقي مسكناً ماوورفعت قمته كجبل عال عساها تقر عيناً بعملي وتهبني حياة طويلة حيث يبدو بالاضافـة الى تأييد ما ذكر مـــن اهمية حلب والاهتها عشتار التشارك الديني بين مملكة لارسه في العراق والاموريين في سورية مما يمكن ان يكون قرينة على وحدة الاصل .

ويلفت النظر الى اسم عشتار ثم الى سين التي تعني اله القمر فالاسمان من اسماء الهة جنوب الجزيرة العربية وكانا يطلقان على ما أطلقا عليه في العراق وحوض الفرات حيث يبدو التشارك الديني كذلك قائماً بين الاصل والفرع مما فيه قرينة على صلة الاموريين بجزيرة العرب والجنس العربي .

-٣-



ماري

ومن مدن الاموريين مدينة ماري التي كانت مدفونة تحت تل اسمه تل الحريري على بعد

---

(١) مجلة الحوليات الاثرية السورية لسنة ١٩٥١

(٢) مقدمة الحضارات ج ١ ص ١٤٠ ومجلة الحوليات المذكورة انفاً

كيلو مترين ونصف من ضفة الفرات الغربية وكشف عنهـا في سنة ١٩٣٣ ب م . ولا تزال تنقيباتها ودراسة مكتشفاتها مستمرة موسماً بعد موسم . وقد عثر على آثار متنوعة برونزية وزجاجية وعاجية وصدفية وعلى نحو عشرين الف لوح من الفخارعليها كتابات بالخط المسماري واللـغة الامورية كتبها الملوك والموظفون ووثائق اقتصادية وادارية وتقارير وقصائد الخ وعلى آثار قصور ومعابد عديدة . وقد استدل مما عثر عليه على انها كانت مزدهرة الحضارة والعمران وان مدنيتها تعود في جذورها الى الالف الثالث قبل الميلاد . وقد عرف من النقوش اسماء عددمن ملوكها منهم لمغى وماري وايكورنا وشماس وايتو ورشماغان وايب لول ايل وثوراداجـان ويوزور عشتار ويشوب ايلوم وشتوم ايلوم وزمرى ليم . وهم من أسر مختلفة حيث تقلب على عرش ماري أكثر من اسرة . وقد بلغ سلطان مملكة ماري اوجه في أواخر الالف الثالث فغدت صاحبة السيطرة التامة على منطقة الفرات الاوسط وعلى طرق المواصلات بـين الخليج العربي وآسية الصغرى . ومما قرىء من نقوشها قصيدة وصف فيها العموري في حياته البدوية وحياته الحضرية جاء فيها : كان السلاح رفيقه ولا يعرف الخضوع ويأكل لحما غير مطبوخ ولا يملك بيتاً ولا يدفن رفيقه اذا مات فصار يملك بيتاً وحبوباً . ومما قرىء من النقوش نقش لوالد زمري ليم يذكر فيه انه هزم سبعة ملوك حيث ينطوي في هذا ما وصلت اليه المملكة من قوة ونشاط .

وزمري ليم هو آخر ملوكها . ويصادف عهده لحكم حمورابي سادس مـلوك دولة بابل الكبرى الـذي يتراوح تاريخ حكمه بين القرن الثاني والعشرين والقرن الثامن عشر تبعاً لاختلاف تقدير المؤرخين على ما ذكرناه قبل . وقد طمح حمورابي على ما عرف من النصوص الى مد سلطانه على ماري واغتنم فرصة فزحف واستولى عليها فاضطر زمري للخضوع له . ولكنه لم يلبث ان اعلن تمرده فزحف حمورابي ثانية فاستولى عـلى ماري ودمرها واحرق قصر الملك فكان ذلك نهاية المملكة وعاصمتها ، وقـد امتدت سيطرة حمورابي الى بقية انحاء سورية نتيجة لذلك .

وقد عثر على ألواح عديدة كرسائل مرسلة من شخص اسمه يهدي ليم ووظيفته محافظ قصر ماري خطاباً الى سيده يخبره فيها بأحوال ماري وما يجري فيها ومن يأتي اليهـا ويذهب منها وخمن ان هـذا الرجل اقيم كنائب او حاكم على ماري بعـد الاستيلاء البابلي عليها .

وقد كشف فيما كشف عنه اطلال لقصر الملك بدا انه كان يشغل مساحة تزيد عن هكتارين ونصف . ويضم ٣٠٠ غرفة ويعود تأسيسه الى القرن الثاني والعشرين قبل الميلاد. وكان بمثابة قلعة وفيه ما تمس الحاجة اليه من اجنحة وغرف للموظفين ومعبد ومدرسة لتدريب الكتاب على الكتابة على الطين المجفف وقاعة لحفظ الوثائق وهي التي وجدت فيها الواح الفخار التي ذكرناها سابقاً وقاعة للعرش مزينة الجدران بالمشاهد المتنوعة ومن جملتها مشهد تتويج الملك رمزي وقاعات استحمام بالماء البارد والماء الساخن .

وقد بدت مدينة ماري فسيحة الشوارع تقوم على جنباتها ابنية مدهشة في هندستها وباحاتها وغرفها تعود الى الالف الثالث قبل الميلاد . وعثر على اكثر من بناء في حالة جيدة كما شوهد على كثير منها آثار الحريق الذي يحتمل ان يكون دمر المدينة .

وقد كشف عن معابد عديدة. منها معبد لعشتار وجد فيه تمثال للملك لمغي ماري وابيه ايل ، ومعبد للاله داجان اله الخصب يزين مدخله اسدان برونزيان يعتبران من اجمل الآثار البرونزية ، ومعبد للاله شماس (الشمس) وآخر للاله نيني زازا . وهذا المعبد واسع جداً وفيه فخار مخطط جميل ومذبح من الاجر المجفف المزين بالدعائم والتجايف والمشاهد المتنوعة . وكشف عن زاقورة او برج من الآجر ايضاً .

ومما عثر عليه تمثال للملك يشوب ايلوم وتمثال لربة في يدها كأس تتفجر منه المياه . ومشهد من الصدف يمثل الملك وهو يستعرض جنوده وهم يقودون الاسرى. وتماثيل عليها ثياب كهنوتية . وتمثال رائع لمغنية اسمها اورنينا . ومثنا اثر صدفي تمثل اشخاص بلاط ماري الملكي قبل القرن العشرين . وعثر في فجوة جدار احد المنازل على ثلاثة الواح عليها حسابات شعر وبعض اسماء وتعود الى النصف الاول من الالف الثالث . وهي اقدم وثائق ماري . والكتابة بالخط المسماري واللغة السومرية ووجد في فجوة جدار آخر ادوات متنوعة مثل منجل ومجرفة وكاس وركابات . ومنها قطعتان تحملان اسماء فتيات من فتيات الملك الاكادي نارام سين مما استدل به على ان ماري تعرضت لغزوة سرجون ونارام سين في النصف الثاني من الألف الثالث حينما مدا سلطانهما الى حوض الفرات وبلاد الشام على ما شرحناه في الجزء الثالث .

ومما عثر عليه اسطوانة تعود الى سنه ٢٤٠٠ ق م وصفحة من العاج تمثل محارباً على رأسه خوذة تعود الى النصف الاول من الالف الثالث وصفحة من الجص ترقى الى آخر

الالف الثالث . وخاتم اسطواني نقش عليه اسم صاحبه في ثلاثة سطور وهـــو نينغورسو ابنيشو الرشوابي خادم الاله انكي . ورسم عليه صورة الاله آمورو وامامه شخص تتقدمه ربة رافعة يدها الى ارتفاع الوجه كاشارة للتوسط او الشفاعة . وكشف عن مقابر عديدة فيها حلى برونزية وفضية مما خمن ان تكون من ادوات الموتى التي وضعت معهم في قبورهم .

وفي بعض الوثائق ما يدل على ان اهل ماري كان لديهم مركبات تجرها الخيل وانهم كانوا يستعملون الاشارات النارية كتدبير دفاعي وطني او كوسيلة سريعة للانباء .

ولقد وجد الاثريون في النقوش دلائل تؤكد الصلة بين اللغة الآمورية واللغة العربية سواء في مفرداتها ام نحوها وصرفها وبالتالي تؤكد صحة نسبتهم الى الجنس العربي .

ولقد ورد اسم حلب بصيغة حلبو كثيراً في نقوش ماري وفي احد ملوكها يريم ليم ووصف لها كعاصمة لمملكة يمخاض . وكانت على مـــا تفيده النقوش ذات مركز سياسي وديني خطير وظلت تتمتع بهذا المركز مدة طويلة . كذلك مما عرف منها ان ابن ملك اوغاريت حج الى حلب وفعل مثله ابن ملك قطنة وان رمزى ليم ملك ماري حج اليهـــا مراراً وقدم هدايا سنية الى معبد الاله حدد فيها ومن جملتها تمثال مصوغ مـــن البرونز ومرصع بالفضة وان الصلات بين ماري وحلب كانت وثيقة وان كثيراً من اهل ماري كانوا يحجون الى معبد الاله حدد فيها طلباً للاستشفاء .

ومن مراكز او عواصم دول وامارات الامورين التي عرفت من نقوش ماري قطنة الواقعة شمال شرقي حمص ويعرف مكانها اليوم بالمشرفة وحرانو (حران) وعمريت وجُبلة [1] .

وكل ما تقدم يدل على ما كانت عليه مملكة ماري من ابهة وثروة وفن وثقافة وازدهار في ذلك العهد السحيق قد يصح القياس عليه بالنسبة لسائر دول الآمورين التي لم يقسم

(١) نبذة تنقيبات ماري ومكتشفاتها مقتبسة من مجلة الحوليات الاثرية السورية المجلدات ١ و٣ و ٤ و٥ لسني ١٩٥١–١٩٥٥ ومقدمة الحضارات لطه باقر ج ١ ص١٣٩–١٤٠ ومقال لبشير زهدي الاثري السوري في جريدة النصر عدد ٤٣١٣ وتاريخ ٢٤ حزيران ١٩٥٩ عن آخر اخبار ومواسم تنقيبات ماري وتاريخ سورية ولبنان وفلسطين لحتي ترجمة حداد ص ٧٠ – ٧٤ . وقد عجبنا لتفسير حتي جُبلة بجبيل وقوله انها امورية مع ان اثار جبيل كنعانية . ومن الطريف انه هو نفسه يقرر ذلك ايضاً ! انظر ص٨٨

الخط اكتشاف آثارها بعد كما يدل على ما كان للاموريين من سلطان وانتشار في ساحة واسعة من بلاد الشام الشمالية بما فيها حوض الفرات .

وحدد او اداد من اسماء اله القمر مثل سين على ما عرف من الآثار الآمورية . وهذا يعني ان القمر كان الاله الرئيسي او من الآلهة الرئيسيين للآموريين مثل سائر الجنس العربي . ولقد كانت عشتار من آلهتهم الرئيسية ايضاً . وعشتار هي من الآلهة الرئيسية المشتركة من الجنس العربي حيث كانت كذلك في جنوب جزيرة العرب وفي العراق ثم عند الكنعانيين في الساحل الشامي والجنوب الشامي . وكل ما كان من تطور فيها انها عند الآموريين ابنة للقمر في حين انها عند الكنعانيين زوجة له .

ولقد قال فيليب حتي عزواً الى الواح ماري ان الديانة الآمورية في شكلها البدائي لم تختلف غالباً عن عبادة قوى الطبيعة عند الساميين التي كانت شائعة بين الرحل في بادية الشام وبلاد العرب وان اله القبيلة عند الآموريين هو آمورو ، وان لهم بالاضافة اليه عدداً من الآلهة لا تعرف صفاتها بالضبط ويظهر كثيراً منها في عداد الالهة الكنعانية وكان اهمها حدد او ادد المعروف ايضاً باسم رومانو الهاً للمطر والعواصف ثم اصبح البعل الاعظم وكان منها داجون الذي اقتبسه الفلسطينيون في جنوب فلسطين والذي كان اله الفذاء وانه كان للاله امورو شريكة تسمى عاثرة تشبه نموذج عشتار المعروف وتتصف بالمسرات والنشاط وهي من آلهة جنوبي بلاد العرب متصلة بالاله القمر وفي هذا توثيق لما ذكرناه آنفاً .

انتشار الاموريين نحو العراق وجنوب الشام ومصر

— ٤ —

ويظهر ان الموجة الآمورية كانت كبيرة جداً لم تسعها بلاد الشام الشمالية وحوض الفرات فأخذت تتدفق منها الى الشرق والغرب . وقد تدفق منها جماعات كبيرة نحو بلاد العراق الجنوبية وانتشروا فيها واستطاعوا ان يفرضوا انفسهم عليها فكان منهم اولا دولة لارسة ودولة ايسن ثم دولة بابل الكبرى التي كان من ملوكها حمورابي على ما مر بيانه قبل ومر تفصيله في الجزء الثالث .

ومن الطريف انهم لم يلبثوا ان طمحوا الى مد سلطانهم الجديد الى وطنهم الـ
ويوحدوا الموطنين تحت راية واحدة وتمكن سادس ملوك دولة بابل الكبرى من تحقيق ذلك
وفي الوقت الذي كانوا يتدفقون فيه على العراق الجنوبي اخذوا يتدفقون على بلاد الشام الجنوبية ايضاً . حيث عرف من الآثار [1] المصرية ان الملك بيبي الاول من ملوك الاسرة السادسة (٢٦٢٥ — ٢٤٧٥ ق م) سير حملات عديدة نحو جنوب فينيقية لاخماد اضطرابات ثارت فيها نتيجة لتدفق جماهير غفيرة نحو فلسطين من بلاد ما بين النهرين من المرجح انهم من الاموريين لانهم كانوا في هذه الظروف ينشطون في التموج والانتشار ولم يكن هناك غيرهم في حالة التموج في ما بين النهرين .

ومع ان الآثار تذكر ان حملات الملك المصري نجحت في صد التدفق فانها لم تستطع رد المتدفقين الى حيث اتوا وان جماعات كثيرة منهم استطاعت ان تتدفق الى فلسطين ثم الى مصر في عهد الملك بيبي الثاني من ملوك الاسرة نفسها على ما عرف من وثيقة مصرية عثر عليها لحكيم مصري اسمه ابور ذكر فيها ما آلت اليه حالة مصر من اضطراب وسوء بسبب دخول الغزاة اهل الصحراء الى مصر وحلولهم في كل مكان وانفقاد الأمن وتعطل المصالح نتيجة لذلك . وقد سمت الاثار هؤلاء القبائل باسم عامو والصلة ملموحة بين عامو وآمورو كما هو ظاهر [2] .

وقد كان هذا التدفق مقدمة للحركة الهكسوسية حيث كان الاموريون من العناصر الاساسية التي كونت هذه الحركة التي نشأ عنها مملكة الهكسوس في مصر وامتد حكمها نحو مئة سنة ؛ والتي ظل كثير من عناصرها في مصر واستطاع بعض رؤسائهم ان يفرضوا حكمهم ايضاً بين وقت وآخر فيكون منهم اسر مالكة على ما شرحناه في الجزء الثاني من تاريخ الجنس العربي [3] ولقد ايد سليم حسن العـالم المؤرخ والأثري المصري ذلك ولو لم يذكر اسم الأموريين صراحة حيث قال نتيجة لدراساته ان العنصر الاهم الذي كان في حركـة الهكسوس هم ساميون (عرب حسب اصطلاحنا) جاؤوا من بـلاد الشام وموسوبوتاميا اي بين النهرين [4] .

---

(١) انظر الجزء الثاني تاريخ الجنس العربي ص٦٢ — ٧٠ و مصر القديمة ج ١ ص ٣٦٥ — ٣٧٦ .
(٢) انظر ايضاً مصر القديمة ج ١ ص ٤٠٨
(٣) ص ١١٩ — ١٣١ و١٦٧ و١٧٦ — ١٧٩ و١٩٢ و٢٢٠ — ٢٢١ مثلا .
(٤) مصر القديمة ج ٤ ص ١٨٥ — ١٩٨

ولقد ذكر الاموريون في سفر التكوين كجاليات وزعماء اصحاب قـوة في منطقة الخليل كانت موجودة قبل طروء ابراهيم على فلسطين الذي يخمن طروئه حوالي القرن التاسع عشر كما ذكروا كمقيمين في حصاصون تامار (في فلسطين) [1] وذكـروا في سفر العدد كسكان الانحاء الجبلية من ارض كنعان [2] وقد ذكر هذا السفر [3] بالاضافـة الى ذلك مملكتي سيحون وبتشان في شرق الاردن بوصفها آموريتين كانتا قائمتين حينما طرأ بنو اسرائيل على شرق الاردن بقيادة موسى .

وقد ذكر سفر يوشع [4] خمس ممالك بوصفها آموريـة كانت قائمة في فلسطين وشرق الاردن حينما زحف بنو اسرائيل على فلسطين وهي ممالك اورشليم وملكها ادوني صادق وحبرون (الخليل اليوم) وملكها هوهام ويرموت وملكها فرام ولخيش وملكها يافيع وعجلون وملكها دبير على ما شرحناه في فصل شرق الاردن وفلسطين وفصل العبرانيين حيث يرجح ان من الجماعات الامورية المتدفقة على جنوب بلاد الشام من استطاع ان يستقر في فلسطين وشرق الاردن وينشىء فيها الدول على نحو ما فعل اخوانهم في العراق قبلهم ثم في مصر بعدهم .

انكماش الاموريين في سورية الوسطى وآخر صور نشاطهم ونهايتهم

ويظهر ان هذه الهجرات الى العراق وجنوب الشام ومصر قد اضعفت عنصر الاموريين في سورية الشمالية وحوض الفرات وجعلتهم يتعرضون لزحوف وحملات قضت على معظم دولهم وسلطانهم . ومن ذلك ما ذكرناه من قضاء حمورابي عـلى مملكة ماري اقوى ممالكهم في حوض الفرات . ومـن ذلك غارات الحيثيين الذين هم مـن الارومات الارية والذين كانوا ينزلون في نواحي جبال الآمانوس [5] (من سلسلة جبال طوروس)

---

(١) الاصحاح ١٤
(٢) الاصحاح ١٣
(٣) الاصحاح ٢١
(٤) الاصحاح ٥و ٩و١٠
(٥) المجلد الاول الجزء الاول تاريخ سورية للدبس ص ١٥٦ وما بعدها .

حيث اخذوا يغيرون في القرن التاسع عشر على شمال سورية وحوض الفرات واطراف العراق ويبرزون على مسرحها ويلعبون عليه ادوارا متنوعة خلال عشرة قرون ولقد نجحوا في فرض سلطانهم على هذه الانحاء وبالتالي على الاموريين فيها وانشأوا دولا عديدة منها واحدة في حوض الفرات عاصمتها كركميش شمال شرقي حلب واخرى في شمال سورية عاصمتها قدس في شمال حمص . وقد امتد نفوذهم اوسيادتهم حتى شملت اطراف العراق من ناحية واطراف سورية الوسطى وفينيقية من ناحية [1] فانكمش السلطان والنشاط الاموري من حوض الفرات وانحصر في سورية الوسطى [2] . وكان ذلك قبل القرن الخامس عشر . ولم يكن الحيثيون وحدهم الذين نشطوا وزاحموا الاموريين في حوض الفرات حيث ذكرت الاثار المصرية اسم ميتاني كمملكة وشعب في ما بين النهرين في الوقت الذي كان ينشط فيه الحيثيون وكانوا يتنافسون معهم حيناً ويتحالفون حيناً . ومن المحتمل ان يكونوا من نفس ارومتهم وقريبين اليهم [3] .

وقد عرف من رسائل تل العمارنة اسماء بعض ملوك وممالك ومدن الآموريين في ظروف انكماشهم المذكور اي في القرنين الخامس عشر والرابع عشر . من ذلك ممالك او امارات قطنة التي كانت تقع شمال حمص والتي يظن انه يكون مكانها اليوم قرية المشرفة [4] وملكها اكيزي ومملكة نوخاشي التي يظن انها في جهات حلب وملكها حداد نيري وممالك سنزاز (شيزر ؟) وكينانات ومشق واوبي ومدينة تونب التي يظن انها بعلبك القديمة والتي يحتمل ان تكون كرسي مملكة او امارة وان لم يذكر ذلك في الرسالة التي ورد اسمها فيها وملك اسمه عبد عشتروت . وابن له اسمه عزيرو او ازيرو دون ذكر اسم مملكتها .

---

(١) انظر مجلة الحوليات الاثرية السورية المجلد الثالث سنة ١٩٤٣ ص ١٣٢ - ١٤٣

(٢) انظر تاريخ سورية ولبنان وفلسطين حتي ص ٧٤-٧٥

(٣) انظر الجزء الثاني من تاريخ الجنس العربي ص ١٤٨ - ١٤٩ وكتاب مصر القديمة ج ٦ ص ٥١- ١٥٤

(٤) انظر تاريخ مصر من اقدم العصور لبريستيد تعريب ترجمة حسن كمال ص ١٥٣ -٢٦٣ ومصر القديمة ج ٥ ص ٢١٥ -٤٣١ و٦١٩ -٦٤٩ وتاريخ الجنس العربي ج ٢ ص ١٤٤-١٥٨

ولقد نشط ملوك الاسرة الثامنة عشرة المصريين (١٥٨٠ – ١٣٤٠ ق م) بعد القضاء على حكم الهكسوس في سبيل مد سلطانهم الى بلاد الشام واستطاع اول ملوكها احمس من مده الى فلسطين ثم استطاع امنحتب الاول ابنه وتحتمس الاول حفيده ان يفرضا سلطان مصر على جميع بلاد الشام الاخرى ثم على جزيرة الفرات الى حدود العراق فدخلت الممالك الامورية مع دول الحيثيين والميتانيين في هذا السلطان . غير ان الحيثيين خاصة الذين كانوا على ما يظهر في ذروة نشاطهم وحيويتهم لم يهضموا ذلك فحرضوا ملوك وامراء بلاد الشام وبين النهرين ومن جملتهم الاموريون ضد هذا السلطان فاستجابوا وتمردوا معهم فزحف تحتمس الثالث لارغامهم واحتشدت قوات الملوك والامراء المتمردين بزعامة ملك الحيثيين الذي كانت عاصمته قدس وساروا نحو فلسطين للقائه ونشبت معركة كبرى عند مجيرو في شمال فلسطين دارت الدائرة فيها على الحيثيين وحلفائهم وخضعوا ثانية لسلطان مصر . على ان الحيثيين لم يسكتوا وظلوا يحرضون ويؤلبون وكان كثير من امراء وملوك البلاد يستجيبون لهم فتكرر التمرد وتكررت زحوف ملوك مصر طيلة عهد الاسرة الثامنة عشرة ثم في عهد الاسرة التاسعة عشرة (١٣٤٠ – ١٢٠٠) وكان ملوك مصر يتمكنون من قمع التمرد ولكنه كان لا يلبث ان يتكرر بتحريض الحيثيين .

وقد اضطر رعمسيس الثاني ثاني ملوك الاسرة التاسعة عشرة بعد تكرر زحوفه الى عقد معاهدة صلح مع الملك الحثي اعترف فيها بنفوذه وسيادته على بلاد الشمال الواقعة شمال وادي العاصي مقابل اعتراف هذا بنفوذ وسيادة مصر على البلاد الشامية التي تقع في جنوب هذا الوادي على ما شرحناه في فصل فينيقية شرحاً يغني عن التكرار [١] .

ورسائل تل العمارنة التي اشرنا اليها قبل ارسلت الى امنحتب الثالث وابنه امنحتب الرابع – اخناطون – من ملوك الاسرة الثامنة عشرة . منها رسائل من امير قطنة اكيزي الى امنحتب الثالث يعلن فيها خضوعه ومحبته واستعداده لكل خدمة باسمه واسم ملوك نوخاشي وسنزار وكيناتات ودمشق واوبي .

ومنها رسالة من عبد عشترت الذي لم تعرف مملكته معرفة يقينية يعلن فيها كذلك

---

(١) مصادر ذلك مذكورة في الفصل المذكور

خضوعه وعبوديته لهذا الملك [1] . ومنها رسائل من حداد نيري مالك نوخاشي واكيزي ملك قطنا ومن اهل مدينة تونب في ظروف تحالف قام بين عبد عشترت ثم ابنه عزيرو من بعده اللذين يبدو انهما كانا اقوى ملوك الاموريين واشدهم حيوية وطموحا وبين ملوك الحيثيين والميتانيين نتج عنه حركة عصيان على مصر ونشاط في احلال سلطانهم في البلاد محله اغتناماً لفرصة ارتباك الم بمصر في آخر حكم امنحتب الثالث وحكم ابنه اخناطون . وهناك رسائل عديدة اخرى من امير جبيل في صدد هذه الحركة التي تمكن عبد عشترت وعزيرو بها من بسط سلطانه على معظم سورية الوسطى ثم على بعض انحاء ومدن فينيقية. وقد اوردنا نصوص الرسائل وشرحنا ما كان من نتائج الحركه في فصل فينيقية فلم يعد حاجة الى التكرار هنا .

ولم يعد الاموريون يذكرون بعد هذه الحركة في سياق النشاط والسلطان . وان كان هذا لا يمنع من ان يكون قد بقي لهم دويلات يمارس رؤساؤهم او ملوكهم فيها الحكم المحلي وان يكون هؤلاء الرؤساء والملوك قد استمروا على رأس دويلاتهم امداً ما وكانوا يشتركون في حركات التمرد ضد السلطان المصري التي استمر الحيثيون يحرضون عليها والتي اضطرت رعمسيس الثاني الى التهادن مع الملك الحيثي على ما ذكرناه قبل .
ولقد اخذ الاراميون يبرزون وينشطون في مجال الحكم والسلطان في سورية وحوض الفرات منذ القرن الثاني عشر وصارت الاثار والمدونات القديمة تذكرهم دون الاموريين مما سوف نستوفي الكلام عنه في الفصل التالي ومما يسوغ القول انهم قد حلوا في الحكم والسلطان محل الاموريين وان هؤلاء ما لبثوا ان اندمجوا فيهم .

الاموريون في فلسطين وشرق الاردن

اما في فلسطين وشرق الاردن فقد ظلوا يحتفظون باسمهم ودولهم وشخصيتهم المتميزة الى القرن الثاني عشر حيث نشب الصيال بينهم وبين بني اسرائيل بعد خروجهم من مصر ولقد تغلب بنو اسرائيل على دولهم في شرق الاردن بقيادة موسى وتغلبوا على دولهم في فلسطين بقيادة يوشع . غير انهم ظلوا يحتفظون باسمهم وشخصيتهم بل وبشيء من حيويتهم

---

(١) هذه الرسالة ذكرت في تاريخ سورية ولبنان وفلسطين فيليب حتي ترجمة حداد ص ٧٦ .

وقوتهم حيث ذكر سفر القضاة[1] الذي يؤرخ احداث ما بعد يوشع ان الاموريين حصروا بني دان في الجبل ولم يدعوهم ينزلون الى الوادي وظلوا يسكنون جبل حارس في ايالون وشعلبيم وكان تخمهم من عقبة العقاب فصاعداً .

ومع ان بني اسرائيل استطاعوا ان يبسطوا سلطانهم على معظم فلسطين والبلاد التي كان فيها الاموريون من الجملة بعد ذلك فانهم ظلوا يحتفظون باسمهم وشخصيتهم اثناء سلطان دول بني اسرائيل من القرن الحادي عشر الى القرن السادس ثم بعد زوال هذه الدول ونفي بني اسرائيل الى آشور وبابل في القرنين الثامن والسادس ؛ حيث ذكر الاصحاح التاسع من سفر عزرا اسمهم في جملة اسماء سكان فلسطين الاصليين الذين كانوا يعمرونها قبل طروء بني اسرائيل والذين اختلط بهم بنو اسرائيل العائدون من السبي وصاهروهم .

ولم تذكر الاسفار بعد سفر عزرا اسمهم . غير ان الاصحاح الخامس من سفر المكابيين الاول ذكر ان الامم من حول اسرائيل اخذوا يمدون ايديهم بالقتل لبني اسرائيل وان الذين في عكا وصور وصيدا والجليل منهم احتشدوا ضد بني اسرائيل الذين هم بين ظهرانيهم وحاولوا ابادتهم وذلك في عهد يهوذا المكابي في القرن الثاني قبل الميلاد حيث يحتمل ان يكون الاموريون من جملة هؤلاء الامم التي كانت وظلت موجودة الى عهد المكابيين . وقد ذكر الاصحاح الثالث عشر من سفر المكابيين الثاني ان الامم في اليهودية اخذوا يتسابقون الى الانضمام الى جيش السلوقيين الذي جاء لقتال الاسرائيليين بعد يهوذا المكابي مما ينطوي فيه نفس الاحتمال مستمراً الى ما بعد يهوذا .

كلمة ختامية عن الاموريين

وواضح مما تقدم ان الاموريين شغلوا حيزاً عظيماً على مسرح بلاد الشام الشمالية والجنوبية ومصر والعراق معاً وكان لهم الدول العديدة والحضارة الزاهرة والفن والثقافة والحيوية والنشاط منذ القرن السابع والعشرين قبل الميلاد او قبله واحتفظوا باسمهم وشخصيتهم في بعض بلاد الشام الى القرن الخامس يقيناً والى القرن الاول قبل الميلاد احتمالا مما لم يكد يقسم نغيرهم .

---

(١) الاصحاح ١

وإذا كان ما كشف عن آثارهم في بلاد الشام لا يساعد على تفصيل سيرة ممالكهم وملوكهم وصور نشاطهم ومآثرهم الحضارية المتنوعة فيها فان ما عرف من ذلك نتيجة لتنقيبات ماري يدل على انهم اسهموا في الحضارة والفن والثقافة والعمران والحكم والسلطان بنصيب وافر يمكن ان يقاس عليه ما يحتمل ان يكون لهم من ذلك في سائر الانحاء . وهذا بالاضافة الى ما عرف يقيناً من آثارهم الباهرة في مختلف ميادين الحياة السياسية والحضارية في العراق في عهد لارسة وايسن وبابل وخاصة في عهد حمورابي نجمهم اللامع على ما فصلناه في الجزء الثالث ثم في مصر في عهد الهكسوس والاسرتين التاسعة عشرة والعشرين الذين يحتمل كثيراً ان يكونوا منهم على ما شرحناه في الجزء الثاني .

الآراميون

اولياتهم

وهذه موجة من موجات جزيرة العرب التي عمرت بلاد الشام وشغلت جزءاً كبيراً فيها وما تزال آثارها ممتدة إلى الآن ممثلة في عدد كبير من أسماء المدن والقرى الشامية التي هي من لغتهم ولهجتهم .

وليس من خلاف بين الباحثين في كونهم من الأرومة السامية أي العربية حسب اصطلاحنا (١) . ومفردات اللغة الآرامية التي اثبتنا جملة منها في مطلع هذا الجزء من الدلائل على ذلك .

ولقد عثر على نقوش آرامية عديدة في أكثر من مكان شمال سورية تبدو عليها اللمحة العربية القديمة بارزة وتقوم شاهداً أو دليلاً آخر . وقد أوردنا نص نقشين منها في مطلع هذا الجزء واحد لملك شمأل وآخر لكاهن نيرب .

-٢-

ويكتنف تاريخ طروء الآراميين على بلاد الشام غموض كثير . فجرجي زيدان يجعلهم على ما مر ذكره في الفصل السابق نفس الاموريين أو العمالقة الذين أنشأوا دولة بابل والذين كان منهم الهكسوس في مصر ، ويجعل وجودهم في بلاد العراق والشام في الألف الرابع قبل الميلاد ! غير انه لا يسند كلامه إلى أثر ومرجع ويلقيه جزافاً أو ما يشبه الجزاف مستنداً فيه حيناً على أنسال سفر التكوين التي تجعل آرام أحد أبناء سام مما لا يمت إلى العلم الصحيح بسبب وحيناً على أقوال مؤرخي العرب القدماء التي لا يمكن التعويل عليها في مثل هذا الموضوع (٢) .

ولقد قال سليم حسن المؤرخ المصري الأثري (٣) ان من المحتمل أن يكون الآراميون

---

(١) انظر مقدمة الحضارات القديمة لطه باقر ج ١ ص ١١٧ وتاريخ العرب قبل الاسلام جرجي زيدان طبعة جديدة ص ٥٢ وما بعدها وتاريخ اللغات السامية لاسرائيل ولفنسون ص ١١٤ وبعدها وتاريخ سوريا ولبنان وفلسطين جرجي زيدان ترجمة حداد ص ١٧٤ وبعدها

(٢) انظر تاريخ العرب قبل الاسلام جرجي زيدان ص ٥٣ - ٧٤ الطبعة الجديدة

(٣) مصر القديمة ج ١ ص ١٨٥-١٩٨

من جملة من تألفت منهم حركة الهكسوس حيث يكون الآراميون لو صح قوله موجودين في بلاد الشام قبل القرن التاسع عشر قبل الميلاد وهو الوقت الذي بدأت به تلك الحركة غير ان كلامة قائم على التخمين .

ولقد وردت كلمة آرام اكثر من مرة في سفر التكوين الذي يقص أخبار ما قبل موسى . فوردت لأول مرة كاسم من أسماء احد أبناء سام بن نوح (الاصحاح ١٠) غير ان الانساب الاولى في هذا السفر لا يمكن التعويل عليها في مجال تاريخ وثيق أو مما يقرب من ذلك . ووردت في سياق وصية ابراهيم لكبير عبيده بالذهاب الى بيت أهله وموطن مولده ليأتي بزوجة لابنه اسحاق حيث ذهب الى آرام النهرين (الاصحاح ٢٤) ووردت في سياق ذهاب يعقوب للتزوج من بنت خاله حيث ذهب الى مدينة فدان آرام (الاصحاحات ٢٨ و ٢٩) . ولو لم يحتمل أن يكون كاتبو السفر قد ذكروا آرام تأثراً بالواقع الذي كان حينما كتبوه في القرن الثاني عشر قبل الميلاد أو بعد ذلك لأمكن أن يقال بناء على ذلك وبشيء من الجزم ان الآراميين كانوا موجودين في حوض الفرات في القرنين العشرين والتاسع عشر اللذين يخمن او يفترض وجود يعقوب وابراهيم فيهما .

وفيليب حتي يقول (١) ان الاراميين كانوا قبائل رحلا في بادية شمالي الجزيرة العربية وكانوا يضغطون من وقت إلى آخر على أرض جيرانهم في بلاد بابل وسورية استهدافاً لامتلاكها . وقبل أن ينتصف الالف الثاني قبل الميلاد كانوا قد سكنوا في ضفاف وادي الفرات الاوسط حيث نشأت قوميتهم ولغتهم . وقد يعني هذا ان حركة التموج الآرامي نحو بلاد الشام وجزيرة الفرات والعراق قد بدأت قبل النصف الثاني من الالف الثاني قبل الميلاد . على ان كلام حتي عائم لا يسمح بالحكم الجازم ولا يؤيد بأثر يقيني . وقد قال هذا المؤلف الى قوله المذكور ان الآراميين لم يكتسبوا اسمهم إلا في أيام تغلات فلاسر الاول (١١١٦ — ١١٠٠ ق م) حين اقاموا في منطقة الفرات الاوسط وانتشروا إلى سورية . وهذا القول ينقض الاول كما هو ظاهر .

وطه باقر يقول (٢) ان الاراميين نزحوا إلى أعالي الرافدين ومنطقة الفرات الاوسط وبلاد الشام في منتصف الالف الثاني قبل الميلاد . وقد جاءت منهم قبيلة الى جنوبي العراق

---

(١) تاريخ سورية ولبنان وفلسطين تعريب جورج حداد ص ١٧٤

(٢) مقدمة الحضارات الاول ج ١ ص ١٠٧

واستوطنته ومنها الامبراطورية البابلية الاخيرة التي عرفت بالامبراطورية الكلدانية .وقد كونوا دولا وامارات مهمة في سورية أيضاً .

ولقد ذكر ادي شير مؤلف كتاب كلدة وآشور الذي يستند في رواياتـه إلى آثار منقوشة ومدونات قديمة ومؤلفات الاثريين (١) ان سلمناصر الاول ملك آشور (١٢٩٠–١٢٦٠) ق م زحف على الارامين في جبل ماشا الذي يعرف اليوم باسم قره جه طاغ في شمال جزيرة الفرات وكانت قبائلهم المتعددة قد انتشرت مـن دجلة الى البليخ والفرات ففتح مدنهم ودك حصونهم حيث يتضمن هذا توكيد وجود الارامين في حوض الفرات ونشاطهم في القرن الثالث عشر قبل الميلاد ممتداً إلى ما قبله بأمد ما . والمتبادر أن المدن الارامية التي دكها هذا الملك كانت كراسي ممالك وامارات آرامية . وهذا يعني توكيد وجود الارامين ونشاطهم في مجـال الحكم والعمران والحضارة في أوائل القرن الثالث عشر ممتداً إلى ما قبل ذلك بأمد ما . ولقد انساح جماعات من الارامين مـن حوض الفرات إلى جنوب العراق وأنشأوا فيه دولا وامارات منها المملكة الباشية في بابل التي قامت سنة ١١٤٠ ق م على ما شرحناه في الجزء الثالث (٢) . ولا بـد من أن يكون انسياحهم قبل هذا التاريخ بأمد ما على ماهو المتبادر .

وعلى هذا فمن السائغ أن يقال ان الموجة الارامية أخذت تتموج وتنساح نحو بلاد الشام في النصف الاول من الالف الثاني قبل الميلاد . وان بعض فروعها انساحت إلى جنوب العراق وانها لم تبرز في سورية وجزيرة الفرات في مجال الحكم والسلطان والحضارة باسمها الصريح إلا في القرن الثالث عشر أو قبله بقليل .

– ٣ –

الممالك الارامية

في جزيرة الفرات وسورية

ان أول ذكر صريح للارامين في مجال الحكم والسلطان هو ما ورد في سفر القضاة (الاصحاح ٣) من خبر استعباد كوشان وشعنائيم ملك آرام النهرين بني اسرائيل مدة ثماني سنين .

---

(٢) جـ ١ صفحة ٤٧-٤٩

(١) صفحة ٦٦

وكان هذا الحادث حسب تسلسل الاحداث التي ترويها أسفار العهد القديم بعد زحف بني اسرائيل على فلسطين واستقرارهم فيها بأمدما وفي أثناء ما عرف في تاريخ بني اسرائيل بعهد القضاة الذي يخمن انه كان في حدود ١١٥٠–١٠٥٠ ق م وكان حسب رواية السفر أول ضربة نزلت ببني اسرائيل في هذا العهد . وهذا يعني ان الحادث وقع في حدود سنة ١١٣٥ ق م كما قد يعني انه كان للارامين في أواسط القرن الثاني عشر أو قبلها دولة قوية في حوض الفرات استطاعت أن تكتسح جميع سورية ثم شرق الاردن ثم فلسطين بل ان العبارة قد تعني ان كوشان كان ملك جميع الاراميين .

وبعض الباحثين يخمنون ان هذا الملك آشوري (١) . ولقد انتعشت فعلا مملكة آشور بعد فترة ارتباك في عهد تاغلات بلاسر الاول ١١١٥–١١٠٠ وعرف من آثاره انه قام بحملات عديدة نحو بلاد مابين النهرين وحوض الفرات وقاتل الحيثيين والاراميين واخضعهم واستولى على كركميش عاصمة الحيثيين ثم فرض سلطانه على بلاد سورية الشمالية ثم اتجه نحو لبنان وفرض سلطانه على فينيقية ونصب تذكاراً لانتصاراته عليه صورته وخبر حروبه على صخرة على ضفة نهر الكلب ما يزال قائماً إلى الآن (٢) . ولا دليل على زحفه على فلسطين وان كان ذلك محتملا . غير ان الاسم المذكور في سفر القضاة ووصفه بعيدان عن اسم تاغلات بلاسر ووصفه كما ان الظرف الذي وقع فيه الحادث اسبق من ظرف ظهور ونشاط تاغلات .

على ان ما ذكرناه قبل عزواً إلى سيرة سلمناصر الاول ملك آشور يؤيد وجود ممالك آرامية في حوض الفرات في القرن الثالث عشر كما هو المتبادر .

والمتبادر ان الاراميين عادوا فاستأنفوا نشاطهم بعد ضربة سلمناصر الاول وقووا وطمحوا الى الامتداد بسلطانهم إلى بلاد الشام الاخرى فكان من ذلك حركة كوشان شعنائيم التي ذكرها سفر القضاة .

وفى الاصحاح الثامن من صموئيل الثاني (الملوك الثاني في النسخة الكاثوليكية) اسم مملكتين آراميتين اخريين هما صوبه وحماه وذلك في سياق ذكر نشاط داود ملك بني اسرائيل حيث ذكر انه ضرب هدد بن عازر بن رحوب ملك صوبه واخذ منه الفاً

---

(١) انظر مقال العبرانيين للدبس ص ٢٢٤

(٢) انظر تاريخ الجنس العربي ج ٣ ص ٧٧–٨٢ وكتاب لبنان لجنة الادباء ص ١١٠

وسبعمئة فارس وعشرين الف راجل وعرقب خيل المركبات حدا مئة منها أبقاها لنفسه وان آرامي دمشق جاؤوا لنجدة هدد فقتل داود منهم ٢٢٠٠٠ واقام محافظين في دمشق وان توعي ملك حماه سمع بما فعله داودفأرسل اليه ابنه يورام ومعه أوان من الفضةوالذهب والنحاس هدية وليحييه ويباركه لأنه كان بينه وبين هدد حرب وعداء . والسياق قد يفيد انه كان في دمشق مملكة آرامية أيضاً . ومملكة صوبه هي مجاورة لمملكة حماه وكانت تشمل مناطق تدمر ويبرود والنبك والقريتين على ما يخمنه مفسرو الاسفار (١) وقد يفيد السياق ان مملكة صوبه كانت في هذا الظرف أبرز أو أقوى الممالك الارامية في سورية . وزمن داود يصادف أواخر القرن الحادي عشر (حوالي ١٠١٥–٩٧٥ق م) حيث يفيد ان الاراميين عادوا فاستأنفوا نشاطهم في مجال الحكم والسلطان والقوة بعد ضربة تاغلات بلاسر .

وبالاضافة الى الممالك الارامية الثلاث التي ذكرت في الاصحاح الثامن من سفر صموئيل الثاني فقد ذكر الاصحاح العاشر اسماء ثلاث ممالك اخرى هي بيت رحوب ومعكة وطوب . وذلك في سياق خبر الحرب بين داود وبني عمون حيث ذكر الاصحاح ان بني عمون استأجروا من ملك معكة الف رجل ومن رجال طوب اثني عشر الف رجل ومن آرامي بيت رحوب وآراميي صوبا عشرين ألف رجل ، وقد وصف الاصحاح جميعهم بوصف الاراميين .

ومما ذكره الاصحاح ان جيش داود تمكن من كسر وهزيمة الاراميين والعمونيين . وان ذلك صعب على هدد عازار (ملك صوبه) فحشد جميع الاراميين بقيادة قائد جيشه شوباك لقتال داود وزحف داود عليهم في حيلام وهزمهم وأهلك منهم سبعمئة مركبة وأربعين ألف فارس وقتل شوباك . ولما رأى جميع الملوك ـ والمقصود ملوك الاراميين ـ ان عبيد هدد عازر قد انكسروا أمام اسرائيل ذعروا وهربوا ومعهم ثمانية وخمسون الفاً وصالحوا اسرائيل وتعبدوا لهم وخافوا أن يعودوا إلى نجدة بني عمون . وفي هذا تأييد آخر على وجود الاراميين وممالكهم ونشاطهم أيضا بقطع النظر عن مبالغات الارقام . ومفسرو الاسفار يخمنون ان موقع مملكة معكة في جنوبي صوبه أو في شرقي رحوب وتمتد قليلا في سهل الحولة وتتصل بالجبل المسمى اليوم جبل حيش في جنوبي جبل الشيخ ،

---

(١) انظر مقال في العبرانيين للدبس ص ٢١ .

وان بيت رحوب هي المسماة اليوم هوبين في الشمال الغربي من بحيرة الحولة وان مملكتها كانت تشمل سهول الحولة إلى بانياس ، وان موقع طوب هو منحدر جبل الشيخ في الجهة المعروفة بالبلاس .

ولقد ورد في احد نقوش سلمناصر الثالث (٨٦٠-٨٢٥) انه فتح مئة مدينة من مدن آرام وأحرقها . وفي نقش آخر له انه فتح تسعاً وثمانين مدينة أخرى من مدن حماه (١). والمقتضي أن يكون بعض المدن المئة السابقة كراسي ممالك وامارات آرامية حسب ما كان جاريا في ذلك الظرف .

ولقد جاء تعبير ملوك آرام صراحة في نقش لتاغلات بلاسر الثالث (٧٤٥-٧٢٥) حيث ذكر ان ثمانية عشر ملكاً من ملوك آرام من جملتهم ملوك حماه وبيلدا ودمشق قدموا اليه ولاءهم وهداياهم (٢) . ولقد جاء في سفر الملوك الأول (الثالث في النسخة الكاثوليكية) ان ملك دمشق جمع اثنين وثلاثين ملكاً معه وغزا دولة اسرائيل . وهذا وذاك يدلان على ما كان للارامين من انتشار ونشاط في مجال الحكم والسلطان على مسرح هذه البلاد منذ القرن الثالث عشر .

ولقد عرف بالاضافة إلى ما سبق اسماء عدد غير قليل من ممالك الآرامين وملوكهم ومدنهم ورد ذكرها في نقوش الآشوريين وأسفار العهد القديم .

فما ورد في نقوش الاشوريين اسماء ممالك شمأل وبيت كوسى أو أكواسى وكركم وموحرى وميلدا واقوا وامرسو وأوننى وكاجين في شمال سورية وبيت زماني وزوفي وبيلدا ولاقى وبيت اديني وباتين وبادي في جزيرة الفرات . ومما عرف من هذه النقوش من أسماء الملوك الآرامين احوني ملك بيت اديني وحوباني ملك زوخي وامين بعل وبورمان وأورنيتا ملوك بيت زمانى وحيانى ملك شمأل وكوبرودو وترحولا من ملوك كركم وكوبرودا ولوبارنا من ملوك باتين ومريحا ملك أمرسو وكندوشي ملك كاجين وارامي، ومتيلا من ملوك كوسى وليلى ومتيلا من ملوك ميلدا وعازر ياهو ملك بادي وتومانا ملك أونتي وترحونا ملك بيلدا وبن هود واداد يدري وحزائيل ورسين من ملوك دمشق وايل بودي وارحو ليبي من ملوك حماه واوربعل ملك قوا (٣) . وقد قرىء على

(١) تاريخ كلدة واشور جـ ١ ص ٦٥-٧٤

(٢) ٧٧ ٧٩

(٣) انظر الجزء الثالث من تاريخ الجنس العربي ص ٨٤ وبعدها

نصب تذكاري اسم زاكر ملك حماه . وقد أقامه ذكرى لنجاته من هجوم سبعة عشر ملكاً منهم ملوك دمشق وشمأل وعدد من المدن الفينيقية واللمحة العربية قديمة بادية على الاسماء كما هو ظاهر .

ومما ورد في أسفار العهد القديم اسم خدراك كعاصمة لمملكة آرامية اسمها ولعش وموقعها جنوبي حماه وغربي قطنة (ذكر الاسم في سفر زكريا الاصحاح ٩ والتفسير في كتاب حتي ص ١٨٤) . ثم اسم بنهدد بن حزيون ملك آرام دمشق (سفر الملوك الاول في النسخة البروتستانتية الاصحاح ١٥) . والحادث الذي ذكر في مناسبته وقع على ما يخمن حوالي ٩١٠–٩٠٠ ق م . ثم اسم بنهدد آخر (نفس السفر الاصحاح ٢٠) والحادث الذي ذكر في مناسبته وقع ما يخمن حوالي ٨٧٠–٨٥٠ ق م ومن المحتمل أن يكون هذا هو أبو اداد (هدد) يدرى بن بنهدد الذي ذكر في النقوش الاشورية .

وقد ذكر فيليب حتي (ص ١٨٣ الترجمة العربية) خبر اكتشاف نصب نذري يرجع إلى نحو عام ٨٥٠ ق م كتب عليه العبارة التالية باللغة الآرامية « النصب الذي أقامه بارحدد (بن حدد) ابن طان رمان ابن حاديان ملك آرام لسيده ملقارت وقد نذره له لأنه أصغى الى صوته » والأسماء المذكورة في هذا النص هي نفس الاسماء المذكورة في الاصحاح ١٥ من سفر الملوك الاول بشيء من التحريف كما هو ظاهر .

وهكذا يكون لدينا سلسلة لملوك دمشق تتألف من :

١ – حاديان ٢ – طبرمان ٣ – بنهدد الاول ٤ – اداد يدرى ٥ – بنهدد الثاني ٦ – حزائيل ٧ – بنهدد الثالث ٨ – رصين .

ولقد ورد في النقوش الاشورية (١) اسماء عدد كبير من عواصم ومدن الاراميين مما لم يذكر قبل مثل خيداني وخاريدي وعانه من مدن مملكة زوخي وكتالو عاصمة باتين واربي عاصمة بيت كوسى قرب جبال الامانوس التي وصفت بأنها كانت حصينة جداً وكنيالو عاصمة أونقي وقرابي وسوحمي ودياني وايزيتي من مملكة بيت اديني وبقرحبوني عاصمتها ومركاسى (مرعش اليوم) عاصمة كركم وادينا وبرغا وارغانا وقرقر من مدن حماه واربادا من من مدن كوسى وسور ونودباريبا وربكا من مدن كاجين .

والثغرات مع ذلك تظل واسعة جداً بين ما عرف وذكر اسمه وبين ما هو مفروض

---

(١) الجزء الثالث من تاريخ الجنس العربي ص ٨٤ وبعدها

وجوده وممالك وملوك ومعالم حضارة كما هو ظاهر .

وهناك الى هذا مدن عديدة من التي ذكرت في النقوش غير موجودة اليوم والمرجح انها مطمورة .

ولقد جرت في سنة ١٨٩١ ب م تنقيبات في قرية زنجيرلي عثر فيها عـلى قصر الملك بور كب بن بنمو ملك مملكة شمأل على ما عرف من نقش أمر بنقشه هذا الملك (١) . ولم يذكر اسمه ولا اسم أبيه في النقوش الاشورية . ويعود هذا النقش إلى زمن تغلات بلاسر الثالث الاشوري (٧٤٥-٧٢٥) ق م وقد أوردنا نصه في مطلع هذا الجزء .

وفي نفس السنة جرت تنقيبات في قرية نيرب شمال حلب فعثر فيها على مقبرة لكاهن آرامي اسمه ششتر على ما عرف من نقش فيها أوردنا نصه كذلك في مطالع الجزء (٢) .

ولقد جرت عام ١٩٥٦ تنقيبات في تل يقع على بعد ٣٥ كيلو متراً شمال حلب اسمه تل رفاه في منطقة تغص بالتلال الاثرية اعتاد أهلها العثور على قطع أثرية واستؤنفت بعد توقف عام ١٩٥٩ فظهرت نتيجة للتنقيبات أنقاض مدينة اربـــاد عاصمة مملكة آرامية كانت تسمى بنفس الاسم ، وعرف انها تعرضت في القرن العاشر أو التاسع قبـــل الميلاد لغزوة آشورية ذبح من أهلها فيها عدد عظيم وأشعلت فيها النيران فدمرت اقساماً كثيرة منها أو معظمها . ومع ذلك فالآثار الباقية تدل علي انها كانت مدينة كبيرة حافلة بمخلفات راقية ووصل سكانها الى مستوى ممتاز في المعيشة وأسباب الترف . ولم تنته التنقيبات والدراسات حيث تعتزم البعثة البريطانية التي اضطلعت بها باشراف ومشاركه مديريـة الآثار السورية متابعة التنقيب من جهة ودراسة ما عثر عليه من آثار قائمة وقطع أثريـة متنوعة للتعرف على حالة المملكة وحضارتها (٣) .

ومما لا ريب فيه انه لو جرت تنقيبات جـادة في سورية وحوض الفرات وهو ما نرجوه ومما تدل الدلائل على انه موضع عنايـة واهتمام ـ لاكتشف كثير من مـدن الاراميين وآثارهم ولعثر على كثير من تسجيلاتهم التي من شأنها أن تسد الثغرات الواسعة في الاسماء وان تمدنا بمعارف كثيرة عن نشاطهم ومآثرهم المتنوعة .

(١و٢) انظر تاريخ اللغات السامية لاسرائيل ولنفسون ايضاً ص ١٢١-١٢٣

(٣) جريدة النصر الدمشقية عدد ٤٦٧٧ وتاريخ ٩ ايلول ١٩٦٠ عزواً الى الاستاذ درويش زهدي محافظ المتحف السوري

صور متنوعة من الاحداث

بين الممالك الآرامية والدول الاخرى

لقد أوردنا قبل نقلا عن الاصحاح الثالث من سفر القضاة خبر زحف شعنائيم ملك آرام النهرين في أواسط القرن الثاني عشر واكتساحه سورية ثم فلسطين . فاذا صحت هذه الرواية فيكون هذا الزحف في رأس قائمة هذه الصور لأنه أول حادث يروى عنهم وهو حادث قوي يدل على ما كان لهم في ذلك الظرف من قوة وصولة .

أما ثاني حدث مروي لهم فهو ما ذكر في نقوش تاغلات بلاسر الاول (١) من زحفه على ما بين النهرين وتغلبه على الاراميين فيها بدون بيان آخر على ما أوردناه قبل .

وثالث حدث هو حرب داود مع مملكة صوبه التي ورد خبرها في الاصحاح (٨) من سفر صموئيل الثاني وأوردناه قبل أيضاً والتي كانت في أوائل القرن العاشر أو أواخر القرن الحادي عشر لأن حكم داود كان تقريباً حوالي ١٠١٥-٩٧٥ قم .

ومقتضى رواية الاصحاح ان داود تغلب على جيش مملكة صوبه وهزمه وهزم آرامي دمشق الذين جاؤوا لنجدته وفرض سلطانه عليهم .

ومما ذكر في الاصحاح في سياق الخبر ان داود اخذ من باطح وبيروتاي مدينتي هدد وعازر نحاساً كثيراً جداً وان توعي ملك حماه أرسل اليه مع ابنه آنية من الفضة والذهب والنحاس . حيث يدل هذا على غنى الممالك الآرامية بالمعدن وتقدم صناعة الاواني الفضية والذهبية والنحاسية فيها .

ورابع حدث مروي لهم كان بينهم وبين داود أيضاً . وهو ما ذكره الاصحاح العاشر من السفر نفسه وأوردناه قبل . وهو استئجار العمونيين مقاتلين من آرامي صوبه وبيت رحوب وطوب ومعكه للوقوف معهم ضد داود .

والخبر في حد ذاته ينقض الخبر السابق باستعباد داود للاراميين أو يفيد على الأقل انهم تفلتوا من سلطانه بعد مدة قصيرة . وقد روى الاصحاح أن داود انتصر عليهم وهزمهم .

ورابع حدث لهم كان ذلك بينهم وبين داود وهو ما ورد في الاصحاح نفسه وأوردناه قبل أيضاً وهو حشد ملك صوبه الاراميين وملوكهم لأخذ ثأر الهزيمة من داود . وقد زحف داود عليهم وكسرهم وجنح ملوكهم إلى مصالحته نتيجة لذلك على ما ذكره

---

(١) الجزء الثالث من تاريخ الجنس العربي ص ٧٧ - ٨٢

الاصحاح .

وعشرات الالوف من المقاتلين والفرسان ومئات المركبات التي ذكرها الاصحاح في سياق الاحداث السابقة تدل على ما كان عليه الاراميون من قوة وتنظيم .

ومقتضى سياق هذه الاحداث ان مملكة صوبة كانت في عهد داود مركز الثقل والنفوذ بين الممالك الارامية .

وخامس حادث من أحداثهم كان بين مملكة دمشق الارامية في عهد ملكها بن هدد بن طبريمون بن حزيون وبين مملكتي يهوذا واسرائيل اليهوديتين في فلسطين ، نتيجة لاستنجاد آسا ثالث ملوك يهوذا منه حينما أراد بعشا ثالث ملوك اسرائيل غزو بلاده على ما جاء في الاصحاح الخامس عشر من سفر الملوك الاول . وقد أرسل آسا إلى بن هدد جميع ما في خزائنه وخزائن المعبد وقال له ان بيني وبينك وبين أبي وأبيك عهد فانقض عهدك مع بعشا حتى ينصرف عني . فلباه وزحف على مملكة اسرائيل وضرب عيون وابل بيت معكة ودان وكنروت وجميع أرض نفتالي في شمال فلسطين ، مما اضطر بعشا إلى الكف عن حركة غزو يهوذا .

وهذا الحادث وقع في أواخر القرن العاشر حوالي (٩١٠ – ٩٠٠ ق م) تقريباً . والخبر يفيد ان صلات عهد داود كانت قائمة بين هذه المملكة ومملكتي اليهود .

ولقد ذكر فيليب حتي دون ذكر مصدر ان مملكة دمشق كانت غدت حوالي سنة ١٠٠٠ ق م مملكة كبرى تمتد الى الفرات من جهة والى اليرموك من جهة أخرى وكانت سورية الداخلية شرقي لبنان وسورية الشمالية تحت سلطتها الاكيدة (١) وهذا محل توقف . فقد كان عدد كبير من الممالك الارامية موجودة الى جانب مملكة دمشق وكل ما يمكن ان يصح وهو ما يؤيده الحادث الذي رواه سفر الملوك ثم الاحداث التي وقعت بعده التي نورد خبرها بعد – ان هذه المملكة صارت الابرز الاقوى التي لها شيء من الهيمنة على الممالك الارامية الاخرى بعد مملكه صوبة التي لم تعد تذكر .

ولقد تكررت الاحداث بين الاراميين ومملكتي اليهود في فلسطين بقيادة مملكة دمشق حسب روايات الاسفار .

من ذلك ما ذكره الاصحاح (٢٠) من السفر نفسه من خبر زحف بنهدد على

---

(١) ص ١٧٧ تاريخ سورية ولبنان وفلسطين ترجمة حداد .

مملكة اسرائيل وحصاره للسامرة عاصمتها . وكان ذلك في زمن آخاب بن عمــري ملك اسرائيل الذي كان حوالي ٨٧٠ ـ ٨٥٠ ق م والاغلب ان هذا الملك هو غير الملك الاول وان كان على اسمه لان المسافة طويلة بين هذا الحادث والحادث السابق .

وقد جاء في الاصحاح في سياق الخبر ان بنهدد جمع كل عسكره ومعه اثنان وثلاثون ملكاً وخيل ومراكب وصعد وحاصر السامره وحاربها . ووجه رسلاً الى آحــاب يقولون له بلسانه ان فضتك وذهبك هما لي وازواجك وبنوك الحسان‌هم لي واجاب‌آخاب قائلاً كما قال سيدي الملك انا وجميع ما هو لي لك . وارجع بنهدد الرسل ثانية ليخبروا آخاب بانه سيرسل عبيده ليفتشوا بيته وبيت عبيده ويأخذوا كل ما يحلو لهم . ودعا آخاب شيوخ الارض واخبرهم بالخطب . فقرروا رفض التفتيش فاخبر الرسل بهذا القرار قائلا ان كل مالي هو للملك ولكننا لا نقبل التفتيش . وقدأدى‌الامر الى الاشتباك الحربي بين الطرفين داوت الدائرة فيه بمعجزة ربانية حسب زعم الاصحاح على الاراميين وقتل منهم مئة الف واضطر بنهدد الى التخلي عن ما اخذه ابوه من مدن وعقد الصلح مع آخاب على هذا الأساس ! والخبر يؤيد ان بنهدد هذا هو ابن بنهدد الاول .

ومن ذلك ما ذكره الاصحاح (٢٢) من السفر نفسه من إتفاق ملكي يهــوذا واسرائيل يوشافاط وآخاب على الزحف على راموت جلعــاد ـ في شرق الاردن ـ لاستخلاصها من يد ملك آرام . وقد زحف الملكان بقواتها فارتدت خائبــة ولقي آخاب حتفه .

والخبر يفيد ان سلطان‌الاراميين‌قد امتد الى هذه المنطقة التي كانت موطناً للاسرائيليين منذ عهد موسى ويوشع . والراجح ان جملة ملك آرام تعني ملك دمشق لانها صارت تعنيه في الاصحاحات التالية ايضاً .

ويظهر ان حركة زحف ملكي اليهود على راموت جلعاد قد جعلت ملك آرام يقوم بحركة مضادة . ففي الاصحاح الرابع من سفر الملوك الثاني خــبر غزوة آرامية لارض مملكة اسرائيل وسبي فتاة منها . وفي الاصحاح الخامس خبر مفاده ان هذه الفتاة صارت خادمة عند زوجة نعمان رئيس جيش ملك آرام . وفي الاصحاح السادس مــن السفر المذكور آنفاً عبارة « وكان ملك آرام يحارب اسرائيل » ثم سياق يذكر ان بنهــدد ملك آرام جمع عسكره وصعد الى السامره وحاصرها حصاراً شديداً فأصابها جوع شديد

حتى صار رأس الحمار بثمانين من الفضة وربع القب من زبل الحمام بخمس من الفضة وأكل الناس أبناءهم . وفي الاصحاح السابع خبر فك الآراميين الحصار وانهزامهم تاركين خيامهم وأثقالهم ومؤنهم غنيمة باردة للاسرائيليين نتيجة لمعجزة ربانية . لأن الرب حزن على ما حل في اسرائيل من خوف وجوع ...

وهذا الحادث في زمن الملك يورام بن آخاب الذي كان حكمه حوالي ٨٤٨–٨٣٦ ق م .

وفي الاصحاح الثامن خبر زحف اخزيا ملك يهوذا مع يورام ملك اسرائيل على راموت جلعاد ثانية لقتال حزائيل ملك آرام حيث يفيد هذا ان الملكين اقدما على ذلك كجواب لزحف بنهدد على اسرائيل .

والظاهر ان بنهدد كان قد توفي في هذه الاثناء وتولى ابنه حزائيل محله .

وفي الاصحاح العاشر هذه الجملة « وفي تلك الايام ابتدأ الرب يقتطع من اسرائيل فضربهم حزائيل في جميع التخوم من الأردن لجهة المشرق جميع أرض جلعاد الجاديين والروبينيين والمنسيين (نسبه الى أسباط جاد وروبين ومنسى الذين كانوا يقيمون في أراض في شرق الأردن) من عرعير التي على وادي ارنون وباشان وذلك في زمن ياهو ملك اسرائيل الذى ثار على يورام وقتله وأباد نسله وحل محله حيث يفيد الخبر ان حزائيل كر على دولة اسرائيل بعد اخفاق زحف آخزيا ويورام على راموت جلعاد وسيطر على قسم كبير من مشارقها .

وفي الاصحاح الثاني عشر من السفر نفسه خبر صعود حزائيل إلى جت واستيلائه عليها ثم صعوده إلى أورشليم في زمن ملكها يواش . وقد أخذ هذا الاقداس التي قدسها ملوك يهوذا وكل الذهب الموجود في خزائن الرب وبيت الملك وأرسلها إلى حزائيل حتى انصرف عن أورشليم حيث يفيد الخبر والخبر السابق ان دولتي يهوذا واسرائيل غدتا في هذا الوقت تحت رحمة وهيمنة ملك دمشق الآرامي . وهذا الظرف يصادف ٨٢٠–٨٣٠ ق م .

وفي الاصحاح الثالث عشر ان غضب الرب اشتد على اسرائيل في زمن يواحاز بن ياهو فأسلمهم إلى يد حزائيل ثم إلى يد ابنه بنهدد (الثالث) بعده جميع الأيام . ولم يكن بقي ليواحاز سوى خمسين فارساً وعشر مركبات وعشرة آلاف راجل لأن ملك آرام أبادهم وجعلهم مثل التراب الذي يوطأ بالاقدام .. والخبر يفيد استمرار هيمنة مملكة دمشق

على اسرائيل مدة ما . ثم تفلتت منها في زمن يواش بن يواحاز واستردت من بنهدد (الثالث) ما أخذه من يواحاز على ما جاء في الاصحاح الثالث عشر نفسه . وقد استطاع يربعام بن يواش أن يسترد ما بقي في يد الآراميين من أملاك اسرائيل على ما جاء في الاصحاح الرابع عشر .

وفي الاصحاح السادس عشر خبر يفيد انه قام عهد تحالف وتضامن بين رسين ملك دمشق وفقح بن رمليا ملك اسرائيل ، حيث ذكر ان رصين صعد مع فقح إلى أورشليم وحاصراها في زمن الملك آحاز بن يوثام ، وان رصين استرد ايله من اليهود وأعادها إلى الآدوميين . وان آحاز أخذ ما وجده من فضة وذهب في بيت الرب وبيت الملك وأرسله إلى تغلات بلاسر ملك آشور قائلا له أنا عبدك وابنك فاصعد وخلصني من يد ملك آرام وملك إسرائيل فلباه وصعد إلى دمشق فأخذها وسباها وقتل رصين . وتغلات بلاسر هذا هو الثالث الذي كان حكمه بين ٧٤٥ - ٧٢٧ ق م .

ولقد ورد الخبر في سفر أخبار الآيام الثاني (الاصحاح ٢٨) في صيغة أخرى حيث جاء فيها ان الرب اسلم آحاز إلى يد ملك الآراميين فضربوه وأسروا منه جمعاً عظيماً وأخذوا الأسرى إلى دمشق . ثم أسلم آحاز إلى يد ملك اسرائيل فقح فضربه ضربة عظيمة حتى بلغ ما قتله ١٢٠ ألفاً وما سباه (٢٠٠٠٠٠) وان آحاز استنجد بملك آشور فجاءه تغلات بلاسر وضيق عليه ولم يؤيده وأعطاه آحاز بعض ما في بيت الرب وبيت الملك وما أخذه من الرؤساء فلم يغن ذلك عنه .

ومع ذلك فان مؤلفي تاريخ كلدة وآشور ومقال في العبرانيين يذكران استناداً إلى نقوش وآثار تغلات بلاسر الثالث ان هذا الملك صعد الى دمشق وحاصر رصين وظفر به وقتله بناء على شكوى ملك يهوذا وغدت دمشق بعد ذلك ولاية آشورية (١) .

ولقد كان طرأ على مملكة آشور بعد قليل من موت سلمناصر الثالث (٢) فكان ذلك مما جعل معظم البلاد الخاضعة لها ومن جملتها بلاد الشام تتمرد وتسترد سيادتها ومما اتاح لملوك دمشق واسرائيل ويهوذا حرية الحركة والمصاولة فيما بينهم . ثم برز تغلات بلاسر

---

(١) تاريخ كلده واشور ص ٨٠-٨٦ و٤٦٦ وبعدها من مجلد مقال في العبرانيين للدبس
(٢) انظر تاريخ كلدة واشور ج ١ ص ٥٧-٧٧

الثالث ونجح في توطيد النظام واخضاع البلاد المتمردة ومن جملتها بلاد الشام ورصين ملك دمشق فجعل ذلك آحاز يستجير به على ما هو المتبادر (١) .

ولقد جاء في الاصحاح (٢٤) من سفر الملوك الثاني ان الرب ارسل على يوياقيم ملك يهوذا وهو من أواخر ملوكها (حوالي عام ٦٠٠ ق م) غزاة من آرام . ولما كانت بلاد الآراميين في هذا الظرف خاضعة لسلطان بابل وكانت مملكة دمشق قد زالت بعد قتل رصين فتكون الغزوة الآرامية هذه غارة شعبية .

ولقد كان الظرف الذي كانت مملكة دمشق الآرامية التي غدت رأس الممالك الارامية تنشط فيه يصادف حدوث ارتباكات داخلية في مصر والعراق تمنعها من متابعة خطتها في السيطرة والتنافس على بلاد الشام .

ولقد زالت الارتباكات خاصة من المملكة الاشورية منذ القرن التاسع ـ باستثناء فترة في أوائل القرن الثامن ـ وأخذ ملوكها ينشطون في سبيل توطيد سيطرتهم على بلاد الشام فلم تستطع مملكة دمشق ولا الممالك الارامية الاخرى ان تحمي نفسها منهم لأن كلا منها كان محتفظاً بكيانه ولم تستطع أن تكون جبهة قوية متماسكة برغم ما كان احياناً من تضامن عابر بينها ، بل وكان أحياناً يقوم بين بعضها جفاء وعداء اذا أخذنا برواية سفر صموئيل الثاني عن العداء الذي كان بين ملك حماه وملك صوبه والذي أوردنا خبره قبل .

ولقد بدأ نشاط ملوك الاشوريين في سبيل إعادة سيطرتهم على الممالك المجاورة للعراق في الشمال والغرب والشرق بعد فترة الارتباك التي ألمت بالدولة بعد تغلات بلاسر الاول منذ القرن التاسع كما قلنا . ومن اعظمهم اشور بال الثالث (٨٨٠-٨٦٠ق م) وقد باشر نشاطه منذ اليوم التالي لتتويجه (٢) وزحف بقوات كبيرة نحو الشمال الغربي من العراق فوطد سلطانه على الممالك العديدة التي فيه ثم اتجه نحو الخابور في جوص الفرات فخرج اليه ملوك هذه الانحاء معلنين خضوعهم ومن جملتهم اللاقيون والاراميون الذين كانوا يمتدون بين الخابور والبليخ ثم ملك مملكة حيذانا الارامي الواقعة على ضفة الفرات الشرقية وفي السنة الثانية خضع له حوباني ملك زوخي وجاء إلى نينوى وقدم اليه فيها

---

(١) اقرأ سيرة تغلات بلاسر في تاريخ آلدة واشور ج ١ ص ٧٧-٨٦

(٢) اقرأ سيرته في الجزء الثالث من تاريخ الجنس العربي ص ٨٤-٩٠

هداياه . وقد زحف في هذه السنة على مملكة بيت زماني الارامية في حوض الفرات وكان ملكها قد تأخر عن اعلان خضوعه فتغلب عليها وعزل الملك ونصب اخاه ارتيانا مكانه واستولى على مقادير كبيرة من العربات والثيران والغنم والذهب والفضة والنحاس والحديد والاقمشة والاواني الذهبيه والعاجية مما يدل على ما كانت عليه هذه المملكة من غنى وازدهار .

وفي السنة التالية أغار على وادي الخابور وضفات الفرات ثانية حيث كان بعض المدن والقبائل والممالك الارامية لم تعلن ولاءها لاشور وكان ملوك زوحي ولاقي متفقين سراً مع ملك بابل على مناوأتها .

وقد أرسل ملك بابل نبو بلدان وهو آرامي الأرومة أيضاً قسما من جيشه إلى ملك زوحي بقيادة أخيه زبدان وقائده بيل دان تدعيما للدفاع والمحالفة . وقد استطاع اسور ناصر بال أن يهزم جيش ملك زوحي مع جيش ملك بابل وأن يأسر قائد هذا الجيش وأن يستولي على مدن حيداني وخريدي وعانه من مدن مملكة زوحي وأن يعمل يد التخريب في هذه المملكة ثم ينشىء قلعتين منيعتين على جانبي الفرات سمى إحداها نيبار آشور وثانيتها كرح آشور . وكانت مملكة بيت اديني التي كانت تشمل ما يعرف اليوم بأقضية عنتاب وروم قلعة وبيرة حلب وسروج ومنبج والرقة ودير الزور لم تعلن خضوعها فزحف عليها في سنة ٨٧٧ ق م وحاصر مدينة قبراني التي هي أمنع مدنها وفتحها وهدم أسوارها وقتل حاميتها ونفى عدداً كبيراً من أهلها مما جعل الملك احوني يسارع إلى إعلان خضوعه بدوره .

وفي سنة ٨٧٦ زحف على جزيرة الفرات أيضاً وتوغل فيها ووطد سلطانه على أنحاء لم تكن موطدة فيها . وكان من جملة ذلك مملكة باتين . وقد زحف على عاصمتها كتالو وضرب عليها الحصار فلم يسع ملكها إلا الخضوع . وقد زحف بعد كتالو على مدينة لوحوتي فقاومته فدمرها ونهبها .

وخلف هذا الملك ابنه سلمناصر الثالث (٨٦٠–٨٢٥) وكان على غرار أبيه شجاعة ونشاطاً واقداماً . وقد بلغت غزواته ٣٢ وتكررت حملاته على بلاد الحيثيين والاراميين والفينيقيين في جزيرة الفرات وسورية ولبنان مما يدل على أن هذه البلاد كانت تتمرد مرة بعد مرة (١) .

---

(١) اقرأ سيرته في الجزء الثالث من تاريخ الجنس العربي ص ٩١–١٠٠

ولقد كانت الممالك الارامية والحيثية والارمنية من أول من تمرد على سلطان آشور بعد وفاة اسور ناصر بال . وكان من جملة ذلك احوني ملك بيت اديني وملوك كركم وشمأل وقوا وباتين من الارامين . فزحف نحوها وتداعى الملوك الى الوقوف في وجهه ولكنه انتصر عليهم ونكل بهم وفرض سلطانه عليهم ووصل إلى جبال الامانوس وقطع خشب الارز والصنوبر منه ثم اتجه نحو سورية وفينيقيةفسارع ملوكهاالى اعلان خضوعهم وتقديم هداياهم

ولم يكد يعود إلى نينوى حتى عـادوا إلى التمرد فسارع إلى الزحف وكسر أولا أحوني ملك بيت أديني ثم عبر الفرات وأخذ يكتسح مدنها واحدة بعد أخرى ثم اتجه نحو سورية الشمالية وفعل فيها مثل ذلك مما اضطر ملوك هذه الانحاء الى الخضوع والرضوخ. وكان من جملتهم ملوك باتين وشمأل وكوسى الارامين .

وفي السنة التالية (٨٥٨) ق م عاد إلى حوض الفرات لمطاردة ملك بيت اديني الذي كان فر من وجهه واحرق مدينة اسمها ايزتي ونهب مدن سوخمي وزياني من مدن المملكة وبعد ذلك أخذ يطارد الملك من مكان إلى مكان ويدمر ما يقف في طريقه حتى حصره في تلال شيتامرات في الجانب الايمن من الفرات وشدد عليه الخناق حتى تمكن من أسره مع عدد كبير من رجاله وأخذهم إلى آسور .

وبعد أن ذلت له مملكة بيت أديني التي كانت أقوى ممالك الارامين في حوض الفرات وشمال سورية اتجهت همته إلى مملكة دمشق التي كانت أقوى ممالكهم في سورية الوسطى . وقد خرج سنة ٨٥٤ وعبر الفرات وعند مدينة بارسيب أتاه جميع ملوك سورية الشمالية ليسجدوا له ويقدموا هداياهم ومن جملتهم ارامي ملك اكوسى وليلى ملك ميليدا وحياني ملك شمأل وكوبرودا ملك باتين وكوبرودا ملك كركم . ثم دخل مملكة حماه واستولى على بعض مدنها . وحشد اداد يدرس ملك دمشق حشوداً عظيمة لمقابلته . وممن تضامن معه وأرسل اليه نجداته من ملوك سورية وفينيقية ارحوليني ملك حمـاه الذي اشترك بسبعمئة مركبة و ٧٠٠ فارس و ١٠٠٠٠ راجل آخاب ملك اسرائيل الذي اشترك بمئتي مركبة و ١٠٠٠٠ راجل وملك قوا الذي أرسل ٥٠٠ راجل وملك موصري الذي أرسل ١٠٠٠ راجل وملك ارقانات (عرقا) الذي أرسل عشر مركبات وعشرة آلاف راجل وملك اوواد مانيتو الذي أرسل ٣٠٠ راجل وملك اوسنات في فينيقيه الذي أرسل ٢٠٠ راجل

وملك شيباتا في فينيقية الذي أرسل ٣٠ مركبة وعشرة آلاف راجل وجنوب ملك العرب الذي اشترك بـ ١٠٠٠ جمل وبعشا ملك العمونيين الذي ارسل ١٠ آلاف راجل ٠ وكان مجموع القوات التي اجتمعت تحت قيادة اداد ٦٢٩٠٠ راجل و ١٩٠٠ فارس و ٣٩٤٠ مركبة و١٠٠٠ جمل .

ونشبت المعركة بين الطرفين عند مدينة قرقر في جهة حماه فكتب النصر للاشوريين وقتل من الطرف الثاني مقتلة عظيمة . وقد سجل سلمناصر هذه الوقعة في أكثر من نقش من نقوشه التي عثر عليها وذكر أرقام النجدات وأسماء المنجدين المذكورة اعلاه ووصف ما كان من كثرة القتلى الذين ضاقت بهم الارض والصحراء ونهر اورانت العاصي وما أخذه من غنائم ومركبات واسرى .

ومع ذلك فان الممالك الارامية والحيثية تمردت بعد قفوله فعاد اليها سنة ٨٥٠ ونكل بالحيثيين اولا ثم حمل على اكوسى الارامية وفتح عاصمتها ارني مع مئة من قراها. وعادت ايضاً للتمرد فعاد اليها في السنة التالية ونهب مدن الحيثيين ومملكة كوسى وسار الى مملكة باتين واخذ منها الفدية . وكان اداد يدرى ملك الشام من جملة المتمردين وقد جمع حشودة وحشود حلفائه فزحف سلمناصر عليهم والتقى بالقوات المتحالفة قرب حماه وكسرها . وعادت مملكة بيت اديني التي كانت اقوى واكبر الممالك الارامية في الفرات وشمال سورية إلى التمرد فزحف عليها سنة ٨٤٨ واخضعها وعادت مملكة دمشق الى التمرد فزحف عليها سنة ٨٤٦ وانتصر عليها وعلى حلفائها الذين احتشدوا معها أيضاً . ومات اداد يدري بعد قليل وآل العرش إلى حزائيل فتمرد بدوره على آشور واتخذ من جبل سانير معصما . فزحف سلمناصر عليه وحاصره وشدد عليه حتى جره إلى المعركة وانتصر عليه وقتل ١٦٠٠٠ من رجاله و٤٧٠ من فرسانه واستولى على ١١٢١ مركبة . وكان يقطع الاشجار وينهب القرى في طريقه وتوغل في جبال حوران وغنم غنائم عظيمة ثم اتجه إلى فينيقية ونقش صورته على صخرة نهر الكلب بجانب صورة تغلات بلاسر وكان ذلك سنة ٨٤٤ . وعادت البلاد إلى التمرد فزحف في سنة ٨٤١ على حوض الفرات وشمال سورية ووصل الى جبل اللكام منكلا مدمراً . وعاد سنة ٨٤١ فضرب مملكة قوا الارامية . وعاد سنة ٨٣٩ إلى سورية وفتح أربع مدن من مدن حزائيل ملك دمشق الذي يظهر انه عاد إلى التمرد .

ولم يباشر سلمناصر بعد ذلك حرباً . وفي هذه الفترة تمردت مملكة باتين على ملكها الخاضع لاشور لوبارنا وبايعت ملكاً آخر اسمه سوري فسير سلمناصر حملة دخلت عاصمتها

عنوة وقبضت على الملك الجديد وصلبته مع رجاله ونصبت ملكاً جديداً تعهد بالخضوع .

ولما آل الملك بعد سلمناصر الى ابنه شمس اداد (٨٢٥ ٨١٢) تمردت عليه البلاد مرة بعد مرة وتكررت زحوفه بسبيل تنكيلها . وكان ينقش أخبار ذلك . وقد ذكر في نقوشه ملكاً اسمه ماري وقال انه حاصره في عاصمته وأخذ جميع كنوزه وثروته ومن ذلك ٣٠٠؟ وزنة فضة و ٢٠ وزنة ذهب و ٣٠٠٠ وزنة نحاس و ٥٠٠٠ وزنة حديد وثياباً مزركشة وسريراً وعرشاً من العاج .

وألم بالمملكة الاشورية بعد هذا ارتباك فتفلتت الممالك الآرامية في حوض الفرات وسورية في جملة من تفلت وتمرد من البلاد الخاضعة لها ومارست سيادتها . وتصادف هذه الفترة لظرف اشتداد هجمات حزائيل وابنه بنهدد من ملوك دمشق على مملكتي اسرائيل ويهوذا على ما مر بيانه .

وفي سنة ٧٤٥ استولى على الحكم تغلات بلاسر الثالث (٧٤٥ ٧٢٧) (١) وبدا منه نشاط عظيم فوطد سلطانه أولا ثم أخذ يزحف على البلاد المتمردة وينكل بها ويخضعها . وقد سار على أسلوب جديد حيث صار يجعل الممالك التي يخضعها ولايات آشورية ويقيم حاميات فيها وينفي ما شاء من أهلها في حين كان أسلافه يكتفون بالفتح والنهب وفرض الجزية ويبقون الملوك على رأس ممالكهم .

وكان من أول أعماله تأديب الآراميين الذين كانوا يمتدون على سواحل القنوات المحفورة بين دجلة والفرات وسواحل الدجلة في حدود عيلام والذين أقاموا فيها ممالك صغيرة عديدة أشهرها بيت دقوري وبيت أموقاني وبيت شيلاني وبيت شملا ونبطا وبوقوداو كمبولا وايتوعا . والايتوعيون خاصة كانوا الاقوى وقد مدوا سلطانهم الى سواحل الزاب الاصغر (٢) .

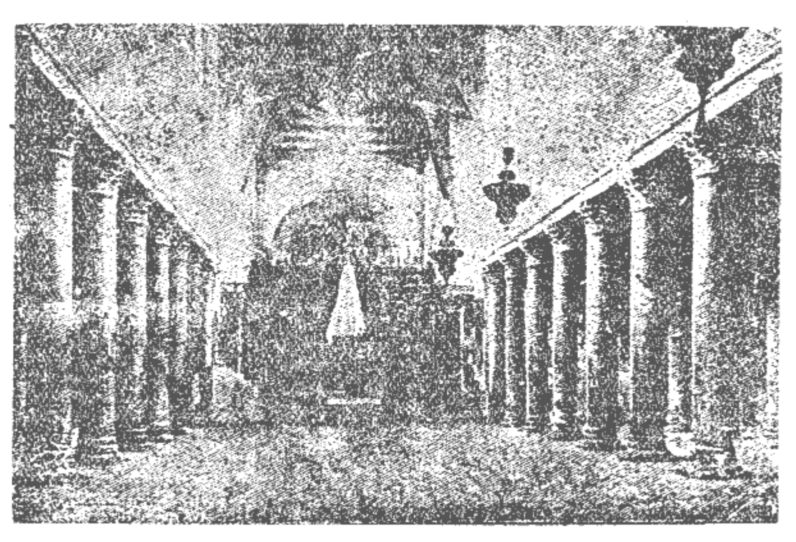
ثم أخذ يوجه همه الى البلاد المتمردة خارج العراق شمالا وشرقاً وغرباً . وقد زحف في سنة ٧٤٣ على مملكة بيت اكوسى وحاصر عاصمتها اربي او ارباد الواقعة قرب جبل الامانوس والتي كانت حصينة جداً ولها السطوة على جميع البلاد التي بين الفرات والامانوس

---

(١) اقرأ سيرته في الجزء الثالث من تاريخ الجنس العربي ص ١٠٢ - ١٠٨

(٢) لم نذكر هذه الممالك في عداد الممالك الارامية في حوض الفرات لانها كانت داخل حدود العراق على ما يفيده وصف المؤلف الذي ذكر خبرها انظر تاريخ كلدة واشور ج ١ ص ٥ - ١٢٨ وقد ذكرناها في الجزء الثالث من تاريخ الجنس العربي ص ٦٦ وما بعدها

وقد طال حصاوها ثلاث سنين وتمكن من فتحها وضربها ضربة شديدة . وحينئذ تقاطر عليه ملوك وأمراء البلاد يعلنون خضوعهم ومن جملتهم ترحولا ملك كركم واور بعل ملك قوا ورسين ملك دمشق من الارامبين . وتخلف توتاما ملك اونقي فزحف على عاصمته كينالو واستولى عليها ونهبها . وقد جعل مملكتي بيت اكوسى واونقي ولايتين آشوريتين ، فزال بذلك السلطان الارامي منها .



كنيسة المهد وبيت لحم حيث ولد المسيح

وفي سنة ٧٣٩ نجحت حركة تمرد في جميع سورية الشمالية حيث تحالف ياهو ملك بادي مع تسعة عشر ملكاًمن ملوك البلادالممتدة من حماه الى البحر المتوسط ومن كليكيا الى دمشق فزحف تغلات بلاسر وانتصر على القوات المتحالفة وأخضع بلادها ونفى كثيراً من أهلها . وحينئذ سارع ثمانية عشر من ملوك الآراميين وغيرهم ومن جملتهم ملوك صور وحماه وميلدا والتوبال وزبيبي ملكة العرب ومناحيم ملك اسرائيل ورسين ملك دمشق إلى إعلان خضوعهم وتقديم هداياهم .

وفي هذه الفترة تحالف رسين مع فقح ملك اسرائيل ضد ملك يهوذا فاستنجد هذا بتغلات بلاسر فزحف على مملكة دمشق للتنكيل برسين وانهزم هذا من أمامه وتحصن في جبل لبنان الشرقي فحاصره وضيق عليه إلى أن ظفر به وقتله واسر ثمانية آلاف من جيشه ونفاهم وصير دمشق ولاية آشورية ، وبذلك زال السلطان الآرامي منها أيضاً . وقد

قدم عليه في هذه السفرة خمسة وعشرون ملكاً من ملوك بلاد الشام فقدموا اليه الهدايا النفيسة واعلنوا خضوعهم وولاءهم .

وفي زمن سلمناصر الخامس ابنه الذي خلفه (٧٢٧–٧٢٢) حافظت الممالك الارامية على هدوئها . ولكنها عادت فتمردت في زمن سرجون الثاني الذي خلفه (٧٢٢–٧٠٥) بزعامة ايل بودي ملك حماه بتحريض من نجوريس ملك مصر وطردت الولاة والحاميات الآشورية من دمشق وبيت كوسى وغيرها وقام ملك جديد اسمه متيلا في بيت كوسى .

وقد اندمج في التمرد ملوك اسرائيل ورفاح وغزة ايضاً . وقد زحف سرجون (١) وانشب القتال مع القوات المتحالفة من جهة قرقر فدارت الدائرة على هذه وظفر بملك حماه فسلخ جلده ثم زحف على فلسطين فنسف مملكة اسرائيل ونفى اهلها ثم زحف نحو غزة فاستولى عليها واسر ملكها حنون ونهب رفاح وسبى تسعة آلاف من سكانها .

ومع ذلك فقد اعلنت البلاد العصيان في سنة ٧١٥ وامتد حتى شمل سورية الشمالية ولكن سرجون قمع العصيان ووطد سلطانه ثانية .

وفي سنة ٧١٣ اغار على مملكة كاولا لان اهلها ثاروا على الحاكم الذي نصبه سرجون وعينوا مكانه آخر فلم يكن من هذا الا ان سارع الى اعلان خضوعه وتقديم هداياه حتى رضي عنه . وجاءه ملوك بيت ديوكا والبيي وابوبا حاملين هداياهم .

وفي سنة ٧١٢ زحف على ميلدا لان ملكها ترحونازي امتنع عن الجزية – وهي آرامية – فانتصر عليه واسره مع افراد اسرته وجعل مملكته ولاية آشورية . وكان ترخولا ملك كركم موالياً خاضعاً فثار عليه ابنه وقتله فحمل في سفرته هذه على عاصمتها مركاسي واستولى عليها ونكل بأهلها وملكها الجديد وصيرها ولاية آشورية .

ولما آل الملك الى سنحاريب ابن سرجون (٧٠٥ – ٦٨٠) نجمت حركة عصيان واسعة في جميع بلاد الشام وحوض الفرات بتحريض من مصر من ناحية ومن ملك بابل من ناحية اخرى . غير ان هذا سارع الى الزحف (٢) وتمكن من قمع العصيان وتوطيد سلطانه ثانية على سورية وفينيقية وفلسطين وشرق الاردن ونكل بمن تلكأ عن الخضوع

---

(١) اقرأ سيرته في الجزء الثالث من تاريخ الجنس العربي ١٠٩ – ١١٨

(٢) اقرأ سيرته في الجزء الثالث من تاريخ الجنس العربي ص ١١٨ – ١٢٧ .

او راوغ فيه حتى وصل إلى حدود مصر واشتبك مع ملكها .

ولم تعد النقوش والاثار التاريخية تذكر ملوك وممالك آرامية باسماء معينة في حين ظلت تذكر اسماء ملوك وممالك في فينيقية وشرق الاردن وفلسطين في سياق سيرة اسرحدون الذي تولى بعد سنحاريب (٦٨٠-٦٦٧) واشور بانيبال الذي تولى بعد اسرحدون (٦٦٧-٦٢٨) ثم في سياق سيرة نبولا نصر وابنه نبوخذ نصر ملكي مملكة بابل الكبرى الاخيرة (٦٠٤-٥٦٠) ق م [1] حيث تكرر تمرد هذه البلاد على سلطان اشور ثم بابل بتحريض من مصر وتكرر زحف ملوك آشور وبابل عليها ، وكل ما كان من امر انه كان يذكر جملة « ملوك سورية » الى جانب ذكر ملوك وممالك فينيقية وشرق الاردن وفلسطين ؛ مما يمكن ان يدل على أنه لم يعد في بلاد الشام وحوض الفرات ممالك آرامية بعد تنكيل تغلات بلاشر ثم سرجون بملوكها وتحويلها الى ولايات او على الاقل لم يقم فيها ملوك اراميون اقوياء استطاعوا ان يلعبوا دوراً مهماً على مسرحها منذ القرن السابع .

وفي سنة ٥٣٩ ق م استولى الفرس بقيادة كورش على مملكة بابل وفرضوا سلطانهم على حوض الفرات وبلاد الشام جميعها ومصر . وجعلوا حوض الفرات وسورية وفينيقية ولاية واحدة باسم الولاية الخامسة [2] ومع انه عرف انه بقي ملوك على رأس بعض ممالك فينيقية واردنية على ما مر بيانه في فصلي فينيقية وشرق الاردن فانه لم يعرف انه كان ملوك آراميون على ممالك آرامية في سورية وحوض الفرات في عهدهم .

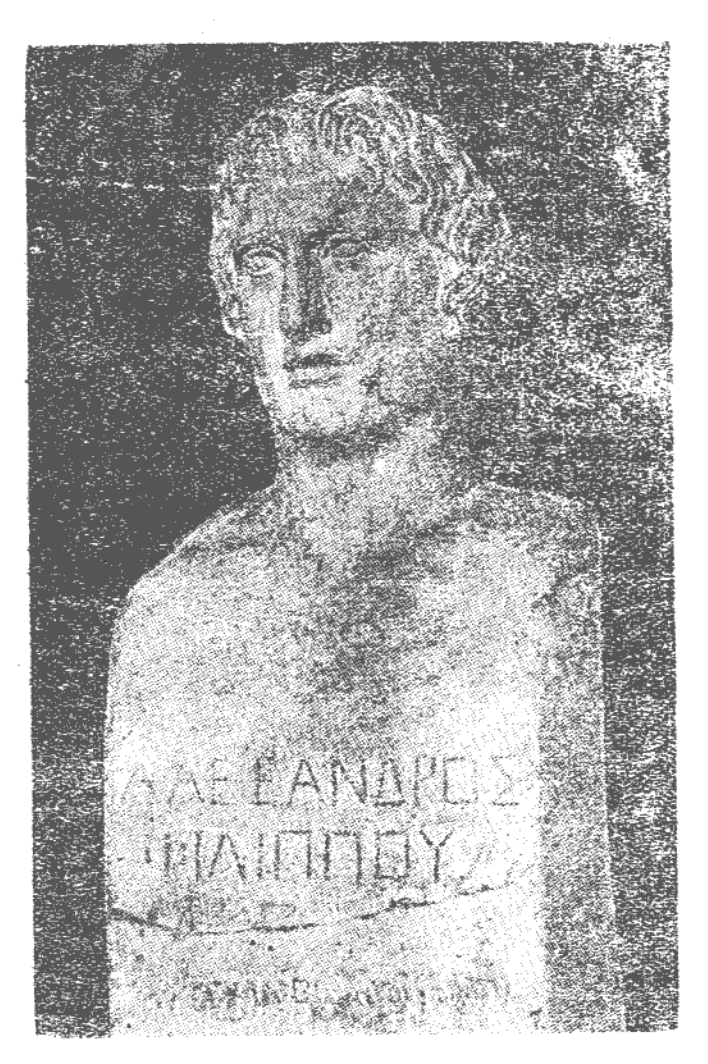
ولقد امتد هذا العهد نحو مئتي سنة . ثم زحف الأسكندر المكدوني على بلاد المشرق سنة ٣٣٣ فنسف دولة الفرس واستولى على بلاد الشام ومصر ؛ ولما مات قامت في مصر دولة البطالسة اليونانية وقامت في سورية دولة السلوقيين اليونانية . وكانت عاصمتها انطاكية .

ولم يعد الاراميون يلعبون على مسرح سورية وحوض الفرات دوراً في مجال الحكم والسلطان . وظل الامر كذلك في عهد الرومان الذين قوضوا الحكم اليوناني في القرن الاول قبل الميلاد واحلوا حكمهم محله الى ان جاءت موجة الفتح الكبرى تحت راية

---

(١) انظر الجزء الثالث من تاريخ الجنس العربي ص ١٢٧-١٥٨ .

(٢) كتاب فيليب حتي ص ٢٤٢



تمثال الاسكندر الكبير

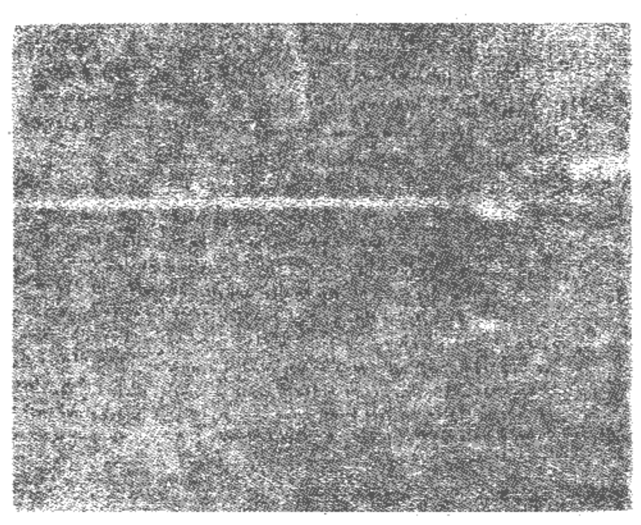
الاسلام فحررت هذه البلاد من الرومان ووطدت فيها السلطان العربي الصريح .

تجارة الاراميين ولغتهم وديانتهم (١)

ولقد اشتغل الاراميون بالتجارة وضربوا بها بسهم وافر حتى كادت مقاليدها في بلاد

(١) هذة النبذة مقتبسة من كتاب لبنان تأليف لجنة الادباء ص ١٨٦–٢٨٨ وتاريخ سورية للدبس ج ٢ مجلد ٣ ص ٣٩٨ وما بعدها وتمهيد كتاب المفصل في قواعد اللغة السريانية وآدابها للابراشي ورفقاه وتاريخ سورية ولبنان وفلسطين فيليب حتي ترجمة حداد ص ٦٨١ – ١٨٩ وتاريـخ اللغات السامية لاسرائيل ولنفـون .

الهلال الخصيب وغربي آسيا تنحصر في ايديهم . وكانت قوافلهم تسير في كل اتجاه تحمل مصنوعات ومنتوجات بلاد الشام الى مصر والعراق وما وراءهما وتحمل من هنا مصنوعات ومنتوجات مصر وافريقية والعراق الى بلاد الشام . ونتيجة لذلك صارت لغتهم لغة التجارة والحساب بل والسياسة في بلاد الهلال الخصيب بل وفي شمال مصر وغدت اللغة الثانية المفضلة . وكان وجود جماعات كبيرة من الاراميين في جنوب العراق وجماعات كبيره منهم في شمال مصر نتيجة لحركة الهكسوس والموجات التالية لها التي كانت تنساح الى مصر على ما شرحناه في الجزء الثاني مما ساعد على انتشار هذه اللغة . وفي الاصحاح



كتابة آرامية من القرن الخامس قبل الميلاد

(١٨) من سفر الملوك الثاني خبر مؤيد لهذا حيث قال الوفد اليهودي الذي جاء الى اسوار اورشليم لمفاوضة الوفد العراقي الذي ارسله الملك سنحاريب لرئيس الوفد : « كلم عبيدك بالآرامي فاننا نفهمها » وكان هذا في القرن السابع ممتداً الى ما قبل كما هو المتبادر . وقد عثر على مشهد من عهد تغلات بلاسر الثالث يمثل كاتباً يدون بالارامية الغنائم المأخوذة من احدى المدن المفتوحة بقلم على ملف من البردي وليس على لوح من الطين .

وقد ظلت اللغة الارامية نامية شاملة في العهد الفارسي حيث كانت اللغة الرسمية بين مقاطعات الامبراطورية الفارسية التي كانت تمتد من الهند حتى الحبشة مما لم يقسم مثل هذا الفوز لغيرها من شقيقاتها . وظلت متمتعة بهذه الميزة في عهد الدولة السلوقية ثم في الحكم

الروماني الى الفتح الاسلامي . وكانت لها الغلبة على غيرها حتى غدت اللغة الوطنية في بلاد الشام . والمتبادر ان هذا انما تم بسبب كون اللغات التي كانت شائعة في بلاد الشام لهجات لغة واحدة وكون الناطقين بها هم من ارومة جنسيه واحدة .

ولقد وجدت آثار آرامية في نواح مختلفة من آسيا الغربية والوسطى وشمال افريقية فجاء ذلك دليلاً على انتشار الاراميين في هذه المنطقة الواسعة ونفوذ لغتهم اليها .

ولقد كان الاراميون يستعملون الابجدية الفينيقية وبواسطتهم انتشرت في انحاء كثيرة من المعمورة وعند امم كثيرة ؛ حتى ليمكن أن يقال إن الارمن والفرس والهنود حصلوا على ابجدياتهم من مصادر آرامية . وقد حمل الكهنة البوذيون الابجدية السنسكريتية التي هي من أصل آرامي الى قلب الصين وكوريا .

ولقد اشتهر إلى جانب اللغة الارامية وفي موازاتها اللغة السريانية بل انها كادت أن تقتلعها وتحل محلها . والسريانية من حيث اصلها فرع او لهجة آرامية . وتسمية السريانية مقتبسة من اسم سورية الذي كان يطلق على بلاد الشام جميعها من جبال طوروس الى رفح احياناً وعلى بعض هذه البلاد احياناً منذ القرن العاشر قبل الميلاد .

وقد ورد اسم سيريون اسماً لجبل حرمون في سفر التثنية من اسفار العهد القديم مما يحتمل أن يكون معمماً عنه . وقد جاء هذا الاسم بصيغة شيريون في بعض الكتابات الأوغاريتنية حيث يدل على انه قديم يرجع الى ما قبل القرن الثالث عشر قبل الميلاد على كل حال . ثم صار اسم « سورية » يطلق على بلاد الشام . من قبل اليونانيين حيث ورد هذا في أشعار هوميروس وفي كتاب هيرودوت من رجال القرن الخامس قبل الميلاد .

وبعض الباحثين يظنون ان التسمية مقتبسة من اسم صور التي كانت كبرى مدن الكنعانيين وعاصمة مملكتهم الكبرى في القرن الثاني عشر الميلادي وبعده والتي كانت ذات نشاط ملاحي وتجاري واسع وشهرة عظيمة في البحر الأبيض المتوسط ؛ وان اليونانيين صاغوا من اسم صور اسم سورية واطلقوه على جميع بلاد الشام . والى هذا فهناك من يظن أن التسمية متصلة باسم آشور الذي كان يترادف مع اسم اسيريا نتيجة لدخول بلاد الشام في حوزة الاشوريين حيناً بعد حين منذ القرن الحادي عشر الى القرن السابع قبل الميلاد .

وقد قال فيليب حتي ان الباحثين اخذوا يعدلون عن هذا الظن ويرجحون ان الاسم

مأخوذ من سوري SU-RI الذي كان اسماً لأحدى مناطـق شمالي الفرات . وسواء صح هذا أم صح احتمال انبثاق التسمية من اسم صور او مـن اسم سيريون فهي تسمية أصيلة . وإذا صح أن التسمية جاءت من سوري اسم احدى مناطق شمال الفرات فيصح بالتبعية أن يقال إن اسم السريان الذي كان يتسمى به الاراميون من سكان منطقة الرها قد جاء من هنا .

أما مرد شهرة اللهجة السريانية فهو إلى كون أسفار العهد القديم والأناجيل قد كتبت بها في القرن الاول للميلاد المسيحي . وصارت هذه الكتب بهذه اللهجـة هي الكتاب المقدس للمسيحيين السوريين على اختلاف اروماتهم من آراميين وكنعانيين وعبرانيين ؛ كما صارت السريانية لهجتهم العامة وصار اسم السريان يطلق عليهم تمييزاً لهم عن الآراميين الآخرين والكنعانيين ومن جملتهم الفينيقيون الذين احتفظوا لفترة أخرى بالوثنية في مختلف انحاء بلاد الشام وعن العبرانيين الذين احتفظوا باليهوديـة . ومما ذكره الدبس ان السريانية كانت لهجة السيد المسيح وعامة بني اسرائيل وان السيد المسيح كان يبشر بها .

فاذا صح هذا فتكون السريانية قد انتشرت حتى سادت أو كادت تسود بلاد الشام قبيل الميلاد ثم توطدت وازدادت سيادة وشهرة حينما غدت لغه الكتاب المقدس .

أما ديانة الآراميين فقد كانت آلهتهم الرئيسية سماوية مثل سائر الجنس العربي. وكانت تتطور من حيث الأشكال والرموز والاسماء والدلالات في أطوار مختلفة كما كانت مزيجة مما عند البابليين والكلدانيين والآشوريين والكنعانيين بل والسبئيين .

فقد ألهوا بيل الذي هو لهجة ثانية لبعل واعتبروه الاله الاعظم وذكروه ورمزوا إليه بدائرة ذات اشعة . وقد ألهوا القمر وكانوا يسمونه زين وصين والاسم صنو سين اسم القمر في اليمن والعراق وكان له هيكل عظيم في حران . وقد ألهـوا الزهرة وكانوا يسمونها عثر وعاثرات والكلمة صنو عشتار وعشتروت ويؤنثونها ويعتبرونها زوجة الاله الأعظم . وكانوا احياناً يعتبرون حدد اله الزوابع والرعد والخصب والسيول ويسمونـه احياناً باسم ريمون بمعنى الراعد . وكانوا يسمونه احياناً بالاسمين معاً حدد ريمون . وقد عثروا على معابد عديدة في سورية ولبنان . وهناك بعض الاثار التي تفيد انهم كانوا يعتقدون بحياة اخروية حيث عثر على كتابة امر بتدوينها ملك آرامي اسمه نبامو الاول هذه العبارة على تمثال للاله حدد لنتلى عندما تقرب له القرابين « لتأكل روح بنامو مع حدد ولتشرب روحه مع حدد ولتفرح بالتقدمة لحدد » .

لمحة في تاريخ بلاد الشام

تحت حكم الفرس واليونان والرومان

كما فعلنا في الجزئين السابقين نورد هنا لمحة موجزة عن تاريخ بلاد الشام منذ دخلت تحت سيطرة الفرس . ولقد قلنا ان هذه البلاد دخلت بالتتابع في حكم الفرس ثم اليونان ثم الرومان ثم حررها العرب الذين جاؤوا هذه المرة من جزيرة العرب تحت راية الاسلام والعروبة الصريحة .

حقبة الحكم الفارسى

لقد امتدت هذه الحقبة نحو مئتي سنة (٥٣٨-٣٣٣ قم) وكانت البلاد فيها ولاية خاضعة لحكم الفرس باسم الولاية الخامسة وقد سميت مرزبانة عبر النهر ورتب عليها جزية مقدارها ٣٥٠ وزنة (١) .

ولم يؤثر عن بلاد الشام الداخلية نشاط ذو بال ولا سيما في المجال السياسي إبان حكم الفرس في حين اثر شيء من ذلك فيه في فينيقية وشرق الاردن وفلسطين حيث ظل يقوم فيها حكومات محلية على رأسها ملوك وأمراء من أهلها أي من الجنس العربي على ما شرحناه في فصول فينيقية وشرق الاردن وفلسطين والعبرانيين شرحاً يغني عن التكرار .

ومرد ذلك على ما هو المتبادر ان الحكومات الآرامية في سورية الداخلية قد زالت في عهد الاشوريين والبابليين وغدت ولاية آشورية وبابلية في حين استطاع بنو إسرائيل الذين عادوا من المنفى وتكثفوا في منطقة القدس التي صارت تعرف باليهودية أن يبدوا بعض النشاط كما استطاع بعض الممالك في فينيقية وشرق الأردن أن تستمسك أمام العواصف .

---

(١) كتاب فيليب حتي ص ٢٤٢ الترجمة العربية

حقبة الحكم اليوناني

أو

الدولة السلوقية (١)

امتدت هذه الحقبة نحو قرنين ونصف ٣٣٣ – ٦٤ قم وكان الحكم اليوناني في بلاد الشام مملكة محلية ان صح التعبير كما كان ذلك شأنه في مصر . وعرفت هذه المملكة بالدولة السلوقية نسبة إلى مؤسسها سلوقس أحد قواد الاسكندر الكبير . فقد تنازع قواد الاسكندر وأسرته من بعده وتنافسوا واقتتلوا . وتحالف سلوقس وبطليموس في جبهة واحدة ضد الآخرين وأسفرت المصاولة التي امتدت نحو عشرين سنة عن مملكة يونانية في مصر عرفت بمملكة البطالسة وأخرى في بلاد الشام عرفت بمملكة السلوقيين . وكانت هذه تشمل جميع سورية الداخلية والشمالية وجزيرة الفرات والعراق وما وراء ذلك من بلاد المشرق التي خضعت لسيطرة الاسكندر .

أما فينيقية وفلسطين وشرق الاردن وما كان يسمى بسورية المجوفة أي الأقضية الاربعة اليوم (البقاع وبعلبك وراشيا وحاصبيا) فقد كانت في سلطان البطالسة في بدء الأمر . وقد تم هذا التقسيم بالتراضي بين القائدين المتحالفين بعد أن تم لهما النصر على منافسيهم ، وخاصة على قائد اسمه انتيغونوس كان صاحب الحكم في آسيا الصغرى ثم طمح إلى مد سلطانه إلى بلاد الشام ومصر .

ومما جرى في سياق النزاع ان بطليموس زحف من مصر على بلاد الشام واستطاع أن يستولي على فلسطين وفينيقية وسورية الوسطى بسهولة . ولكنه لم يكد يعود إلى مصر حتى جاء أنتيغونوس فاستولى على البلاد الشامية . وقد استعصت عليه صور كما استعصت قبل عشرين سنة على الاسكندر ، وكانت أفاقت من ضربة هذا واستطاعت أن تستأنف نشاطها ، وقد غدت المدينتان البرية والبحرية ملتصقتين بسبب السد الذي أنشأه الاسكندر

---

(١) هذه النبذة مقتبسة من تاريخ سورية للدبس مجلد ٣ ج ٢ ص ٨٥–٢٧٢ وكتاب لبنان تأليف لجنة الادباء ٢٢٢–١٢٤ و ٢٣٤–٢٣٦ وتاريخ سورية جرجي يني ١٣٠–١٦٥ وتاريخ سورية ولبنان وفلسطين فيليب حتي الترجمة العربية ص ٢٥ وما بعدها

بينها . ولقد حاصر انتيغونوس صور من البر فلم يفز بطائل وحينئذ أمر بقطع الاخشاب من الجبل ونقلها الى طرابلس وجبيل وصيدا وصنع منهـا سفناً وحاصر صور من البحر فاستطاع بذلك أن يستولي عليها بعد جهد وحصار امتد خمسة عشر شهراً . ثم سير حملة بقيادة ديمتريوس نحو الجنوب فاستولت على فلسطين واتجهت نحو مصر فخرج بطليموس الى لقائها والتقى بها عند غزة وتمكن من كسرها كسرة شديدة وكان ذلك عام ٣١٣ ثم لحق بها وطاردها وهي متقهقرة أمامه حتى تم له طردها من سورية الوسطى وفينيقية واستولى عليها . وسارع أنتيغونوس إلى نجدة ابنه فتمكن من الصمود في سوريـة الشمالية ثم كر على جيش بطليموس في سورية الوسطى وانتصر عليه واضطره إلى التخلي عما استولى عليه والعودة إلى مصر خائباً . وقد هدم قلاع عكا ويافا والسامرة وغزة وأخذ معه أوالتحق به جمهور كبير من أهلها وأموالهم . ثم أرسل انتيغونوس ابنه بأسطول كبير إلى قبرص وانتصر على أسطول بطليموس أمامها واستولى على الجزيرة ؛ وزحف هو على رأس جيش على مصر وسير ابنه بالاسطول نحو سواحلها . غير ان الحملة البرية والبحرية اخفقت بسبب العواصف والامراض فاضطر انتيغونوس الى التراجع عن مصر .

وفي هذه الاثناء نشبت فتنة في مملكته الاصلية في آسيا الصغرى فبادر إلى بلاده لاخمادها واغتنم بطليموس الفرصة فزحف نحو الشام وفرض سلطانه على فلسطين وفينيقية وسورية المجوفة ؛ واستعصت عليه صور وصيدا ولم يدخلا في سلطانه إلا بعد حصار طويل . وقد سير اسطوله على قبرص ففرض سلطانه عليها . ولم يعد انتيغونوس وابنه إلى محـاولة ثانية لانتزاع ما خرج من أيديهم هذه المرة ثم عصفت الفتنة بمملكتها فطواهما التاريخ .

ولقد تولى عرش المملكة السلوقية ثمانية وعشرون ملكاً معظمهم من ذرية سلوقوس هذه أسماؤهم وسني حكمهم (١) :

سلوقوس الاول	٣١١—٢٨٠
انطيوكوس الاول	٢٨٠—٢٦٠
انطيوكوس الثاني	٢٦٠—٢٤٦
سلوقوس الثاني	٢٤٦—٢٢٥

(١) المجلد الثالث من تاريخ سورية للدبس ص ٢٥٨—٢٦٠

سلوقوس الثاني	٢٤٦-٢٦٠
انطيوكوس الثالث الكبير	١٨٥-٢٢٢
سلوقوس الرابع	١٧٥-١٨٥
انطيوكوس الرابع ابيفان	١٦٤-١٧٤
انطيوكوس الخامس أو باتور	١٦٢-١٦٤
ديمتريوس الاول سوتر	١٥٠-١٦٢
اسكندر الاول بالا	١٤٦-١٥٠
ديمتريوس الثاني نكاتور (مرة بعد مرة)	١٣٥-١٤٧
انطيوكوس السادس	١٤٢-١٤٥
ترينون	١٣٩-١٤٢
انطيوكوس السابع صيدات	١٢٨-١٣٨
قلوبطره في قسم من المملكة	١٢٠-١٢٥
سلوقوس الخامس مع امه قلوبطره	١٢٣-١٢٤
زبينا قم القسم الآخر من المملكة	١٢٣-١٢٨
انطيوكوس الثامن كريوس (مرة بعد مرة)	٩٦-١٢٠
انطيوكوس التاسع الشيزيكي مع اخيه	٩٥-١١٦
سلوقس السادس	٩٣-٩٥
انطيوكوس العاشر او ساب (مرة بعد مرة)	٨٣-٩٣
انطيوكوس الحادي عشر	٩٠-٩١
ديمتريوس الثالث اوثر في دمشق	٨٣-٩١
فيلبوس في انطاكية	٨٣-٩١
انطيوكوس الثاني عشر في دمشق	٨٦-٨٩
سيلانة ارملة انطيوكوس في عكا	٧٠-٨٠
انطيوكوس الثالث عشر في قسم من المملكة	٦٤-٦٩

ولقد بنى سلوقوس مدينة سماها باسمه ومكانها اليوم السويدية على البحر المتوسط في خليج الاسكندرونة واتخذهــا عاصمة . ثم بنى ابنه وخليفته انطيوكوس الاول مدينة

ثانية سماها باسمه كذلك وهي انطاكية فغدت عاصمة المملكة في معظم حقبة الدولة . وقد تعاظمت هذه المدينة حتى غدت من اعظم المدن كثافة سكان ورواء عمران وازدهار صناعة وتجارة وكان يحيط بها حدائق غناء فتزداد بها بهاء على بهاء ..

موجز سيرة الدولة السلوقية

ولقد تقلبت هذه الدولة على ادوار واطوار . وكان سلطانها يتسع حيناً حتى يشمل بلاد فارس ومادي والعراق وكليكيا وكابادوكيا وجميع بلاد الشام ومن جملتها فينيقية والاردن وفلسطين وينكمش حيناً حتى يكاد ينحصر في قسم من سورية . وقد استشرى النزاع والتنافس بين امراء الاسرة السلوقية ثم بين السلوقيين والبطالسة حتى لقد كان تاريخ هذه الدولة سلسلة متصلة الحلقات من هذا النزاع الذي كان يجر معه الدسائس والمؤامرات والحروب . وكان النصر يتساجل بين المتنازعين حيناً ويكتب لفريق دون آخر حيناً . وقد قامت المصاهرة بين السلوقيين والبطالسة فكانت من اسباب وعوامل هذا النزاع في ظروف عديدة .

وقد انقسمت الدولة السلوقية نتيجة للنزاع بين الأسرة الى قسمين في بعض الظروف كان يقوم على كل قسم منها ملك سلوقي . وكانت دمشق حيناً وعكا حيناً مركز القسم الثاني وانطاكية مركز القسم الأول .

المصاولات بين البطالسة والسلوقيين

على بلاد الشام

ومع ان اقتسام السلطان على بلاد الشام والجزيرة والعراق وما وراءه قد تم في البدء بالتراضي بين مؤسسي الدولتين الحليفتين كما قلنا فقد دار التنافس والتنازع بين خلفائهما اكثر ما يكون على حكم فلسطين وشرق الاردن وفينيقية وسورية المجوفة حيث صعب على السلوقيين ان تكون هذه الاقسام الشامية خاضعة لسلطان البطالسة . وقد تعددت مراحل هذا التنافس بين الدولتين وتساجلتا فيه النصر والهزيمة . وكاد يكون شغلهما الشاغل بما كان في سياقه من حروب وزحوف ومكائد . وكانت هذه الاقسام تتبع هؤلاء حيناً وأولئك حيناً حسب نتائج الحروب غير ان المدة التي قضتها تحت سلطان السلوقيين

كانت ضعف المدة التي قضتها تحت سلطان البطالسة .

ولقد انبسط سلطان السلوقيين عليها للمرة الأخيرة عام ١٧٠ ق م فظلت تحت هذا السلطان إلى الفتح الروماني عام ٦٤ ق م .

ولقد بدأ التنافس على هذه الأقسام في عهد القائدين الخليفين حيث حاول سلوقس الأول ان ينتزعها من سلطان البطالسة بعد أن استقر له الحكم . غير ان موته حال دون تنفيذ عزيمته فأراد خليفته أنطيوكوس الاول تنفيذهـا وشعر بطليموس الأول بذلك فأرسل اليه يقول ان العهد الذي بين أبيك وبيني جعل لي السلطان على هذه الاقسام ، ويطلب منه أن يجلو عما استولى عليه منها وينذره بالحرب . ولم يستمع انطيوكوس فزحف بطليموس على رأس حملة قوية اكتسحت البلاد إلى دمشق ، فتوطد السلطان البطامي على ما كان من نصيب البطالسة حسب العهد الأول . وقد استطاع أنطيوكوس بمساعدة الاسبارطيين ان يسترد دمشق بعد قليل ولم يلبث أن مات فأراد خليفته أنطيوكوس الثاني أن يسترد بقية الأقسام فأدى ذلك إلى الحرب بينه وبين بطليموس الثاني عام ٢٥٥ ق م .

ومما روي أن هذا أراد احتكار التجارة البحرية فأنشأ مدينة على شمال ساحل البحر الأحمر سماها برنيقة على اسم امه وأنشأ اسطولا صار يمخر في البحر الاحمر وبحر الهند وينقل سلع بلاد الشرق إلى هذه المدينة ثم تنقل من هنا إلى الاسكندرية ثم إلى سواحل البحر المتوسط فكان ذلك من أسباب التنافس والنزاع بين الملكين اليونانيين . ولقد طالت الحرب بينهما دون أن يظهر أحدهما على الاخر واغتنمت الاقطار المشرقية ـ بلاد فارس وما وراءها ـ الفرصة فأعلنت تمردها واستقلالها ولم يبق أحد من وراء دجلة تابعاً للسلوقيين فجعل ذلك أنطيوكوس يجنح إلى مسالمة بطليموس ويعقد معه صلحاً ويتزوج من ابنته على شرط أن يطلق زوجته السابقة ويكون أولاده من بنت بطليموس هم ورثة العرش .

وكان ذلك سنة ٢٤٩ . ولم تذكر المصادر التاريخية التي ذكرت هذا شيئاً عن مصير البلاد الشامية المتنازع عليها . ولكن الاحداث التي وقعت بعد تدل على انها ظلت تحت سلطان البطالسة حيث روي ان انطيوكوس الثاني لم يكد يسمع بموت حميه حتى طلق ابنته وأعاد زوجته الأولى وحبس الزوجة المطلقة وشدد عليها الحراسة ؛ فأثار أخاها بطليموس الثالث الذي خلف أباه فتحالف مع بعض ملوك آسيا الصغرى وزحف من

الجنوب بينما زحف حلفاؤه من الشمال فاكتسحوا المملكة السلوقية جميعها .

وفي هذه الاثناء مات انطيوكوس وثارت فتنة في مصر فأقام بطليموس على المملكة السلوقية سلوقوس الثاني ابن انطيوكوس مقام أبيه على أن يكون خاضعاً لسيادته وعاد إلى مصر ويده مملوءة بالغنائم التي قدرت بالملايين وكان من جملتها كمية كبيرة من أواني الذهب والفضة والفان وخمسمئة تمثال ثمين منهـا تماثيل نهبها كمبيز من مصر وكان ذلك سنة ٢٤٥ .

ولقد حاول سلوقوس ان يتفلت من سيادة مصر بل وأن يسترد ما دخل في سلطانها من البلاد الشامية حينما مات بطليموس الثالث فزحف بطليموس الرابع الذي صار اليـه الحكم على بلاد الشام ووطد سلطانه عليها وكان ذلك سنة ٢٣٠ .

ومات سلوقوس الثـاني سنة ٢٢٦ فخلفه سلوقوس الثالث الذي كان ضعيف الجسم والعزم فتآمر عليه رجاله ودسوا له سماً سنة ٢٢٣ فخلفه عـلى الملك اخوه انطيوكوس الثالث الذي عرف بالكبير وقد تفرغ اولا لاصلاح شؤون الدولةثم اشتبك مع بطلميوس بحرب امتدت امداً غير قصير وتعددت وقائعها وتساجل الطرفان النصر فيها ثم انتهت بانتصار انطيوخوس وانبساط سلطان السلوقيين على الاقاليم الشامية المتنازع عليها . ولم يطل ذلك لأن صلحاً انعقد بين الدولتين وعادت الاقاليم ثانية إلى سلطان مصر . غير ان انطيوكوس عاد فاستولى عليها بعد وفاة بطليموس سنة ٢٠٤

واستجار الملك البطليموسي الجديد بالرومانيين فطلب هؤلاء من انطيوكوس التخلي عما اخذه وانذروه بالحرب وسيروا حملة عليه فسارع الى لقائها على ارض تساليه اليونانية فكتبت عليه الهزيمة اولا وتقهقر امام الرومانيين الذين عبروا الى آسياالصغرىواشتبكوا مع انطيوكوس بمعركة شديدة فيها كتبت عليه فيها الهزيمة ثانيـاً مما اضطره إلى طلب الصلح والأمان منهم فشرطوا عليه ان يتخلى عـن كل املاك دولته وراء جبل طوروس وان يؤدي خمسة عشر وزنة وان يقدم الرهائن التي يطلبونها على الوفاء بأقساط هـذه لغرامة . فاستعظم انطيوكوس الشروط وحاول تخفيفها فأخفق فنشب القتال ثانيةوخسر لمعركة الجديدة بعد ان كاد يربحها فلم يكن له مناص من قبول الشروط . وعـاد ليدبر لمال . وقيل له ان في هيكل فارسي كنزاً عظيما فسولت له نفسه نهبه فثار بـه الشعب قتله مع حاشيته وكان ذلك عام ١٨٧ ق م .

وحتى بعل بطل قرطاجنة الذي ذكرنا خبر مصاولته مع الرومان وقدومه إلى صور بعد ان تغلبوا عليه في مناسبة سابقة قد جاء في زمن هذا الملك وقد اجتمع الملك به وفكر بالاستفادة من مهارته الحربية في مصاولته مع الرومان وابدى هذا استعداده واخذ يعرض الخطط الحربية عليه ولكن الملك لم يصغ اليه اصغاءاً تاماً وسار على خطة وضعها بنفسه فكان مصيره الهزيمة .

ولقد خلف انطيوخوس الثالث ابنه سلوقوس الرابع وكانت الدولة مثقلة بغرامة الحرب وذل الانكسار ولم يستطع النهوض بالعبء فاغتنم قائد له اسمه هيلودوروس الفرصة فدس له السم سنة ١٧٥ وحل محله .

وكان للملك المسموم اخ وابن متغيبان فجاء الاول اولا وتمكن من ازاحة القائد والحلول في الملك باسم انطيوكوس الرابع . وقد استأنف النزاع التقليدي بين السلوقيين والبطالسة على الاقسام الشامية وادى الامر إلى حرب انتصر فيها فوطد سلطانه على هذه الاقسام بل ودخل مصر على رأس جيشه دخول الظافر وكان ذلك سنة ١٧٠ ومنذئذ ظلت هذه الاقسام في سلطان السلوقيين إلى الفتح الروماني .

وهذا الملك هو الذي اضطهد اليهود وضربهم وسباهم ونهب ما وجده في معبدهم وامر ولاته باجبارهم على ترك تقاليدهم وشرائعهم وقتل من يتمرد على ذلك فكانت المحنة الشديدة التي ادت الى الثورة المكابيه على ما شرحناه في فصل العبرانيين شرحاً يغني عن التكرار . ومات هذا سنة ١٦٣ فخلفه ابنه انطيوكوس الخامس وكان حدثاً تحت وصاية وصي معتدل فجنح الى التخفيف عن اليهود وكتب لهم بذلك على ان يبقوا خاضعين مخلصين . وفي هذه الاثناء جاء ديمتريوس ابن سلوقس الرابع الذي كان في رومه والذي كان يعتبر نفسه صاحب الحق في العرش وتمكن من قتل الملك الصبي ووصيه والجلوس على العرش وكان ذلك سنة ١٦٢ . وقد نقض الصلح مع اليهود فعادت المحنة والثورة إلى شدتها . وخرج على اسكندر ابن عمه انطيوكوس متحالفاً مع اليهود وتمكن من التغلب عليه وقتله (١٥٠) فانفرجت ازمة اليهود ثم تصاهر مع بطليموس السادس فقام عهد سلام بين الدولتين اليونانيتين . غير انه انصرف الى الترف واللذائذ فنقم الناس عليه واغتنم انطيوكوس ابن ديمتريوس الفرصة فخرج عليه فالتف عليه الناس واستنجد اسكندر بحميه فجاء هذا بجيش عظيم وسفن كثيرة مبيتاً النية على بسط سلطانه على البلاد . وقد كان

اهل البلاد يستقبلونه بالتكريم بما فيهم اليهود وكان كلما غادر مدينة ترك فيها حاميـــة وكان الاسكندر مشغولا بالخارجي وشعر بنوايا عمه فعاد الى لقائه واشتبك معه فكتبت عليه الهزيمة وتشرد . وانبسط السلطان البطلسي على المملكة السلوقية .

وقد مات بطليموس بعد عودته من الشام بقليل فزحف ابن ديمتريوس على بلاد الشام واستولى على مقاليد الحكم باسم ديمتريوس الثاني . وكان عسوفاً فلم يلبث ان اثار عليه نقمة الشعب واسقطه ونادى بانطوكيوس بن اسكندر ملكاً مكانه . وكان هذا حدثاً فنصب قائد اسمه ترينون وصياً عليه فما لبث ان قتل الصبي ونادى بنفسه ملكاً ثم اتصل بروما ووطد صلته بها وهاداها . غير انه كان هـــو ايضاً سيء السيرة فأثار نقمة الشعب واغتنم انطيوكوس اخو ديمتريوس الفرصة فقاد حركة ضده وتمكن مـن قتله واستلام مقاليد الحكم .

وكانت الدولة المكابية في ظروف المنافسات قد تمتعت باستقلالها وامتنعت عـــن اداء الجزية فطالبها هذا بالأموال المكسوره فأبت فسير عليها حملة منيت بالهزيمة فسار بنفسه على رأس حملة اخرى ثم انعقد الصلح على شروط خفيفة قبل بها اليهود .

وظهر من ملك الفرس مطامع فزحف انطيوكوس عليه وغلبه واستولى على بابـــل وماري واساء في اهلها السيرة فثار عليه الشعب . وسير ملك مصر من ناحيـــة اخرى شخصاً اسمه زبينا كان يدعي انه ابن الاسكندر على رأس حملة فانحاز اليه السواد الاعظم والتحم مع ديمتريوس وهزمه فلجأ إلى عكا ثم الى صور حيث قتل هناك .

وقد انقسمت المملكة بعد ديمتريوس الى قسمين شمالي مركزه انطاكية في عهـــدة زبينا وجنوبي مركزه عكا في عهدة انطيوكوس السابع بن ديمتريوس تحت وصايـــة امه قلوبطره .

واراد ملك مصر ان يفرض سيادته على زبينا لانه هو الذي سيره وايـــده فأبى فأغضبه وجهز جيشاً ساعد انطيوكوس السابع وامه على ازاحـــة زبينا واجتماع شمل المملكة ثانية . وتزوج هذا بنت بطليموس فخف التوتر لفترة بين الدولتين .

ومن عجيب ما ورد ان قلوبطره قتلت ابناً كبيراً لها حتى يتسنى لها ممارسة الحكم بالوصاية على ابنها الاصغر ، وانها حاولت ان تدس السم لابنها هذا حينما بلـــغ رشده حتى يتسنى لها الانفراد في الحكم . وقد قدمت كأس الشراب المسموم لابنهـــا فارتاب

وطلب منها ان تشرب منه اولا فظهر عليها الذعر فأصر عليها فلم تر بداً من الشرب فكان فيه حتفها !

أواخر عهد الدولة السلوقية

وقد خرج على انطيوكوس بعد قليل اخ له من ام اخرى عرف بالشيزيكي وتزاحف الاخوان ثم اتفقا على اقتسام المملكة فكان نصيب الشيزيكي فينيقية وسورية المجوفة الى دمشق ونصيب انطيوكوس بقية البلاد . وانكب كلاهما على اللهو والترف فتسنى لهركانوس ملك اليهود ان يتبسط في السلطان على النحو الذي شرحناه في فصل العبرانيين ودست قلاوبطرة ملكة مصر اصبعها بين الاخوين فثارت الحرب بينهما وقد قتل انطيوكوس غيلة في هذه الظروف وحاول الشيزيكي ان يبسط سيطرته على جميع المملكة فتصدى له سلوقوس ابن انطيوكوس واستطاع ان يتغلب عليه ويأسره ويقتله ويوطد سلطانه على المملكة . وكان ذلك سنة ٩٥ .

ولم يكد يرتاح حتى تصدى له اوساب ابن الشيزيكي وتمكن بدوره من التغلب عليه والجائه الى الفرار الى كليكية وهناك تألب عليه اهل المصيص الذين استثقلوا تكاليفه فاضرموا النار بالبيت الذي يقيم فيه فكان في ذلك حتفه ؛ واستتب الملك لاوساب فتصدى له فيلبوس ابن انطيوكوس واعانه جده بطليموس ملك مصر فتمكن من التغلب عليه والجائه الى الفرار واستلام مقاليد الحكم . غير ان النزاع لم يقف بين الاسرة فضاق بذلك ذرع السوريين فعرضوا تاج بلادهم على تيغران ملك الأرمن فقبله عام(٨٣) وارسل نائباً عنه اسمه مفادات ليمارس الحكم . وتشرد كل من اوساب وفيلبوس ولم يبق في الميدان من السلوقيين الا سيلانة زوجة اوساب التي استطاعت ان تجد من الانصار من ساعدها على الاستمساك في سورية المجوفة وجانب من فينيقية حيث ملكت بضع سنين وكانت عكا مركزاً لها . وقد ارسلت ابنين لها إلى روما ليحصلا على تأييدها في حكم سورية ومصر التي كانت هي الاخرى في حالة ارتباك وفوضى بسبب ضعف البطالسة ومنازعاتهم فيما بينهم ايضاً .

ولم يوافق الرومان على طلب سيلانة وولديها واعلنوا الحرب على تيغران وانتصروا عليه وفرضوا عليه غرامة كبيرة عام٦٩ ق م واجبروه على التخلي عن سوريةوكابادوكية

وارمينية الصغرى والاكتفاء بملك ارمينية الكبرى ثم زحف بومبيوس على رأس حملة رومانية سنة ٦٤ فاستولى على جزيرة الفرات وجميع بلاد الشام وحاولت سيلانة واولادها الاستمساك ولو تحت السيادة الرومانية فأبى بومبيوس فكان في ذلك نهاية الدولة السلوقية .

حالة بلاد الشام في أثناء الحكم اليوناني

يمكن أن يقال إن الفينيقيين باستثناء استعصاء صور وصيدا على انتيغونوس وبطليموس قائدي الاسكندر الكبير في سياق غزوهما لفينيقية وتنازعها عليها قبل توطد الدولتين اليونانيتين تقبلوا الحكم اليوناني بعد ذلك بدون تبرم ولم يعبأوا بالتقلب الذي كان يطرأ عليهم من سيادة السلوقيين إلى البطالسة . بل وقد كانوا يبادرون إلى مساعدة اصحاب السيادة منهم على الآخرين بسفنهم وملاحيهم .

ولقد استأنفوا نشاطهم التجاري والملاحي والصناعي وسجلوا فيه تفوقاً على غيرهم في هذه الحقبة وجنوا منه اعظم الارباح وازدهرت مدنهم وترفهت حياتهم نتيجة لذلك .

ولقد وجدت نقود معدنية تحمل اسماء مدن عكا وصور وصيدا وبيروت وجبيل والبترون وارواد وطرابلس وعمريت ، وعلى احد وجهيها صورة حاكم المدينة ؛ حيث يدل هذا على ان هذه المدن كانت متمتعة باستقلال ذاتي غير ان الاسماء والآثار تدل على ان الحكام كانوا من اليونانيين مما يفيد ان الحكم الذاتي كان يونانياً على طريقة النظام الاقطاعي او حكومات المدن التي كان يجري عليها اليونانيون . وقد عرف من الاثار انه كان يقوم الى جانب الحكام اليونانيين مجالس شورية تتألف من اعضاء وطنيين ويونانيين معاً .

ولقد انشأ الحكام اليونانيون في مختلف انحاء فينيقية الساحلية والجبلية كثيراً من المعابد والحصون والقصور يبرز عليها الطابع اليوناني . وجاء كثير من اليونانيين فسكنوا المدن الفينيقية ونشروا اللغة اليونانية وبدلوا اسماء بعض المدن باسماء يونانية مثل بيروت التي سموها لاوريسة وعكا التي سموها بطلومية ؛ وتسربت الاسماء والاساطير الدينية اليونانية وامتزجت بالاسماء والاساطير الفينيقية فصار اسم الاله اليوناني زفس مثلا يطلق على الاله الفينيقي بعل واسم الالاهة اليونانية افروديت يطلق على الالاهة الفينيقية ادونيس . واخذ الطابع اليوناني يطبع المشاريع والمنشآت والفنون والصناعات الفينيقية

وازدهر العلم في ربوع فينيقية مطبوعاً بالطابع اليوناني ايضاً . وقد ذكرت المدونات القديمة اسماء عدد من الفلاسفة النابغين مثل ديوس وثا ودوطوس وفيلو ستروتس ويونيبوس وديوروس وزينون الخ وصيغة الاسماء اليونانية تجعل مــن الصعب التمييز ما إذا كان اصحابها فينيقيين ام يونانيين وان كان احتمال فينيقية بعضهم قائماً .

وشيء من كل ما تقدم يمكن ان يقال بالنسبة لسورية وفلسطين وشرق الاردن . ولقد كانت انطاكية عاصمة المملكة التي انشأها ملك السلوقيين الثاني المركز الاول بين مراكز الثقافة اليونانية كما كانت اعظم مدينة سياسية في آسيا كلها الى جانب مـا كانت عليه من فخامة ورواء . وقد انشأ اليونان مدن سلوقية وآفامية واريثوسا (الرستن) رسيروس في سورية وقلوبتريا في الجليل وغيروا اسم مدينـة عمون ـ عمـان ـ الى فيلادلفيا واسم مدينة حماه الى ابيفانيه واسم مدينة شيزر الى لاريسة والرها او اورفة الى اريسة وحلب الى بيرويا وبيت جـبرين الى يوثيروبوليس . وانشأوا في ضاحية دفنة قرب انطاكية معبداً لأبولون صار محجاً لليونان والمتأثرين بتقاليدهم وعقائـدهم من كل اطراف الشام . وقد اعتبر ملجأ مقدساً لمن يريد وغدا مركزاً للخلاعة .

وكانت المدن اليونانية الجديـدة والتي بدلت اسماؤها الى اسماء يونانيـة تزود بالمسارح والساحات والملاعب والحمامات والمعابد على الاسلوب اليوناني وتغدو مراكز تكثف الجاليات اليونانية ومراكز انتشار الثقافة والتقاليد اليونانية حتى لقد غـدا شمالي سورية مكدونية جديدة .

غير ان من الحق ان ننبه إلى ما نبه الـيه الباحثون العرب وغير العرب من ان الطابع اليوناني في بلاد الشام ـ فينيقية وسورية وفلسطين والاردن ـ وانتشار اللغـ والثقافـة اليونانية فيها قد كانا سطحيين ومحصورين في المدن الكبرى وفي الاسر البارزة التي كانت تتقرب الى الحكام وتمتزج بهم ابتغاء الوجاهة . اما عامة الشعب فقد ظلت محتفظة بتقاليدها ولغتها .

ولم تكد الدولة اليونانية تتوارى حتى نصلت الصبغة اليونانية التي صبغت بعض المظاهر وكانت ضيقة النطاق سطحية الاثر . والى هذا فقد ظلت اللغـة الارامية التي صارت اللغة الوطنية العامة في بلاد الشام في هذه الظروف محتفظة بما صار لها من ذيوع وشمول مما اضطر السلطات اليونانية ان تعتبرها لغة رسمية الى جانب اللغـة اليونانية .

بل لقد نبه الباحثون على أن الجوالي اليونانية كانت أكثر تأثراً بالحياة العربية (التي يحلو لهم ان ينعتوها بالسامية) من تأثر الوطنيين بالحياة اليونانية وان الحضارة الوطنية اعطت أكثر مما اخذت على تعبير فيليب حتي [1] . ولقد قرر لامانس اليسوعي في كتابه تسريح الأبصار [2] . « ان العنصر المتغلب على سورية في عهـــد اليونان كان العنصر الآرامي لا اليوناني وهذا ان صدق عن سورية فهو أصدق عـن لبنان حيث كانت آرامية سكانه في ايامهم اوضح من النهار ولم تكن اليونانية تعدو مسحة ظاهرية وزياً سطحيا . وفي المجلد الثاني من مجلة الحوليات السورية لسنة ١٩٥٢ نبذ معزوة إلى بعض أساتذة التاريخ والآثار تؤيد تلك التقريرات حيث اوردت لروربوت كوهن قوله « يجدر ان تحذر المبـــالغة في تأثير الحضارة الهيلينية . فالشعوب السامية (العربية على الأصح) احتفظت بلغتها وعاداتها ولم تتأثر بالهيلينية إلا نخبة محدودة ؛ وحيث اقتبست من بوكام وجوجو وروبرت كوهن ما لخصته بهذه الجملة « وقد ظل سكان سورية غرباء عن ملوكهم او بالاحرى كان الملوك السلوقيون هم الغرباء عن الشعب السوري السامي (العربي) • ولقد اسكنوا حقاً في المدن بعض الجاليات الهيلينية ولكن الأرياف السورية بقيت سامية (عربية) لم تشبها عجمة . وحتى في المدن الجديدة التي انشأها او جددها السلوقيون لم يكن الاغريقيون من الكثرة بحيث يظهرون على السكان المحليين •

ومن الجدير بالتذكير ان هذه الظاهرة كانت بادية في مصر اثناء قيام الحكم اليوناني البطلمي فيها على ما نبهنا عليه في الجزء الثاني .

ولقد كان اهل سورية وغالبهم من الأرومات العربية الارامية والامورية يعبرون عن تبرمهم وسخطهم من سيرة ملوك السلوقيين السيئة بالثورة تارة والتألب عـــلى الملك السيء واسقاطه وتأييد غيره تارة . وعرضوا مرة تاج بلادهم على ملك الارمن على ما مر بيانه حيث يفيد هذا انهم لم ينفضوا يدهم مـــن النشاط السياسي ويعيشوا في معزل عنه •

وبالاضافة إلى هذا فان بني اسرائيل وهم ارومات عربية ايضاً قد سجلوا نشاطاً سياسياً كبيراً بثورتهم المكابية وكان لهم في ظلها حياة سياسيه وحربية جياشة . على ماشرحناه في فصلهم شرحاً يغني عن التكرار •

---

(١) تاريخ سورية ولبنان وفلسطين تعريب حداد ص ٢٨١ وما قبلها

(٢) ج ٢ ص ٣٥–٣٨ انظر ايضاً القرون القديمة لبريستيد ترجمة قربان ص ٣١٥

ولقد اخذ يفد من شمال جزيرة العرب منذ النصف الاول من الالف الاول قبل الميلاد المسيحي قبائل عربية جديدة متسمة هذه المرة بسمة العروبة الصريحة فتنتشر في اطراف بلاد الشام والعراق وجزيرة الفرات فتجدد دم العروبة وحيويتها في هذه البلاد وتصبغها شيئاً فشيئاً بصبغة العروبة الصريحة ، واخذ يقوم نتيجة لذلك في اثناء الحكم اليوناني بل وقبله ممالك وامارات ومشيخات صريحة العروبة في اكثر من منطقة من مناطق بلاد الشام وتنشط في مجال السياسة والحكم عوداً على بدء . من ذلك ما عرف بمملكتي عريبي وقيدار في طريق الشام ــ الحجاز في القرنين السابع والسادس قبل الميلاد . ومنه ممالك الرها وحيداب ومشيخات حمسس وشمسا التي كانت في ايام الحكم اليوناني في جزيرة الفرات وشمال سورية . ومنه مشيخة الايطوريين في منطقة جبل الشيخ وبقاع العزيز والتي كانت تمتد إلى اطراف لبنان الشمالي من ناحية وحوران من ناحية اخرى في ايام الحكم اليوناني كذلك . ومنه اخيراً مملكة الانباط التي كانت عاصمتها بترا في شرق الاردن والتي قامت قبيل الحكم اليوناني مقام ما كان يسمى بممالك عمون ومؤاب وآدوم واستمرت طيلة هذا الحكم وبعده لأمد ما وكان سلطانها يشمل جميع شرق الاردن وحوران واطرافه فلسطين وسيناء الى مدائن صالح [1] .

ولما كانت هذه المدائن والمشيخات صريحة العروبة فقد اجلنا سيرتها الى الجزء التالي المخصص لسيرة العروبة الصريحة قبل الاسلام .

حقبة الحكم الروماني [2]

امتدت هذه الحقبة نحو سبعة قرون ٦٤–٦٤٠ ب م وكانت روما صاحبة السيطرة

---

(١) انظر العرب قبل الاسلام جواد علي ج ٢ ض ٢٩٩ وبعدها و ج ٣ ض ٢٨٠ وبعدها وتاريخ كلدة واشور ج ٢ ض ١٦٩–١٧٤ وتاريخ شرق الاردن تأليف بيك وترجمة طوقان ص ٢٦ وبعدها وتاريخ العرب قبل الاسلام جرجي زيدان طبعة جديدة ص ٨١ وبعدها وتاريخ العرب قبل الاسلام جواد علي ج ٣ ص ١٧ وبعدها وتاريخ سيناء القديم والحديث لنعوم شقير ص ٤٦٤ وكتاب الاسلام والمسيحية في لبنان لهاشم الدفتردار

(٢) هذه النبذة مقتبسة من تاريخ سورية للدبس مجلد ٣ ج ٢ ض ٢٧٤–٦٣٩ ومجلد ٤ ج ٢ ص ٣–٥٦٣ والكافي لشاروبيم ج ١ ض ٢٤٠–٢٧٥ وتاريخ سورية ولبنان وفلسطين فيليب حتي الترجمة العربية ض ٤٠٨–٤٥٢ وتاريخ سورية جرجي يني ص ١٦٥–٢٠٩ ولبنان تأليف لجنة الادباء ض ٢٣٦–٢٤٨ و ١٢٧–١٣٣

الى اوائل القرن الرابع قبل الميلاد ثم صارت القسطنطينية هي صاحبة السيطرة في نطاق ما عرف بمملكة الروم البيزانسيين ، حيث انقسمت الامبراطورية الرومانية الى قسمين شرقي وغربي وكانت بلاد الشام في القسم الشرقي .

حقبة سيطرة روما

كانت بلاد الشام تدار في هذه الحقبة من قبل ولاة عامين تعينهم العاصمة وهم الذين يعينون الولاة والعمال الثانويين تؤيدهم حاميات رومانية تحت قيادتهم او قيادة قواد خاصين . وكانت جميع البلاد احياناً تعتبر ولاية واحدة . كما كانت البلاد تقسم الى اكثر من ولاية ويعين اكثر من وال عام رأساً من قبل العاصمة . وكانت انطاكية على الأغلب مركز الولاة العامين . ومركز ولاية الشمال حينما تقسم البلاد الى ولايتين يكون الجنوب ولاية مركزها دمشق .

والى هذا فقد ظلت فلسطين او بعض اقسامها فترة من هذه الحقبة تحت حكم ملوك اليهود المكابيين في نطاق اشراف ولاة الرومان وسيادتهم . وقد اصطدم اليهود مع الرومان في اثناء هذه الفترة وادى الأمر الى نسف الرومان لدولة المكابيين وتدمير اورشليم وضرب اليهود ضربات قاصمة مرة بعد مرة في اثناء هذه الفترة وبعدها على ما شرحناه في فصل العبرانيين شرحاً يغني عن التكرار .

ولقد ظل شرق الأردن وما حوله فترة من هذه الحقبة أيضاً أي إلى سنة ١٠٤ ب م تحت حكم ملوك الانباط العرب ثم قضي على حكمهم وجعلت بلادهم ولاية باسم الولاية العربية في عهد الملك ترايان (٩٨–١١٧) ب م في سنة ١٠٤ أو ١٠٦ بواسطة حملة كان يقودها قائد اسمه بالما (١) . وظلت كذلك منطقة جبل الشيخ وبقاع العزيز التي كانت في حكم مشيخة الايطوريين العرب التي قامت في أواخر الحكم اليوناني على ما ذكرناه قبل فترة من هذه الحقبة ثم قضي عليها في عهد اغوستوس (٢٩ قم – ١٤ ب م) أو طيباريوس (١٤ ب م – ٣٧ ب م) (٢) . وظلت كذلك منطقة الرها في الفرات تحت حكم ملوكها

---

(١) تاريخ سورية للدبس مجلد ٣ ج ٢ ص ٥٦١ وتاريخ العرب قبل الاسلام جرجي زيدان ص ٨ وبعدها وتاريخ العرب قبل الاسلام جواد علي ج ٣ ص ٥ وبعدها

(٢) تاريخ سورية للدبس مجلد ٣ ص ٣١٨–٣١٩



تمثال الامبراطور اوغستوس

العرب أيضاً امتداداً لعهد الحكم اليوناني على ما ذكرناه قبل فترة من هـــذه الحقبة ثم قضي على حكمهم في سنة ٢٤٧ ب م (١) .

ولقد استمر التموج العربي الصريح من جزيرة العرب نحو بلاد الشام في هـذه الحقبة فامتلأت بواديها بالقبائل العربية الصريحة . وقد قام نتيجة لذلك في منطقة تدمر التي انتقلت إليها الأهمية التجارية بعد القضاء على مملكة الأنباط في شرق الأردن امارة عربية في هذه

(١) تاريخ كلدة واشور لادي شير ج ١ ص ١٦٩-١٧٤

الحقبة تحت سيادة الرومان في القرن الثاني بعد الميلاد واستمرت إلى أوائل القرن الثالث (٢٧٥ ب م) (١) وكان أمراؤهــا متواثقين مع ملوك الرومان متمتعين نتيجة لذلك باستقلال ذاتي واسع وسلطان منبسط وتجارة زاهرة وحياة ناعمة . وقد ألم بروما ارتباك فاغتنمت ملكتها الزباء الفرصة فاعلنت استقلالها ثم بسطت سلطانها على سائر بلاد الشام ثم على مصر وكان ذلك سنة ٢٩٨ ب م . غير ان الرومان لم يكادوا يتخلصون مــن ارتباكهم حتى اهتموا للامر وتمكنوا من التغلب على الزباء وأسرها ثم قضوا على السلطان العربي التدمري . وكان ذلك في عهد الملك أورليان (٢٧٤-٢٧٦ ق م)

ولقد أخذت القبائل العربية البدوية تعيث فساداً في أطراف بلاد الشام اغتناماً لفرصة الفراغ الذي كان نتيجة لزوال السلطان العربي من شرق الأردن وتدمر فصار الرومان يضطرون إلى الاتفاق مع زعماء القبائل على أن يكرن لهم الحكم والسلطان على أطراف بلاد الشام فصار يقوم منذ القرن الثالث ملك عربي تحت سيادة الرومان واستمر إلى الفتح العربي مما عرف بملك سليح وتنوخ والضجاعمة والغساسنة (٢) وكل هذا سوف نزيــده شرحاً في الجزء التالي المخصص لسيرة العروبة الصريحة .

ولقد منح بومبيوس فاتح بلاد الشام مدينتي صور وصيدا حق الحكم الذاتي وبتعبير الدبس اشترت المدينتان منه هذا الحق فاستمرتا تتمتعان به إلى عهد اغستوس ٢٩ ق م — ١٤ ب م الذي سلبه منها لتحزبها لخصمه انطونيو . وقد خص هذا الملك برعايته بيروت ومنحها حقوق روما وسماها باسم ابنته جوليا وعين زرج ابنته اغريبا حاكماً لها وسمح لها بسك عملة باسمها . وكان اغريبا مغرماً بالعمران فجمل المدينة بمختلف المنشآت الفخمة . واستمر حكامها من بعده على سنته حتى غدت مدينة فتانة بمحاسنها ومشاهدها . ومــن مظاهر العناية التي نالتها بيروت في هذه الحقبة مدرستها الحقوقية التي روي انها من منشآت امبراطرةمن سلالة سورية على ما عليه أكثر الرواة (١٩٣-٢٣٢) وكان يرد اليها الطلبة من جميع الانحاء ويتخرج منها القضاة والمحامون لمحاكم العالم الروماني . وقد أعفت هذه

---

(١) تاريخ سورية للدبس مجلد ٣ ج ٢ ص ٩٠٥ وبعدها وتاريخ العرب قبل الاسلام زيدان ص ٩٨ وبعدها والعرب قبل الاسلام جواد علي ج ٣ ص ٢١ وبعدها

(٢) انظر تاريخ سورية للدبس مجلد ٤ ج ٢ ص ٣١-٢٦ وتاريخ العرب قبل الاسلام جواد علي ج ٤ ص ١١٨ وبعدها وجرجي زيدان ص ١٩٥-١٩٧و٢٠٦وبعدها

والقضاء . وقد فاق جميع الفقهاء الرومانيين بكثرة التآليف التي ربت على الثمانين . ومنهم مكسيموس الصوري الذي يعزى اليه (٤١) مقالة في المباحث الفلسفية والادبية . ومنهم ترينون اليهودي الذي كان اشهر يهود عصره في الفلسفة ولوسيان السميساطي الذي سماه بعضهم فولتير عصره وكان مثالا ثم فقيهاً وفيلسوفاً وله نحو ثمانين مؤلفاً . ومنهم فيلون الجبيلي الذي كتب أو ترجم تاريخ الفينيقيين لنكوتين البيروتي. ومنهم اسياسيوس الجبيلي المشهور في أيام الملك ادريان (١١٨–١٣٨) بالفلسفة والخطابة والتاريخ ومنهم بورفير الصوري الذي تعزى اليه تآليف عديدة في مواضيع فلسفية وادبية متنوعـة . ومنهم كاسيوس لنجين الذي اشتهر في الفلسفة والذي استقدمته الزباء ملكة تدمر وجعلته رئيس وزرائها وغيرهم وغيرهم .

وإذا كان لا يمكن الجزم بالقول ان جميـع هؤلاء شاميون او عرب الارومة تثقفوا بالثقافة الرومانية ونبغوا في مجالها أم رومانيون من المولدين في بلاد الشام فان بعضهم شاميون او عرب الأرومة حتما على ما وصفوا بـه . وليس ببعيد ان يكون باقيهم او فريق من هذا الباقي عرب الارومة ايضاً .ولا عبرة في التسمية لأنها نتيجة للثقافة الرومانية كما هو المتبادر .

ولقد اخذت المسيحية تنتشر في بلاد الشام منذ عهد مبكر من هـذه الحقبة نتيجة لتبشير تلامذة المسيح ورسله واخذ يقوم على رأس المسيحيين بطاركة واساقفة وشمامسة ورهبان .

ولم تلبث المسيحية التي ذكرنا بداية نشوءها في فصل العبرانيين ان اصطدمت بالوثنية دين الدولة الرومانية وان اخذ معتنقوها يتعرضون للاضطهاد والعذاب والشهادة من حين الى حين .وقد اورد المطران الدبس اسماء عدد غير يسير من رجالات المسيحية الذين استشهدوا في سبيل الدفاع عن عقيدتهم والثبات عليها . ومنهم من كان يحرق حرقاً ومنهم من كان يجلد ويعذب حتى يلقى حتفه ومنهم من كان يطرح للوحوش المفترسة . ومنهم من كان يقتل في بلاد الشام بأمر الولاة ومنهم من كان يرسل الى روما حيث يجادل ثم يعذب ويقتل بطريق من هـذه الطرق . ومنهم رجال ومنهم نساء . ومعظم الذين ذكر اسماءهم من اصحاب المناصب الكهنوتية العالية او مـن العلماء المتبحرين في الفلسفة واللاهوت . وجميع الاسماء وردت في كتاب الدبس بصيغة يونانية رومانية حيث يدل هذا على انها اخذت من مدونات يونانية رومانية .

والراجح ان كل اصحابها او جلهم من اهل البلاد .

وقد قال الدبس ان هذه الاسماء ليست اسماء جميع الشهداء وهو طبيعي ولا شك ان هناك آلافاً من الشهداء ما دام عدد الرؤساء والمشاهير في نطاق المئات على ما يفيده سياق الدبس . وقد قال ان اسقفاً او مؤرخاً اسمه اوسابيون القيصري كتب كتاباً عن شهداء فلسطين وحدها يحتوي عدداً كبيراً من الأسماء وكيفية استشهادهم المفجعة .

وقد اورد الدبس الى ذلك اسماء كثيرين من البطاركة والاساقفة الذين كانوا يمارسون مهامهم الكهنوتية في هذه الحقبة ويموتون ميتة طبيعية واخبار اجتماعات ومجالس مناظرات ومجامع مقدسة كان يعقدها هؤلاء في صدد المسيحية وعقائدها وكنائسها حيث يبدو من هذا ان الاضطهاد لم يكن متلاحقاً وانه كان يخف او ينقطع فترة بعد فترة فتتمتع المسيحية ورجالها بشيء من الأمن والطمأنينة ايضاً .

وقد ظل الامر على هذا المنوال الى ان اعتنق قسطنطين الكبير (٣٠٥ — ٣٣٧ بم) المسيحية في سنة ٣٢٤ نتيجة لرؤياه في المنام علامة الصليب مكتوباً عليه انك ستنتصر به وذلك في حربه التنافسي مع قائد آخر اسمه مكسنس فانتصر وتنصر على ما رواه الرواة وحينئذ اباح الظهور للنصرانية واقامة الكنائس ورد للمسيحيين ما صودر من كنائسهم واعاد وسرح من كان منفياً ومعتقلا من رجالهم وغدت المسيحية دين الدولة باستثناء نكسة قصيرة بعد موته حيث ارتد الملك يوليانس (٣٦١—٣٦٣) عن المسيحية واضطهدها فبرزت معالم الوثنية ثانية حتى اذا مات عادت المسيحية ديناً للدولة واستمرت كذلك .

ولقد رافق انتشار المسيحية في حقبة سيطرة روما اقوال متنوعة في عقائدها منذ عهد مبكر ايضاً سمى الدبس اصحابها اهل البدع . وممن ذكر خبرهم من هؤلاء من رجـال القرن الاول سيمون الذي ينعت بالساحر والذي يعزى اليه قوله ان النفوس بعد الموت تجتاز الى اجساد أخرى وان الملائكة هم الـذين خلقوا العالم وكان يدعي انه روح القدس ومنذروس الذي ادعى انه ارسل مخلصاً وان لا خلاص لأحد إلا بالايمان برسالته ؛ وكيرنتوس الذي كان يقول ان يسوع انسان ولد كعامة الناس من يوسف ومريم وحل عليه روح القدس وكان يحرف انجيل متى وينكر قدسية رسائل بولس الرسول وكتاب اعمال الرسل وهذا وتلك من المجموعة التي عرفت عند النصارى باسم العهد الجديد، ومنهم ايبون الذي كان يقول ان المسيح بشر ولده يوسف ومريم ولكنه احرز الفضائل فاختاره

ولقد كان عدد من الملوك ولاة وقواداً في الشام قبل أن يرتقوا الى سدة الملك فكان ذلك مما جعلهم يهتمون بهذه الشؤون . هذا بالاضافة الى السلالة السورية التي حظيت بلادالشام في عهدهم بالرعاية والعناية والى لهؤلاء وأولئك يعزى كثير من الآثار . ولقد كان يزور بلاد الشام كثير من الملوك الرومان في ظروف عادية وحربية فكانوا كذلك يأمرون بانشاء المنشآت العمرانية المتنوعة ايضاً . ومما نوه المؤرخون به من ذلك زيارة ادريان



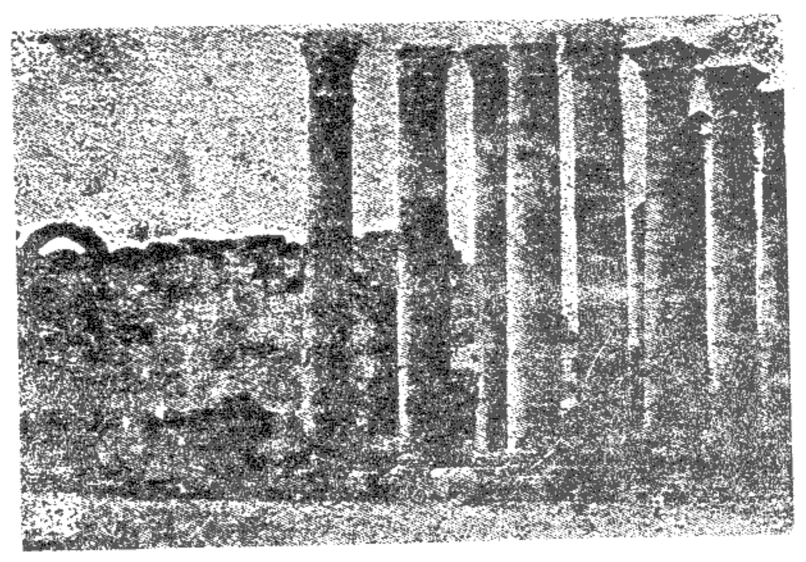
الجسر الروماني المعروف بقناطر زبيدة قريباً من بيروت

(١١٨-١٣٨) لبلاد الشام مرتين واقامته فيها بضع سنين ، حيث كان من نتائج ذلك منشآت هامة منها هيكل الشمس في بعلبك ومنها سلسلة من الحصون والقلاع التي اكتشفت في طريق تدمر دمشق والبالغ عددها ٤٢ ومنها تجديدات هامة في مدينة جبيل وسلسلة

من الطرق العسكرية في مناطق حوران وشرق الاردن .

ولقد كانت عناية الرومان بالشؤون الصناعية والزراعية والتجارية في بلاد الشام موازية لعنايتهم بالشؤون العمرانية فأدى ذلك إلى ازدهار الصناعة والتجارة والزراعة فيها . وقد اهتموا خاصة لحفظ احراش الصنوبر والسرو والأرز في جبل لبنان وانتفعوا بها كثيراً .

وكان للنسيج الصوفي والحريري والكتاني ثم للصباغ الارجواني وصناعة الحلي والزجاج والجلد في فينيقية خاصة شهرة عظيمة في أرجاء الامبراطورية تضارع ما كان لها من



من آثار مدينة جرش الرومانية

شهرة سابقة ، كما كان لكروم سورية وخمرها صيت ذائع . فأدى كل هذا الى استمتاع الأهلين بالثروة والرفاه

ولقد ورث الرومان العداء الذي كان بين الفرس واليونان فتكررت الزحوف والوقائع الحربية بين الطرفين في حقبة سيطرة روما . وكان النصر والهزيمة يتساجلان بينهما وان كان الرومان سجلوا مرات اكثر من النصر . وكانت ميادين الوقائع اكثر ما يكون بين العراق وكليكيا وتشمل ما بين النهرين وشمال سورية احياناً . ولم يكد يقع في هذه الحقبة حرب بين الطرفين في صميم بلاد الشام . وقد اندمج امير تدمر في سنة

وان الذي ولدته هو انسان صار آلة لله وان الذي تجسد في حشاها غير كلمة الله وانما حلت حلت كلمة الله فيه فصار هيكلا لله وبناء على ذلك لم يولد ولم يتألم ولم يمت . وان في المسيح اقنومان إلهي وبشري . وقد ارتقى نسطور إلى رتبه البطركية وصار له أتباع وثبت مذهبه واستمر رغم ماانعقد من مجامع وجرى من مجادلات . وقد تطور المذهب النسطوري بأقوال لتاميذ لنسطور اسمه أوطيخا حيث كان يقول ان المسيح انسان حل فيه اللاهوت وان الطبيعتين او الاقنومين الالهي والبشري فيه امتزجا فصار فيه طبيعة واحدة ولم يعد إنساناً كاملا ولم يصر إلهاً كاملا وانه كان عند التجسد ذا طبيعتين ثم صار بعده ذا طبيعة واحدة . وقد غطى المذهب النسطوري المعدل على المذهب الاريوسي ولا سيما انه جاء متساوقاً معه وتطويراً له أيضاً .

وقد حظى المذهب النسطوري المعدل بتأييد بعض ملوك الرومان فكان ذلك وسيلة إلى تثبيته وتمكينه . وصار يقوم من رجاله في القرن الخامس بطاركة واساقفة إلى جانب بطاركة وأساقفة كاثوليكيين حينا وبانفراد هؤلاء وأولئك حينا حسب تقلب الاحوال .

أما الثاني فهو يعقوب البردعي من رهبان الرها . وقد ظهر في أواسط القرن السادس . وأقواله متسقة مع أقوال نسطور واوطيخا أي كون المسيح صار ذا طبيعة واحدة عند التجسد . ولقد ظهر في مصر بطرك اسمه يعقوب ذيسقوروس في أواسط القرن الخامس يقول بمثل هذا القول فالتبس الأمر على بعض المؤرخين وجعلوا الاثنين واحداً مع ان يعقوب البردعي من الرها ويعقوب ديسقوروس من مصر على ما يفيده سياق الدبس . ولقد عقدت مجامع ومجالس وكانت مناظرات ومجادلات ولكنها لم تسفر عن شيء حيث ثبت المذهب اليعقوبي وانتشر واعتنقه الجمهور الاكبر في مصر والشام وصار يقوم منه بطاركة وأساقفة إلى جانب بطاركة واساقفة كاثوليك أو بالانفراد حسب تقلب الاحوال .

وهكذا كانت العقيدة في المسيح متعارضة منذ القرن الأول وكان دائما مذهبان متوازيان فيه أحدهما مذهب المشيئتين والطبيعتين والتساوي في الجوهر مع الاب وروح القدس وهو المذهب الكاثوليكي وثانيها مذهب الطبيعة الواحدة وعدم مساواة المسيح مع الأب ومخلوقيته وهو المذهب الأيبوني ثم السميساطي ثم الاريوسي ثم النسطوري ثم اليعقوبي والذي كان مذهب غالبية أهل البلاد .

ولقد كان اعتناق الرومان للمسيحية مما كان يزيد في التناحر والتشاد بين اصحاب المذاهب المتعارضة حيث كان ملوكهم يؤيدون مذهبـاً على آخر ويضطهدون احياناً اصحاب المذهب الآخر فيبدون كضحاياوشهداء فيشتد استمساكهم بمذهبهم . وكان الملوك احياناً يقفون مع الاختلافات المذهبية موقف اللامبالاة أو الحياد فيكون ذلك فرصة للتجاذب والتشاد بين اهل المذاهب ويتسنى لكل منهم ان يقيم مع رجاله بطاركة واساقفة الى جانب بعضهم . بل وكان الذين يشعرون بقوتهم يحاولون ان يفرضوامذهبهم على غيرهم . وكان يتسنى للوثنية في هذه الحالة ان ترفع رأسها وتبرز مظاهرها . وقد صار المذهب الكاثوليكي منذ أواسط القرن السادس هو المذهب الرسمي للرومان وكان قبل ذلك كذلك بدون اطراد فصار اصحاب المذهبين اليعقوبي والنسطوري عرضة للاضطهاد والمطاردة . وممن اشتد في الاضطهاد والمطاردة جوستنيان (٥٢٧–٥٦٧) على ما كان عليه من حصافة وعلى ما سجل لنفسه من مفخرة تشريعية في تنظيمه مجموعة الشرائع الرومانية . وقد شمل اضطهاده الوثنية واليهودية ايضاً فأخذت الوثنية خاصة تدخل في دور التواري والانقراض لان اصحابها غدوا اقلية ضعيفة في خضم المسيحية . وظل الامر على هذا المنوال الى الفتح الاسلامي فاعتبر اليعاقبة والنساطرة الفاتحين منقذين ورحبوا بهم ودخلوا في ذمتهم ، ولم يلبثوا ان اخذوا يعتنقون الاسلام افواجاً افواجاً حتى كاد يعمهم لأن بين عقيدتهم بالمسيح وبين رأي الاسلام فيه تقارباً وتساوقاً قليلا أو كثيراً . وكان جمهور النصارى من العرب الصرحاء في بلاد الشام وجزيرة الفرات والعراق من اهل هذين المذهبين فكانت الوحدة الجنسية التي جمعت بينهم وبين الفاتحين من الاسباب الميسرة لذلك والحافزة عليه .

ولقد اصطدم اليهود بالرومان في هذه الحقبة ايضاً وثاروا اكثر من مرة وفي أماكن متعددة . وكانوا يتعرضون للقمع والتنكيل الشديد . وقد كانوا يغتنمون فرصة غزو الفرس لبلاد الشام فيهاجمون النصارى ويثخنون فيهم فكان ذلك مما أدى الى اشتداد العداء والاحقاد بينهم وبين النصارى وجعل هؤلاء يشترطون في تسليم القدس لعمر بن الخطاب رضي الله عنهم عدم سكنى اليهود معهم فيها مما شرحناه في فصل العبرانيين .

ولقد استمر الرومان على عنايتهم بشؤون بلاد الشام العمرانية في هذه الحقبة ايضاً . وقد انشأوا كثيراً من الملاعب والمسارح والصهاريج والآبار والأقنية والطرق والقلاع